

مجلة الفكر والفن المعاصر

# لقلعة

العدد (١٣٣) ديسمبر ١٩٩٣

اكتشاف ثقافي

رسائل

محمد مندور

إلى طه حسين

حسن البنا

والحركات

الإسلامية

الجديدة





# للقاهرة

مجلة الفكر والفن المعاصر

شهرية تصدر يوم ١٥ من كل شهر . الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب



العدد (١٣٣) ديسمبر ١٩٩٣

الثنى في مصر : ١٥٠ قرشاً

العراق ١١٢٥ فلساً - الكويت ١١٢٥ فلساً - قطر ١٥ ريالاً - البحرين ١٥٠٠ فلس - سوريا ٩٠ ليرة - لبنان ٣٠٠٠ ليرة - الأردن ١١٢٥ فلساً - السعودية ١٥ ريالاً - السودان ٣٥٢٥ ق - تونس ٣٢٧٥ مليماً - الجزائر ٢١ ديناراً - المغرب ٤٠ درهماً - اليمن ٧٥ ريالاً - ليبيا ١٢٠ ديناراً - الإمارات ١٥ درهماً - سلطنة عمان ١٥٠٠ بيضة - غزة والضفة والقدس ١٨٧٥ سنتاً - لندن ٣٠٠ بنس - الولايات المتحدة ١٥ دولاراً

الإشتراكات في مصر :

من سنة (١٢ عدداً) ١٨ جنيهاً مصرياً شاملاً البريد .

الإشتراكات من الخارج [عن سنة ١٢ عدداً] :

- البلاد العربية : افراد ٣٠ دولاراً ، مبيعات ٥٢ دولاراً شاملة مصاريف البريد .
- امريكا وأوروبا : افراد ٤٨ دولاراً ، مبيعات ٧٠ دولاراً شاملة مصاريف البريد .

العنوان : مجلة القاهرة - جمهورية مصر العربية - القاهرة -  
١١١٧ كورنيش النيل - فاكس 754213 . ت / ٥٧٨٩٤٥٥

المادة المنشورة مكتوبة خصيصاً للمجلة ، وتعتبر عن آراء اصحابها ولا ترد في حالة عدم النشر . المراسلات باسم رئيس التحرير .

رئيس مجلس الإدارة

سمير سرحان

رئيس التحرير

غالى شكري

مدير التحرير

عبد جبير

المستشار الفني

حلمى التونى

السكرتارية الفنية

التحرير

مهدى محمد مصطفى

التنفيذ

صبرى عبد الواحد

مادلين أيوب فرج

الحروف

فتحى عبد الله

السماح عبد الله

أحمد سلطان

المهاجرات ١٧

---

الفصل في الغايات ٩٧

---

المراجعات ١٦٩

---

الإيقاعات والبرهنة ١٩٩

---

المحاورات ٢٢٢

---

الاشعارات والتنبيهات ٢٦٢

# من المحرر وداعا... ميشيل كامل

وحين ذبحت هزيمة ١٩٦٧ أحلام المناضلين، اختار ميشيل كامل موقعه في طليعة الجبهة الفكرية - السياسية المقاتلة ضد صناع الهزيمة.. وكانت بيروت من أهم منابر هذه الجبهة قبل حرب لبنان وأثناءها. وعاش ميشيل كامل عرويته الحقيقية لحساب مصر. وكانت بصيرته السياسية الشاقبة الأقوى من «عمى الألوان» الذي أصاب غيره من نيران الحرب الأهلية اللبنانية والحروب الباردة العربية.

لم يكن مفكراً سياسياً يكتب من مقاعد المخرجين، وإنما كان في فكره مناضلاً عملياً وفي ضماله مفكراً نظرياً، يلتحم في حياته اليومية الواقع بالمبادئ. وقد شغلته في بيروت حتى العنق القضية الفلسطينية والقضايا العربية الأخرى نون أن ينسى لحظة واحدة أن مصر هي القضية المركزية والقيمة المعيارية لأي تقدم أو تراجع في المنطقة كلها. وحين اضطرت الحرب - كالبنيانين أنفسهم - للهجرة إلى أوروبا لم تكن باريس وحدها مفره، بل كانت انطفئ المنابر العربية هي ساحته باتساع العالم.

ليت هذه السيرة النقية الفذة في عطائها تجد من يكتبها ذات يوم وكأنه يضيء إحدى شموع الأمل وسط الظلام المحيط. ■

بالرجل الوديع الهادئ الطبع المتبسم من القلب يتحول إلى مقاتل جسور عن فكره وأرائه ومواقفه، ويناضل عنها تضاملاً شرساً أيًا كانت العواقب.

وقد كان بقدر من المرونة التي لا تصل إلى حد التنازل أن يتبوأ في وطنه الملع الواجحات.. ولكنه لم يفعل، وأثر مرارة الغربة الطويلة على الحدود الدنيا من التكيف. كان نموذجاً للمثقف العضوي الذي لا يفصل بين الفكر والعمل دون اهتمام بالأضواء المزيفة. ولكن قراء «صفحة الرأي» في الأهرام ومنجلة «الطلیعة» خلال الستينيات يدركون أية بصمات مميزة تركها ميشيل كامل على صفحة الفكر المصري المعارض لسلبيات التجربة الوطنية في ذلك الوقت.



ميشيل كامل

قأبى عام ١٩٩٣ أن يختتم مسيرته إلا بوداع قلم وعقل وقلب لن تقام له سرادقات العزاء في إعلامنا السعيد آلاف سبب وسبب. أولاً، لأن ميشيل كامل كان حتى الرمح الأخير قد عاش حياته معارضاً شريفاً في ضوء الشمس. لم يخف أفكاره وآراءه ومواقفه لحظة واحدة. ولم يناور ويراوغ ويتركب أكثر من جواد في وقت واحد. لم يأكل على كل المواعيد، ولم يكن رجلاً لأي عصر من العصور، بل مضت حياته رهاناً على عصر لم يات بعد.

ولكن أحداً لن يجاهر، بهذا السبب، وإنما سيقولون إنه قد غاب عن مصر أكثر من عشرين عاماً، وقد نسى الناس غير أنهم لن يقولوا لماذا اغترب، ولا كيف عاش في منفاه المزيج، بالاضطرار والاختيار، ولا كيف استطاع رغم البعد الجغرافي أن يحيا في قلب الوطن طيلة الوقت المر.

وهكذا، فحين كان ميشيل كامل ملء السمع والبصر في وطنه كان لعارفيه عن قرب نموذجاً أخلاقياً رفيع المستوى. وكانت شجاعته الأخلاقية النادرة المثال قرينة التواضع الحقيقي والبعد المطلق عن حسابات الأرباح والخسائر والمعارك الصغيرة. وحين يسك بالقلم أو يجد نفسه في موقف يرتبط بمصير الوطن لا يعرف سوى ما يعتقد أنه الحق، وإذا

## الذئاب

(٥)

قا

كان من الطبيعي أن يبدأ تفكك الإمبراطورية السوفياتية من محيطها المباشر في أوروبا الشرقية، من بلد كبولندا مثلاً، فواقع الأمر أن نداء الديمقراطية كان يمكن أن يأتي من براغ ذات الربيع الذي لا ينسى عام ١٩٦٨، وكان من الممكن لهذا النداء أن يصل من بودابست ذات المبادرة التاريخية عام ١٩٥٦ حين صدقت المجر «سقوط الستالينية» المدوى بصوت خروشوف أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي. وكانت الجرة بالذات مرشحة لإصدار هذا النداء بالذات، بعد انفتاحها الاقتصادي على الغرب. وكان من الممكن للنداء الديمقراطي أن يذاع في بلجراد ويشيع في جمهوريات يوغسلافيا التي تركها تيتو موحدة ببقية جماعية، مستقلة عن موسكو وتحمل مكانة رفيعة في العالم الثالث وكتلة عدم الانحياز.

كان من الممكن أن يحدث ذلك، لو أن «النداء» قد اقتصر على الديمقراطية السياسية، فأغلب عواصم أوروبا الشرقية كان يعاني من الهيمنة الإمبراطورية القائمة من الكرملين، ومن سطوة النظام الشمولي داخل الحدود.

ولكن النداء، جاء من ميناء بولندي يسمى جدانسك، ومن نقابة عمالية تنشد الاستقلال تدعى «تضامن». جاء النداء على مراحل تعددت أشكالها بدءاً من الإضرابات والاعتصامات والمنشورات، وانتهاء بطلب الاستقلال عن الحزب الشيوعي، وبدءاً من المطالب المهنية الخاصة وانتهاء بالمطالب السياسية الواضحة، وبدءاً من السجون والمعتقلات وانتهاء باقتسام السلطة ثم الانفراد بها.

وقد قيل في أحداث بولندا التي سبقت البرستوريكا بخمس سنوات حين التف عمال جدانسك حول ليش فاليسا عام ١٩٨٠ إن البابا - البولندي الجسسية - يوحنا بولس

الثاني هو الذي دفع الكنيسة الكاثوليكية في وارسو إلى دعم الحركة العمالية. وإن هذا البابا ليس بعيداً عن الوكالة المركزية للمخابرات الأمريكية. هذا التفسير التأمري لنشأة «تضامن» يعجز عن تفسير الطابع القومي الذي ألت إليه الحركة، والاستمرارية التي وصلت بها إلى «ريادة» التغيير الشامل لشرق أوروبا. وبالطبع، ليس من المستبعد أن تلعب الكنيسة البولندية دوراً في الأحداث وليس من المستبعد أن تكون ثمة علاقة خارجية بين الفاتيكان والولايات المتحدة. ولكن «تركيب» حركة الأحداث على هذا النحو، وكأن ما جرى في البلاد من أقصاها إلى أقصاها مؤامرة أمريكية هو افتئات على الشعب البولندي وتضخيم لموقع الكنيسة من هذا الشعب ومبالغ في قدرات المخابرات الأمريكية التي تكشف الوثائق المتساحة على أنها فوجئت تماماً بما حدث، حتى ولو حاولت اللحاق بركب المتغيرات، وحتى أيضاً لوبلت الجهود في توجيهها.



دول البلطيق بعد مصادمات دامية. ثم تستقل بقية الجمهوريات في الاتحاد السوفياتي السابق. وتبدأ الحروب الأهلية بين هذه الجمهوريات وبعضها البعض ثم داخل هذه الجمهوريات بين الأعراف والأديان حتى تصل هذه الحروب داخل الاتحاد الروسي نفسه إلى أن تخرق موسكو ذاتها. وينقلب المشهد المساوي من «انقلاب» أغسطس (آب) ١٩٩١ حيث كان البرلمان قلعة يلتسين فيصبح هذا البرلمان - البيت الأبيض - بيتاً أحمر من دماء ألف قتيل في مذبحه أين منها دماء ثورة أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩١٧.

والجوهر العميق للتفكك الدموي الهائل، هو الخطاب الاستهلاكي الذي استحالت عليه استبدال الحلم الجديد بحلم قديم فربحت الفاشية حريها ضد الشيوعية دون الحاجة إلى حرب عالمية ثالثة، بل أصبح بعض قادة الشيوعية القدامى من أبرز أعلام الفاشية الجديدة.

كان التسارع بين الخطاب الاستهلاكي والأوضاع الخاصة بكل إقليم، قد فعل فعله بدءاً من استقلال القوميات إلى استقلال الأعراف والطوائف بموجب الجغرافيا الأنثروبولوجية. وبغت هذه القوميات والأعراف والطوائف ثمن الاستراتيجية الستالينية في تزويدها

العمالية الأكثر فقراً كإجابة على الخطاب الاستهلاكي لفساد الشريحة الحاكمة ونظامها.

غير أن الجواب الاستهلاكي على سؤال الاستهلاك لا يحقق الأحلام على أرض الواقع دفعة واحدة. قد يحقق الاستقلال عن موسكو والانفصال عن حلف وارسو، ولكنه يمتنع عن تحقيق الإنتاج اللازم لاشباع الاستهلاك. يضاف في الوقت نفسه قوانين السوق العالمية المستعدة دائماً لإغراق الأسواق الجديدة وزيادة القروض، فتدخل أقطارها عصر الأزمة الدائمة، ولا تخرج مرة أخرى من عنق الزجاجة بل تضرب رؤوسها في الحائط المسدود.

وهذا هو السبب الذي عاد من نتائجه الشيوعيون البولنديون واللتوانيون إلى الحكم في انتخابات حرة، وكان الناس يستبدلون الحلم القديم بالياس. ولأن الحلم القديم مستحيل، فإن الأوضاع البولندية لا تنتقل إلى شقيقات وارسو القديمة بحدافيرها. ينتقل الخطاب الاستهلاكي المزيج الدلالة (خطاب الجماعة الوطنية أو العرق أو الطائفة، وخطاب الفئة المركزية الحاكمة)، ويتخذ مكانه بين عوامل أخرى وتتفاعل فتغزو بولندا في مازق خائق بينما تتوحد ألمانيا وينفصل التشيك عن السلوفاك سلمياً. وتستقل أولاً

والمستقبلات التي يهيئها الاقتصاد الحر للأجيال الحاضرة والمقبلة. ولم يكن هذا كله ليستم خارج الإطار السياسي الذي يبدأ بانفصال بولندا عن المركز الشمولي في النظام العالمي، والأخذ دون موارد باقتصاد السوق والتعددية الحزبية.

ولم تكن ثورة الاتصال والمعلومات تخلق شيئاً من العدم، وإنما كان الاقتصاد والسياسة والمجتمع والثقافة، تعاني من ضمور حقيقي في الوسائل والغايات، ومن ثغرات فاحشة الاتساع بين الواقع والشعارات. ولم تفعل هذه الثورة سوى أنها ساعدت المخيلة القومية على الحلم وتصور البديل «المتقد». كان الارتباط بين الاقتصاد البولندي واقتصاد المنظومة الاشتراكية، وبين حلف وارسو والأمن الإمبراطوري السوفياتي، وبين الفكر المكبوت أو المعلن أحياناً وعقيدة الدولة من أخطر الصواجز وأعلامها بين الناس وأحلامهم. وجاءت حركة «تضامن» العمالية فوق السطح والشعبية تحتها، كمحاولة جسورة لاختراق هذه الصواجز. لم تكن بولندا فقيرة، ولم تكن تفكر إلى القاعدة التكنولوجية للإنتاج. ولكنها بفضل الصواجز أمست عملياً دولة فقيرة تابعة مقهورة. هنا برز الخطاب الاستهلاكي في صميم الحركة



والهيمنة الروسية عليها. عرقياً واقتصادياً وسياسياً.

بدأت البريسسترويكاً إذن بالاستقلال الديموقراطى، وانتهت عملياً بالتفتت العرقى. ولم يعد الأمر مجرد تفكك إمبراطورى محدود بالإطار الجغرافى للاتحاد السوفياتى السابق وتوابعه فى أوروبا الشرقية، بل تفتتاً عرقياً ملازماً لفاشية نظام الحكم. ليست هناك جمهورية واحدة تخلو من الدم فى آسيا الوسطى، ومضى خيط الدم فاقعاً إلى أفغانستان حتى وصل إلى البلقان فى قلب يوغسلافيا السابقة.

وهكذا ارتبطت أنواع الإرهاب كإفئة، بدءاً من إرهاب الدولة والدويلات والأعراق والطوائف إلى إرهاب اللبشيات والأفراد، بالخطاب الاستهلاكي ارتباطاً وثيقاً. وكانت الجغرافيا البشرية هى الجسر الذى التقى عنده الاستهلاك بالإرهاب.

ما أبعد النهايات عن البدايات، فلم تكن المبادرة البولندية قبل عشر سنوات من الانهيار السوفياتى أكثر من نداء ديموقسراطى تداعت له الكوامن العميقة التى تجاوزت، الحدود الإمبراطورية إلى أرجاء العالم بدءاً من أحداث لوس أنجيلوس فى الولايات المتحدة وانتهاء بالنازية الجديدة فى ألمانيا والسويد والفاشية الجديدة فى إيطاليا.

ومن ثم يصيح السؤال : أحقاً كانت بولندا هى البداية، أم أن الاختلال بين الإنتاج والاستهلاك فى العالم المتقدم داخله وخارجه، كان البداية والنهاية؟

## (٦)

ربما كانت المرة الأولى الدامغة التى يتنكر فيها الغرب لمبادئ الديموقراطية العلنة فى وثائقه الدستورية وخطابه السياسى، حين اتخذ موقفاً جماعياً ضد البرلمان الروسى لحساب الانقلاب العسكرى المكشوف الذى قاده يلتسين والجنرالات ضد الديموقراطية. وهو انقلاب مازال مستمراً من شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٧٣ إلى اليوم والغد.

اقول إنها قد تكون المرة الأولى الدامغة التى يتنكر فيها الغرب لمبادئه، لأننى أعلم أن هذا التنكر يكاد يكون يومياً، ولكنه فى هذه المرة تنكر تاريخى بكل معنى الكلمة، فقد أعطى للمشروعية لجرأة استراتيجية فى إحدى أهم مناطق العالم لحساب الفاشية الجديدة. لم ينظر لغير مصالحه الآتية المباشرة، فأعطى الضوء الأخضر لا للمذبحة التى سقط فى بحيرتها الدموية ألف قتيل بل للمذابح المقبلة لا فى روسيا وحدها بل فى مختلف أرجاء العالم.

لم يكن قادة البرلمان من الشيوعيين الجدد، فهم أقرب الأصدقاء وأقوى الحلفاء فى انقلاب يلتسين على جورباتشوف. وإنما كانوا من القوى القومية التى غيرت مظهراً تماماً جلوسها الحمراء لحساب الاقتصاد الحر. ولكن هذه القوى لاحظت أن يلتسين يركب القطار السريع على جثة الأمن الاجتماعى والأمن الوطنى معاً. وظل مطلب البرلمان هو التخفيف قليلاً من سرعة القطار الذى يشاركون فى قيادته حتى لا يخرج على القضبان ويفقد الاتجاه فتقع الكارثة للجميع.

ولكن هذا البرلمان المنتخب كالرئيس تماماً بموجب الدستور الذى مازال يحكم البلاد حتى الآن فوجئ، بالرئيس يحله ويلغيه كائى ديكتاتور فى العالم الثالث بل فى أسوأ أقطار العالم الثالث. واعترف يلتسين علناً بخرق الدستور. ولم يسأل كلينتون نفسه، هل يستطيع أن يحل الكونجرس، ولم يسأل ميتران نفسه هل يستطيع أن يحل الجمعية الوطنية ولم يسأل ميچور نفسه، هل يستطيع أن يحل مجلس العموم، بل قام الجميع والغرب كله من وراءهم بتأييد الرئيس «الديموقراطى».

ويبدو أن هذا هو الخطأ الأول فى حسابات قادة البرلمان، فقد ظنوا أن الغرب إن لم يقف إلى جانبهم فإنه

سيقدم على الأقل حلا وسطا، فبادروا إلى عزل يلتسين على الورق، واعتصموا بمبنى البرلمان. وكان الخطأ الثاني أنهم راهنوا على حياد العسكر جيشا وقوات أمن ومخابرات، بينما كان يلتسين قد أعد انقلابا عسكريا كامل الأوصاف، شاركت في دعمه المباشرة الوكالة المركزية للمخابرات الأمريكية. وكان الخطأ الثالث هو الرهان على «الشارع». وقد وقع قادة البرلمان في فخ الإغراء حين استجابوا لنداءاتهم مجموعات مسلحة أقرب للمليشيات قليلة العدد. أما الشارع فلم يكن على استعداد من قريب أو بعيد للانحياز هنا أو هناك. كان الشارع خاوي البطون جانبا وهي الحالة المثلى للإحباط واليأس. وكان الشارع لا يفرق في خاتمة المطاف بين يلتسين وروتسكوى، نائبه الأثير.

وخلال أسبوعين من المناورات لم يتوقف الغرب عن تأييد يلتسين ودعمه بكافة الوسائل، لدرجة أن السفارات الغربية «للمحترمة» خانت تعهداتها لقادة البرلمان أنهم عند الاستسلام لن يصيحبهم أذى. ولكن الهجوم المسلح لقرى الانقلاب اكتسح فيما اكتسح هذه التعهدات، ولم يترك البرلمان إلا وقد أصبح خرابا محترقة تلوّثت جدرانها والشوارع المحيطة بها، باللون الأحمر القاني.

وقطع يلتسين عهدا أمام الرأي العام المحلى والعالمى بانتخابات رئاسية مبكرة.

وصلى الغرب طويلا للزعيم «الديموقراطي». ولكنه بادر إلى حجب الصحف ومنع أحزاب المعارضة من الاشتراك فى الانتخابات النيابية، وتوج هذا التراجع المنظم بالإعلان المدوى:

لا للانتخابات الرئاسية المبكرة. وكان إعلان حالة الطوارئ فرصة العمر لاعتقال المعارضين.

واستمر الغرب فى الدعم والتأييد على حساب «المبادئ» و«صلحة الاستراتيجية القائمة لا على تعميم الاقتصاد الحر وما يرتبط به من تعددية سياسية، بل على اعتبار المعسكر الاشتراكى السابق سوفا وغنيمة الحرب الباردة.

ولكن حسابات الغرب ليست دقيقة، فالجيش الذى خرج لإنقاذ يلتسين أصبح من حقه المكتسب كجيش العالم الثالث التدخل فى السياسة. والقومية الروسية المستأنسة فى ظل الاتحاد السوفياتى السابق، لن تعود كذلك والحنين إلى الحكم القيصرى لن يكتفى برومانسية المظاهر.

والقوميّات المنتشرة داخل الاتحاد الروسى وخارجه لن تكتفى

بالحكم الذاتى. والمليشيات المسلحة لن تعود إلى جحورها سواء تحت رايات الاستيراد والتصدير والتخريب والدعارة وتجارة السلاح والمخدرات أوتحت رايات العرق والدين والطائفة.

إن سيولة الحالة الروسية أكثر خطرا من صلابة الحالة الإيرانية بالرغم من الطابع الشمولى فى كلا النظامين فروسيا تهيمن إلى الآن على الجمهوريات المستقلة بما فيها الجمهوريات الإسلامية. وروسيا ماتزال ترسانة مسلحة قادرة على البيع والشراء من الأبواب الأمامية والخلفية. وتحت ذرائع الجوار والمصلحة والعرق حيناً والنفوذ التاريخى أحيانا، تصل بضاعتها الوحيدة السلاح - إلى أبعد نقطة فى الكرة الأرضية. ولا بأس فى هذه الحال من تغذية الصراعات القبلية التى تسود العالم. وفى روسيا أيضاً يجتمع إرهاب الدولة الفاشية الجديدة وإرهاب النزعات والزعامات السلفية فى بواطن الشارع الشعبى وخفاياه الدفينة. لذلك فليس الحكم وحده هو المرشح لعودة القيصرية فى ثياب فاشية جديدة، وإنما أضحت حالة السيولة الجارفة هى التى تفرض إرهاباً مقابلاً من تحت. لم تتناقض الوسائل مع الغايات، فهذه الأخيرة لاوجود لها إذا غضضنا البصر عن الشعارات اللامعة باقتصاديات

السوق . أما الديموقراطية فتشهد مذبحتها على فضيحة العصر حين باركها الغرب في صلواته الصباحية والمسائية .

لذلك فالمشهد الروسى المؤهل لان يكون مفزنا لتصدير الإرهاب الدولى لم يكن بعيدا فى أى وقت عن الخطاب الاستهلاكى المصنع محليا وعالميا . ومن ثم لم يكن فى أى وقت بعيدا جداد عن مؤسسة البوسنة والهرسك عبر علاقاته المستمرة مع الصرب تحت رايات « سلافية » زاعقة وكاذبة فى آن . ولعل من المثير ان يلتقى العالم كله فى الساحة اليوغسلافية السابقة حول العاصمة سراييفو وداخلها دون أن يستطيع هذا العالم أن يحقق الدماء للزوجة على اطلال الفقر للمسلمين والكاثوليك والارثوذكس بماء الفقراء من كل الطوائف ، هى الحصاد الذى تجنيه إيران وروسيا من خلف الستار ووجنيه الأوروبيين والأميركيون فى مقدمة المسرح بالصمت أولا والمستكنات الحضارية (العونات) ثانيا ، ويمنع المغلوب على أمرهم من الدفاع عن أنفسهم ثالثا . والنتيجة ليست تمزيق يوغسلافيا السابقة وحدها بل الدول الصغيرة: البوسنة والهرسك . هذا التفتيت المتعمد والأكثر بشاعة من تمزيق قبرص قبل عشرين عاما ومحاولة تمزيق لبنان

مرورا بتمزيق فلسطين وأكلها وهضمها هو الجراحة الاستراتيجية للغرب الذى يضمن بمصالحه فى طريق معاكس: وحدة ألمانيا ثم توحيد أوروبا بل إن هذا الغرب يقا تل حتى تستقل أيرلندا الشمالية عن المملكة المتحدة ( بريطانيا العظمى سابقا ) وكما أن واشنطن تقا تل من أجل الديموقراطية فى هايتى وتدعم الدكتاتورية فى روسيا كذلك قا تل بريطانيا لضم جزيرة تبعد عنها آلاف الأميال تجاور الأرجنتين اسمها فوكلاند، كذلك تقا تل فرنسا . كما سبق أن قاومت فى الجزائر . استقلال «كاليدونيا الجديدة» القريبة من استراليا .

يقا تلون من أجل الوحدة بينهم والضم إليهم، ويقا تلون أيضا من أجل تفتيت الشعوب . والنتيجة الحتمية لذلك هى استمرار الجيش السرى الأيرلندى فى عملياته المسماة إرهابية ، واستمرار الفرق المختلفة فى مناطق الباسك خاصة أسبانيا . وهكذا يمتد التفتيت العرقى من الشرق الأوسط إلى الاتحاد السوفياتى إلى الاتحاد اليوغسلافى المسابق إلى العالم بأكمله ولأن الخطاب الاستهلاكى هو العنوان الصحيح للإرهاب العالمى ، فإن أحداث لوس أنجلوس شمال الولايات المتحدة تكاد تكون الرقم النقيق لهذا

الخطاب .. فأمريكا الشمالية أغنى مناطق العالم وشمالها أغنى مناطقها ، ومع ذلك فإن «الفيلم» الذى صورّه أحد الهواة لحادث الزنجى والأبيض والحكمة المنحازة وه الخروج الأسود» الكاسع لفاترينات المحال التجارية يمر من على أن الصدث التاريخى بكل ما يدل عليه هذا المصطلح يقطع بأن زعيمة العالم الحر «مازلت تنهشها العنصرية» وأن البلد الأكثر ثراء فى العالم مازال قابلا للتسلط على صسفرة الخطاب الاستهلاكى وأن مجتمع الجريمة بامتياز مازال قادرا على الإرهاب حتى ولو كانت أدوات هذا الإرهاب مستوردة من الخارج . ولكن هذا الاحتمال نفسه ضعيف ، لأن المخابرات الأمريكية التى مارست الإرهاب فى كافة أرجاء العالم هى الأداة الأولى والأخطر شأنًا فى تهينة الإرهاب الداخلى الذى راح ضحيته عدة رؤساء أميركيين . وهى المخابرات التى لعبت دورا حاسما فى تربية الكوادر الإرهابية فى بلاد أخرى ثم قامت بتصديرها إلى المناطق الآمنة لهز استقرار النظم الوطنية . وهى التى قامت باستيرادها لاستخدامها «ورقة» عند اللزوم لتأليب من تشاء تآديبه .

ولعله من المفارقات الساخرة فى دلالتها أن بلدا كفرنسا تأوى الافا

ويتلزم الإنتاج والاستهلاك منذ ذلك الوقت في توازن يخل أحيانا حسب أحوال السوق».

لم يعرف الخطاب الاستهلاكي القديم فكرة الإرهاب الحديثة، لأنها - هذه الفكرة - اقتضت على جانب الفرسان والنبلاء والرهبان من كاردينالات الكنيسة في العصور الوسطى الأوروبية، أو من الملتزمين وعساكر الوالي في العصور العثمانية.

أما الإرهاب الحديث فقد نشأ برفقة التوصلات الرأسمالية في العصور الحديثة لفكرة الدولة، سواء بواسطة الثورة الفرنسية أو بواسطة الثورة الروسية أو بواسطة ولاية محمد علي باشا على السلطة في مصر، فيما يعرف بثورة ١٨٠٥.

كسان هذا أول بدايات إرهاب الدولة الذي خف من غلوائه ليبرالية الغرب الاقتصادية والسياسية وشد من قبضته شمولية الستالينية في الشرق وضاعفت من وحشيته نظام الحكم العثماني في ولايات الإمبراطورية ومن بينها مصر. وكان هو النظام العالمي الوحيد الذي يرتدى عباءة الدين. وبينما كانت المجتمعات الرأسمالية البازغة في الغرب تستطيع أن تنظم العلاقة بين الإنتاج

في أوروبا النزعات العدوانية على الأجانب ويخلق أوكار الإرهاب، كما أن الخطاب الاستهلاكي العالمي هو الذي يغذى في الأقطار الفقيرة المتخلفة نزعات الهجرة الجماعية إلى الشمال حيث يضيفون للإرهاب الملقى في الغرب وقودا متجددا وذرائع للعنصرية العمياء.. فهي دائرة جهنمية مغلقة عنوانها مكتوب بالتفصيل الدموى على الخطاب الاستهلاكي.

ولكن هذه الأبعاد العالمية للخطاب المزدوج - الاستهلاك والإرهاب - لا تنفصل لحظة واحدة عن الأبعاد المحلية التي تشترك بخصوصيتها في صنع الظاهرة العالمية - ولكن هذه الخصوصية هي التي تستوجب إمعان النظر فيما يجري فوق أرضنا.

## (٧)

لعل النشأة الأولى للخطاب الاستهلاكي هي تلك البيئة قبل الرأسمالية وما قبل النقود، أي حين كان يتم التبادل السلعي بأسلوب المقايضة. في ذلك الوقت كان الخطاب استهلاكيا بدائيا على طريقة «من اليد إلى الفم». أما مجتمع الإنتاج الذي اكتشف النقود على نطاق واسع، فقد عرف معنى التراكم.

ممن تدعوهم بالاصوليين الإسلاميين، ثم تمتنع في الوقت نفسه عن إعطاء تأثيرية لبعض علماء المسلمين. ولم يعد من الأسرار المقدسة أن زعماء الإسلام السياسي تأويهم أكبر عواصم الغرب وتمنحهم حرية الحركة وحيزا مدهشا من الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب. وأيا كانت المصالح المباشرة للغرب من أفق ضيق ونظر قصير، كالحصول على المعلومات والحسب للمستقبل، فإن ما تدعيه من ظروف إنسانية وحق للجهو السياسي لا يثبت على قدميه لحظة واحدة أمام الممارسات الفعلية حيث تدعم نظما تهدر حقوق الإنسان يوميا، وحيث تحمي رموزا للإرهاب والنظام الشمولي باسم الدين.

ولقد كانت ألمانيا التي ترهب بالمهاجرين وماتزال هي المسرح الدموي لوحشية النازيين الجدد في قتل وحرق الأتراك المسلمين على أرضها. ولا تحاول السياسة الألمانية الحاكمة أن تربط بين حماية مخابراتها لعناصر الإرهاب الأجنبية منذ عشرات السنين، وبين ظهور النازية الجديدة كانهدام أربطها بين الإرهاب والاستهلاك. حتى السويد التي كانت مثالا بين الدول غير العنصرية أمست مسرحا لجرائم بشعة ضد الأجانب. ذلك أن الخطاب الاستهلاكي الداخلي هو الذي يغذى

والاستهلاك عبر السوق فتغذو المبادرة الفردية حافزا للعرض والطلب، فإن المجتمعات الاشتراكية البازغة كانت تستطيع سد خانات الكفاف بتوزيع الإنتاج الضعيف والخدمات القوية. ولذلك كان قمع الاستهلاك مضمرا في خطاب الحرية البرجوازية، ومضمرا كذلك في الخطاب الأيديولوجي للبروليتاريا.

أما في بلد كمصر، فقد كان الخطاب الاستهلاكي عاريا من ورقة التوت، كان الأوروبيون في «عصر حديث»، سواء بالإنتاج أو بالتراكم، بالدولة القومية أو بالدولة الاشتراكية. أما في بلادنا فقد كنا نعيش عصرا ممتدا من العصور الوسطى بأغلب ملامحها: امبراطورية تتفكك تعتمد مواردها على استنزاف الولايات التابعة الفقيرة المقهورة المختلفة. وقد أتبع لمصر أحد الولاة التاريخيين الذي أراد الاستقلال بها عن الإمبراطورية المتداعية الأركان، فقامت نهضتها خلال المقاومة على جبهتين: من أجل الشرعية ومن أجل التحديث، الاستقلال في إطار الشرعية الدينية، وليست الخلافة بالضرورة مرادفا أو تجسيدا لها. وقطع المسافة بين التخلف والتقدم، وأوروبا بالضرورة أحد مصانيرها سواء في نظم الإدارة والتجارة

والصناعة والحرب والتعليم أو في الأفكار التي تدور حول أعمال العقل.

ولم تعرف بلادنا النهضة في خط مستقيم أو في خط حلزوني، فقد كان ما بينه محمد علي يهدمه عباس والأوروبيون (اتفاقية ١٨٤١) وما بينه اسماعيل يهدمه توفيق والأوروبيون (الاحتلال البريطاني ١٨٨٢) وما بينه مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول (ثورة ١٩١٩ - دستور ١٩٢٣) يهدمه الملك فؤاد والإنجليز. وما بينه مصطفى النحاس يهدمه الملك فاروق والإنجليز. وما بينه جمال عبدالناصر يهدمه أنور السادات والإسرائيليون والأمريكان. وهكذا كانت مراحل النهضة قصيرة غاية القصر، ومراحل السقوط أطول. وفي يونيو (حزيران) ١٩٦٧ كان الرصيد دائنا، ليس على حساب نظام بعينه، وإنما لحساب التراكم الشامل لأزمة السقوط، فقد فازت على النهضة في خاتمة المطاف.

ولم تكن الهزيمة حاصل جمع أزمة السقوط وحدها، وإنما كانت أولا بسبب جرثومة السقوط في النهضة ذاتها.

كانت النهضة في أكثر عهودها ازدهارا حاصل جمع السلفية والتغريب.. ولكنها السلفية التي تعنى البحث عن المبادئ، الشرعية التي

تسوغ استهلاك تكنولوجيا الغرب لإقامة بنية إنتاجية، والتغريب الذي يعني تبني القيم العامة التي لا يكون الإنتاج من دونها، أي قيم التفكير العلمي في تطوير مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي. فليست السلفية في معادلة النهضة مرادفا لما ندعوه الآن بالإسلام السياسي، ولم يكن التغريب مرادفا لاهتداء أوروبا، وقد كان أمرا مستحيلا. وقد كانت النهضة توأم الثورة من أجل الاستقلال الوطني في لحظات صعودها وكان السقوط حين يحدث تعبيرا عن الهزيمة في مقاومة الأجنبي.

وكانت جرثومة السقوط الكامنة في قلب النهضة هي عملية «التوفيق» بين السلفية والتغريب فلم يكن ثمة تركيب لعناصر النهضة المطلوبة من أصول الاحتياجات الحقيقية للتقدم في اتجاه التقدم بالوطن ومجموع الشعب. وكان المشهد الكامن تحت السطح هو الانقطاع التاريخي بين نزوة ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وصدمة اللقاء بالغرب. وهو الانقطاع الذي مسلاته الضلالة العثمانية بسطوتها وشرعيتها الدينية وتخلفها الذي آلت إليه. وهو التخلف الذي لم يحل دون فتوحاتها العسكرية الواسعة، ولكنه حال بشكل أكيد دونها والكشوف العلمية والتقنيات التكنولوجية والفتوحات

الفكرية والاجتماعية لانعدام الصلة بينها وبين ما كانت قد وصلت إليه حضارة الإسلام من إنجازات باهرة في العلوم والرياضيات والفلسفة. ولكن النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للخلافة العثمانية لم يريث هذه الإنجازات العملاقة في تاريخ الحضارة الإنسانية، بل عمل على تبييد التركة العظيمة. واعتمد بدلا من ذلك على التحالف بين المؤسسة العسكرية والمؤسسة الدينية. بينما كانت أوروبا أول من «ورث» منجزات الحضارة الإسلامية وتقدم بها حتى سقطت الأندلس ويدها من عصر نهضتها إلى العصر الحديث. وبرهن التاريخ مرة أخرى على أن تعويض سقوط الأندلس بالفتوحات العسكرية لا يعنى شيئا طالما غابت الفتوحات الحضارية الأكثر أهمية في تقدم الشعوب. هذه الفتوحات التي تفضى حتما إلى الفتوحات العسكرية. وهو ما حدث.

هذا الانقطاع التاريخي عن جذوة توهج الحضارة الإسلامية كان من شأنه أن يجعل من ابن خلدون وابن رشد ميراثا عقليا لأوروبا، بدلا من أن يسهما في تطوير العقل العربي الإسلامي. أضربهما كمثليين بارزين في مجال العلوم الإنسانية (التاريخ الاجتماعي والفلسفة). ومن ثم فقد كان الفكر الإسلامي الذي

يتعين التوفيق بينه وبين قيم الحضارة الجديدة الوافدة في مركز ضعف شديد لا بسبب المقومات الأساسية لهذا الفكر. وإنما بسبب المكونات النخيلة عليه من عصور الانحطاط والآليات التي تمصورت في تركيبه العام من أزمنة التخلف. كان هذا الفكر المرتبط بتخلف المسلمين بعيدا عن عصور ازدهارهم قد استحال قيما وسلوكا وأنماطا للتفكير وضوابط للشعور والعادات والتقاليد بين الناس. ولم تكن المدونات وحدها مصدر هذا الفكر بما تشتمل عليه من فتاوى الفقهاء لتبرير كل ما يأتي به السلطان من أفعال. وإنما كانت هناك أيضا أكوام من الخرافات وإكداث من الشعوذات التي لا علاقة لها بالقرآن والسنة. هذا هو الفكر الذي أوصلته وحافظت عليه السلطنة العثمانية، في أدمغة مواطنيها وخيالاتهم وقيمهم المعيارية. لذلك كانت الشرعية ضرورية لإسباغها على تحديث محمد على وغيره، شرعية الأخذ بمنجزات التقنية الغربية. أي شرعية «تسخير» ما ينتجه الغرب لاستهلاكنا. كانت إذن شرعية الاستهلاك.

كانت هذه هي بداية الخطاب الاستهلاكي في عصرنا العربي الحديث. وهي بداية مغايرة تماما لما جرى في أوروبا لمستوى هذا

الخطاب. كان لابد من إقناع الناس بأن منجزات الآخرين (الكفرة) مسخرة لخدمتنا، ولا يتناقض استهلاكها مع صحيح الدين. وأنها ليست من أعمال العفاريت أو الشياطين، بل من صنع بشر مثلنا، وعلومهم التي نتعلم بعضها نأخذ منها ما «ينفعنا» ونرفض ما يتنافى وعقيدتنا وتقاليدنا. وكان لابد من أن يقوم بهذه المهمة الصعبة الأزهريون الكبار من الشيخ حسن العطار إلى الشيخ رفاعة الطهطاوي إلى الشيخ محمد عبده. ولم تخرج اجتهاداتهم جميعا على التسويغ الشرعي لاستهلاك التكنولوجيا الغربية وتأصيل ذلك في النصوص الدينية المعتمدة ولما كان الطهطاوي قد مضى شوطا أبعد مما دعونه بالإصلاح الديني في وصف محمد عبده فقد استطاع أن يصل بالترجمة والمطبعة والتأليف إلى بدايات البدايات في تأسيس المجتمع المدني وبالرغم من الفجوات الدورية بين انتصارات النهضة وانكساراتها المطولة. فقد تمكنت بذور الطهطاوي من أن تجد من يتعهد بالرى كعلى مبارك وبعضها الآخر بالنمو كسعد زغلول تلميذ محمد عبده وكنه حسين تلميذ أحمد لطفي السيد وكنه عبدالرازق تلميذ الأزهر وشيخه الأكبر فيما بعد. تلك كانت إحدى ثروات النهضة ردا

على إجهاض الغرب لمبادرات إسماعيل (مجلس الشورى ومسودة الدستور) عام ١٨٦٦ وردا على إجهاض توفيق والانجليز للثورة العربية. ولكن ما إن اقترب طه حسين من «العقل» وما إن اقترب على عبد الرزاق من الحكم، بعد سقوط الخلافة العثمانية في مهبها، حتى كانت النهاية المزدوجة: ضرب العقلانية بمحاكمة طه حسين وعلى عبدالرازق ومصادرة كتابيهما (فى الشعر الجاهلى، والإسلام وأصول الحكم). وولادة التنظيم السياسى الاول لدعاة الدولة الدينية (جماعة الإخوان المسلمين). ثم ذلك خلال ثلاث سنين (١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٨). وكانت دلالة البعيدة المدى هى أن جرثومة فساد النهضة من داخلها قد كبرت وأعلنت عن نفسها فى انفرط معادلة النهضة من أساسها التوفيقي.. فالسلفية أضحت راديكالية لا ترضى باقتصار الفتوى على تسويق الحادثة الغريبة، وإنما لا بديل للشرح عن اكتماله فى نظام الحكم. كذلك فإن الضغوط العملية لاستهلاك التكنولوجيا لا تقتضى الأخذ بأفكار الآخرين أيًا كان الآخرون وإنما كانوا مهما كانت هذه الأفكار الدينية والقيم الوضعية.

منذ تلك اللحظة فى أواسط العشرينيات اقتصر على الفور

الخطاب الدينى بالخطاب الاستهلاكى اقتتران وجهى العملة الواحدة. وشاع تهميم الصرية الفكرية. ذلك أن «التوفيق» بين ما سمي تراثا وما سمي الحداثة الغربية، كان من الهشاشة والبراجماتية بحيث لم يصمد عند أول احتكاك بين العقل والجمهور الواسع.. فليس ازدهار الإخوان المسلمين حينذاك قادما من فراغ، ولم تكن محاكمة طه حسين وعلى عبدالرازق ضد «الرأى العام» أو «الجهاهير»، وإنما كانت جرثومة الفساد كامنة فى عملية «التوفيق» ذاتها. ويانتصار السلفية الراديكالية فى الإعلان عن نفسها ثم بالافتفاف الجماهيرى من حولها، لم يعد الأمر مجرد محاكمات برلمانية أو صحفية أو ازهرية لطله حسين وعلى عبد الرزاق، أو مجرد ردود فقهية عليهما أو مصادرتهما. وإنما أضحت الأمر ردا ثقافيا سياسيا شعبيا يتجاوز الأفراد إلى المجتمع، ويتجاوز المؤلفات إلى إعداد البديل للدولة شبه المدنية.

وقد أراد رواد النهضة المحدثون فى الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن أن ينازلوا رواد السلفية الراديكالية على أرضهم، فكتب طه حسين إسلامياته وكتب العقاد عبقرياته وكتب هيكل والحكيم وأحمد أمين. ولكن هذه المقاومة الجسورة لم تؤثر فى غير النخبة أما الشارع

الشعبى فقد ظل نهبا للخطاب الاستهلاكى - الدينى الذى يعنى نظريا بالآخرة، ويلتمس العزاء فى الدنيا بالقيم اللاعقلانية والحكم المطلق، وخيرات الغرب المستخرجة لاستهلاكنا دون إنتاج.

ولا حاول جمال عبدالناصر أن يعيد الاعتبار للدولة المدنية، وحاول أيضا أن يؤسس ثنائية جديدة للنهضة تقول بالقيمة العربية والعالم بدلا من التراث والعصر، فإنه أنشأ الفضل ولم يتم البناء. ولم يتجاوز نظامه، بالرغم من إنجازات الهيكل الإنتاجى الجديد، الحدود الرسطية لمعادلة النهضة القديمة. ومن ثم كانت الفجوة بين التنمية الثقافية والتنمية الاقتصادية بحيث تمكنت السلفية الراديكالية من البقاء بالرغم من الضربات الأمنية الموجهة. كان الخطاب الاستهلاكى مضمرا فى الخطاب الدينى الشائع، وكان الخطاب الدينى قادرا بنوعه الشعبى الواسع عبر الإعلام والتعليم والأمية ومحاربة اليسار على الالتفاف من أسفل حول جذور الدولة المدنية. وعند أول رياح عاتية بالهزيمة ورحيل الناصرية كان من الطبيعى أن يكشف الخطاب الدينى عن وجهه الاستهلاكى.

ليس ذلك فقط، وإنما كان هذا الخطاب قد ارتبط منذ بدايته

بالإرهاب الدموي منذ الأربعينيات إلى اليوم.

## (٨)

ارتبط الخطاب الاستهلاكي بالإرهاب في مصر من خلال مفهوم «الجهاد» الذي نادى به جماعة الإخوان المسلمين وبعض الأحزاب الوطنية في فترات مقاربية. ولكن عام ١٩٢٨ في جميع الأحوال سيظل نقطة بارزة بظهور الإخوان المسلمين. وبالرغم من أن الحزب الوطني و«مصر الفتاة» لم تكن أحزاباً دينية إلا أن الطابع العثماني للحزب الأول، والطابع العسكري للحزب الثاني، لم يبتعد بهما كثيراً عن مفهوم الجهاد. واقتسرت منذ ذلك الوقت بين الثلاثينيات والأربعينيات التنظيمات التي دأبت الفاشية والنازية بعمليات الاغتيال السياسي.

كانت أنوار ثورة ١٩١٩ قد اشاعت مناخاً من الحرية الفكرية والسياسية، وما أن تم إجهاضها بالخروج عن الدستور وتقعيد الصرياح حتى ازدهرت الدعوات الأوتو-ثيوقراطية التي تمنح العرش صلاحيات مطلقة. ثم أقيمت الأزمة الاقتصادية العالمية التي انعكست على مصر من خلال تبعيتها الاقتصادية انعكاسات حادة، كان من شأنها إنعاش مفهوم الجهاد عبر الخطاب الاستهلاكي-الإرهابي. ولم

تكن مصادفة أن يجري إسماعيل صدقي على الانقلاب الدستوري بإلغاء الملك فؤاد لدستور ١٩٢٣ واستبدال دستور ١٩٣٠ به حتى كانت «المسألة المصرية» في عنق الزجاجة.

ولم يكن ثمة التباس فيما يمكن تسميته بالإرهاب الوطني إلا قليلاً، حيث كانت النازية الألمانية والفاشية الإيطالية في صعودها البطيء نحو السلطة والحرب. وكانت المشاعر الوطنية ضد الاحتلال البريطاني قد اختلعت بسطوع نجم هتلر ونجم موسوليني حتى منتصف الأربعينيات. ومن ثم كان «العنف» الذي اهتدى إليه الإخوان المسلمون في التدريب العسكري للشباب تحت راية الكشافة، و«العنف» الذي اهتدت إليه «مصر الفتاة» في تجنيدها لفرق «القمصان الخضراء».

وليس من المصادفات أيضاً أن تلك الفترة هي التي شهدت في لبنان مولد «حزب الكتائب» الذي درب شبابه في ذلك الوقت المبكر تحت راية «الكشافة». ولكنها في واقع الأمر كانت كتائب عسكرية هي النواة التاريخية للمليشيات الطائفية المسلحة في حرب لبنان.

وإذا كانت جماعة الإخوان المسلمين قد تلقت عند نشأتها الأولى

تبرعا من الشركة العالمية لقناة السويس مقداره خمسمائة جنيه، وبالرغم من العلاقات الودية المتقطعة مع الانجليز، فإن الكتائب المسلحة للإخوان وجدت فرصتها في حرب فلسطين لتنفيذ مفهوم الجهاد، باعتبار فلسطين جزءاً محتلاً من دار الإسلام. وكانت إحدى الفرق الوطنية الأخرى قد وجدت فرصتها في اغتيال السير لي ستاك والوزير أمين عثمان.

وبالرغم من العلاقات الودية شبه المستمرة بين الإخوان المسلمين والعروش وأحزاب الأقليات السياسية، فإن الاغتيال السياسي من جانب الإخوان لم يصب في واقع الأمر سوى الرموز الكبرى لهذه الأحزاب كاغتيال أحمد ماهر ومحمود فهمي النقراشي الذي أدى مقتله إلى رد الفعل المضاد باغتيال حسن البنا.

وإذا كان الإخوان قد اشتهروا مع الفرق الوطنية المتطرفة في استخدام العنف وكرامية حزب الأغلبية الشعبية (الوحد)، فإن الذين حاولوا اغتيال النحاس باشا كانوا من الفرق المتطرفة وليسوا من الإخوان. وما إن ألقى النحاس معاهدة ١٩٣٦ حتى انضم الإخوان وغيرهم إلى الحرب اللبنانية على ضفاف القتال عام ١٩٥١.



وياستثناءات نادرة كانفجار قنبلة فى سينما مترو أو الاعتداء على بعض الكنائس يمكن القول إن أزمة الثلاثينيات التى امتدت إلى الأربعينيات لم تكن فحسب أزمة اقتصادية - اجتماعية طاحنة بل كانت أزمة النظام السياسى ككل، فلم يعد هذا النظام قادرا على التعبير عن مجمل التطورات التى أعادت تشكيل القوام الاجتماعى المصرى. كان النظام الذى تدعمه قوى الاحتلال والعرش وكبار الملاك قد أصبح أیلا للسقوط. ولم تكن القوى الوطنية قادرة بعد إجهاض اللجنة التنفيذية للطلبة والعمال عام ١٩٤٦ وسقوط فلسطين فى العام التالى، أن تشكل البديل. ومن هنا كانت «الأزمة» العاتية التى عبرت عن نفسها فى الاستقطاب بين اليمين واليسار من ناحية، وبرز الخطاب المزوج للاستهلاك والإرهاب من ناحية أخرى.

وإذا كان هذا الخطاب فى حركته قد استخدم آليات مفهوم الجهاد عبر الخطاب الدينى فقد ظل العنف فى هذا الإطار محصورا بين الاشتراك فى ضرب تحرير دار الإسلام، من جهة والاعتسالى السياسى الفردى من جهة أخرى. ولم يتجاوز هاتين المنطقتين إلا فى أضيق الحدود.

كانت الحرب الفدائية على ضفاف القتال ثروة الازبواجية بين الجهاز الوطنى الفاعل فى صفوف الشعب (حكومة الوفد) وبين السلطة المتداعية للاحتلال والعرش وكبار الملاك. ولم يكن الجهاز الوطنى نفسه خاليا من هذه الازبواجية ذاتها بين الطليعة الوفدية المتجهة يسارا وكبار الملاك المتوجهين يمينا. وكان لابد من أن تصل هذه الذروة بمعزل عن الحركة الوطنية، إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه: الانفجار. وليس الثورة.

وفى ٢٦ يناير (كانون الثانى) عام ١٩٥٢ عرفت مصر أكبر حادث إرهابى فى تاريخها الحديث: حريق القاهرة.

وقد اختلف المؤرخون واتفقوا وسوف يختلفون ويتفقون فى المستقبل حول هذا الحادث - الحدث ولكن أحدا لن يمارى فى أن النيران المشتعلة فى منطقة القناة كان لابد أن تطفئها نيران القاهرة. وسواء أكان الجالس على العرش والإنجليز أو بعض الفرق الوطنية المتطرفة قد اشتركوا جميعا دون تنسيق فى إحراق القاهرة، فقد اشتعلت النيران عمليا فى ثيابهم وأجسادهم وأرواحهم للمرة الأخيرة. ولم يكن الرمد الذى تخلف عن الحريق سوى رمد النظام بأكمله.

أى أنه إذا كان العرش والإنجليز قد اتفقوا بلبيل على إحراق الفدائيين بنيران القاهرة، فقد جاء الحريق على العرش والاحتلال بعد أشهر قليلة. وإذا كانت بعض الفرق الوطنية قد شاركت دون قصد أو تنسيق، فقد أحرقت النيران أصابعها، باعتبارها - حتى لو كانت فى صفوف المعارضة السرية أو العلنية - كانت جزءا من النظام الأيل للسقوط.

ولكن عينا أخرى يجب أن تسجل هذا الحريق التاريخى من أسفل... فهو لم يكن مجرد احتراق لسلطة معاصرة أو معزولة، وإنما كانت الفاترينات اللامعة والمصلات «الراقية» والسينمات الملعبة والبنائيات الفاخرة والشوارع المغسولة هى محط أنظار الذين سلبوا ونهبوا وسرقوا واختفوا فى الطوفان.

إنه الإرهاب وليس الثورة، بل هو إسقاط لنظام وإجهاض لثورة. ولكن هذا الإرهاب الجماعى (أو الفوضوى) كان عنوانا دقيقا لقمع الخطاب الاستهلاكي المنظم. وهو الخطاب الذى أعلن بالقصص بيان إفلاس النظام والمعارضة الوطنية معا. وهو الخطاب الذى حمل أسفله توقيعات الجميع بدءا من السراى والاحتلال والحكومة وانتهاء بقطاعات لا يستهان بها من الشعب نفسه. لأهداف متناقضة امتدت الأيدي

بالبنزين وأعواد الثقاب، وامتدت  
الأيدي الأخرى بالسلب والنهب فى  
مشهد أسطورى كأنه يوم القيامة.

ولكنه كان يوم السقوط المدوى،  
أغلقت الأبواب فى وجه حروب  
التحرير، ولم تعد الاغتيالات الفردية  
ذات معنى، فكان الإرهاب الجماعى  
تفصيا للأهداف المعلنة: إرهابا للذات  
والآخر، إرهابا «للأشياء» ودلالاتها،  
إرهابا من اللاوعى الجمعى للوعى  
الزائف، وإرهابا من الوسائل لغايات  
مختلطة وشبه معدومة.

وفى ظلال الفجوة بين السقوط  
الفعلى للسلطة والثورة معاً، وفى  
ظلال الفراغ الأسود حيث لافراغ فى  
السياسة - كانت هناك مجموعة من  
الضباط أقبلت أساساً من إخفاق  
حرب فلسطين لتحرير دار الإسلام،  
ومن إخفاق الاغتيالات الفردية ومن  
أفكار الإخوان المسلمين ومن المشاعر  
الوطنية المختلطة بالنازية والفاشية،  
وفى الأغلب من عائلات متوسطة  
وأدنى من المتوسطة.. وأساساً من

الجيش والانضباط العسكرى  
والتنظيم السرى. ومن أزمة شاملة  
فى الدولة والمجتمع.

وكان يسيرا على هذه المجموعة  
من العسكريين الشباب أن تلتقط  
السلطة الملقاة فى عرض الطريق،  
وكان صعباً غاية الصعوبة أن تواجه  
خطاب الاستهلاك الملتبس فى المخيلة  
الشعبية بالإرهاب، وأن تواجه  
الإرهاب الملتبس فى المخيلة الوطنية  
بمفهوم الجهاد. ■

نقد

# المواجحات

## حسن البناء والحركات الإسلامية الجديدة

٢٠ المصادر الفكرية لإمام حسن البناء ، إبراهيم البيومي غانم .

٢٨ الكتب المهداة إلى حسن البناء ودراسة تحليلية لها ، إ . ب . غ .

٥٨ من حسن البناء إلى طه حسين . ٦٤ الفرق بين الفكر والمعرفة (تعليق) .

رفعت السعيد . ٦٨ حسن البناء فقه الاختلاف (تعليق) ، عاطف احمد .

٧٥ الإسلام بين أزمة الواقع ومتطلبات العصر (ندوة) .



# حسن البناء والحركات الإسلامية الجديدة

إثارة حوار خلاق حول القضية  
التي نحن بصدد

الجزء الثاني من هذا المحور  
جاء على هيئة «ندوة» أقامتها  
المجلة في مقرها وحضرها أربعة  
من الباحثين، اثنان منهم، وهما  
«على جمعة» «إبراهيم البيومي  
غانم» يمثلان التيار الإسلامي ،  
واثنان يمثلان التيار العلماني، هما  
سيد القمني وجهاد عودة الذي  
ساهم أيضا بتقديم الورقة  
الأساسية للندوة.

ونظن أننا بذلك قد قدمنا مادة  
غنية، نعتقد أنها ستثير كثيرا من  
النقاشات الجادة .

التحرير

«إبراهيم البيومي غانم» مكتوبة  
على كتب مؤلفين أهدوا كتبهم إليه  
الامر الذي ربما أفاد في تبيان  
العلاقة الشخصية بين هؤلاء  
المؤلفين وحسن البناء، ثم مذكورة  
كان حسن البناء قد أرسلها إلى طه  
حسين تعليقا على مشروعه  
التربوي الذي سجله في كتابه  
«مستقبل الثقافة في مصر».

وحتى تكتمل جوانب الصورة  
كان لابد من إسناد هذه الأوراق  
إلى باحثين هما رفعت السعيد،  
وعاطف أحمد، لاستطلاع آرائهما  
وهما على معرفة واسعة بالموضوع  
وننشر هنا تعليقاتهما. رغبة في

**قا** في هذا المحور «مادة» غير  
تقليدية، فهي تكاد تكون  
المرّة الأولى «على ما نعلم»  
تخصص فيها مجلة عربية جزءاً  
خاصاً لدراسة مكتبة أحد أعلامنا،  
وإن كنا نختلف معه، إلا أننا في  
سبيل العلم نفتح صفحاتنا  
لدراسته فهو، على ما نعتقد،  
الواجب الأول لنا.

يحتوي المحور على جزئين  
أساسيين.

**الأول:** دراسة لحتويات مكتبة  
حسن البناء.

**الثاني:** قراءة تحليلية  
للإهداءات التي عثر عليها الباحث



## المصادر الفكرية

فيها وسعى في سبيل معرفة محتوياتها منقياً فيها ومسجلاً لعناوين الكتب وأسماء مؤلفيها. ما أمكن ذلك، ونقلنا ما عثرت عليه من ملاحظات وتعليقات وأثار كتبها الشيخ حسن البناء بخط يده في هوامش الكتب أو على أغلفتها الخارجية أو الداخلية. وذلك بعد أن تم التأكد من رسم خط يد الشيخ حسن رحمه الله، عن طريق نجله الأستاذ سيف الإسلام حسن البناء، ومضاهاة ذلك ببعض توقيعاته الخطية الواضحة التي كان يمهز بها بعض مقالاته ورسائله المنشورة بصحف ومجلات الإخوان المسلمين القديمة.

وقبل المضي في وصف وتحليل محتويات المكتبة وإبداء الملاحظات حولها، لابد من الإشارة إلى أن الموجود بها من كتب، يمثل فقط جزءاً من محتويات المكتبة الأصلية للشيخ حسن البناء، قدره الأستاذ سيف الإسلام حسن البناء بحوالى

منه، فإذا ما صار هذا القارئ عالماً، يعمل ويوجد بما علم حيث تنداح الحياة، اكتسب الكتاب من صاحبه قيمة مضافة إلى قيمته، لكونه كان من أدواته وآلة من الآله، ولا يظهر ذلك غالباً إلا بعد أن يطوى الموت صاحبه. هذا عن الكتاب في مكتبة العالم، أما مكتبته ككل بما تحويه من أصناف الكتب فهي بالنظر فيها وفحصها ترسم خريطة بتضاريس تكوينه الفكري ومساراته التي سلكها. كما تؤدي المعرفة بها إلى تتبع أصول أفكاره ومصادرها، التي لا غنى عنها عند دراسة تلك الأفكار وتمحيصها وتقديمها ونقد المصادر التي أخذ منها أيضاً طبقاً لما تقضى به القواعد النظرية للنقد التي أرساها العلماء المسلمون<sup>(١)</sup>.

وينصب الوصف والتحليل التالي، على المكتبة الخاصة بالشيخ حسن البناء، موضوع اهتمامنا حيث مكثت أربعة أيام بلياليهن بين كتب مكتبة الشيخ حسن البناء الخاصة بذات

بسم الله الرحمن الرحيم

( اقرأ باسم ربك الذي خلق )  
خلق الإنسان من علق \* اقرأ  
وبربك الأكبر الذي علم بالقلم \*  
علم الإنسان ما لم يعلم )

صحيح الله العظيم

**ق** قيل إن الكتب آلة من الآلات  
تحصيل العلم «فينبغي لطالب  
العلم أن يعتنى بتحصيل الكتب التي  
يحتاج إليها ما أمكنه شراء أو إجارة  
أو عارية»<sup>(١)</sup> وليس كل من جمع الكتب  
صار عالماً بالضرورة، ما لم يكن مهتماً  
بأمور كثيرة منها أن يكون حافظاً  
وواعياً، ناقداً ومفكراً.

والمكتب التي يعتنى طالب العلم  
بتحصيلها «شراء أو إجارة أو عارية»،  
دلالة مزدوجة فهي من ناحية  
موضوعاتها تشير إلى مجالات  
اهتمامه، وهي من ناحية عددها  
وكيمنتها تشير إلى مدى استعداد  
وحبه للعلم، وفوق هذا وبذلك فإن  
الكتاب يمنح قارئه فضله أو بعضاً

**عرض وتحليل محتويات مكتبة حسن البنا  
الخاصة، بوصفها مصادر فكرية مقروءة،  
تثير عدة تساؤلات حول التكوين العقلي له.**

**إبراهيم البيومي غانم**

## **للإمام حسن البنا**

المائة لعدة أسباب تتعلق بحالة المكتبة أثناء فحصها فمعظم الكتب موضوعة بطريقة غير منسقة، وموزعة في أماكن متفرقة في حجرتين كبيرتين وصالة، زاحمتها أشياء أخرى، بعضها فوق أرفف والأخرى في صناديق ومعظمها في حالة جيدة مجلدة تجليداً قوياً غير أن عدداً كبيراً منها - خاصة الكتب ذات الطباعات القديمة التي يرجع تاريخ بعضها إلى العقود الأولى من القرن الرابع عشر الهجري، الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي - في حاجة إلى بعض الترميمات.

**ثانياً : وسائل اقتنائه للمكتب  
وحصوله عليها: (الشراء  
والإهداء)**

وقد اتضح من فحص الكتب الموجودة بالمكتبة والتأمل في العبارات والكلمات المسجلة بخط اليد على معظمها، أن حسن البنا اقتنى

أهم الموضوعات التي قرأها في كثير من الكتب والمقالات ليسهل عليه - فيما يبدو - الرجوع إليها وقت الحاجة بيد أنه لم تتح لي فرصة الإطلاع على تلك «الثروت» .  
**المكتبة :**

**وصف وتحليل وملاحظات**  
وسوف يتضمن الوصف التحليلي التالي للمكتبة، سامعاً لي من ملاحظات حولها وبخصوص مة فيها من كتب ونوريات.

**أولاً: حالة وحجم المكتبة: العدد  
التقريبي لما بقي بها من  
كتب ونوريات:**

تمكنت من تقدير أعداد الكتب والنوريات الموجودة بالمكتبة وذلك بعد حصر معظمها فكان العدد حوالي ثلاثة آلاف مطبوعة (قليل جداً منها مخطوط) ما بين كتب كبيرة ورسائل متوسطة وصغيرة ومجلات دورية (شهرية وأسبوعية) وكان من العسير القيام بعمل حصر دقيق مائة في

النصف. أما النصف المفقود فقد صادرت السلطات من مقر مجلة الشهاب بعد قرار حل جماعة الإخوان المسلمين في ديسمبر ١٩٤٨. وكان الشيخ حسن البنا قد نقل جزءاً كبيراً من مكتبته الشخصية إلى مقر «الشهاب» ليستعين به في تحرير موادها وكانت مجلة متخصصة على نمط مجلة المنار للشيخ رشيد رضا التي كان البنا قد تابع إصدارها بعد وفاة الشيخ رشيد ولكن سرعان ما أوقفتها السلطات أيضاً .. وهذه المالبسات تؤكد ما ذكره الأستاذ سيف الإسلام نجل الشيخ حسن البنا من أن الكتب التي صدرت من مقر الشهاب كانت في معظمها من الأمهات والمراجع الكبيرة المتخصصة في فروع العلم المختلفة.

وإضافة إلى ما سبق، فإن الأستاذ سيف الإسلام أخبرني بأنه يحتفظ بعدد من «الثروت» أو المذكرات الصغيرة الحجم ، كان الشيخ حسن البنا رحمه الله - يوزج في وريقاتها

وحصل على الكتب من طريقين الأول الشراء، وقد ذكر ذلك بنفسه في مذكرات الدعوة والداعية في قوله ص ٣٤: «وقد كُنت لى - بناء على هذا التوجيه (من والده) وما تولد منه من شغف بالمطالعة وإقبال عليها - مكتبة خاصة فيها مجلات قديمة وكتب متنوعة. وكنت وأنا فى المحمودية فى المدرسة الإعدادية أترقب الشيخ حسن الكتبى يوم السوق بفارغ الصبر لاستاجر كتباً بالأسبوع لقاء مليمات زهيدة ثم أرداه إلى لأخذ غيرها وهكذا، وكان يقوم بشراء ما يعجبه منها، وعندما ذهب إلى القاهرة ملتحقاً بدار العلوم كان أول نزوله عند تاجر كتب ميسور الحال من أهل القاهرة (مذكرات الدعوة والداعية ص ٤٠) وفى لقاء أجريته مع الأستاذ أحمد جمال الدين البنا شقيق الشيخ حسن البنا، ذكر أن أخاه المرحوم حسن البنا كان يأتيه أحد بائعى الكتب المعروفين بعى الأزهر باستمرار ليعرض عليه ما لديه من كتب وردت إليه حديثاً فيشتري منها ما يشاء.

أما الطريق الثانى لحصوله على الكتب فهو الإهداء وقد ذكر أيضاً فى مذكراته أن أول من أهداه الكتب هو والده الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، من باب تشجيعه على القراءة وترغيبه فى العلم (ص ٢٤ من مذكرات الدعوة والداعية) حيث يذكر عناوين عدة كتب

أهداها إليه والده، عثرنا عليها فى مكتبة الشيخ حسن البنا ومنها «الأنوار الحميدة للنبهاني، ومختصر المواهب اللدنية للقسطلاني ونور اليقين فى سيرة المرسلين للشيخ الخضرى» وأثناء فحص الكتب لاحظت وجود عدد منها مُهدى إلى الشيخ حسن البنا (خمسة وستون كتاباً) إما من مؤلفيها وذلك فى أغلب الحالات، أو من أشخاص آخرين، ومعظمها مؤرخة الإهداء خلال الأربعينيات، ويلاحظ أن عامى ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧ - ١٩٤٨م كثرت فيها الكتب المهداة إلى الشيخ حسن البنا بصورة ملحوظة عنها فى الأعوام السابقة.

### ومن بين الإهداءات ذات الدلالة التى تستحق التسجيل هنا مايلي:

١- أقدم إهداء: وأقدم ما عثرت عليه من الكتب التى أهديت إلى الشيخ حسن البنا هو كتاب: الحق فى الحق والخلق تأليف محمد الحافظ ابن عبد الله الجزائى التيجانى طريقة ونص إهدائه إلى الشيخ البنا هو:

(إنى إذ ادفع هذا الكتاب إلى أخى وحبيبى سيدى حسن أفندى البنا، فإننا أقدم إليه ما كتب له خاصة، معبراً عن عظيم امتناني بنفسه الطاهرة، وولهى بحاله الروحي

وتقديرى لمستقبله الباهر الزاهر فى الدعوة إلى قدس الحقيقة المطلقة).

المؤلف محمد الحافظ التيجانى / بور سعيد فى ١٦ ديسمبر ١٩٢٧.

وإذا عرفنا أن الشيخ حسن البنا كان قد انتقل بعد تعيينه مدرساً، إلى الإسماعيلية وتسلم عمله بها «يوم ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٧» حسب ما جاء فى خطاب استقالته (٣) من العمل كمدرس بوزارة المعارف، يتضح أنه لم يمس على وجوده بالإسماعيلية سوى ثلاثة أشهر حتى جاءه الإهداء المذكور الذى كتبه واحد من أتباع الطريقة التيجانية الصوفية، وكلمات الإهداء لها دلالة من وجهين الأول يتعلق بصاحب الإهداء إذ يبدو أنه كان يتمتع بشفاافية وبصيرة نافذة. والثانى يتعلق بشخص المهدي إليه وهو الشيخ حسن البنا الذى كان خلال ثلاثة أشهر قد ذاع صيته وامتد نشاطه فى مدن القناة.

٢- إهداء من مؤسس الجمعية الشرعية الشيخ محمود خطاب السبكى، فقد أهداه كتابه المسمى «المقامات العلية فى النشأة الفخيمة النبوية» ونص الإهداء هو:

«إلى حضرة الأستاذ الجليل المرشد العام للإخوان المسلمين» (غير مؤرخ)

٣- إهداء من الشيخ على عبد الرازق، مؤلف كتاب الإسلام وأصول



الحكم حيث أهداه كتابه: «الإجماع في الشريعة الإسلامية» ونص الإهداء هو:

«لحضرته صاحب الفضيلة الأستاذ المرشد الشيخ حسن البنا. تحية تقدير ومودة» على عبد الرزاق / ١٧ ماير سنة ١٩٤٧.

٤- إهداء من الشـيخ على الفغاياتي، الشاعر الوطني المعروف، أهداه ديوانه الشعري «وطنيتي» ونص الإهداء هو: «هدية ودية من المؤلف إلى حضرة الأستاذ المرشد العام الصاج حسن البنا» على الفغاياتي - ١٩٤٧/٢/٩.

٥- إهداء من مسيحي، هو جفري بطرس غالي، أهداه كتابه «فلسطين: تقرير مقدم إلى الاتحاد البرلماني الدولي عن هجرة الجماعات» ونص الإهداء هو:

«إلى حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسن البنا مع أصدق تحياتي» جفري بطرس غالي - ١٩٤٦/١٢/٢٩.

٦- إهداء من لبنان حيث أهدى إليه كتاب «من مصمم لبنان» من مؤلفه أسد الأشقر ونص الإهداء:

«إلى حضرة المرشد العام للإخوان المسلمين حسن البنا: عروب تقدير وإحترام» أسد الأشقر/ ٢٥ نيسان ١٩٤٦.

٧- إهداء من الصين، حيث أهدى إليه كتاب «الصين والإسلام» من مؤلفه محمد تواضع ونص الإهداء:

«إلى حضرة فضيلة - الأستاذ المرشد العام للإخوان المسلمين - للتذكـار من المؤلف» محمد تواضع . ١٩٤٥/٦/٢٤.

ثالثاً: تصنيف محتويات المكتبة: مجالات الاهتمام

سبقت الإشارة إلى أن محتويات المكتبة من الكتب غير منسقة، ولكنها مصنفة تصنيفات عامة طبقاً لموضوعاتها فكتب القرآن وعلومه مجموعة في مكان، وكذلك كتب الحديث وكتب الفقه وكتب اللغة... إلخ ومع هذا فقد لاحظت اختلاط بعض الكتب ذات الموضوعات المختلفة مع بعضها البعض، كما أن جانباً يقرب من ثلث حجم الكتب موضوع بطريقة عشوائية تماماً.

وأياً كان الأمر، فيجد الانتهاء من جمع عناوين وأسماء الكتب ومؤلفيها. قمت بتصنيفها تصنيفاً موضوعياً نظرياً، يمكن أن تقسم إلى خمسة وعشرين قسمًا وفقاً للترتيب التالي:

١ - القرآن وعلومه:

ويندرج في ذلك - عديد من المصاحف اثنا عشر منها بخط اليد بالرسم العثماني الملون - كتب تفسير وتأويل القرآن - كتب علم القراءات -

كتب في النسخ والنسخ - كتب في إعجاز القرآن - كتب في فضائل القرآن - كتب في فهرسة وترتيب آيات القرآن - كتب ورسائل صغيرة في مسألة ترجمة القرآن.

٢ - الحديث النبوي وعلومه:

ويندرج في ذلك: كتب رواية متون الحديث وأسانيده مثل صحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومسند الإمام الشافعي. وكتب شرح الأحاديث النبوية مثل عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، والفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد ابن حنبل الشيباني وشرحه - وكتب في فنون مصطلح الحديث وقواعد التحديث ونقد الرجال وأصول الجرح والتعديل - وكتب في الأحاديث الموضوعة وعلل الحديث.

٣ - السيرة وقراجم الأعلام:

ويندرج في ذلك - كتب السيرة النبوية وحياة الأنبياء - وكتب في سير الصحابة - وكتب في تراجم الأعلام ومناقب العلماء - وكتب الطبقات في التعريف بطما المذاهب الفقهية والمفسرين ومشايخ الطرق الصوفية... إلخ.

٤ - الفقه وأصوله ومذاهبه:

ويندرج في ذلك - كتب في أصول الفقه - وكتب مختلفة في شرح فقه المذاهب المتعددة، وتتنوع ما بين كتب

شاملة لمسائل الفقه المختلفة، وكتب  
خصص كل منها لبحث مسألة واحدة  
كأحكام الوارث، أو أحكام الوقف،  
أو أحكام الوصية.. إلخ - وكتب فى  
الفتاوى والقضاء وما يتصل بذلك.

## ٥ - كتب اللغة والأدب والنحو والصرف والبلاغة:

ويندرج فى ذلك - كتب فى فقه  
اللغة والألفاظ والتعريفات منها: فقه  
اللغة وسر العربية للثعالبي، والألفاظ  
الكتابية للمهمذاني، والأضداد فى  
اللغة لابن بشار الأنباري، والتعريفات  
للزمخشري وغيرها كثير - متون فى  
النحو والصرف والإعراب وشرحها  
منها: شرح الحريري على متن ملحة  
الإعراب، والفة ابن مالك وشرح ابن  
عقيل عليها، وشذا العرف فى فن  
النصرف للحملاوي.. إلخ - كتب فى  
البلاغة والبيان والبديع: منها نهج  
البلاغة للشرىف الرضى وأساس  
البلاغة للجرجاني وزهر الربيع فى  
المعاني والبيان والبديع للحملاوي،  
ويدائع البداة لابن ظافر الأزدى.. إلخ  
- كتب فى أدب الكتاب والأدباء  
والشعراء منها: الأدب للصغير  
والأدب الكبير لابن القفج، ومجاني  
الأدب للأب لؤيس شيخو والكامل فى  
اللغة والأدب للمبرد، وخزانة الأدب  
للبيهقي، ومهاضر الأدباء  
ومحاورات الشعراء والبلاغة للراغب  
الأصفهاني.. كتب الخطب والوسائل

والمراسلات منها: صبح الأعشى  
للقلقشندي، وجمهرة خطب العرب  
لأحمد زكى صفوت، وسرح العين  
فى شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة  
المصري.. إلخ - كتب فى الأنساب  
والأوطان: منها القصد والأمن فى  
التعريف بأصول أنساب العرب  
والعجم لابن عبد البر القرطبي  
والحنين إلى الأوطان للجاحظ.. كتب  
فى الأمثال والحكم منها: كتاب  
الأمثال للثعالبي. ومجمع الأمثال  
للميداني، وقلائد العقيان للفتح بن  
خاقان ورسالة لفظ الحكمة... إلخ -  
كتب المسامرات والنوادر والأخبار  
منها: كتاب من غاب عنه المطرب  
للثعالبي النيسابوري، والتطفيل  
للخطيب البغدادي، وفريدة العجائب  
لابن الوردي، والأذكىاء لابن الجوزي  
وبغيرها كثير - كتب فى تاريخ اللغة  
العربية وآدابها معظمها كتب  
ومذكرات دراسية بدار العلوم - بعض  
القصص والروايات المسرحية منها:  
سيرة الأميرة ذات الهممة، وهى فى  
واحد وثمانين جزءاً، كل جزء فى  
حوالى ٢٠ إلى ٣٠ صفحة، ومجموعة  
قصص لمحمود تيمور، وبيركليس  
أمير صور، ومجدولين.. إلخ - بعض  
نواوين الشعر مثل ديوان الخنساء،  
وشرح للتبيان للعكبري على ديوان  
المتنبى، ولامية العرب، ولامية  
العجم... إلخ.

## ٦ - كتب التصوف وآدابه :

ويندرج فى ذلك - كتب فى تاريخ  
التصوف والتصوف منها: كتاب  
التصوف الإسلامى لعبد اللطيف  
الطليباوى، وتبلييس إبليس لابن  
الجوزي - كتب فى آداب التصوف  
وسلوك الطريق منها: الغنية لطالبي  
طريق الحق لسيدى عبد القادر  
الجيلاني، والميزان للمعارف  
الصمداني والقطب الرباني سيدي  
عبد الوهاب الشعراني، والبركة فى  
فضل السعى والحركة لابن عبد الله  
الوصابي، وثانية السلوك إلى ملك  
الملوك للشرنوبى، وتحفة الإخوان فى  
آداب الطريق للشيخ الدردير - كتب  
الأوراد والأذكار والوظائف والرفائق  
وهى كثيرة منها : هياكل النور  
للسهروردي الملقب بالشيخ المقتول،  
ومجموعة وظائف وأحزاب وأوراد  
تخص ثلاث عشرة طريقة، وقاموس  
الأناسيد للإخوان الشاذلية  
للشرشيسير - كتب فى مناقب  
الصلحاء من الأولياء وشيوخ الطرق  
وكراماتهم، منها: جامع الأصول فى  
الأولياء وأوقاعهم وأوصافهم لأحمد  
بن ضياء الدين الكمشخاني، ومنازل  
الساكنين إلى الحق عز شأنه للمهرى  
الحنبل، والملازمة والصوفية، وأهل  
الفتوة لأبى العلا عفيفي، والمنهل  
الضافى فى مناقب السيد حسين  
الخصافى للمجعفراوى - كتب حكم

ومواعظ أقطاب التصوف منها: حكم ابن عطاء الله السكندري وشرحها لابن عجيبة، الفرج بعد الشدة للتنوخى، وتسليية الأحران لسيدى مصطفى البكرى.. إلخ.

#### ٧ - كتب الأخلاق والسلوك ومناهج التربية :

ويندرج فى ذلك - كتب فى التربية: تاريخها ومناهجها، منها : تاريخ التربية للشيخ مصطفى أمين، وهداية الناشئين لعبد الوهاب عابد السلام، والتربية الاستقلالية، أو إميل القرن التاسع عشر لألفونس إسكيروس (مترجم) .. إلخ - كتب فى الأخلاق منها: مكارم الأخلاق لطيفرسى، وجوهر التقوى فى الأخلاق والتربية للشيخ طنطاوى الجوهري... إلخ - كتب فى البدع والعادات المستحدثة فى الدين، منها طريق الوصول إلى إبطال البدع بعلم الأصول للشيخ العدوى، والباعث على إنكار البدع والحوادث لأبى شامة، وإصابة السهام فؤاد من حاد عن سنة خير الأنام للشيخ مسمود خطاب السبكي.. إلخ.

#### ٨ - كتب العقيدة وعلم الكلام والفلسفة :

ويندرج فى ذلك - كتب التوحيد وأصول العقيدة منها كتاب التوحيد لابن خزيمة، وقطرة من بحر التوحيد لبدیع الزمان سعید النورسى،

ورسالة التوحيد للإمام محمد عبده، وكتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب.. وشرح الطحاوى فى العقيدة السلفية للأزعى.. إلخ - كتب فى علم الكلام منها أساس التقديس فى علم الكلام للفخر الرازى، والإبانة عن أصول الديانة لأبى الحسن الأشعرى.. كتب فى الفلسفة. منها آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى، وتهافت الفلاسفة للغزالي، والكلم الرومانية فى الحكم اليونانية لابن مندو.. إلخ.

#### ٩ - كتب الفرق والنحل :

ويندرج فى ذلك - كتب عن الفرق القديمة، منها: الفصل فى الملل والنحل للشهرستانى والكافية الشافعية فى الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم - كتب عن الفرق الحديثة، منها : الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية ترجمه عن الفارسية أحمد فائق رشد، ومكاتيب عبدالبهاء وهى رسائل زعيم البهائية، والآداب الماسونية لشاهين مكارىوس.. كتب فى المساجلات بين الفرق المختلفة منها: الصجح القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية للسويدى العراقى. واجتماع الجيوش الإسلامية لغزو المعلة والجمية لابن القيم. والهدية السعدية فيما جرى بين الوهابية والأحمديّة اتباع أحمد المسيح الإسلامى بالهند، والرد على الدهريين للأفغانى.. إلخ.

#### ١٠ - كتب فى المسيحية واليهودية :

ويندرج فى ذلك - عبيد من الأناجيل منها: إنجيل متى، وإنجيل لوقا ونسختان من إنجيل برنابا ترجمة الدكتور خليل سعادة - كتب فى أصول الديانة المسيحية منها: البراهين العقلية والعملية فى صحة الديانة المسيحية للقائمقام ترم بفرقة المهندسين بالجيش المصرى، ومحاضرات فى النصرانية لأبى زهرة - كتب فى الجدل بين المسلمين والنصارى منها: أبحاث المجتهدين فى الخلاف بين النصارى والمسلمين لنقولا يعقوب غبريال، والسؤال العجيب فى الرد على أهل الصليب لحمد الجنبيهى المسكين.. كتب عن نشاط المبشرين المسيحيين منها: خفايا المبشرين فى تصوير أبناء المسلمين لأحمد سالم.. - وكتاب فى فقه الطوائف اليهودية من معاملات وعبادات وعلاقاتهم بغيرهم لمراد فرج اليهودى المصرى.

#### ١١ - كتب فى التاريخ الإسلامى قديماً وحديثاً :

ويندرج فى ذلك - كتب التاريخ القديم وفيه: كتب الفتوحات الإسلامية منها: فتوح البلدان للبلاذرى، وفتوح الشام للوقدنى.. إلخ - وكتب فى تاريخ دول الإسلام

لشمس الدين الذهبي، والكامل فى التاريخ لابن الأثير، ونشأة الدولة الإسلامية لأمين سعيد الحلبي والبهجة البدرية فى الدولة النصرانية للسان الدين بن الخطيب.. وكتب فى الحضارة الإسلامية ومدنيتها منها: تاريخ التمدن الإسلامى لجورجى زيدان، وانتقاد كتاب التمدن الإسلامى لجورجى زيدان تأليف أحمد عمر الإسكندري، والعزة فيما قيل فى المزة (بالشام) لابن طولون، والبيمارستانات فى الإسلام لأحمد عيسى بك، ومدنية العرب فى الأندلس لجوزيف ماك كيب ترجمة تقي الدين الهلالي.. إلخ - كتب فى علاقات الدولة الإسلامية بغيرها من الدول منها كتاب حروب الإسلام والإمبراطورية الرومية لأمين سعيد، ورسالة أبى الربيع إلى قسطنطين ملك الروم.. إلخ - كتب فى الحروب الصليبية منها: الأخبار السنية فى الحروب الصليبية للحريزى. وذكرى سوقعة حطين، جمع محب الدين الخطيب... إلخ.

وكتب التاريخ الحديث للعالم الإسلامى فيه - كتب عن البلاد الإسلامية تحت سيطرة الاستعمار الغربى منها حاضر العالم الإسلامى لاستودارد ترجمة عجاج نويهض. والإسلام تحت الاستعمار تأليف أوجين يونغ ومعرب عن الفرنسية، وصفحة من الأيام الحمراء «الثورة السورية الكبرى» بقلم الزعيم

العسكري محمد سعيد العاصى، ونبذة من أعمال إيطاليا فى طرابلس للشيخ عبدالحميد الطرابلسى.. إلخ - كتب ورسائل عن حركات المقاومة والتحرير من الاستعمار منها، رسائل حزب الشعب الجزائرى (ويوجد منها أعداد كبيرة تضم وثائق و منشورات خاصة بالجزائر والاستعمار الفرنسى وحركات المقاومة والجهاد منذ بداية الاستعمار حتى قبيل وفاة الشيخ حسن البنا) ورسائل و منشورات مكتب المغرب العربى وتضم عدداً من الوثائق والمنشورات، وكتاب غمرة النضال ومطلع الحرية لنقولا شادى، ومستقبل أندونيسيا السياسى لقهر الدين بونس الأندونيسى... إلخ.

## ١٢ - كتب فى تاريخ الدولة العثمانية والمسألة الشرقية:

ويندرج فى ذلك - كتب فى نشأة الدولة العثمانية وسلاطينها: كتاب الجماعة العثمانية لجرجس خولى، والتحفة الحلمية فى تاريخ الدولة العلية لإبراهيم بك حليم: وتاريخ الدولة العلية لأحمد بك فريد - كتب فى أوضاع الدولة العثمانية وأواخر عهدها منها: العثمانيون فى المائة رسالة تاريخية فى (دحض مفتريات الإنجليز لأحمد الخضر منسى، وخواطر نيازى: صحيفة من تاريخ الانقلاب العثمانى الكبير للقول أغاسى أحمد

نيازى الرسالة لى، والمعلوم والمجهول لولى الدين يكن - كتب فى المسألة الشرقية عامة منها: تاريخ المسألة الشرقية لحسين ليبي، ودفاع بلغنا لعظيم حقى زادة (من حرب الشرق بين الدولة العثمانية والروس... إلخ).

## ١٣ - كتب عن المجتمع المصرى وتاريخه:

ويندرج فى ذلك - كتب فى تاريخ مصر القديم منها: العقد الثمين فى محاسن أخبار ویدائع آثار الأقدمين من المصريين لأحمد كمال باشا، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تفسرى بردى، والحضارة المصرية القديمة لغوستاف لويون ترجمة صادق رستم.. كتب فى تاريخ مصر الحديثة (منذ محمد على) منها: تاريخ الجبرتى، وإبراهيم فى الميدان لحبيب جاماتى، وتاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة، ومصر فى أفريقيا الشرقية لإبراهيم محمد صبرى.. إلخ - وكتب فى الشؤون الاجتماعية والثقافية والفكرية للمجتمع المصرى منها: الخلاصة الوفية فى الاراضى المصرية وزكاة الحنفية لأحمد إبراهيم جاب الله والتقدم العمرانى لمدينة القاهرة والمدن المصرية الأخرى لأحمد حسنين مكاوى، ومشكلة الفقر فى مصر لأحمد عبدالرحيم صبر، وتقدير فضيلة مفتى الديار المصرية الشيخ

محمد عبده في إصلاح المحاكم الشرعية، والمرأة المصرية قيمتها واحترام حياتها قديماً وحديثاً لأحمد أفندي يوسف، وتحليل نتائج التعداد في مصر للسيد صبرى، وحركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر لجناك تاجر. ومحاضرات جماعة الثقافة بأسبوط (وهي جمعية مسيحية) .. إلخ - كتب تتعلق بجغرافية مصر. ومنها: النخبة الأزهرية في تقويم الكرة الأرضية (نصفه في تفاصيل جغرافية القطر المصري بمدنه وقراء وتقاسيمه الإدارية) .. واكتشاف مصدر النيل لمحمود حامد وجمال الفندى. كتب خاصة بنظام الحكم وتاريخ الثورات منها: تاريخ الحركة القومية ونظام الحكم في مصر للرافعي في ثلاثة مجلدات. وفي أعقاب الثورة المصرية للرافعي في ثلاثة مجلدات. ومعارك حاسمة في تاريخ مصر (معياط والمنصورة)، ومذكرات خمسة وخمسين شهراً في مخبأ للكرادوى وهى عن ثورة ١٩١٩.

#### ١٤ - كتب فى القضايا السياسية المركزية : وهى تضم الآتى:

(١) قضية استقلال مصر ووحدة وادى النيل: وفيها كتب منها: مصر المستقلة لمحمد أمين يوسف

(وهو مترجم عن الإنجليزية - غير مكتوب اسم المترجم - والترجمة عبارة عن مخطوطة بخط اليد مهداة من المؤلف إلى رياض بك الصلح، ومصر للمصريين لسليم خليل نقاش (سنة مجلدات) وفطائع الاحتلال البريطانى: الرعب فى دنشوائى لبرناردشو، وفطائع العدالة البريطانية فى مصر لولفرد سكاوان بلنت، تعريب محمد نجيب ومحمد على المستكاوى، والكتاب الأبيض الإنجليزي ترجمة إبراهيم عبدالقادر المازنى، وتقرير لجنة ملنر، ومذكرات اللورد إدوارد سيسل المستشار المالى الأسبق للحكومة المصرية تعريب محمد التابعى. وترجمة عربية لتقرير الحزب الوطنى للرفوع بالفرنسية من مصطفى كامل لمؤتمر السلام، ومشكلة الأرصدية الاسترلينية المتجمعة لعبد الحكيم الرافعى بك، وصحيفة من مساوئ الاستعمار فى وادى النيل (من رسائل الإخوان) وبيانات النقراشى باشا أمام مجلس الأمن عن القضية الوطنية، وتاريخ الحرب السودانية لجبرائيل حداد، والمسألة السودانية للامير عمر طوسون.. إلخ.

(ب) قضية فلسطين والخطر الصهيونى: وفيها كتب منها : حجج وحقائق ووثائق فى سبيل حل المشكلة الفلسطينية لوديع البستاني، وكتاب فلسطين لجفرى بطرس غالى،

والنار والدمار فى فلسطين - وثائق عن وحشية الاحتلال البريطانى والعصابات الصهيونية - والشهادات السياسية أمام اللجنة الملكية فى فلسطين وخلاصة قرار اللجنة، والصهيونية نشأتها وأثرها الاجتماعى لميشيل بك كفورى، ونزعة المشتاق فى تاريخ يهود العراق ليوسف رزق الله.. وغيرها كثير.

(ج) قضية التحرر من الاستعمار عامة: وفيها كتب ورسائل منها: ثورة العرب: مقدماتها وأسبابها ونتائجها تأليف أحد أعضاء الجمعيات العربية - لم يذكر اسمه - والثورة العربية الكبرى لامين سعيد (مجلدان) ومجموعة المعاهدات والوثائق التاريخية فى حياة الأمم العربية جمعها محمد توفيق جانا، وسلسلة الضهان عن حركات التحرر ضد الاستعمار الفرنسى (عدة كتب) وتقرير بشأن القضية الطرابلسية، والإسلام والنظام العالى الجديد لولاي محمد على ترجمة أحمد جودة السحار (أنظر أيضاً ماورد تحت بند كتب التاريخ الحديث للعالم الإسلامى) وكتاب الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية لمؤلفه ف. أ. لينين ترجمة راشد البراوى، وحرب البترول فى الشرق الأوسط لراشد البراوى (الذى أهدى نسخة منه للشيخ حسن البنا) وكتاب غاندى والحركة القومية فى الهند لسلامة

موسى (وقد جلد الشيخ حسن نسخته من كتاب غاندى مع كتاب آخر - عنوانه غير واضح - تدور فصوله حول الجهاد فى الإسلام وما يتعلق بوسائله وقضائيه).

(د) قضية الوحدة العربية: وفيها كتب منها وأهمها: الدولة العربية المتحدة لأمين سعيد (مجلدان) وحركة الوحدة المغربية فى المنطقة الخلفية (وثائق) وأعمال مؤتمر المغرب العربى بالقاهرة فبراير ١٩٤٧، ونهضة الشرق لأحمد رفعت، وعدة وثائق وبيانات خاصة بقيام جامعة الدول العربية، والاتحاد العربى فى القاهرة (وثائق) مهداة إلى الشيخ حسن البنا.

(هـ) قضية الخلافة الإسلامية: وفيها كتب منها: الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية لرشيد رضا، والإسلام وأصول الحكم بحث فى الخلافة والحكومة فى الإسلام لعلى عبدالرازق، والخلافة أو الإمامة العظمى لرشيد رضا، ونقض كتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ بخيت، والتكبر على منكرى النعمة من الدين لمصطفى صبرى... إلخ.

(و) قضية السلام العالمى والنظام الدولى الجديد: وفيها كتب منها: احتلال التوازن العالمى لغوستاف لويون (مترجم إلى العربية) وإخفاق الفاشستية لعصام الدين

حفى ناصف، ووثائق مؤتمر ديمارتن إكس الخاصة بإنشاء هيئة الأمم المتحدة.

#### ١٥ - كتب فى المذاهب العصرية السياسية والفكرية:

ويندرج فى ذلك - كتب فى نظرية التطور والمذهب المادى منها: فصل المقال فى فلسفة النشوء والارتقاء لأرنست هيجل الألمانى ترجمة حسن حسين، وموقف الماديين والمؤمنين فى علم الغيب، والقول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون للشيخ مصطفى صبرى، وعلى أطلال المذهب المادى فى معالجة داء العصر «الإلحاد» لكامل فلامزيون وترجمة محمد فريد وجدى.. إلخ - كتب فى المذاهب السياسية والاقتصادية منها: البيان الشيوعى - بيان الحزب الشيوعى - لكارل ماركس وفريدريك إنجلز (مترجم إلى العربية). ونقد النظرية الماركسية لأحمد جمال الدين. ومقالات العربى (محمود حسنى العربى) والأشتركية تعوق ارتقاء النوع الإنسانى لإسماعيل مظهر.. إلخ.

#### ١٦ - كتب فى تاريخ أوروبا وأنب الرحلة إليها:

ويندرج فى ذلك - كتب فى تاريخ أوروبا القديم منها: خلاصة تاريخ اليونان والرومان لجرجى زيدان، واتحاف ملوك الزمان بتاريخ

الإمبراطور شريكان (مسبقاً بتقديم عن الجمعيات فى أوروبا منذ انقراض الدولة الرومانية إلى أوائل القرن السادس عشر من المسيحية، وترجمه عن الفرنسية خليفة أفندى فى عدة مجلدات كبيرة موجود منها ثلاثة) وتاريخ أساس الشرائع الإنجليزية لدافيد وأطسون - محرب - والتاريخ القديم تأليف ج. إدجار ومحمد شفيق غريال.. إلخ - مذكرات بعض زعماء أوروبا وقادتها منها: مذكرات غليوم الثانى ترجمة أسعد داغر ومحب الدين الخطيب، ومذكرات لينين عن الحروب الأوروبية ماضيها وحاضرها تأليف لينين وترجمة أحمد رفعت - كتب الرحلات إلى أوروبا الحديثة منها: رسائل البشرى فى السياحة بألمانيا وسويسرا فى سنة ١٨٨٩ لحسن أفندى توفيق، والسير والنظر (وهى رحلة إلى أوروبا وتونس والمغرب).. وعلاقتها بالاستعمار لمحمد طلعت: ورحلات عبد الوهاب عزام بك لعبد الوهاب عزام، والرحلة العلمية لتأخرات المدارس الأميرية إلى أوروبا صيف ١٩٢٦ بقلم سنية عزمى.. إلخ.

#### ١٧ - كتب فى الجغرافيا والمساحة:

ويندرج فيها: كتب عامة فى الجغرافيا منها: الدروس الجغرافية لأحمد عبد الهادى سابق، والجغرافيا

العمومية لمحمد فهيم ومحمد عوض إبراهيم، والجغرافيا الحديثة لمحمد فريد أبو حديد - كتب في جغرافية مصر وتقسيماتها الإدارية منها: النخبة الأزهرية في تقويم الكرة الأرضية (مزود بخرائط وإحصاءات تفصيلية عن التقاسيم الإدارية لمصر وموجز عن بقية العالم) كتاب عيون المسائل من أعيان الرسائل لعبد القادر الطبرى وبه متن النقاية للسيوطي ويحتوى على عدة رسائل فى المساحة والثلث النوعى. جغرافية مصر (يوضح القرى والمدن وما تشتهر به من محاصيل وما يؤخذ منها من ضرائب ومكوس... إلخ) به خرائط توضيحية كثيرة - غير موضح اسم المؤلف.

#### ١٨- كتب فى الفنون والصنائع والحرف:

ويندرج فيها: كتب غامة فى مختلف الفنون وأحوال أهل الحرف المختلفة منها: كتاب الدر المكنون فى الصنائع والفنون للخواجة جرجس طنوس عون. كتب فى بعض الحرف والفنون منها: هدية الزارع لمحمد توفيق، والحديقة الندية فى تحضير مؤلف) والبدور السافرات فى فن الاستحکامات لمحمد أفندى فهيم مدرس الفنون الحربية بالمدارس الحربية.. والنسخة الموجودة صورة

لمخطوطة باليد. وفن إدارة الحروب تأليف الليفتنانت جنرال فنون درجوازن، تعريب الملازم أول حامد نيازى. والحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدعى التوكل فى ترك العمل لأبى بكر الخلال... إلخ.

#### ١٩ - كتب فى تدبير الصحة وسياسة الجسد منها ما يلى:

تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب لداود الانطاكى (مجلدان) والتدبير العام فى الصحة والمرض للدكتور محمد رشدى. وكتاب الصحة لزعيم الهند الأكبر المهاتما غاندى ترجمة الشيخ عبد الرازق المليح أبادى، ويستور التفتى لمحمد فريد وجدى، والأقوال المعربة فى أحوال الأشربة لحسن الجبرتى الحنفى، والأشافية مع بيان أمراض القلب للدكتور عبد العزيز راشد، وعلم الصحة لنجيب مطفى وقانون الصحة المنزلية لجون سليكس (مغرب) وعدة كتب فى الإسعافات الأولية... إلخ.

#### ٢٠ - كتب عن المرأة وما يتعلق بها منها الآتى:

كتب تتعلق بآداب النساء مثل: حسن الأسوة فيما ورد عن رسول الله فى النسوة لصديق حسن خان. ومحمد والمرأة: محاضرات للشيخ

عبد القادر المغربى، ومحاسن الأنبياء عن أميال وعادات النساء لمحمود كامل فريد. وأخبار النساء لابن القيم وأحكام المرأة فى الشريعة الإسلامية لأحمد إبراهيم بك... كتب تراجم وسير أعلام النساء منها: أعلام النساء فى عالم العرب والإسلام لعمر رضا كحالة. والدر المنثور فى طبقات ربات الخدور للسيدة زينب بنت على بن حسين بن عبيد الله العاملى السورى. ونساء العالم لمحمود كامل فريد. - كتب تناول بعض قضايا المرأة منها: نداء للجنس اللطيف يوم المولد النبوى الشريف فى حقوق النساء فى الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدى العام للشيخ رشيد رضا، والمرأة المصرية قيمتها واحترامها قديماً وحديثاً (مشكلة الزواج) لأحمد يوسف، ومركز المرأة فى الإسلام للسيد أمير على الهندى... إلخ.

#### ٢١ - كتب فى علم الاقتصاد منها ما يلى:

مبادئ الاقتصاد السياسى لمحمد فهمى حسين، والموجز فى علم الاقتصاد لبول لروابوليوى ترجمة حافظ إبراهيم وخليل مطران، والاقتصادى فى الرزق المستطاب لمحمد الحسن الشيبانى، والمال وهو عبارة عن كتابين الأول: المال العام، الشرك المثل فى الحكم بغير ما أنزل

الله: قواعد عامة - والثاني الاحتكار والشرك المذل، والكتابتان في ثمانية أجزاء متوسطة الحجم.

## ٢٢ - كتب الحكمة السياسية ونصائح الملوك منها الآتي:

سلوك المالك في تدبير الممالك لشهاب الدين بن أبي الربيع، وسراج الملوك للطوطوشي، والعقد الفريد للملك السعيد لأبي سالم محمد بن طلحة الوزير، والهدية الأولى الإسلامية للملوك والأمراء في الداء والدواء لمصطفى إسماعيل المصري الأبااضي مذهباً، وتاج الدين قيما عبد الله المغيلي، والقبر المنسكب للسخاوي... إلخ.

## ٢٣ - بعض مصنفات قيادات بعض الطرق والجمعيات الإسلامية الحديثة وسيرهم منها الآتي:

(١) السنوسية: ومن كتب شيوخها: إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن لمحمد بن علي السنوسي، والمسائل العشر: بغية القاصد في خلاصة المراصد لمحمد ابن علي السنوسي، والسلسيل المدين في الطرائق الأربعين لمحمد بن علي السنوسي والدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية ثم كتاب في نقد الطريقة السنوسية وهو كتاب

الفروع الكافية لإزالة غياهب الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية لمحمد بن يوسف الكافي التونسي.

(ب) الوهابية، ومن الكتب المتعلقة بها ورسائل مؤسسها: مسائل الجاهلية التي خالف فيها الرسول صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد بتحقيق محمد حامد الفقي، ومن الكتب التي تنتقد الوهابية: الدرر السنية في الرد على الوهابية للشيخ أحمد زيني دحلان، والصواعق الإلهية في الرد على الوهابية لسليمان بن عبد الوهاب في الرد على أخيه محمد بن عبد الوهاب، والنقول الشرعية في الرد على الوهابية للشيخ مصطفى الشطي، والضياء الشارق في الرد على شبهات المآزق المارق لابن سحمان... إلخ.

(ج) الجمعية الشرعية (السبكية) وتوجد معظم كتب مؤسس الجمعية الشيخ محمود خطاب السبكي ومن أهمها: الدين الخالص، والمقامات العلية في النشأة للفخيمة النبوية، والمقالة الشرعية في الفقه وأصوله، والعهد الوثيق لمن سلك الطريق، وتعجيل القضاء المبرم لحق من سعى

ضد سنة الرسول الأعظم، وفصل الخطاب بين الشيخ مصطفى الحامى والشيخ محمود خطاب للعدوي... إلخ.

## ٢٤ - كتب في مجالات ثقافية عامة:

ويندرج في ذلك: كتب في مبادئ العلوم والموسوعات منها: مفيد العلوم ومبديد الهموم للخوارزمي ومفاتيح العلوم للخوارزمي أيضاً، والأعمال والمصالح في أصول الأديان وشرائع العمران للطرابلسي، ودائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي - كتب في الدعوة للإصلاح وطريق النهضة منها: الإسلام في عصر العلم لمحمد فريد وجدي، وهذى في الأغلال لمحمد بن علي القصيمي، وتنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله للشيخ السعدي، ومكانة العلم في القرآن للدكتور أحمد الدريني، وهداية الأمة الحميدية في الحكم الحمودية السنية للشيخ خطاب السبكي، والطريقة المثلى في الإرشاد إلى ترك التقليد واتباع ما هو أولى لأبي الطيب نور الحسن، والدعوة إلى الإصلاح للشيخ الخضرج حسين، وطلبنا الاستبداد ومصارع الاستعباد للكواكبي والرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية لحسين أفندي الجسر ومسموم الأسنة



والسهم في الرد على من شوهوا الأفكار بدعوى تنوير الأفهام لحمد الجنيهي المسكين... إلخ - كتب في أصول الاجتماع والعمران منها: جزء من الحياة لحمد فريد وجدي، ومقدمة ابن خلدون. وإبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون لأحمد بن محمد الصديقي، ومهاكمة وزيرين في أمرين خطيرين وابن خلدون في المدرسة العادلية محاضرات لعبد القادر المغربي... إلخ - كتب في موضوعات متفرقة منها: أبو الدنيا وأم الدنيا لعلي أحمد الشهيد، وعالم الغد ترجمة عبد الحميد يونس وحافظ جلال، ومقالة في الإسلام لجرجس سال الإنجليزي (مترجمة) وفضل العرب على الجراحة لحسن الهراوي، والفكر المتعدد لنا أبي راشد، و المطالع العصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية للوفائي الهوريني، والمجالس الفاخرة في ماتم العترة الطاهرة للموسى العاملي، والرسالة الخالدة لعبد الرحمن عزام باشا... إلخ.

## ٢٥ - الدوريات والمجلات :

وقد وجدت أعداد ومجلات أربع عشرة من المجلات والدوريات بعضها كاملة من بدء صدورها إلى قبل وفاة الشيخ حسن البنا، وبعضها يوجد منه عدة مجلدات وأعداد متفرقة وهي

- مجلة العروة الوثقى (كاملة) مجلة التقوى (إسلامية شهرية) معظمها - مجلة المنار للشيخ رشيد رضا (كاملة) ومجلة المقتطف (كاملة) ومجلة الهلال (كاملة) ومجلة العلوم (كانت تصدر عن جمعية المعلمين) معظم أعدادها - ومجلة الحياة لفريد وجدي (معظمها) ومجلة العالم الإسلامي لمصطفى كامل (بعض أعداد منها) وصحيفة اللواء لمصطفى كامل (بعض أعدادها خلال السنوات التالية ١٩٠٠ - ١٩٠٢ - ١٩٠٣ - ١٩٠٤) ومجلة الشئون الاجتماعية (كانت تصدرها وزارة الشؤون الاجتماعية) موجود بعض أعداد منها - ومجلة تحرير المجلة لحمد حسين آل كاشف الغطاء مطبوعة بالنجف الأشرف في العراق (بعض مجلداتها).

## رابعاً : منهج الشيخ حسن البنا في اقتناء الكتب وتكوين المكتبة:

يتضح من تصنيفنا لمجالات اهتمامه في البند السابق - بالإضافة إلى استقراء عناوين الكتب المذكورة، المحققة - أنه كان يسير في اقتنائه الكتب وتكوين مكتبته وفقاً لمنهج محدد تحكمه ثلاث قواعد أساسية:

الأولى هي قساعبة التنوع التي تعنى الشمول لمعظم مجالات اهتمام

الفكر الإنساني، من أشرف العلوم (القرآن وعلومه وعلوم الدين في فروعها المختلفة بصفة عامة) إلى علوم ومعارف الدنيا حتى الفنون والصنائع والحرف، مروراً بعلوم اللغة وأدائها (ومن الواضح أن لها أولوية أساسية في اهتماماته) والتاريخ وقضايا السياسة والنهضة... إلخ.

أما الثانية فهي «قاعدة التتبع» التي تعنى تقصيص للكتب والمراجع التي تغطي معظم موضوعات اهتماماته على امتدادها الزمني، فهو يقتنى ما كتب بخصوص كل موضوع عبر الفترات الزمنية المختلفة قديماً وحديثاً، ويمكن ضرب ثلاثة أمثلة على ذلك من مجالات اهتماماته الموضحة سابقاً.

(١) في علوم القرآن لديه من التفسيرات القديمة تفسير الطبري وتفسير الفخر الرازي وتفسير ابن كثير.. كما أن لديه تفسير الألوسي وتفسير المنار وتفسير الجواهر وتفسير المراغي وهي من التفسيرات الحديثة.

(ب) في الفقه ومذاهبه: لديه من القديم على سبيل المثال: المغني لابن قدامة الحنبلي والمجموع للنووي الشافعي، ورد المختار لابن عابدين الحنفي ولديه من الحديث على سبيل المثال: الفقه على المذاهب الأربعة،

ونيل الأوطار للشوكاني والمقالة الشرعية في الفقه وأصوله للشيخ خطاب السبكي.. إلخ.

(جـ) في اللغة والأدب، لديه من القديم على سبيل المثال: الفية ابن مالك وشرح ابن عقيل. والتعريفات للجرجاني، وبدائع البدائه للأزدي، وقصة الأميرة ذات الهمة، وديوان المتنبي.. إلخ ولديه من الحديث على سبيل المثال: شذا العرف في فن الصرف للحملوي، والألفاظ الكتابية للهمداني، وزهر الربيع في المعاني والبيان والبدیع للحملوي، وقصص محمود تيمور ورواية مجدولين وديوان وهبتي لعلی الفایانی.. إلخ.

(د) في التصوف وأدابه: لديه من القديم على سبيل المثال الطبقات الكبرى للشعراني، ومن الحديث على سبيل المثال للملامية والصوفية وأهل الفتوة لأبي العلا عفيفي.

(هـ) في التاريخ: لديه من القديم مثلاً: كتب الفتوحات الإسلامية المختلفة ولديه من الحديث كتب تعالج أوضاع العالم الإسلامي في ظل الاستعمار... وهكذا في بقية المجالات المتعلقة بتاريخ الدولة العثمانية وتاريخ المجتمع المصري.. إلخ.

والقاعدة الثالثة هي الالتزام بأدب فقه الخلاف وهو ما يعني في مجال اقتنائه للكتب، عدم اكتفائه بالنظر إلى

القضية التي تكون محلاً لاختلاف الآراء، من جانب واحد فقط، ولحسن الحظ أنني عثرت أثناء تنقيسي في مكتبة الشيخ حسن البنا على قصاصة من الورق موضوعة في طيات كتاب هذى هي الأغلال للقصيمي مكتوبة بخط يد الشيخ حسن البنا بها ملاحظاته وبعض تعليقاته على كتاب القصيمي ومن بين ما كتبه فيها قوله بالحرف: (ويل للذين ينظرون إلى الأشياء من جانب واحد.. ويل لهم ويول للإنسان منهم.. وإن تجد على وجه الأرض أشد منهم ظلماً ولا أستم فهماً..) ١. هـ بالنص. وبالإضافة إلى ذلك فإنه باستقراء عناوين الكتب وأسماء مؤلفيها يمكن ضرب عدة أمثلة توضح التزام الشيخ حسن البنا بهذه القاعدة الثالثة ومن ذلك:

### (١) قضايا التصوف والمتصوفة:

ومعظمها كما هو معروف محل للخلاف الدائم والجدل الذي لا ينقطع من قديم الزمان، نجد لديه على سبيل المثال كتب أقطاب التصوف وشيوخ الطرق مثل الميزان للشعراني، وغنية الطالب للجيسلاني، إلخ ولديه في الوقت نفسه كتب تنتقد التصوف وأحوال المتصوفة وأتباع الطرق مثل تلبیس إبلیس لابن الجوزی والعهد الوثيق لمن سلك الطريق للشيخ خطاب السبكي... إلخ.

### (ب) قضية الخلافة الإسلامية:

كانت - وما زالت - محل جدل شديد قبيل وبعد إلغائها رسمياً، فنجد لدى الشيخ حسن البنا كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلی عبدالرازق، وهو يهاجم الخلافة ويرى أنها ليست من الإسلام في شيء، وكتاب النكير على منكري النعمة من الدين لمصطفى صبري وكتاب نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم للخضر حسين وغيرها من الكتب التي تفند آراء على عبدالرازق بهذا الصدد وتحاول أن تثبت عكس ما ذهب إليه.

### (جـ) قضية النهضة وكيف السبيل إليها؟

وهي كبرى قضايا الخلاف والجدل بين صفوف النخبة الفكرية منذ ما يزيد على قرن ونصف من الزمان، فنجد لدى الشيخ حسن البنا كتاباً مثل كتاب هذى هي الأغلال للقصيمي وهو يحمل فيه بشدة على التراث الإسلامي بما فيه - في نظر القصيمي - كثير من الأحاديث النبوية وأقوال العلماء والأئمة السابقين.. ونجد لدى الشيخ حسن أيضاً كتاباً مثل كتاب تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله للشيخ السعدي، وكتاب مسموم الأسماء والسهام في الرد على من شوهوا الأفكار بدعوى تنوير الأنهم للشيخ الجنبهي المسكين.. وغير ذلك

من الكتب التي تعرض للقضية من وجهات نظر المختلفين حولها.

#### ( د ) القضايا المتعلقة بالحركات الإسلامية الحديثة كالهابية والسنوسية:

فمن الهابية مثلا نجد لديه كتب مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولديه أيضا عدة كتب تنتقد وتهاجم بقسوة الوهابية والهابيين منها على سبيل المثال كتاب الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب، وكتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية.. إلخ. أما عن السنوسية فلديه كما سبق معظم كتب مؤسسها محمد بن علي السنوسي، ولديه كذلك عدة كتب تتناولها بالنقد منها على سبيل المثال كتاب الفروع الكافية لإزالة غياهب الأنوار القدسية لحمد بن يوسف التونسي.. وهكذا.

#### خامسا : قيمة الكتب من حيث نوعيتها (أساسية - ثانوية):

وهناك ملاحظة تتعلق بنوعية الكتب التي كان يجمعها الشيخ حسن البنا ليكون منها مكتبته، من حيث اعتبار الكتاب أساسياً في موضوعه أو في باب، أم هو ثانوي فرعي؛ وبهذا الصدد يمكن تقسيم كتب المكتبة إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

أولها الكتب الأساسية، ويقصد بها ما يسمى بأمهات الكتب وما يعتبر من أصول هذا العلم أو ذاك وتضم مكتبة الشيخ حسن البنا من الكتب الأساسية بالمعنى السابق، عددا كبيرا يشمل معظم المجالات مثل القرآن وعلومه والحديث وفنونه. والفقه ومذاهبه واللغة والأدب والعقيدة والتصوف والتاريخ. وهذا واضح من استقراء عناوين الكتب في كل مجال من تلك المجالات. أما القسم الثاني فيضم الكتب الشاملة التي تتناول موضوعات شتى كالموسوعات مثل دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي، أو تتناول مبادئ ومفاهيم العلوم كمفاتيح العلوم للخوارزمي.. إلخ. ويضم القسم الثالث الكتب الفرعية أو الثانوية في كل مجال من المجالات المختلفة. مثل الكتب التي تتناول قضية واحدة ومحددة أو جزئية صغيرة منها كتاب في أحكام الوصية أو كتاب في فن الموسيقى أو آخر في أحكام ليس العمامة والطيلسان وحمل المسبحة.. إلخ أو كتاب يتعلق بقضية التوبة أو كتاب يبيد رأيا في إخفاق الفاشستية أو حول الاشتراكية... إلخ.

ويمكن اعتبار الكتب «ثانوية» من جهة أخرى وذلك بكونها كتباً شارحة على الأصول أو المثلون، والأمثلة على

ذلك كثيرة خاصة ما يتعلق بكتب للذاهب الفقهية أو شرح العقائد.. منها في الفقه كتاب رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين الحنفى. شرح قانون الوصية لأبى زهرة. ومنها في العقائد شرح الطحاوية في العقيدة السلفية للأزرقى أو شرح عقيدة السفاريني.. إلخ.

#### سادسا : آثار وملاحظات الشيخ حسن البنا التي دونها في هوامش بعض الكتب:

وتوجد عدة ملاحظات حول ما سجله الشيخ حسن البنا بخطه في هوامش بعض الكتب وهوامش صفحاتها أو على أغلفتها. أول هذه الملاحظات، أنه كان حريصا فيما يبدو على تسجيل اسمه على الكتب التي يقتنيها وذلك إما على الصفحة الأولى من الكتاب أو على عرض الحافة الخلفية له إن كان مجلدا، وكثيرا ما سجل في المكانين معا في أول صفحة بقلم رصاص أو كوييا أو حبر بالوان مختلفة من كتاب لآخر. وفي كتب الكتاب بماء الذهب كما ه متبع عند تجليد الكتب، وبالإضافة إلى ذلك كثيرا ما لاحظت أن الشيخ حسن البنا يكتب بجوار اسمه على الكتاب ما يشير إلى ثمن شرائه ومن ذلك ما كتبه على الصفحة الأولى من

كتاب إصابة السهام فؤاد من حاد  
عن سنة خير الأئام للشيخ محمود  
خطاب السبكي، كتب البنا اسمه  
(حسن أحمد البنا وه قروش ثمن  
الكتاب). وكان من عادته أن يضم  
عدة كتب بعضها إلى بعض ويجعلها  
في مجلد واحد لتقارب موضوعاتها  
أو أحجامها... ومن أطرف ما وجدته  
بهذا الخصوص ما سجله الشيخ  
حسن البنا بقلم رصاص بمجموعة  
تضم: حاشية القنارى على الدررير  
وشرح الشيخ خالد فى النصو  
ورياض الاسماع للصيادى.. وغيره  
إذ كتب يقول: «كل هذه المجموعة ملك  
العبد الفقير إلى الله حسن أحمد  
الساعاتى وهو يسجلها خوفاً  
الاعتداء» ويجوار ذلك ختم كتب  
بدخله «تجليد أحمد عبد الرحمن  
الساعاتى» وفى صفحة الغلاف  
الداخلى أيضاً كتب حسن البنا  
حديثاً لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم فيه «تفكروا فى كل شئ  
ولاتفكروا فى الخالق فإن الخالق  
لا تحيط به فكرة».

أما بالنسبة للملاحظات التى  
سجلها بهوامش الكتب أو حواشى  
الصفحات فهى بصفة عامة قليلة إذا  
قورنت بقيامه بوضع خط أو علامة  
أمام بعض الفقرات فى صفحات  
معظم الكتب مما يشعر بقراءته وأن  
أمراً لفت انتباهه. ومن أهم ما سجله

من تعليقات بخطه ما هو موجود  
بهوامش كتاب الإسلام وأصول  
الحكم لعلى عبد الرازق وكتاب شرح  
الحكم العطائية، وقصاصة بكتاب  
هذى هى الأغلال للقصىمى وهنا  
نصوص مما كتبه بتلك الكتب.

(١) فى كتاب الإسلام وأصول  
الحكم: الطبعة الثانية ١٣٤٤هـ /  
١٩٣٥م، يقول على عبد الرازق فى  
ص ٤ بخصوص الخليفة «وأن يكون  
له وحده الأمر والنهى ويديه زمام  
الامة وتدير ما جل من شئونها وما  
صغره» فكتب حسن البنا أمام تلك  
الفقرة «مهلاً مهلاً» وفى ص ٨ يقول  
المؤلف: (وإذا أنت رجعت إلى كثير  
مما ألف العلماء، خصوصاً بعد  
القرن الخامس الهجرى، وجدتهم إذا  
ذكروا فى أول كتبهم أحد الملوك أو  
السلطين رفعوه فوق صف البشر،  
وضعوه غير بعيد عن مقام العزة  
الإلهية) كتب البنا معلقاً على ذلك فى  
هامش الصفحة نفسها (لا يصح أن  
يكون هذا دليلاً إلا على ضعف  
النفسية فقط). وتعليقاً على ما أورده  
المؤلف بالصفحة السابقة من «أن  
للمسلمين مذهبين بخصوص الخليفة  
الأول أنه يستمد سلطانه من سلطان  
الله وقوته من قوته» كتب البنا تعليقاً  
على هذه النقطة يقول (لا يؤيد هذا  
المذهب رأى ولا دليل ولا نثرى من  
أين أتى حضرة مؤلف الكتاب بذلك،

وكل ما بعده ليس معناه ما يقصد  
إليه المؤلف وفى الصفحة التاسعة من  
الكتاب يقول المؤلف: «وجملة القول إن  
استمداد الخليفة لسلطانه من الله  
تعالى مذهب جار على الألسنة فاش  
بين المسلمين» فكتب البنا أمام تلك  
الفقرة كلمة (كلا). وفى الصفحة  
الحادية عشرة شبه المؤلف الخلاف  
بين المسلمين فى شأن الخلافة  
بالخلاف بين الأوروبيين فى شأن  
سلطان الملوك المقدس وذكر عدة  
أسماء لأوروبيين فكتب حسن البنا  
فى حاشية الصفحة نفسها منتقداً  
تشبيه المؤلف. فقال: (هذا التشبيه  
خط وخبث وخطأ من المؤلف أداه إليه  
أنه يريد أن يتعالج بذكر أسماء هؤلاء  
الأوروبيين، وإلا فما فهم مسلم واحد  
على وجه الأرض أن الخليفة مقدس  
السلطان كما فهم الإنجليز فى الملك  
جون مثلاً. فليخسأ المؤلف) أ. هـ.

(ب) فى كتاب شرح حكم ابن  
عطاء الله السكندرى لابن عجيبة:  
سجل حسن البنا عناوين عدد من  
موضوعات الكتاب مشيراً إلى كل  
منها بأرقام صفحاته وبالباب الذى  
يقع فيه ومن تلك الموضوعات «قصة  
الجند وأصحابه وتستمر إلى ص  
٢٢٦ من شرح ابن عجيبة» (الكلام  
على العمل الباب الأول آداب  
الحضرة: الباب الثانى أمراض  
النفس الباب السابع وهكذا).

(ج) فى كتاب هذى هى الأغلال لعبدالله القصيمى النجدى: عثرنا على بعض تعليقات الشيخ حسن البنا على هذا الكتاب فى قصاصة موضوعة بين صفحاته وهذا نص ما فيها بخط حسن البنا: (إن المؤلف يجعل بعنف على الغزالي والشعراني بيد أنى أجلهما إلى حد الغرام والهيام وما كان ذلك ليمنعنى (كذا) كتبت وشطب عليها.. ثم استأنف...) وما كان لحملته تلك أن تجعلنى أحكم بكفره وأطالب بشنقه.. ويل للذين ينظرون إلى الأشياء من جانب واحد.. ويل لهم وويل للإنسان منهم، وإن نجد على وجه الأرض أشد منهم ظلماً ولا أستمق فيها.. (زمو - فقر - جهل - تواكل - تخلف عن الركب - جهل بالله - كفران بالحياة - كفران بالنفس - كفران بالمواهب - عواطف بليدة - عقول مريضة) من كلمات مؤلف الكتاب - لمصلحة من تدعوننا أيها الناقمون لأن نتبع هذه الكمية المرعية من السم الويل.. وهل موضوع الكتاب إلا صرخة مدوية - هذى هى السموم فحاذرها (وكتب فوقها كلمة فحاسبوها) هذه هى الأغلال فحطموها وإن فى الكتاب شروءاً عاطفياً (الشرك والحلف بالله إلخ) وهكذا شأن كل دى دعوة أو فكرة خير يريد أن يضعها فى شرفة النور فهو فى سبيل ذلك يكافح بعنف الغيوم التراكمة والسحب القاتمة وقد

يندفع قلمه إلى حيث لا يريد<sup>١</sup>، هـ، بنصه.

#### سابعاً: بعض الكتب النادرة:

وإضافة إلى ما سبق وجدت من بين محتويات مكتبة الشيخ حسن البنا عدداً من الكتب التى تعتبر نادرة إما فى موضوعها وإما فى وجودها ومن ذلك:

(١) مخطوطة كتاب «بارقة السيوف الداغستانية فى بعض الغزوات الشامية ألها العالم محمد طاهر القراخى الشردلى» وهو عبارة عن ترجمة لحياة الأمير شامل وغزواته وحرابه فى القفقاس.

(ب) مخطوطة كتاب الوقائع الحربية والمعارك الواقعة فى أقطار الداغستانية الجنوبية تأليف حيدر بك، ويتناول جوانب من تاريخ الجمهوريات الإسلامية فى روسيا وجهاد الأمير شامل بالقفقاس أيضاً، ويعد هذان الكتابان من الكتب النادرة فى موضوعها وفى وجودها معاً، أما الكتب النادرة فى وجودها فمن أمثلتها:

محاضرات جماعة الثقافة بأسبوط وهى جماعة صغيرة لم يكن قانونها يسمح بأن يزيد عدد أعضائها عن عشرين عضواً من الشباب المسيحي، وقد عرفت الجماعة نفسها فى مقامة المجموعة الأولى من محاضراتها - وهى

موجودة فى مكتبة الشيخ حسن البنا - بالآتي: «الجماعة هم بعض أعضاء جمعية الشبان المسيحية بأسبوط رأوا فى أنفسهم ميلاً للمطالعة وحياً فى البحث وشغفاً بالأدب عددها خمسة عشر عضواً ولا يسمح قانونها بأن يزيد عن عشرين عضواً، تكونت فى بدء سنة ١٩٢٠ ولعلها أول جماعة تأسست من نوعها فى القطر المصرى أغراضها تثقيف أعضائها علمياً وأدبياً.. بنشر ثقافتهم فى أوسع دائرة ممكنة» هـ، من مقدمة المجموعة الأولى من محاضرات جماعة الثقافة بأسبوط، مطبوعة بالمطبعة الأهلية بأسبوط لصاحبها هلال عبيد قيصر بدون تاريخ.

وبالإضافة إلى ما سبق، فهناك عدة كتب تعتبر طريفة فى موضوعها، وربما نادرة منها:

(١) در القمامة فى ذر الطليسان والعذبة والعمامة لابن حجر الهيتمى الشافعى.

(ب) الدعامة لمعرفة أحكام سنة العمامة لجعفر الكتاني الحسنى.

(ج) تحفة أهل الفتوحات والأذواق فى اتخاذ المسبحة وجعلها فى الأعناق تأليف فتح الله بن أبى بكر البنانى (مجلد كبير).

(د) إيضاح الدلالات فى سماع الآلات للشيخ عبدالغنى الغابلسى.

## خلاصة في العلاقة بين مصادره الفكرية المقررة

### وتكوين شخصيته القيادية على ضوء متغيرات الواقع الذى عاصره

يشير عرض وتحليل محتويات  
مكتبة الشيخ حسن البنا الخاصة.  
باعتبارها مصادر فكرية مقروءة، عدة  
تساؤلات أهمها: ما هى قدرات العقل  
التي يمكن أن تسهم في تثقيفه  
وصياغة أفكاره مثل تلك المصادر من  
الكتب المختلفة؟ ويرتبط بهذا السؤال  
سؤال آخر تفرضه طبيعة شخصية  
الشيخ حسن البنا وهو: هل يكفى أن  
يتوافر هذا العدد الضخم - نسبيا -  
من الكتب، وهذا التنوع فى  
موضوعاتها وشمولها لمعظم مجالات  
الفكر الإنسانى هل يكفى ذلك لكى  
يظهر من خلال قراءتها واستيعاب ما  
فيها - مفكر وقائد حركى مثل الشيخ  
حسن البنا؟

ويصدد السؤالين السابقين يمكن  
القول إن إجابة الأول لابد أن تشير  
إلى القدرة على الاستيعاب وسعة  
الأفق وغزارة المعرفة وشمولية الرؤية  
ورسوخ القدم فى ميدان العلم. أما  
إجابة السؤال الثانى فليس من حكم  
العادة ما يؤكد. ولا يدل ما هو  
مشاهد. على أن كل من توافرت لديه  
الكتب والمصادر الفكرية الكثيرة  
والتنوعة صار بالضرورة مفكراً  
وقائداً. وعلى سبيل المثال فإنه مهما

قليل وما يمكن أن يقال عن كثرة  
وتنوع المراجع والكتب التى قرأها  
الشيخ حسن البنا، فإنها لا تمثل -  
من حيث حجمها ونوعياتها - سوى  
جزء بسيط مما كان لدى أفراد  
آخرين عاصروهم الشيخ حسن البنا  
لعل أبرزهم أحمد باشا تيمور الذى  
كانت - وما زالت - مكتبته الخاصة  
ومقتنياته من الكتب والمخطوطات  
النادرة فى كل علم وفن. من أغنى  
المكتبات ليس فى مصر وحدها وإنما  
فى المشرق الإسلامى عامة، وصحيح  
أن أحمد تيمور كان علماً من أعلام  
الأدب واللغة والثقافة بيد أنه لم يكن  
أكثر من ذلك وقس على هذا كثيرين.

إن فن فلاديمير من البحث عن أبعاد  
أخرى تفسر ظهور القيادة الفكرية  
الحركية التى تسعى بمجتمعها نحو  
التغيير والإصلاح العام، وذلك إضافة  
إلى سعة الاطلاع وكثرة مصادر  
العلم والخبرة التى تستوعبها تلك  
القيادة.

ومن تلك الأبعاد الأخرى التى  
تهيئ لظهور القيادة. ما يتصل  
بشخصية الفرد نفسه وتكوينه  
النفسى واستعداداته الفطري، ومنها  
ما يتصل بالوضع الاجتماعية التى  
تتميز بها بيئة التى ينشأ فيها  
ويتحرك ضمن إطارها العام. ومنها  
ما يتصل بالمناخ الثقافى والفكرى  
الذى يتشبع به من تأثيرات المجتمع  
وجماعاته، طبقاً لرؤى الفرد الخاصة

وما يحكم تصوراتها من مبادئ  
ومنطقاتها وأطر مرجعية. وبعبارة  
موجزة يمكن القول إن ما يحيط  
بالفرد من بيئات ونظم اجتماعية  
وثقافية. وطبيعة اللحظة التاريخية  
التي يعاصرها فى تعامله مع تلك  
النظم. تسهم كلها فى بلورة وظهور  
القيادة الساعية للتغيير مع عدم  
إغفال جانب التكوين الفكرى الذاتى  
لتلك القيادة.

ولئن كان بروز دعوة سياسية  
يستوجب «تبنى عقيدة ما» ومن أن  
الشخص القيادى لابد «أن يتشبع من  
هذه العقيدة ويعمل على انتصارها  
ويجعل نفسه حاملاً لرسالة شاملة»  
طبقاً لذلك كله فإن عمل ودور تلك  
القيادة لابد أن يهدف له عادة بتعديل  
بطيء فى البنيات المادية والعقلية فى  
المجتمع، وفى مصر كانت تلك  
التعديلات والتمهيدات تتم ببلاء نسبي  
منذ ما يقرب من قرن قبل حسن  
البنا.. وبلغت تلك التمهيدات أشدها  
كما هو معروف خلال العشرينيات  
والثلاثينيات من القرن العشرين فى  
البنيات المادية (الاستقلال السياسى  
الشكلى، والنظام الليبرالى وبه  
نهضة اقتصادية مع طلعت حرب...) وفى  
البنيات العقلية (المعارك الكثيرة  
بين أنصار القديم وأنصار الجديد،  
والتحول الفكري من الاتجاه  
العلمانى إلى اتجاه وسطى يوفق بين  
العقلية الغربية والإسلامية فى صورة

تحول بعض كبار مثقفي العلمانيين والليبراليين من أمثال محمد حسين هيكل، وإسماعيل مظهر، ومنصور فهمي إلى الاقترب من الفكر الإسلامي أو التوفيق بينه وبين الفكر الغربي.. إلخ) وفي ظل تلك الظروف كان نجم حسن البنا أخذاً في الصعود أوائل الثلاثينيات وحتى بداية الأربعينيات ليكتمل كواحد من أبرز قيادات العمل السياسي والفكري في مصر وفي المنطقة كلها بعد الحرب العالمية الثانية.

إنّ يتضح أنّ ثمة علاقة وثيقة بين «العقليات» من جانب، و«النظم والبنى» القائمة في المجتمع، أو التي ستقوم من جانب آخر. فعندما لا يكون التوافق بين العقليات والنظم القائمة تاماً ومنسجماً، يبدأ الاعتراض على تلك النظم، فتفقد قوتها، وتتدهور شرعيتها شيئاً فشيئاً لأن الناس لا يحترمون حقاً إلا القوانين والأطر التي يؤمنون بها، ويمكن إرغامهم على الطاعة لا على الرضا، وعندئذ تبدأ المقاومات السافرة أو الخفية. وتصبح حالة المجتمع كله في وضع ثوري. ولما كان النموذج الليبرالي القائم خلال العهد الملكي مفروضاً ويحمل في طياته كشيئاً من القيم والمبادئ التي تتعارض - كما قدمتها النخبة الليبرالية - مع ما تؤمن به أغلبية المجتمع. فقد كان من شأن التوجه الإسلامي الأصولي الذي مثله حسن

البنا أن يؤدي إلى تبني نمط من التنشئة السياسية الجديدة التي تتعارض مع النموذج الليبرالي القائم ليس في أشكاله التطبيقية فحسب وإنما في أسسه ومصادره الأصلية أيضاً، ومن ثمّ فالحركة التي يقودها حسن البنا وبصفة خاصة خلال الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية حيث بلغت الحركة أقصى قوتها كانت تهدد النظام القائم، والنظم الماثلة في المنطقة من الجذور وتهدد بالتسالي مصالح الدول الاستعمارية المستندة على تلك النظم، وفي تلك الظروف لم يكن من مخزج سوى صعود الحركة الاجتماعية إلى مرحلة التغيير الثوري وإعادة الانساق بين «النظم والبنى» وبين القيم والمعتقدات التي يؤمن بها المجتمع في أغليته، وليس سوى الثورة. كظاهرة اجتماعية سياسية، هي التي تلبي حاجة التوفيق وتحقيق التوازن القيمي الاجتماعي السياسي، ومن ثمّ كان طبيعياً أن ينظر إلى حركة التغيير ضد النظام والاستعمار. والتي صارت تقودها جماعة الإخوان المسلمين حول منتصف القرن، على أنها تمثل أعلى مصادر الخطر في المنطقة كما كشفت عن ذلك تقارير السفارة البريطانية في القاهرة في تلك الفترة فقد ورد بواحد من كتبه المستر آلن - بالخارجية البريطانية: «إنني أعتقد أنّ العمل للصراع ضد الإرهابيين

(يقصد فدائيو الإخوان المسلمين في منطقة القناة) هو التصرف السليم ولكن يجب أن نضع في الاعتبار المجازفة بأن المصريين قد لا يستسلمون وقد يكون رد فعلهم بطريقة نجد أنفسنا معها متورطين في حكومة عسكرية، بكل ما تتضمنه من مساوئ»<sup>(٤)</sup>.

الهوامش:

(١) انظر في ذلك - على سبيل المثال - كتاب الشيخ عبدالباستين موسى بن محمد الطوسي (ت ٨٩١هـ/١٥٧٢م) المسمى المعبد في أدب الحيد والمستفيد (مشرق: مطبعة الترقى ١٣٠٤هـ/١٩٢٤).

(٢) انظر - على سبيل المثال - كتاب المحافظ شمس الدين الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق محمد علي البجاوي (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر ١٣٨٢هـ)، ص ١٦١ أيضاً كتابه سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ) ص ٦١.

(٣) لدى المؤلف صورة طبق الأصل من خطاب استقالة الشيخ حسن البنا من وزارة المعارف، محرم في ٢١ جمادى الثانية ١٣٦٥هـ الموافق ٢٣ إبريل ١٩٤٦م، ومرفوع والخضرة الأستاذ المحترم ناظر مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة لاتخاذ اللازم، وفي آخر مدرسة عمل بها الشيخ حسن البنا قبل أن يتفرغ تماماً لحمل أعباء الدعوة.

(٤) لمزيد من التفاصيل الهامة بهذا الشأن انظر: Minute by Allen, 20.12.51, Fo 371 190150: «I think probably that stern action against the Terrorists in the Canal Zone is the right kind of action, but we have to set against it the risk that the Egyptian may not give up and may react in such a way that we find ourselves committed to military government, with its disadvantages».

حسن البنا  
والحركات  
الإسلامية  
الجديدة



# الكتيب المقدمة إلى حسن البنا ودراسته تحليلية لها





# أ - الكتب والإهداءات

## ١ - الكتب المهداة إلى حسن البنا

٢	اسم المؤلف صاحب الإهداء	عنوان الكتاب للمهدي إلى حسن البنا	نص إهداء المؤلف إلى حسن البنا	ملاحظات
١	محمد الحافظ بن عبد الله الجزائري التيجاني طريقة	الحق في الحق والخلق	« إنى إذ أضع هذا الكتاب إلى أخى وحبيبى سيدى حسن أفندى أحمد البنا، فإننا أقدم إليه ما كتب له خاصة، معبراً عن عظيم امتناني بنفسه الطاهرة وولهى بحاله الروحي وتقديرى لمستقبله الباهر الزاهر فى الدعوة إلى قدس الحقيقة المطلقة. المؤلف محمد الحافظ التيجاني بور سعيد فى ١٦ ديسمبر ١٩٢٧ هـ ».	هذا أقدم إهداء عثر عليه الباحث مكتوباً على أحد الكتب وكلمات تدل على شفافية كاتبها.
٢	محمد بن أحمد بن محمد عبد السلام خضر الشقيرى	السنن والمبتدعات المتعلقة بالآذكار والصلوات	« من أخيك فى الله عز وجل محمد أحمد بعد السلام إلى سيادتكم أيها الأخ الأستاذ حسن أفندى البنا المرشد العام للشبان المسلمين ». ١٩٣٤ / ١٣٥٣	كتب صاحب الإهداء أن الشيخ حسن البنا هو المرشد العام للشبان المسلمين سهواً فيما يبدو.
٣	محمد كامل حنة	الرسالة المجدية وأثرها فى العالم	« إلى حضرة صاحب الفضيلة أستاذنا الجليل ومرشدنا الملم الأستاذ حسن البنا. للخلص / محمد كامل حنة ١٩٣٧/٧/١٢ ».	هذا الإهداء هو الوحيد الذى ذكر فيه صاحبه كلمة الملم وصفاً لصن البنا - ثم استخدمها بعد ذلك بعشرات السنين الرحوم عمر القمصانى فى عنوان كتابه عن حسن البنا الملم الموهوب.
٤	محمد الهادى عطية (المحامى الشرعى) بالسويس	فتح التقدير الجامع بين فنى الرواية والندرية فى علم	« بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد... وبعد :	أضاف المهدي فى بعض النسخ الخمس كلمات وفى علوم القسران

٤	اسم المؤلف صاحب الإهداء	عنوان الكتاب المهدى إلى حسن البنّا	نص إهداء المؤلف إلى حسن البنّا	ملاحظات
		التفسير (خمسة مجلدات) سجل الإهداء على كل مجلد منها	فيمسعدنى أن أهدى هذا الكتاب إلى أستاذنا وطبيب نفوسنا ومرشدنا إلى الله حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الماجد السيد/ حسن البنّا - أيدّه الله بروح منه ليكون ذلك ذكرى لتلك الدروس القيمة النافعة التى يلقيناها الأستاذ حفظه الله بدار الإخوان المسلمين بالقاهرة، وأرجو أن يشرفنى فضيلة الأستاذ بقبول هذه الهدية المتواضعة مشكوراً والسلام: السويس فى ٥ ذى الحجة الحرام ١٣٥٨ من المخلص : محمد الهادى عطيه	والحديث بعد قوله «الدروس القيمة النافعة التى يلقيناها الأستاذ»
٥	محمد على بن صالح	الرجولة الكاملة	« إلى حامل لواء النصر المبين وجامع شتات المتفرقين محبى القلوب ومنعش الأرواح سيدى الأستاذ المرشد العام للإخوان المسلمين أتشرف بإهداء هذا الكتاب، الجندي الصغير/ محمد عى صالح ٧ صفر ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤	
٦	حامد البدرى الغوابى (الطبيب)	الطب الحديث يت رسم خطى الإسلام	«هدية المؤلف إلى حضرة الأستاذ الكبير حسن أفندى البنّا، للرشد العام للإخوان المسلمين، اعترافاً بجهوده فى سبيل الدعوة يقدمها جندى من جنود الإخوان المسلمين الدكتور الغوابى» ٢٢ جمادى الأولى ١٣٥٧ هـ	
٧	محمد أمين إسماعيل (مراقب عام جمعية الإخوان المسلمين وتحفيظ القرآن)	إشراق الضياء فى أذكاء الصبايح والمساء	«هدية لحضرة الأستاذ المحترم الشيخ حسن البنّا. المرشد العام لجمعية الإخوان المسلمين. الأخ المخلص محمد أمين إسماعيل» ١٩٤٠/٥/٧	الشيخ محمد أبو زهرة (الششتارى) هو العالم المعروف خريج دار العلوم دفعة حسن البنّا حيث تخرجها فى عام واحد.
٨	الشيخ محمد أبو زهرة	محاضرات فى النصرانية	«لحضرة صديقى المجاهد للحسب التقى الأستاذ/ حسن البنّا وفقه الله وسدد خطاه و أمدّه بروح منه » محمد أبو زهرة ١٩٤٢/٧/٢٨	

٤	اسم المؤلف صاحب الإهداء	عنوان الكتاب المهدى إلى حسن البنا	نص إهداء المؤلف إلى حسن البنا	ملاحظات
٩	محمد عبد الرحيم عنبر (إخصائى بمكتب البحوث الفنية بوزارة الشئون الاجتماعية)	مشكلة الفقر	إلى حضرة الأستاذ الكبير/ حسن البنا رئيس جماعة الإخوان المسلمين مع أوفر تقديرى وتمنيائى. المخلص/ محمد عبد الرحمن عنبر ١٩٤٢/٥/٣٦.	هذا الإهداء هو الوحيد من بين الإهداءات التى وصفت حسن البنا «رئيس جماعة الإخوان»
١٠	محمد تواضع	الصين والإسلام	«إلى حضرة فضيلة الأستاذ المرشد العام للإخوان المسلمين للتذكار من المؤلف/ محمد تواضع». ١٩٤٥/٦/٢٤	الكتاب واحد من سلسلة إصدارات قسم العالم الإسلامى بجماعة الإخوان المسلمين
١١	رزق عبد السيد البرماوى (مسيحى) وآخرون * عبد الله على علام * محمود سلامة	أفاميم اجتماعية	«إلى حضرة الأستاذ الفاضل صاحب الفضيلة الشيخ حسن البنا. المرشد العام الأمين للإخوان المسلمين، ندعو الله أن يديم عليه (الحمد) والإيمان للعمل لخير الإخوان وبنى الإنسان. رزق عبد السيد البرماوى ١٩٤٦.	يلاحظ أن صاحب الإهداء هو المسيحى من بين مؤلفي الكتاب - وجاء فى إهدائه بعض الكلمات غير المألوفة مثل «يديم عليه الصمد .. وبنى الإنسيان .. وهى صحيحة»
١٢	أسد الأشقر	من صميم لبنان	«إلى حضرة المرشد العام للإخوان المسلمين حسن البنا عربون تقدير واحترام». أسد الأشقر ٢٥ نيسان ١٩٤٦.	أطرف إهداء «عربون تقدير واحترام» !!
١٣	على الغاياتى (الشاعر المعروف)	وطنيتى	«منية ودية من المؤلف إلى حضرة الأستاذ المرشد العام الحاج حسن البنا» على الغاياتى ١٩٤٧/٣/٩.	احتفظ الباحث بصورة من نص الإهداء وهى الصفحة الأولى من الكتاب ويلاحظ الخط الجميل الذى كتب به على الغاياتى إهداءه بجبر شينى أسود.
١٤	على عبد الرازق الشيخ والقاضى	الإجماع فى الشريعة الإسلامية	حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المرشد حسن البنا تحية تقدير ومودة.	لدى الباحث صورة من نص الإهداء بخط على

٤	اسم المؤلف صاحب الإهداء	عنوان الكتاب المهدى إلى حسن البنا	نص إهداء المؤلف إلى حسن البنا	ملاحظات
	سابقاً		على عبد الرزاق - ١٧ مايو سنة ١٩٤٧.	عبد الرزاق وهي الصفحة الأولى من كتابه المذكور
١٥	على فكرى	القرآن ينبوع العلوم والعرفان	«هدية لفضية الأستاذ الجليل حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين مع احترامي». المؤلف على فكرى ١٩٤٧/٥/٨	
١٦	محمد بن كمال أحمد الخطيب (بن شهد معركة ميسلون)	نظرة العجلان في أغراض القرآن	«هدية للمؤلف لفضية المرشد الأكبر الأستاذ حسن بن البنا المعظم» محمد بن كمال الخطيب ٢٧ شوال ١٣٦٥ ٢٤ سبتمبر ١٩٤٧	يلاحظ الفاظ التعظيم والمبالغة فيها - وهي عادة الشوام
١٧	محب الدين الفقى التونسي	مأساة عرش : سلسلة من الحقائق التاريخية والوثائق السياسية - مكتب استعلامات للجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي	«إلى فضيلة الإمام المجدد الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين أبقاه الله وأيده بروح منه، من محب الدين الفقى التونسي» ٢٣ شعبان الأكرم ١٣٣٧ هـ.	الإهداء الوحيد الذي وصف فيه حسن البنا بأنه «مجدد»
١٨	عبد الله المزروع	نصحتي إلى إخواني في الدين والنسب	أهدى هذه الرسالة إلى المجاهد الكبير الأستاذ حسن البنا، وفقه الله ونفع به، عبد الله المزروع مكة المكرمة ١٥ ذوالحجة ١٣٦٤ نوفمبر ١٩٤٥.	توجد عدة إهداءات من المساجين بالملكة السعودية
١٩	محمد مراد	على هامش المشكلة النوبية	إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين من مؤلفه محمد مراد جماد آخر ١٣٦٦ هـ .	
٢٠	جفرى بطرس غالى	فلسطين : تقرير قدم إلى الاتحاد	إلى حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسن البنا، مع أصدق تحياتي /جفرى بطرس غالى.	يبدو أن صاحب الإهداء هو شقيق بطرس غالى

٣	اسم المؤلف صاحب الإهداء	عنوان الكتاب المهدى إلى حسن البنّا	نص إهداء المؤلف إلى حسن البنّا	ملاحظات
		البرلمانى الدولى عن هجرة الجماعات	١٩٤٦/١٢/٢٩ م	
٢١	راشد البرواى (الدكتور المعروف)	حرب البترول فى الشرق الأوسط	هدية إلى الأستاذ الجليل حسن البنّا المرشد العام للإخوان المسلمين مع التحية والتقدير. المخلص راشد البرواى ١٩٤٦/١/٢٩.	
٢٢	على نورونتوفتش ومحمد سيد الصوى	الإسلام فى بولونيا	هدية إلى استاذى الكبير ومرشدنا الأعلى الأستاذ حسن البنّا. محمد سيد الصوى ١٩٣٦/١٢/٥٤	
٢٣	محمد نجيب المستكاوى المحامى ومحمد على المستكاوى المهندس (مترجمان)	* فظائع الاحتلال البريطانى: الربيع فى دنشواى لبرناردشو * فظائع العدالة البريطانية فى مصر - ولغرد سكاوان بلنت	إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل للشيخ حسن البنّا المرشد العام للإخوان المسلمين ١٩٤٧/٨/١٤ محمد نجيب المستكاوى	
٢٤	محمود حامد محمد وجمال الدين الفندى	اكتشاف مصدر فيضان النيل نتاج جديدة على ضوء النظريات الميتروولوجية الحديثة	هدية لحضرة صاحب الفضيلة المرشد العام الأستاذ حسن البنّا مع الاحترام الوافر والإخلاص المتمايز من المؤلف محمود حامد ١٩٤٤/٤/٢٣.	
٢٥	محمد أبو زهرة الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول	مالك : حياته وعصره أراؤه وفقهه	لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ حسن البنّا حفظه الله وسدد خطاه محمد أبو زهرة ١٩٤٧/١٠/٢٨.	
٢٦	محمد حسين مكاوى باشمهندس بلدية ميت غمر	التقدم العمرانى لمدينة القاهرة والمدن المصرية الأخرى	هدية إلي فضيلة المرشد العام الأستاذ حسن البنّا محمد حسين مكاوى ١٩٤٢/٥/٢٥.	

٢	اسم المؤلف صاحب الإهداء	عنوان الكتاب للمهدي إلى حسن البنا	نص إهداء المؤلف إلى حسن البنا	ملاحظات
٢٧	أنور ودود	مهازل البهائية على مسرح السياسة والدين	تقدمه لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسن البنا للمرشد العام للإخوان المسلمين. المؤلف ١٩٤٧/١١/١٧.	
٢٨	أحمد أبو الخضرم منسى	كيف تنجح الحياة؟ ٨٠٠ حكمة وحديث لأعظم المشاهير	هدية من المؤلف ولاء وإكباراً إلى فضيلة الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين أحمد أبو الخضرم منسى في ٢٧/٥/١٩٤٧.	
٢٩	عبد الرحمن بن ناصر السعدي	تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله	إهداء لفضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا. عبد الرحمن بن ناصر ١٣٦٦هـ.	كتب عليه/ طبع على نفقة محمد نصيف بجده ومعظم الكتب المهداة من السعوديين كتب عليها نفس العبارة
٣٠	مصطفى أحمد الزرقا (وكيل كلية الحقوق بجامعة دمشق)	في فكرة الحق والالتزام، نظريتي الأشخاص والأموال في الفقه الإسلامي معالجة بالأسلوب الحقوقي للحديث	هدية للمؤلف إلى فضيلة الأستاذ الكبير للمرشد الشيخ حسن البنا المعظم. دمشق ٢٤ رجب ١٣٦٧، ٢٠ حزيران ١٩٤٨. مصطفى أحمد الزرقا	
٣١	أحمد تقي الدين	أحمد حسنين باشا فقيه مصر العظيم	هدية من المؤلف إلى الرجل العظيم إلى حامي ديار الإسلام من النفاق إلى المرشد الكبير حسن البنا، هدية إخلاص وإعجاب ولاء - المخلص أحمد تقي الدين مطار المرة في ٢٥/٣/١٩٤٨.	هذا أقرب إهداء صادف الباحث
٣٢	أحمد قهر الدين الأنونيسي	هذه هي أنونيسيا أثر المواد الأولية في مستقبل أنونيسيا السياسية	إلى أستاذي الكريم للمرشد العام للإخوان المسلمين فضيلة الشيخ حسن البنا. اعترافاً بعبادته الإخوان السامية وتقديراً لحسن صفيهم نحو العالم الإسلامي وخاصة أنونيسيا وأمل في الوحدة الإسلامية الكبرى مع عظيم الاحترام. قهر الدين الأنونيسي ١/١٣٦٧/١٩٤٧.	
٣٣	محمود شلبي	معجزة القرآن في جنة الرضوان	هدية لفضيلة الأستاذ الجليل حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين مع احترامي. المؤلف محمود شلبي ٨/٥/١٩٤٧.	

٢	اسم المؤلف صاحب الإهداء	عنوان الكتاب المهدى إلى حسن البنّا	نص إهداء المؤلف إلى حسن البنّا	ملاحظات
٣٤	عبد المغنى سعيد	العالم بعد الحريين	إلى فضيلة الأستاذ الكبير المرشد العام للإخوان المسلمين مع عظيم تقديري وأطيب تمنياتي . عبد المغنى سعيد	عبد المغنى سعيد كاتب ومؤلف معروف مخضرم مازال على قيد الحياة (بدون تاريخ للإهداء)
٣٥	يحيى أحمد الدرديري/ الدكتور في العلوم السياسية	مكانة العلم في القرآن دعوة الإسلام إلى العلم والعمل لخير الجميع وأثار ذلك في المدينة الغربية	إلى أخى وصديقى الأستاذ الكبير حسن البنّا المرشد العام للإخوان المسلمين مع أطيب تمنياتي المؤلف الدكتور/ يحيى أحمد الدرديري.	الدكتور يحيى من مؤسسى جمعية الشبان المسلمين (بدون تاريخ للإهداء)
٣٦	عبد الله عفيفي	الفتح المبين في العمل بالدين المتين	إهداء إلى الشيخ حسن البنّا المرشد العام للإخوان المسلمين . عبد الله عفيفي.	(بدون تاريخ للإهداء)
٣٧	عبد الرازق سلامة رئيس قسم القضايا	مكافحة الأمية	مهداة إلى فضيلة أستاذنا المرشد العام باكورة أرجو بدعواتكم أن توفق. عبد الرازق سلامة	(بدون تاريخ للإهداء)
٣٨	علي الغزالي الجبيلي مفتش بالأوقاف	حق الفرد كإنسان	أهدى رسالتي هذه إلى حضرة صاحب الفضيلة للمجاهد الإسلامي الكبير الأستاذ حسن البنّا المرشد العام للإخوان المسلمين مع أحسن تمنيات النجاح، على الغزالي الجبيلي ١٩٤٨/٦/٢ هـ	صاحب الإهداء شقيق الحاجة زينب الغزالي - المروقة -
٣٩	عباس كرامة	الدين والأدب	هدية وفاء وإخلاص من المؤلف إلى زميلي وأخى الحج فضيلة المرشد العام الأستاذ الشيخ حسن البنّا حفظه الله. عباس كرامة ٢٨ ذي الحجة ١٣٦٣ هـ	
٤٠	الشيخ محمود محمد خطاب السبكي	المقامات العلية في النشأة الفخيمة النبوية	إلى حضرة الأستاذ الجليل المرشد العام للإخوان المسلمين، محمود خطاب السبكي	صاحب الإهداء هو مؤسس ورئيس الجمعية الشرعية
٤١	محمد أبو الفيض المنوفى	كتاب الوجود: مباحث في الله والطبيعة والإنسان	من المؤلف لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسن البنّا المرشد العام للإخوان المسلمين هدية تقدير واحترام . محمد أبو الفيض المنوفى.	(بدون تاريخ للإهداء)
٤٢	محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين الفقيه	حياة لقلوب بدعاء علام الغيوب	هدية تذكارية للأخ الأستاذ الفاضل الشيخ حسن البنّا المرشد العام للإخوان المسلمين محمد عبد الظاهر	بدون تاريخ للإهداء

٢	اسم المؤلف صاحب الإهداء	عنوان الكتاب المهدى إلى حسن البنّا	نص إهداء المؤلف إلى حسن البنّا	ملاحظات
٤٣	محمد عبد العظيم الزرقانى	مناهل العرفان فى علوم القرآن	إلى فضيلة المرشد الكبير صديقى الأستاذ حسن البنّا أهدي هذا الكتاب تحية للإخوان المسلمين ودعوتهم. للخلص محمد عبد العظيم الزرقانى	
٤٤	عبد الرحمن بن ناصر السعدي (من علماء عترة بالمملكة العربية السعودية)	القواعد الحسان لتفسير القرآن	إهداء لفضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ حسن البنّا.	( بدون تاريخ للإهداء )
٤٥	إبراهيم السيد القلش ( مدرس )	منار الرشيد	هدية المؤلف إلى حضرة الفاضل حسن أفندى البنّا رئيس جمعية الإخوان المسلمين إبراهيم السيد المدرس بمدرسة الحسينية الأميرية.	( بدون تاريخ للإهداء )
٤٦	محمد عبد العزيز الخولى	القرآن - وصفه - هدايته - أثره - إعجازه	هدية لفضيلة الأستاذ الجليل المرشد العام للإخوان المسلمين الأستاذ حسن البنّا . «إدارة مجلة التقوى»	
٤٧	علوى بن عباس المالكى	المذهب اللطيف فى أحكام الحديث الشريف	هدية من المؤلف إلى حضرة فضيلة العالم الجليل الشيخ حسن البنّا ويطلب المهدى الدعاء والإجازة والإرشاد بالنصائح الغالية كما أرى أخص جماعة الإخوان المسلمين بالسلام وأرجوكم تبليغ سلامى إليهم. علوى	( بدون تاريخ للإهداء )
٤٨	أنور الجندى	كفاح النبيحتين فلسطين والمغرب	إلى أستاذنا وإمامنا فضيلة المرشد العام حفظه الله نهدي الرسالة الثانية من سلسلة رسائل تاريخ الفكرة الإسلامية . الجندى المخلص / أنور الجندى	صاحب الإهداء هو الكاتب والمؤلف المعروف
٤٩	مسعد محمود سلام (طبيب)	دم جديد	إلى فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين وقائدهم الأمين. أهدي كتابي له يذكيني جنديا من جنود الدعوة . مسعد محمود سلام كلية الطب	دون تاريخ للإهداء وهو الإهداء الوحيد الذى عثر عليه الباحث يطلب صاحبه فيه الانضمام إلى الإخوان المسلمين



٢	اسم المؤلف صاحب الإهداء	عنوان الكتاب المهدى إلى حسن البنا	نص إهداء المؤلف إلى حسن البنا	ملاحظات
٥٠	عبد الرحمن بن يوسف الأفريقى	توضيح الحج والعمرة	هدية من المؤلف إلى حضرة الأستاذ المرشد الأعظم الشيخ حسن البنا الموقر. للمدينة المنورة/ عبد الرحمن الأفريقى	(بدون تاريخ للإهداء)
٥١	صبرى أبو المجد	وحى الوطنية	إلى الأستاذ الفاضل زعيم الإخوان المسلمين إلى داعية الحق أستاذنا الكبير صاحب الفضيلة الشيخ حسن البنا، يهدى أحد تلاميذه إليه كتابه صبرى أبو المجد من الإخوان المسلمين بالمتصورة	الإهداء الوحيد الذى صانده الباحث وصرح كاتبه بأنه من الإخوان المسلمين.
٥٢	حسين الهراوى (دكتور)	فضل العرب على الجراحة	لمثل الزعامة الإسلامية ومجدد شباب الإسلام فضيلة الأستاذ الكبير للمرشد العام للإخوان المسلمين حسن البنا. حسين الهراوى.	
٥٣	أمين حافظ شرف	الحن الملكى وزهر التلج	يا زعيم المجاهدين وأمل المؤمنين الأخ العالم الفاضل نايف الزمن الأستاذ/ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين أعزه الله. عرة المحرم ١٣٦٧ / ١٤ - ١٩٤٧/١١/١٤ أمين حافظ شرف.	

## ٢ - كتب مهداة إليه وهى ليست من تأليف من أهدوها

٢	اسم كاتب الإهداء	عنوان الكتاب المهدى إلى حسن البنا	نص الإهداء	ملاحظات
٥٤	محمد نصيف (جدة)	رسالة الشوك ومظاهرة تأليف / مبارك محمد المليلى	هدية لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن البنا المرشد العام لجمعية الإخوان المسلمين ١٩ صفر ١٣٥٧ جدة / الحجاز محمد نصيف	أهدى الشيخ محمد نصيف عدة كتب لحسن البنا
٥٥	عبد الرحمن رضا	خفايا المبشرين في تنصير أبناء المسلمين تأليف أحمد محمد سلمان	إهداء : إلى أستاذى ومولائى ومرشدى حسن أحمد البنا . ١٩٣٤/٥/٢٣ عبد الرحمن رضا .	
٥٦	عبد الهادى . (الاسم غير كامل)	الأوقاف الإسلامية: محاضرة الأستاذ عبد القادر السيسى	تقدم إلى الأستاذ حسن أفندى البنا . المرشد العام للإخوان المسلمين فى مصر ١٣٣٦/١١/١٢ رئيس جماعة الإخوان المسلمين بطلب عبد الهادى .	
٥٧	حسن محمود الحجال	القصد الجرد فى معرفة الرسم المفرد ، لابن عطاء الله السكندرى	ذكرى حب وإخاء فى الله إلى حسن البنا أفندى الداعى إلى ربه أكثر الله فى الأمة الإسلامية أمثال حضرته ، المخلص حسن محمود الحجال ٢٠ الحجة ١٣٤٩ هـ	
٥٨	محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية	الأشغية : مع بيان أمراض القلب	ذكرى لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين لزيارته لجماعة أنصار السنة المحمدية مساء السبت ٢٩ رجب ١٣٥٧ . محمد حامد الفقى .	
٥٩	محمد السعيد أحمد (دكتور)	الأنكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار للإمام النووى	إلى صاحب الفضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين أهدى تلك القدوة الصالحة بمناسبة سفرى إلى الأقطار الهجازية . تكتب محمد السعيد أحمد / شعبة الحلة الكبرى . سنة ١٣٥٨ هـ	

٢	اسم المؤلف صاحب الإهداء	عنوان الكتاب المهدى إلى حسن البنا	نص إهداء المؤلف إلى حسن البنا	ملاحظات
٦٠	السيد تصدق حسين القادري	الإسلام والنظام العالمي الجديد تأليف مولاى محمد على رئيس الرابطة الأحمدية لإشاعة الإسلام بلاهور ترجمة أحمد جودة السحر	للتقد والتكريز هدية لحضرة صاحب الفضيلة المجاهد الكبير حسن البنا المحترم المرشد العام للإخوان المسلمين بالقاهرة. من السيد تصدق حسين القادري باب الأنمار شارع الرشيد بغداد ٢٩ شوال ١٣٦٥ هـ.	
٦١	عبد الرؤوف (الاسم غير كامل)	التوجيه الأدبي . تأليف أحمد أمين - طه حسين - عبد الوهاب عزام - محمد عوض محمد	استاذى الجليل بعد التحية : لم أستطع أن احدى أماكن خاصة في هذا الكتاب كي تقرأ فكله ذو خاصية واحدة هي ما أعرفه وتعرفه عن الدكتور طه حسين. خادمكم عبد الرؤوف.	بدون تاريخ للإهداء
٦٢	محمد نصيف يحيى الجماني	صيانة الإنسان عن وسوسة الشيطان دحلان	إهداء إلى حضرة الشيخ حسن البنا المحترم .. من طرق محمد نصيف يحيى الجماني.	بدون تاريخ للإهداء
٦٣	يس محمود زيان (واعظ)	مكارم الأخلاق لأبي منصور الثعالبي	إهداء من الأخ يس محمود زيان واعظ منطقة الجمرات بالإسكندرية إلى فضيلة المرشد العام الأستاذ حسن البنا .	بدون تاريخ للإهداء
٦٤	محمد خليل الخطيب	الفتوح لمعرفة أحوال الروح تأليف عبد الهادي بن الإبياري	إلى من أوتى الحكمة وفصل الخطاب إلى حجة الله على الشباب إلى إمام الأئمة إلى مرشد الضالين إلى العزيز التواب إلى أطيح النفوس من الأوصاب إلى أخى وأستاذى حسن أحمد البنا المرشد العام للإخوان المسلمين أهدى خير كتاب ألف في هذا الباب. محمد خليل الخطيب.	

# ب - دراسة تحليلية وثائقية للإهداءات

هؤلاء، ولكنه لا بد أن يكون متعلماً. وهو إلى ذلك قد يكون صديقاً، أو جاراً، أو مريداً، أو ذاحاجة. وقد حض الرسول صلى الله عليه وسلم على الهدية لتأليف القلوب فقال «تهادوا تحابوا».

• وكلما تنوعت فئات الذين يقومون بإهداء الكتب إلى شخص بعينه، دل ذلك على أنه موضع احترام في نظرهم، وربما في نظر الوسط الثقافي الذي يمثلونه، والطبقات الاجتماعية التي ينتمون إليها أيضاً. كما أن تنوع موضوعات الكتب المهداة، واختلاف القضايا التي تتناولها، يدلان على تنوع اهتمامات المهدي إليه، واتساع إفقده، وقدرته على إقامة علاقات طيبة مع أصحاب الآراء والأفكار والاهتمامات المتباينة. وإلى جانب كل ذلك، فإن اختيار «كتاب» ليكون هدية إلى شخص ما، يدل من ناحية المهدي على حسن ذوقه، ورفي سلوكه أما من ناحية المهدي إليه فيدل على شهرته بحب العلم وتقديره للكتب.

تلك إذن نبذة عن أهم الدلالات التاريخية، والفكرية، والاجتماعية، والسياسية العامة لظاهرة التهادي بالكتب. فهل كانت للإهداءات التي

لى أن لهذه الكتب المهداة إليه أهمية فكرية وثقافية وسياسية متشعبة الدلالات، وتفوق أهميتها العددية إذا قارناها بإجمالي ما في مكتبته من كتب.

فظاهرة «التهادي بالكتب» بصفة عامة هي من الظواهر التي عرفت بدرجات متفاوتة - في التاريخ العلمي والثقافي والأدبي للحضارة العربية الإسلامية، بل إنها عرفت أيضاً في تاريخها السياسي، وخاصة في عصور الازدهار والتألق العلمي؛ إذ أدى حب الظفاء والأمراء والسلاطين للكتب والمؤلفات في مختلف مجالات العلم، إلى رواج عملية إهدائها إليهم، وخاصة تلك الكتب التي كانت تخلو منها خزائنهم، وذلك كوسيلة للتقرب منهم، ونوال رضاهم وعطاياهم، والفوز بالصلوات أو المناصب.

ولايزال المشتغلون بالعلم والثقافة والأدب يتهاونون بالكتب فيما بينهم تأكيداً لروابط الصداقة والتعارف، أو طلباً للرأى والنصيحة، أو حتى من باب الإعلام والإعلان عن أعمالهم. وأياً ما كان الغرض من إهداء الكتب، فإن مقدمها - أو مستقبلها - لا يشترط فيه الغنى، ولا الجاه أو المنصب، كما لا يمنع أن يكون من

تضم المكتبة الخاصة بالشيخ حسن البنا مجموعة من الكتب المهداة إليه إبان حياته - إما من مؤلفيها مباشرة - وكان هذا هو الغالب - أو من أناس آخرين غير مؤلفيها في بعض الحالات. وكان أول من أهداه كتباً هو والده الشيخ أحمد، وقد تحدث عن ذلك في «مذكرات الدعوة والداعية» وذكر أن الكتب التي أهداها إليه والده تركت في نفسه «أعمق الأثر» مثل كتاب «الأنوار المحمدية» للنبهاني، و«مختصر المواهب اللدنية» للقسطلاني، ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين» للشيخ الخضرى . وقد عثرت على نسخ تلك الكتب في مكتبته الخاصة أثناء عملي بها، ولكن غير مدون بأى منها نص إهداء من والده .

أما الكتب المهداة إليه ، وعليها نصوص إهداءات الذين أهدوها، فعدها حوالى مائة كتاب في موضوعات شتى كما سنرى . ولا يمثل هذا العدد إلا نسبة ضئيلة من إجمالي عدد كتب مكتبته الموجودة حالياً (عدد الكتب المهداة يساوى  $\frac{1}{30}$  من إجمالي كتب المكتبة تقريباً). وبعد حصرها، ومعرفة ما فيها، تبين

تلقاها الشيخ حسن البنا من الكتب مثل هذه الدلالات؟

لقد قمت أثناء فحصي مكتبة الشيخ في صيف سنة ١٩٨٩ برصد وتسجيل عناوين الكتب التي أهديت إليه، وأسماؤها فيها، وأصحاب الإهداءات، واستهوتني - بصفة خاصة - نصوص الإهداءات للكتوبة على وجه الصفحة الأولى - عادة -

من كل كتاب مهدى إليه، وتاريخ الإهداء إن كان موجوداً. ولم أنفص يدى من المكتبة إلا بعد أن أتيت على ما فيها من كتب كتاباً كتاباً، مسجلاً بياناتها، ونافلاً لنصوص الإهداءات كلما عثرت على نص منها، ثم صنفت تلك الإهداءات، ورتبتها ترتيباً زمنياً، وفقاً لتواريخ الإهداءات نفسها، وسجلت حصيلة هذا العمل فى الجدول، الذى ستقدمه هنا بتمامه - وتتفرد مجلة القاهرة بنشره لأول مرة - وذلك بعد تحليل محتواه فى ضوء الدلالات العامة السالف ذكرها عن ظاهرة التهادى بالكتب. ولهذا التحليل ثلاثة محاور أساسية: أولها يدور حول «مؤلف الكتاب وصاحب الإهداء» وثانيها حول عنوان الكتاب المهدى وموضوعه، وثالثها حول نص الإهداء المكتوب وتاريخه. أى أننا سوف نتحدث عن «صاحب الهدية» و«موضوع الهدية» وعن «شخص المهدى إليه» من خلال نصوص الإهداء.

## أولاً: من هم أصحاب الكتب المهداة؟

الذين أهدوا كتباً للشيخ حسن البنا - من واقع أسمائهم، ومهنتهم،

وما نعرفه عن المكانة الاجتماعية والأدبية لبعضهم - كانوا جُداً متنوعين، بحيث يمكن القول إنهم فى جملتهم يمثلون عينة من مختلف أقسام الانتلجانشيا المصرية الجديدة ذات التعليم المبنى الحديث، وعينة من فئة علماء الأزهر وقادة الجمعيات الإسلامية ذوى الثقافة الدينية والقرائية.

ولم تات الإهداءات من شخصيات تنتمى لطبقة اجتماعية تون غيرها، أو من أبناء مهنة واحدة، أو حتى أبناء وطن واحد أو دين واحد، وإنما هم خليط من كل هذا، ومن مستويات ثقافية متباينة. فمعهم من كان يعد رمزاً من الرموز الفكرية التى أثارت جدلاً سياسياً وثقافياً ودينياً حاداً فى بدايات العهد الملكي، وهو الشيخ على عبد الرازق، مؤلف كتاب الإسلام وأصول الحكم الذى أثار هذا الجدل المشار إليه. ولم يكن الشيخ حسن البنا قد تخرج من دار العلوم عندما صدر كتاب الشيخ على سنة ١٩٢٥، وعثرت على نسخة ( طبعة أولى ) من الكتاب فى مكتبته، وقد سجل على هوامش بعض صفحاتها ملاحظات وتعليقات بخط يده، يؤكد فيها على اختلافه مع الشيخ على فيما ذهب إليه فى هذا الكتاب.

ولا تحدثنا مصادر تلك الحقبة عما إذا كانت هناك علاقة ما بين الشيخ على عبد الرازق والشيخ حسن البنا أم لا ؟ وذلك قبل أن يهديه كتابه «الإجماع فى الشريعة الإسلامية» وكان نص إهدائه هو «حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المرشد حسن البنا، تحية تقدير

ومودة على عبد الرازق ١٧ مايو سنة ١٩٤٧» ويبدو - على أية حال - أن العلاقة بينهما كانت قائمة على المودة والتقدير المتبادل لا التدابر أو التناظر.

ومن الذين أهدوا الشيخ حسن البنا كتباً، قيادات بارزة فى مجال الدعوة والإرشاد كانوا أكبر منه سناً، وسبقوه بتأسيس جمعيات إسلامية قبل أن يؤسس هو جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨. مثل الشيخ محمود محمد خطاب السبكي، مؤسس الجمعية الشرعية سنة ١٩١٢، الذى أهداه نسخة من كتاب له بعنوان «المقامات العلية فى النشأة الفخيمة النبوية» وكذلك أهداه الشيخ محمد حامد الفقى، مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٩٢٢، نسخة من كتاب له بعنوان «الأشفيى مع بيان أمراض القلب». والذكطور يحيى أحمد الدرديرى وهو من مؤسسى جمعية الشبان المسلمين سنة ١٩٢٧ أهداه نسخة من كتاب له بعنوان «مكانة العلم فى القرآن، ودعوة الإسلام إلى العلم والعمل لخير الجميع، وأثار ذلك فى المدينة الغربية».

ومتهم أساتذة جامعة، مثل الدكتور راشد البراوى الذى أهداه نسخة من كتابه «حرب البترول فى الشرق الأوسط» وبذلك بتاريخ ١٩٤٦/٧/٢٩. والشيخ مصطفى أحمد الزرقاء، الذى كان وكيلاً لكلية الحقوق بجامعة دمشق حين أهداه نسخة من كتابه «فى فكرة الحق والالتزام...» وكذلك الشيخ / محمد أبو زهرة الأستاذ بكلية الحقوق -

جامعة فؤاد آنذاك - أهداه عدة نسخ من كتابه «مالك: حياته، وعصره، وأراؤه، وفقهه»، ونسخة من كتابه «محاضرات فى النصرانية».

ومنهم، أيضاً، الأديب والشاعر والكاتب الصحفى، أمثال: الشيخ على الغياياتى منشئ مجلة «منبر الشرق»، والشاعر الوطنى ذائع الصيت. وقد أهدى إلى الشيخ حسن البنا نسخة من ديوانه «وطنيتى». وعبد المغنى سعيد - الصحفى والكاتب - أهداه نسخة من كتابه «العالم بعد حربين».

وصبرى أبو المجد، الصحفى، أهداه نسخة من كتابه «وحى الوطنية».

ومنهم كذلك، مهنيون من المحامين والأطباء والمهندسين والمدرسين، أمثال محمد الهادى عطية، المحامى الشرعى بالسويس - آنذاك - الذى أهداه نسخة من كتابه «فتح القدير فى علم التفسير» (خمس مجلدات)، ومحمد حسين مكايى، باشمهندس بلدية ميت غمر - آنذاك - الذى أهداه نسخة من كتابه «التقدم العمرانى لمدينة القاهرة، والمدن المصرية الأخرى» وأهداه الطبيب مسعد محمود سلام - بكلية الطب - نسخة من كتاب له بعنوان «دم جديد» وكذلك الدكتور حسين الهراوى أهداه نسخة من كتابه «فضل العرب على الجراحة» وأهداه المدرس إبراهيم السيد القلش نسخة من كتاب له بعنوان «منار الرشيد».

وكان منهم موظفون بسطاء بالجهاز الإدارى للدولة، أو بالمؤسسات الحكومية مثل: محمد

عبد الرحيم عنبر - إخصائى بمكتب البحوث بوزارة الشؤون الاجتماعية آنذاك - أهداه نسخة من كتابه «مشكلة الفقر» وأهداه عبد الرزاق سلامة - رئيس قسم القضايا آنذاك - نسخة من كتابه «مكافحة الأمية... الخ

ويعضهم كان من المنتمين لجماعة الإخوان المسلمين، منهم: محمد أمين إسماعيل - كان مراقباً عاماً بجمعية الإخوان - وأنور الجندي الكاتب الإسلامى (من إخوان القاهرة)، ومحمد السيد أحمد (طبيب من إخوان المحلة الكبرى) ... الخ

وكان بعضهم من الأتباط أمثال: جفرى بطرس غالى، وزير عبد السيد البرماوى وبعضهم الآخر من أبناء الاقطار العربية والإسلامية أمثال: أسد الأشقر من لبنان، ومحمد بن كمال الخطيب من سوريا، ومحب الدين الفقى من تونس، وعبد الرحمن بن ناصر السعدى من السعودية، وأحمد قهر الدين من أندونيسيا...

ويشير هذا التنوع والتعدد فى الانتماءات الاجتماعية والمهنية والثقافية للذين أهدوا كتباً للشيخ حسن البنا إلى أحد أمرين أو هما معاً:

الامر الأول هو شمول صلاته واتصالاته بمختلف تلك الفئات والطبقات والمستويات الثقافية فى المجتمع، ويبدو هذا متسقاً مع شمول دعوته إلى الإسلام، كما يبدو متفقاً مع رأى استاذنا الكبير طارق البشرى فى الشيخ حسن البنا أنه كان «شخصية مجمعة تألف وتؤلف»

أما الأمر الثانى فهو أن الدعوة التى نادى بهسا، والخطاب الذى مارسه عبر وسائل متنوعة، مثل الكتابة فى الصحف والمجلات، وإلقاء الخطب فى الاحتفالات العامة، وإصدار الرسائل، وإقامة المشروعات الاجتماعية والاقتصادية: هذه الدعوة وذلك الخطاب قد جذبا عناصر من فئات شتى، ولقيا قبولاً واستجابة لدى أبناء قطاعات مختلفة من المجتمع.

## ثانياً: تصنيف وتحليل الكتب المهداة

بتنوع انتماءات واهتمامات الذين أهدوا كتباً إلى الشيخ حسن البنا؛ تنوعت عناوين كتبهم المهداة إليه، ومن ثم تعددت موضوعاتها والمجالات العلمية والثقافية التى تنسب إليها.

ومن خلال عناوين تلك الكتب، ومراجعة موضوعاتها، والقضايا التى تناولتها أمكن تصنيفها فى ثلاثة عشر مجالاً من مجالات العلم والفن والأدب والثقافة وهى:

١ - علوم القرآن وتفسيره

٢ - علم الحديث النبوى

٣ - السيرة النبوية

٤ - الفقه وأصوله

٥ - العقيدة

٦ - الرقائق والأذكار ومكارم الأخلاق

٧ - علوم التصوف

٨ - الفلسفة الإسلامية

٩ - التاريخ والسياسة

١٠ - الأدب والفنون

والأمثلة من الكتب المهداة إليه في كل مجال من تلك المجالات كثيرة، ومثبتة في الجدول المرفق بعناوين الكتب المهداة وأسماء أصحاب الإهداءات ونصوص إهداءاتهم.

ولعل أهم ما نلاحظه بخصوص تنوع عناوين الكتب المهداة إليه وتعدد موضوعاتها أنها رغم هذا التنوع والتعدد لم تكن جديدة على الشيخ حسن البنا أو غريبة عن اهتماماته؛ إذ نجد في الكتب التي اقتناها بنفسه كتباً تناولت نفس الموضوعات التي تناولتها الكتب التي أهديت إليه، بل وأكثر منها عدداً - بطبيعة الحال - وتنوعاً على نحو ما هو وارد بهذا الملف في الجزء الخاص بتحليل مكونات مكتبته الخاصة.

ويدل هذا التنوع الكبير في الكتب المهداة إليه، على أنه اشتهر، وعرف باتساع أفقه، ورحابة صدره، وحبه للعلم، وحرصه على تحصيله مما دفع معارفه ومحبيه وراغبى التعرف عليه إلى إقدامهم على إهدائه نسخاً من كتب من تأليفهم، أو من تأليف قوم آخرين. وثمة دلائل كثيرة تؤكد صحة هذا الاستنتاج، لاجابة إلى التفتيش فيها هنا، وإنما لفت نظري بيت من الشعر (رجز) كثيراً ما سجله الشيخ حسن البنا على أغلفة كتب مكتبته، أو في هوامش صفحاتها كما في كتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» لمحمد بك دياب، فقد كتب على صفحة الغلاف الداخلي له «العلم شيء حسن فكن له ذا طلب».

ومن واقع ما شاهدته في مكتبته، وما تركه هو من آثار مكتوبة على صفحات وأغلفة الكتب، يمكن القول باطمئنان إن حسن البنا كان طلياً للعلم، قراءاً للكتب، جُماعاً لها أنى وجدها، وأنه لم يحصر نفسه في مجال واحد من مجالات العلم والمعرفة، بل انفتح عليها قدر طاقته، وقد تبين ذلك من تحليلنا لمكونات مكتبته، التي ضمت إلى جانب كتب التراث وفروع العلوم المختلفة، كتباً مترجمة في معارف شتى منها نسخة من كتاب «الآفات الاجتماعية» تأليف توستوتى، وترجمة محمد رضا، ونسخة من كتاب «التربية الاستقلالية»، أو إميل القرن التاسع عشر «تأليف ألفونس أسكيروس» وترجمة عبد العزيز محمد، ونسخة من قصة بيركلي «أميرصور» ترجمة محمود لطفى ثابت، و «مقدمة الحضارات الأولى» لفيستاف لويون، وترجمة محمد صادق رستم، ونسخة من رائعة شلي «برومثيوس طلياً» ترجمة الدكتور لويس عوض. ونسخة من «البيان الشيوعي» لماركس وإنجلز، مترجم ومطبوع في دمشق سنة ١٩٤٣. ونسخة من كتاب لينين «الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية» ترجمة الدكتور راشد البراوي، ونسخة من مذكرات لينين عن الحروب الأوروبية: ماضيها وحاضرها مترجمها عن الفرنسية أحمد رفعت سنة ١٩٢٢ بالقاهرة. ونسخة من قصة حياة د. كاجاوا الزعيم الياباني المشهور، تأليف وليم كسلنج، وترجمة حبيب سعيد، وهل نذكر نماذج أخرى لبعض الكتب ذات الطبيعة الخاصة التي اقتناها الشيخ

حسن البنا وضمها لمكتبته مثل: كتاب «نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان»، كتاب «الأرج في الفرج» ورسالة «الموسيقى العربية» لحكيم الشرق الشيخ طنطاوي جوهري؟ وهذا مما لا تعليق عليه.

### ثالثاً : تحليل نصوص كلمات الإهداء .

تعتبر نصوص كلمات الإهداء عن الشحنة الانفعالية التي دفعت صاحبها إلى تقديم هديته . إنها نافذة على مكون صدره تجاه الشخص الذي يتوجه إليه بها ، حتى ولو اتسمت تلك الكلمات بشيء من المبالغة في الإطراء ، والإسراف في إسباغ الألقاب والنعوت الجليلة على متلقى الهدية؛ فالقلم الذي يكتب إهداء على الورق يمتدح من عقل وقلب صاحبه معاً ، وفي هذا يصدق قول ابن المقفع «القلم بريد القلب، يخبر بالخبر، وينظر بلا نظر» .

ويمكن تحليل «نص الإهداء» باعتباره «رسالة قصيرة» مصاغة في عدد محدود من كلمات التكرير والمجاملة؛ التي عادة ما تتضمن عدة ألقاب يصف بها المهدى صاحبه «المهدى إليه» ، وقد يشفعها «بدعا» أو رجاء يومي؛ إلى غرضه من الإهداء، ثم يذيله بتوثيقه وتاريخ تقديمه للهديته وذلك في معظم الحالات.

وأول ما نلاحظه على «نصوص الإهداءات» التي جمعناها من الكتب المهداة إلى الشيخ حسن البنا؛ أن نص الإهداء، من حيث طوله أو قصره، لا يقل عن عشر كلمات (وأماثلته

كثيرة) ولم يزد عن سبعين كلمة (وهو نص إهداء الشيخ محمد الهادي عطية) وأن النصوص مكتوبة بلغة عربية سليمة، وبخطوط بعضها واضح وجميل (مثل خط الشيخ على الغاياتي في إهدائه)، وبعضها يقرأ بصعوبة (مثل خط محب الدين الفقي التونسي في إهدائه) . كما أن بعض الإهداءات مزيل بتوقيع صاحبه وتاريخ إهدائه ، وبعضها الآخر غير مزيل إما بالتوقيع، أو التاريخ، أو هما معاً .

وفي ضوء ما سبق ذكره عن أصحاب الإهداءات وانتماءاتهم، وعن الكتب المهداة ذاتها وأصنافها: يمكننا الآن إخضاع نصوص تلك الإهداءات للتحليل العلمي للوصول إلى خلاصة عامة حول «صورة حسن البناء» في مدرجات الآخرين من معاصريه، من خلال هذا المصدر المادي المكتوب (الإهداءات) وذلك من خلال العناصر الأربعة التالية:

- ١ - الألقاب الواردة بالإهداءات .
  - ٢ - الغرض العام من الإهداءات .
  - ٣ - الغرض الخاص منها .
  - ٤ - الدعاء المتضمن فيها .
- وبيان ذلك هو الأتي

#### ١ - تحليل الألقاب :

تضمن كل إهداء لقبين على الأقل (ومثاله : إلى حضرة - المرشد العام...) واثني عشر لقباً على الأكثر (ومثاله الوحيد هو ماورد بنص إهداء الشيخ الهادي عطية) وبمتوسط ستة - أو خمسة - ألقاب في نص الإهداء الواحد (ومثاله : حضرة - صاحب الفضيلة - المجاهد الإسلامي - الأستاذ - المرشد العام ...)

والجدول التالي يوضح أهم تلك الألقاب الواردة بنصوص الإهداءات، وعدد مرات تكرار كل منها على حدة في جميع الإهداءات (مرتبة ترتيباً تنازلياً حسب عدد مرات ورودها) .

و«اللقب» - في أصله اللغوي - يعنى «التَّبرُّع» ، وهو ما ينكر من عيوب الشخص، ويجب هو ستره قال تعالى : «ولا تتبايزوا بالألقاب» ، ثم تطور استعماله، وأجيز في موضع النعت الحسن ، وكثر استعماله بهذا المعنى - بمرور الزمن وتغير الأحوال - حتى شاعت دلالة على التشريف والمرح والتكريم . ولكن كيف يكتسب شخص . بعينه - لقباً أو عدداً من الألقاب ؟

وقد يكون اكتساب اللقب بطريقة «قانونية رسمية» ، فختص بمنحه الدواوين أو الهيئات الحكومية، أو الخليفة أو السلطان أو الملك، كما كان يحدث في الماضي، وكما كان يحدث في مصر إلى عهد قريب قبل سنة ١٩٥٢ . وقد يكون اكتسابه بطريقة شعبية . جماهيرية - غير رسمية - كما هو الحال بالنسبة لألقاب العلماء والزهاد، والأولياء، وأصحاب الجاه .

م	اللقب	عدد مرات تكراره	م	اللقب	عدد مرات تكراره
١	الأستاذ (أستاذي - أستاذنا)	٥٣	٨	الجليل	٦
٢	المرشد العام (للمرشد - مرشدي)	٥٠	٩	الأخ (أخي)	٥
٣	حضرة	٢٥	١٠	أفندي	٤
٤	فضيلة	٢٤	١١	المجاهد	٤
٥	الشيخ	١٩	١٢	الإمام	٣
٦	صاحب الفضيلة	١٥	١٣	الحاج	٢
٧	الكبير	١٢	١٤	الأمين	٢



## ● حسن « أفندى » البنا

ولم يكتب حسن البنا لقباً من الألقاب التي عرف بها بطريقة قانونية رسمية سوى لقب « أفندى » الذي حمله رسمياً بعد تخرجه في كلية دار العلوم سنة ١٩٢٧، وذلك بموجب القرار الوزاري الصادر في ديسمبر من تلك السنة، والذي نص على تليقب طلبة وخريجي الدار بلقب أفندى بدلاً من لقب « الشيخ ».

ولقب « أفندى » أصله يوناني of-fentis ويعني « القائد المطلق ». وذكر ابن بطوطه في رحلته أن هذا اللقب كان يطلق على شقيق السلطان في بعض السلطنات التي زارها. واستعمله بعض الأوروبيين في عصورهم الوسطى بمعنى « الأمير » أو « البرنس ». أما الاستخدام المصري له في الحقبة التي عاشها حسن البنا، فقد كان يشير - من الناحية الثقافية إلى ذي مستوى تعليمي متوسط أو عال. أما من الناحية الاجتماعية فقد كان يشير إلى الشرائح المتوسطة في المرتبة الاجتماعية، إلا أن دلالاته على التخرج من المؤسسة التعليمية الحديثة قد غلب على استعماله في تلك الفترة، وارتبط - منحه لطلبة خريجي دار العلوم بتغيير زعيم السابق الذي كان يتناسب مع لقب « الشيخ »، فخلعوا الجبة والقباء والعمامة، وارتدوا زى الأفندية (البذلة والطربوش)، وكانت هذه العملية جزءاً من المعركة الكبرى التي دارت رحاها في المجتمع المصري آنذاك بين أنصار القديم وأنصار الجديد أو الحديث. ولم يتمتع الشيخ حسن البنا عن تغيير

زيه، ولبس مع زملائه البذلة والطربوش، بعد أن أقنعه ناظر دار العلوم بأنه « يحسن عدم الظهور بمظهر النقسمن: فريق معممون، وفريق مطريشون » وقد كان المتسكون بالعمامة هم الأقل عدداً، طبقاً لما أورده البنا في « مذكرات الدعوة والداعية ».

وفيما عدا لقب أفندى، اكتسب البنا بقية الألقاب بطريقة شعبية جماهيرية. وتفاوتت هذه الألقاب من حيث مدى شيوعها والتصاقها به. وعلى أية حال فقد ثبت له لقب « أستاذ »، ولقب « المرشد العام »، ولقب « الشيخ » ولقب « الإمام » وأضيف إليه وصف « الشهيد » بعد اغتياله في فبراير سنة ١٩٤٩.

## ● الأستاذ

أما لقب « الأستاذ » فهو أشهر الألقاب، وإذا أطلق في أوساط الإخوان قصد به حسن البنا أو « المرشد العام ». وأصل كلمة « أستاذ » أعجمي، وهي تعريب كلمة « اصطي » الفارسية وهي تعني الماهر العظيم الجامع لدين الأنبياء، وتبدير الحكماء وسياسة الملوك، ويُلحَّن تكرار هذا اللقب في نصوص الإهداءات - وهو أكثر الألقاب تكراراً إذ ورد ٥٣ مرة في ٦٤ نص إهداء يليه « المرشد العام » ٥٠ مرة على إقرارهم بوجود ما يفيد من الجوانب التي يشير إليها هذا اللقب في شخص حسن البنا.

## ● المرشد العام

وأما لقب « المرشد العام » فهو أهم الألقاب على الإطلاق، وترجع أهميته إلى كونه اللقب الذي يشار إليه به في

الوثائق الرسمية لجماعة الإخوان (مثل قرارات الهيئة التأسيسية، ومكتب الإرشاد، واللائحة للنظام الأساسي للجماعة، وقانونها الأساسي ... الخ). كما ترجع أهميته أيضاً إلى دلالاته على تطلع جمهور الناس إلى ظهور قائد كبير « منصلح » أو « مرشد »، وما يربطونه فيه من صفات، وخاصة في أوقات الشدائد والأزمات، طبقاً لما لاحظته توينبي من أن القاب القادة والحكام - عادة ماتتير في مضمونها إلى ما يتطلع إليه الشعب، وما يبرجوه من خصال فيمن يقوده إلى الخلاص والرفق.

وقد ثبت لقب « المرشد العام » للشيخ حسن البنا، على غير سابق مثال في ساحة العمل السياسي والاجتماعي في مصر، إذ لم يعرف أحد غيره من قادة الحركة الوطنية، والعمل السياسي بشكل عام بهذا هذا اللقب.

وإلى جانب ما للقب « المرشد » من جنود لغوية عربية لها إichات دينية، فإن له أصوله في تراث وتقاليد التصوف الإسلامي على وجه الخصوص. ويؤيد المعنى اللغوي له حول « الهداية إلى طريق الصواب، وإصابة وجه الأمر » طبقاً لما أورده ابن منظور في « لسان العرب » مادة « رُشد ». أما في تراث وتقاليد التصوف فهو لقب معروف وشائع، وخاصة في الممارسات ذات الصلة بعلاقة المريء بشيخه أو بمرشده « ومسلكه على طريق الحق ».

وقد كانت للشيخ حسن البنا قراءات واسعة في تراث التصوف، وصلة قوية وخبرة عملية في طريقة

من طرقه هي «الطريقة الحصفافية». وقد تحدث في مذكراته عن قراءاته في تلك الكتب، ومنها كتاب : «المنهل الصافي في مناقب السيد حسنين الحصفافي»، لمؤلفه على الجعفرراوي. ويشيع في هذا الكتاب استخدام لقب «مرشد» للإشارة إلى شيخ الطريقة.

وعلى أية حال، فقد تكرر في نصوص الإهداءات، استخدام لقب المرشد العام بمحسنيين مرة (من إجمالي ٦٤ إهداء)، واستقر له هذا اللقب، كما أنه استمر لمن بعده من تولوا قيادة جماعة الإخوان المسلمين.

وأما بالنسبة لبقية الألقاب الواردة في الإهداءات مثل «حضره» - من القاب الكناية المكانية - ومثل «صاحب الفضيلة» و«فضيلة» و«الفاضل»، فهي من القاب العلماء وذوى المكانة الرفيعة من رجال الإسلام. وكذلك بالنسبة للقب «الشيخ» فهو يطلق عرفاً على العلماء وكبار السن وقد كان يمنح رسمياً لخريجى دار العلوم إلى ما قبل السنة التى تخرج فيها حسن البنا كما ذكرنا آنفاً. إلا أنه اكتسب هذا اللقب إلى جانب القسابة الأخرى اعتقاداً - من الناس - فيما يبدو بعلمه وتفقهه في الدين، على نحو ما عرف عنه، وخاطبه الناس به، ومن ذلك ماورد بنصوص الإهداءات التى نتحدث عنها.

أما لقب «الإمام» - الذى ورد ثلاث مرات في ثلاثة إهداءات من ٦٤ إهداء فمعناه «القدوة»، وكان يطلق قديماً على الخلفاء، وأطلق أيضاً على كبار العلماء والمتفقيين. ولم يكن هذا اللقب شائعاً لحسن البنا في حياته

وتؤكد ذلك قلة وروده في نصوص الإهداءات كما سبق - وإنما شاع وانتشر بعد اغتياله، فيقال «الإمام الشهيد» ويقصد به حسن البنا .

## ٢ - الغرض العام من الإهداءات :

تتشترك الإهداءات كلها في غرض عام يجمع بينها رغم اختلاف عباراتها، وتعدد صيغ إنشائها، وهذا الغرض هو التعبير عن مشاعر التقدير والمودة. ومثال ذلك نص إهداء الشيخ على عبد الرازق وفيه «تحية تقدير ومودة» وإهداء الشيخ على الغاياتي وفي نصه « هدية ودية من المؤلف ». وتعتبر الإهداءات أيضاً عن التبريل والاحترام والولاء والإعجاب أحياناً، والأمثلة على ذلك كثيرة في معظم النصوص :منها على سبيل المثال نص إهداء محمد الحافظ التيجاني وفيه « ... أنا أقدم إليه ما كتب له خاصة، معبراً عن عظيم امتناني بنفسه الطاهرة، وولهي بحاله الروحي، وتقديرى لمستقبله الباهر ... الخ» وهو أقدم إهداء عثرت عليه في مكتبة الشيخ حسن البنا ، وكلماته تدل على شفافية كاتبه، وقد كتبه بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٢٧ . ومن الأمثلة أيضاً ما ورد في إهداء الدكتور راشد البرواي وفيه « مع التحية والتقدير »، وفي نص إهداء د. جمال الدين الفندى « مع الاحترام الوافر والإخلاص للتقاهى .. الخ .

## ٣ - الغرض الخاص من الإهداءات :

تكشف بعض نصوص الإهداءات عن أن أصحابها كانت لهم أغراض

خاصة، إضافة إلى الغرض العام سالف الذكر.

وهذا الغرض الخاص قد يكون مرتبطاً بشخص صاحب الإهداء ، ورغبته في التقرب من المهدي إليه ، إما حباً فيه ، أو فيما يرمز إليه ، أو كنوع من الملق والنفاق، وفي هذه الحالة الأخيرة غالباً ما يلجأ كاتب الإهداء إلى المبالغة المفرطة في الإطراء ، وإخفاء غرضه الحقيقي وراء كلمات المدح والتعظيم .

وقد يكون الغرض الخاص مرتبطاً بشخص المهدي ، والمهدي إليه معاً ؛ رغبة في حفظ ذكرى التعارف، والأمثلة على ذلك كثيرة منها إهداء الشيخ الهادي عطية وفي نصه « ليكون لك ذكرى »، وإهداء حسن الصجال وفي نصه « ذكرى حب وإخاء في الله » وإهداء الشيخ محمد حامد الفتى وفي نصه « ذكرى لفضيلة الأستاذ المرشد ... لزيارته لجماعة أنصار السنة ... » .

وقد يكون الغرض الخاص - أيضاً - طلباً لصالح الدعوات والنصائح من شخص المهدي إليه . ومثاله إهداء الشيخ علوى بن عباس المالكي وفيه « ويطلب المهدي الدعاء والإجازة والإرشاد بالنصائح الغالية... الخ » ، وقد يكون إعلماً بالرغبة في الانضمام إلى دعوة الإخوان ومثاله إهداء د. مسعد محمود سلام . وفي نصه « أهدي كتابي هذا لعله يزكيني جندياً من جنود البعثة » .

وأخيراً فقد يكون الغرض الخاص متعلقاً بموضوع الهدية ذاتها أى «الكتاب المهدي» فيطلب كاتب الإهداء

رأى المهدي إليه في الكتاب ومثاله إهداء السيد تصدق حسين وفي نصه : «لنقد والتقرير هدية لحضرة ... الخ» .

#### ٤ - الدعاء في الإهداء :

الدعاء في نص الإهداء هو نوع من الأغراض الخاصة له وهو يأتي على سبيل التشريف الشخصي من المهدي إلى المهدي إليه ، وتضمينه في الرسائل والمكاتبات عادة قيمة ؛ ترجع إلى عهد الخلفاء والسلاطين ، وكانت له قواعد وأصول وآداب لدى كتاب الرسائل والدواوين ، لمراعاة مقامات الناس وحفظ أقدارهم على نحو ما تكشف عنه كتب التراث في هذا المجال مثل كتاب «الصناعتين» لأبي هلال العسكري ( ت ٣٩٥هـ ) وكتاب « حسن التوسل » لابن فهد الحلبي ( ت ٨٧٢هـ ) ، وكتاب « صبح الأعشى ... للفتقشندى ( ت ٨٢٦هـ ) وغير ذلك كثير .

وتتضمن بعض نصوص الإهداء التي تلقاها حسن البنا أدعية تطلب له من الله التأييد ، والحفظ ، والتوفيق ، والسداد ، والإيمان بـ والبقاء . ومثال ذلك إهداء الشيخ الهادي عطية وفيه «أيده الله بروح منه » و «حفظه

الله» ، ونص إهداء الشيخ أبو زهرة وفيه «وقفه الله ، وسدد خطاه ، وأمدّه بروح منه » ، وفي نص إهداء عبد السيد البرماوي « ندعو لله أن يديم عليه الحمد ، والإيمان ... الخ » ، وفي إهداء التونسي « أبقاء الله ، وأيده بروح منه .. » .

وقد أتت الدعوات في نصوص إهداءات كتبها للشيخ حسن البنا من هم في مقام أساتذته مثل «الهادي عطية» أو من أقرانه وزملائه ومنهم فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة ، وهو متخرج في دار العلوم مع حسن البنا في سنة واحدة (١٩٢٧) وقد أهدى له نسخة من كتابه « محاضرات في النصرانية » سنة ١٩٤٢ ، وعدة نسخ من كتابه «مالك: حياته وعصره » ، وأراه «وفقه» سنة ١٩٤٧ .

#### خلاصة عامة :

يلقى التحليل السابق ضوءاً من زوايا جديدة على شخصية «حسن البنا» ، وصورته كما أدركها عدد من أبناء جيله ، وتلاميذته ، ومن عاصروه واحتكوا به أو احتك من بهم أو سمعوا عنه من مختلف الفئات والمستويات الاجتماعية والثقافية من مصر ، ومن بعض الأقطار العربية،

والإسلامية أيضاً . وتكشف لنا تواريخ الإهداءات عن أن أول إهداء كسان في سنة ١٩٢٧ قبل سنة من تأسيس جماعة الإخوان ، وأن آخر إهداء كان في يونيو سنة ١٩٤٨ أي قبل اغتياله بسبعة أشهر . وبقيّة الإهداءات كانت على مدى عشرين سنة تقريباً (١٩٢٧ - ١٩٤٨) .

ويمكننا الآن أن نستنتج - من مصادر ثقافته العامة، ومن التحليل السابق - دليلاً إضافياً بطريق التحقيق العلمي، يدل على أن الشيخ حسن البنا كان يتمتع بثقافة غنية ومستنوعة، وكان موضع احترام وتقدير، من الكثيرين - من أتباعه، ومن غيرهم - رغم ما قد يكون بينه وبينهم من اختلاف في وجهات النظر، فقد كان حريصاً على ألا يفسد اختلاف الرأي للود قضية. وبالرغم من صحة مقولة «المعاصرة حجاب» إلا أن كثيرين من معاصري حسن البنا قد شهدوا له، واعترفوا بفضل، رغم إقذاع بعض خصومه في سببه، وإهالة التراب عليه. وما هكذا يكون التعامل مع كبار الرجال ورموز الوطن، مهما تعددت مشاريعهم، واختلفت توجهاتهم. ورحم الله الشيخ حسن البنا .

وفوق كل ذي علم عليم ■



## من حسن البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

تصرياً في ١٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ هـ

سيدى صاحب ... أحمد إليك  
الله الذى لا إله إلا هو وأصلى  
واسلم على سيدنا محمد وعلى آله  
ومن تبع هداة . وأرفع إليك تحية  
الإخوان المسلمين فالسلام عليكم  
ورحمة الله وبركاته .

يا صاحب .. إن من أمتن دعائم  
النهضة وأقوى أركانها وحدة الفكرة  
ووحدة العاطفة ووحدة الشعور  
ووحدة الآلام والآمال وذلك كله يتمه  
وحدة الثقافة، لهذا كانت فكرة توحيد  
المدارس الدينية والمدنية إلهاماً مباركاً  
فى هذا الوقت الذى نتفها فيه للعمل  
والنهوض، ولكن الفكرة وحدها لا  
تكفى بل لابد من الإنفاذ والعمل  
والإنفاذ وحده لا يكفى بل لابد من  
التفكير فى أفضل طرقه ووسائله  
حتى لا تتصرف بنا الطريق فنضمر  
أكثر مما نفيد . لهذا كان من واجب  
الغيورين أن يتقدسوا بما عندهم من

ملاحظات وآراء والحقيقة رهن البحث  
والتفكير .

إننا يا صاحب .. أمة متحدة فى  
كل شىء إلا فى شىء واحد لعله أهم  
مظاهر الوحدة وهو الثقافة والتفكير  
ولقد طفت هذا القطر المصرى الكريم  
من أقصاه إلى أقصاه وجبت مدنه  
وقراه واتصلت بأوساطه المختلفة  
وبيئاته العديدة فوجدت الوحدة تشمل  
كل مظاهر حياته من نظام معيشة  
وتقاليد وعادات إلا بعض الخلاف  
الموضعى الذى هو وليد الظروف  
الخاصة فقط وليس هناك تخالف  
جوهرى فى نظم الحياة العامة فنظام  
حياة الطبقة الوسطى مثلاً فى  
أسوان هو نظام حياة هذه الطبقة فى  
القاهرة وفى طنطا وفى الزقازيق وفى  
غيرها شرقاً وغرباً فالمثل واحد  
والمشرب واحد والملبس يكاد يكون  
واحداً وهكذا ولكن الخلاف الصارخ  
الخلاف العظيم فى التفكير والثقافة  
والآمال والآلام ؛ ولهذا لاتكاد تلتقى  
وجهاً النظر إذا دار بحث قضية من

القضايا فى مجتمع من مجتمعاتنا  
المصرية.

هذا الخلاف طبيعى بالنسبة  
للظروف التى اجتازتها الأمة قديماً  
وحديثاً ولخطوات التطور التى  
نخطوها ولعصر الانتقال الذى  
نجتازة، مما جعل ثقافة الأمة ذات  
طابعين متميزين تميزاً تاماً لا يكاد  
يلتقى أحدهما بالآخر وإن أخذنا  
يتقاربان فلقد أتى على مصر زمان  
كانت ثقافتها فيه تدور حول محور  
واحد هو فروع الدين وتنحصر فى  
معهد واحد هو الأزهر وفروعه فى  
الأزهر يتخرج العلماء والأئمة  
الأزهر هم الذين يشقون الأمة  
ويطبعونها بالطابع الذى يريدون  
واستمر ذلك وقتاً رسخت فيه أصول  
هذه المدرسة وثبتت دعائمها ثم جاء  
نور الاتصال بأوروبا والنقل من  
أوروبا والنقل عن أوروبا فى أطواره  
المختلفة فانشئت المدارس المدنية إلى  
جوار الأزهر وعسدت على

مذكرة الإخوان المسلمين إلى معالي وزير المعارف ،  
وفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر حول  
كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» لـ .. طه حسين»

## إلى طه حسين

عقول وأفكار ويوجهها - كثيرا ما يكون - بعيدا عن توجيه القسم الآخر وفي ذلك منافيه من الخطر على أمة ناهضة لاسناد لها إلا الوحدة وإن لابد من أن نبعث في وحدة الثقافة ولابد من أن نعمل على تحقيقها .

يظن كثير من المدنيين أن في مقدور الحكومة وفي مقدور الصحف وغيرها من دعاء الفكرة المدنية القضاء على آثار الفكرة الإسلامية وتخليص الأمة منها وصيغ كل شيء بالصيغة المدنية البهتة ويحتجون لذلك بما فعلته بعض الأمم الشرقية في هذا السبيل وهم يتحمسون لفكرتهم هذه ويوجهون إليها الشعب بمختلف الوسائل والدعايات وفاتهم أن الحال في مصر غيره في البلاد الأخرى .

فقد امتزج الإسلام بدم كل مصري وتغلغل في قلبه وروحه ودمه وعرقه وأمن به إيمانا هو أبقي على الزمن الباقي من الزمن .

## مستقبل الثقافة في مصر للحقيقة والتاريخ

اختصاصاته واحداً فواحداً حتى حصرته في نطاق ضيق هو نطاق الفكرة الروحية وأخذت منه كل المظاهر العملية تقريبا وتعددت أنواع التعليم وتكاثرت وتكررت التجارب فإذا بنا نرى سلسلتين من أنواع المدارس .

فهناك الأزهر وأقسامه وفروعه من الابتدائي والثانوي والكليات وأقسام التخصص ويلحق به في مهمته مدارس المعلمين الأولية والمدارس الأولية إن شئت ذلك .

وهناك كذلك المدارس المدنية من رياض الأطفال والابتدائي والثانوي والجامعية ويلحق بها المدارس الخصوصية والفنية من زراعية وصناعية وتجارية إن شئت ذلك وهناك معهدان حائزان بين القسمين هما دار العلوم ومعهد التربية .

لكل من هاتين السلسلتين أثر بالغ في نفوس قسم من أقسام الأمة وكل نوع من هذه المدارس يهيمن على

المعاهد فى مصر على النحو الآتى مثلاً:

أ - التعليم التحضيرى أو الأولى ومنه رياض الأطفال ويكون إجبارياً ذا مناهج يتناسب مع مدارك عقل الطفل فى هذه السن ومع مطالبه النفسانية.

ب - التعليم الابتدائى - ويستمد من سابقه وتحذف منه اللغات الأجنبية بناتاً وتضاف دروسها إلى اللغة الوطنية والعلم الإسلامية الخلقية وهذا الرأى وهو حذف اللغات الأجنبية من المدارس الابتدائية يقول به معظم حضرات رجال المعارف المختصين بالتربية ودراسة علم النفس وقد نادوا به من قبل وهو المعمول به فى كل الأمم الأجنبية حيث يخصص هذا الدور من التعليم لإتقان لغة البلاد.

ج - (التعليم الثانوى) ويستمد من سابقه وتدرس فيه لغتان أجنبيتان لغة شرقية ولغة غربية بدلاً من لغتين غربيين وذلك هو المتفق مع نهضتنا وأمالنا ومطامحننا وصلتنا بالشرق ويعنى فيه بالدروس الإسلامية والخلقية وتاريخ الإسلام والتربية الوطنية ويلحق بهذا التعليم ويكملة أو يبنى عليه التسليم الفنى

ولو باقصى الأرض ويأخذ الحكمة وهى ضالة ولا يبالى من أى وعاء خرجت ويجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وذلك هو واجبنا لتوحيد الفكرة ولل قضاء على هذه الفوضى وتكوين الأمة القوية العزيزة الموحدة الاهداف والغايات هو الذى يجعلنا نستقبل فكرة توحيد المدارس الدينية والمدنية فى الدور الابتدائى والثانوى بسرور وفرح واستبشار ولهذا يتقدم الإخوان المسلمون بهذه الملاحظات معتقدين انها ستلقى من عنايتكم ما يتكافأ مع الغاية التى املتها والشعور النبيل الذى أوحى بها

أولاً - نرجو ألا يكون ذلك على حساب الفكرة الإسلامية وألا يكون معناه تقليد الغرب فى سلخ مناهج التعليم عن الفكرة الدينية والعدل بها إلى العلمانية البحتة بالتدريج بل لابد أن يكون المقصود بذلك تكوين الطالب فى أدوار فعلية تكويناً صالحاً تتكافأ فيه معلوماته الدينية ومشاعره الروحية وتربيته الخلقية مع ثقافته العلمية.

ثانياً - نرجو أن يكون هذا التوحيد فاتحة تعديل تام فى مناهج التعليم تعديلاً يجعلها غذاء صالحاً للعقول والأرواح فى كل المعاهد ويبعد بها عن الحشو واللغو ويربط سلسلة التعليم ببعضها ببعض فيتكون نظام

فكل محاولة فى سبيل هدم هذا الإسلام فى نفوس المصريين محاولة فاشلة إن أخفت مظاهره حيناً فلن تقضى عليه وإنها لتظهر بالقوى مجاليتها فى أحيان أخرى كثيرة والواقع أعدل شاهد على ذلك فقد ظن الناس فى وقت قريب أن الإسلام قد وهن فى نفوس الشعب حتى عجز عن حماية نفسه وإذا بهذا الإسلام ينتفض فتتخطم باسمه هيئات راسخة وتتقلب باسمه حكومات وطيدة ويهزم الدهر بعد ذلك والإسلام إسلام.

وظن كثير من الدينين أن هذه المظاهر المدنية شر كلها وأن تخليص الأمة من شرورها وأثامها هين ممكن فهم يتحمسون لفكرتهم بدورهم ويدعون الناس إليها بمختلف الوسائل والأساليب وإن كانت أجهزتهم أضعف وأسلحتهم أقل ولكنهم يجدون من الشعب تعزيراً وتأييداً . وهؤلاء متفالون كذلك فإننا لن تستغنى أبداً عن هذه القوة المادية ولن تغلب على أعدائنا إلا إن سبقناهم فى ميادين علومهم ومعارفهم وأعدنا أنفسنا بمثل مايعدون لنا إن لم يكن فى الكم وفى الكيف على الأقل.

وإن فلا محيص من المزج بين الفكرتين ، وبخاصة والإسلام دين من فسبح يساعد على الإصلاح ولا يقف فى طريقه ويحضر على التحمل

وحبذا لو فكر في اختيار طائفة  
من خريجي الكليات الإسلامية  
والعربية المقترحة في متانة من الخلق

بقي أمامنا مشكلة لابد من علاجها في وضوح وجراحة وصراحة. تلك هي مشكلة تحفيظ القرآن الكريم فقد درجت المناهج في مصر

القاهرة - ديسمبر - ١٩٩٣ - ٦١

الأدوار الثلاثة من أدوار التسليم السابقة الأولى والابتدائي والثانوي فيحفظ التلميذ في مدة دراسته التحضيرية أو الأولية جزءاً واحداً فقط وفي دراسته الابتدائية أربعة أجزاء مع استذكار الماضي وفي دراسته الثانوية خمسة أجزاء مع استذكار ما سبق وذلك يكون كل متعلم في الأمة قد حفظ شيئاً من كتاب الله ويكون كل من تخرج من المدارس الثانوية قد حفظ ثلث القرآن وفي دور الدراسة العالية يحفظ كل طالب في كليات الأدب أو الدراسات الإسلامية الثلثين الباقيين بحيث لا يجاز بشهادته إلا إذا أدى امتحاناً دقيقاً تاماً في القرآن كله ويحفظ كل طالب في الكليات الأخرى خمسة أجزاء ليتم بذلك حفظه لنصف القرآن ولا يعطى شهادته كذلك إلا بامتحان دقيق في كتاب الله ولتغلب على صعوبة اختلاف الأديان في المدارس يكلف غير المسلمين من الطلبة حفظ محفوظات مختارة من جيد النظم والنثر تحل درجتها محل درجة القرآن الكريم في الشهادات والامتحانات الدراسية.

ولفت دائماً نظر الطلبة إلى أن القرآن شيء يتعبد به فهو للعلم وهو

للعادة فعليه أن يقرأه دائماً كذكر لله يطلب به ثوابه ويتقرب به إليه حتى يدوم تعلقهم به وتستمر ملازمته له ويستذكرونه عن رغبة وإجلال لأن عنف وإرهاق وبذلك تخدم كتاب الله ويكثر عدد الحفاظ المتفهمين ويقضى على الاحتراف بالقرآن الذي مانزل إلا ليكون نوراً وهداية للناس جميعاً وتنتحل مشكلة تحفيظ القرآن على أفضل وجه ولا يختص بدراسته قوم دون قوم.

ومن مهمات هذا البحث أن نصارح بأنه لا بد من التفريق بين مناهج التعليم وأماكنه بين البنين والبنات في غير الدور التحضيرية فليس تكوين البنات كتكوين الفلام وليس مهمتها كمهمته ولا بأس أن تتعلم ما تشاء وترقى في درجات التعليم إلى ما شئت ولكن في حدود ما يناسب تكوينها ومهمتها وفي بعد تام عن الفتیان بعد سن التعليم الأولى.

ولا يعترض عن ذلك بقلة الأماكن أو قلة الأموال فإن صيانة أخلاق الأمة وكيانها الأدبي أمر واجب لا يكثر في سبيله إنفاق وقد جرينا مضار هذا الاختلاط واكتوينا بناره وحسبنا هذه

التجارب والرجوع إلى الحق خير من التماهى في الباطل.

تلك بعض المقترحات الإصلاحية نضعها بين يديكم لمناسبة التفكير في إصلاح مناهج التعليم وتوحيد أنواعه رجاء دراستها وإنفاذها وهي نقاط إجمالية ليس هنا موضع تفصيلها والإخوان المسلمون على استعداد للتقدم بالتفصيل إذا طلب إليهم ذلك وصحت العزيمة على العمل كما أنهم على استعداد كذلك لأن يقاوموا بكل ما أوتوا من قوة كل نظام وكل توحيد وكل مناهج يراد به سلخ البقية الباقية من المظاهر الإسلامية في أية ناحية من نواحي حياة الأمة السياسية أو الاجتماعية أو التشريعية أو الثقافية فنحن أمة مسلمة قبل كل شيء لا تعدل بتعليم الإسلام شيئاً ونريد أن نستعيد ما فقدنا من إسلامنا لا أن نفقد ما بقى منه بين أيدينا وسنعمل لذلك مهما كان الثمن الذي سندفعه غالياً ومهما كانت التضحية التي نبذلها عزيزة كريمة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ■

حسن البنا

المعد ٦: السنة الثانية - الأثنين ٦ صفر سنة ١٣٥٨ من جريدة النذير الأسبوعية .





الطمانينة عمود الجهل

للغنان منير الشمراني



تعليق :

## الفـرق بين

السعي لاشتقاق الموقف الفكري إلى تسجيل محتويات مكتبة، تماما كما فعل عندما سجل قائمة الكتب المهداة إلى المرشد .. وعبارات الإهداء، وهي عادة ماتكون من باب المديح المبالغ فيه، فليس من المفترض أن يهدى إنسان كتابا لشخص بعبارة قاسية .. أو حتى بعبارة محايدة.

وللانصاف فإن محاولة الأستاذ إبراهيم ليست الأولى من نوعها، فقد حاول باحث أمريكي التعرف على شخصية جمال عبد الناصر من خلال فحص سجل الاستعارة في مكتبة الكلية الحربية، وقد تهلل تماما عندما وجد أن الطالب جمال عبد الناصر قد استعار كتابا عن نابليون. لكن البحث هنا لايبدي علميا، ولايكون كذلك إلا إذا سجل كل استعارت عبد الناصر وتلاحظ فيها السير في ذات الاتجاه وهو ما لم يتحقق. وكذلك إلا إذا سجل أسماء كل من استعار من الطلاب كتاب «نابليون» ومدى تأثيرهم به فيما بعد.

بالرفض أو بالقبول. والموقف من عملية المعرفة هو الذى يشكل الموقف الفكري.

ولا فكيف يفسر لنا الأستاذ إبراهيم وجود «البيان الشيوعي» بين مقتنيات المرشد العام؟

ولعله من المفيد أن أشير إلى أن مكتبة دير الآباء الجزويت في الدراسة تحتوى على مجموعة كبيرة من النشرات والمطبوعات الأولى لجماعة الإخوان، فاية دلالة يمكن اشتقاقها من ذلك، ولعل دهشة الأستاذ إبراهيم تزداد إذا عرف أن جزءاً من هذه المجموعة كان ضمن مكتبة «هنري كوربيل»، وأن كوربيل عندما أبعد عن مصر طلب إلى والدته إهداء مكتبته الشخصية إلى الدير .. تسديراً منه لدور الآباء الرهبان في تعليمه.

هكذا يصبح العنوان الصحيح للبحث هو «محتويات مكتبة .. فلان» ومن هنا يخرج البحث من إطار

**ق**لم أزل أذكر واقعة القبض على أستاذ الطبعية في مدرستى الثانوية الأستاذ أمين تكلأ في عام ١٩٤٩، وجدوا لديه كتباً ماركسية فسأله المحقق، لم تقرأ الماركسية إن لم تكن شيوعياً؟ فسأله الأستاذ أمين: لقد وجدت أيضاً رواية لارسين لوبين فهل معنى هذا أنني حرامى؟

تذكرت هذه الواقعة وأنا أطلع البحث المعنون «المصادر الفكرية» للإمام «حسن البناء» وأبتداء أشير إلى أن قلة قليلة منحازة جداً هي التى تضيف على فضيلة المرشد صفة الإمام.

والعنوان هو ما أثار شهيتى للتعليق فما علاقة المكتبة بالمصادر الفكرية؟

ولعل الآخ إبراهيم البيومى يخلط بين «الفكر» و«المعرفة». فالكتاب هو مصدر للمعرفة، والمعرفة قد يتم استقبالها بالسلب أو بالإيجاب،

تعليق يرى أنه ليس من الضروري أن تكون مكتبة شخص  
ما ، هي التي تسهم بشكل كامل في تكوينه وانحيازه  
تجاه فكرة محددة .

## رفعت السعيد

# الفكر والمعرفة

فكيف يستدل من عملية تراكم  
غير إرادية على تحديد توجه فكري  
هو بالضرورة إرادية.

\* ثم هل من الضروري أن يقرأ  
الإنسان كل ماله من كتب .. فهل  
قرأ للمرشد كتاب الرجولة الكاملة؟  
أو قرأ في النظريات المتروولوجية  
الحديثة؟

\* والغريب أن الباحث نفسه قد  
أتى في آخر المطاف ليؤكد على أنه:  
وليس من حكم العادة ما يؤكد، ولا  
يدل على ما هو مشاهد، على أن كل  
من تفرست لديه الكتب والمصادر  
الفكرية الكثيرة والمتنوعة صار  
بالضرورة مفكراً وقائداً.

فإذا كان الأمر كذلك فقيم كل هذه  
العناوين الضخمة والحديث عن  
المصادر الفكرية؟

\* ثم نأتي إلى العبارات الأخيرة  
في هذا البحث وهي تجسيد لانحياز  
باحث، لا يخفى انحيازه .. وسأعلق  
على عبارتين.

\* يقول الباحث إن وسائل اقتناء  
الاستاذ للمرشد للكتب كانت الشراء  
أو الإهداء .. فهل ثمة سبيل آخر؟

ولكن إذا كان الشراء يتم بإرادة  
المشتري، فإن الإهداء يأتيه وفق إرادة  
الأخرين. فلست أنا شخصياً  
ولاغيري بقادر على تحديد نوعية  
الكتب المهداة لي.

وحتى في حدود القائمة التي  
أرفقها الباحث ببحثه والمتضمنة  
أسماء الكتب المهداة للاستاذ حسن  
البنا نجد كتباً بعيدة عن مجال  
اهتمامه مثل:

الرجولة الكاملة - مشكلة الفقر -  
أقاصيص اجتماعية - من صميم  
لبنان - وطنيتي - نأساة عرش -  
حرب البترول في الشرق الأوسط -  
اكتشاف مصدر فيضان النيل ، نتائج  
جديدة على ضوء النظريات  
الليترولوجية الحديثة - كيف تنجح  
الحياة - أحمد حسنين باشا فقيد  
مصر العظيم .. وهكذا

لكن الشيء المؤكد أن مكتبة  
إنسان ما لاتنم عن توجهه الفكري.  
وفيما أنا أكتب الآن حانت مني  
التفاناة إلى الكتب المترصصة في  
مكتبتى .. تاريخ، وأدب واقتصاد  
وفلسفة، وماركسية، وإسلاميات،  
والموسوعة البريطانية، ورف كامل  
للمذكرات ابتداء من مذكرات  
تروتسكى إلى مذكرات الدعوة  
والداعية (حسن البنا) .. فكيف يمكن  
استخلاص التوجه الفكري، من  
مجموعة كهذه؟

هذا عن المجلد .. أما المثن فلنا  
عليه ملاحظات ..

\* يقول الباحث إن ما فحصه هو  
جزء فقط من المكتبة هو قرابة النصف  
والنصف الآخر فقد .. وهذا دليل على  
أن عينة البحث غير كاملة. ولعل هذا  
كان جديراً بالباحث أن يتأنى قبل أن  
يقرر أن الجزء الذي فحصه كاف  
لتحديد «المصادر الفكرية» لصاحب  
المكتبة.

## الفسق بين الفكر والمعرفة

\* أما الأساطير الأخيرة فتورد فقرة من وثيقة بريطانية تقول «إنني أعتقد أن العمل الصارم ضد «الإرهابيين» هو التصرف السليم والمثير للدهشة هو أن الباحث يفسر كلمة «الإرهابيين» قائلاً «يقصد فدائيي الإخوان المسلمين في منطقة القناة».

ولأننا في مجال نقاش على صفحات مجلة فإنني سأكتفي بالانتقاد مؤكداً أن هذا التفسير ليس فقط منحازاً بطريقة غاشمة لكنه ضد الحقيقة أيضاً، فالفدائيون كانوا خليطاً من سياسيين وغير سياسيين، والسياسيون منهم كان من بينهم إخوان وأعضاء في مصر الفتاة وشيوعيون وفديون .. فكيف نخزل ذلك كله فقط وفي اجتراء سافر على تاريخ واضح لحساب جماعة معينة.

هذا لأننا في مجال نقاش على صفحات مجلة .. أما لو أننا في مجال تقييم أكاديمي فإن عبارة كهذه وغيرها من التي تناثرت في أرجاء الورقة كخيلة بأن تعطي صاحبها صفراً .. فما كان لبحث أكاديمي أن يطمس الحقيقة وأن يقول بعكسها سعياً لتحقيق انتعاء سياسي أو فكري ما.

وما كان لبحث أكاديمي أن يقلب بمثل هذا الاتهام الفج للحقيقة التاريخية ■.

الإرهاب الفردي كرد فعل حتمي للانعزال عن مجمل الحركة الشعبية.

وأكتفي بالرد على الأخ إبراهيم بعبارة للأستاذ المرشد نفسه تقول «ماكان لجماعة الإخوان أن تنكر الاحترام الواجب للدستور باعتباره نظام الحكم المقرر في مصر، ولا أن تحاول الطعن فيه .. ماكان لها أن تفعل ذلك وهي جماعة مؤمنة تطمأن إهاجه العامة ثورة وأن الثورة فتنة، وأن الفتنة في النار»

(حسن البنا - مقال: الإخوان المسلمون والدستور المصري - مجلة التنوير العدد ٢٢)

وإذا كنا في دراستنا لتاريخ المرشد وتاريخ الجماعة قد اعتدنا منه على اللجوء إلى «إيهام القول» و«التقية» والقول بغير الحقيقة ومما لا الحكم انتظاراً لفسترة الاستقواء فإن ذلك لم يكن يقتضى من الأستاذ المرشد أن يصف «الثورة» ب«فتنة».

والحقيقة أن الأستاذ للمرشد وأن جماعته قد بنت كامل مخططها بعيداً عن فكرة «الثورة»، بل تقيضاً لها، واعتمدت يوماً على تشكيلات خبوية، كانت تقادها بالضرورة إلى سلوك طريق العمل الإرهابي كسبيل لفرض إرادتها على المجتمع.

العبارة الأولى تقول «ولما كان النموذج الليبرالي القائم من خلال العهد الملكي مفروضاً، ويحمل في طياته كثيراً من القيم والمبادئ التي تتعارض - كما قدمتها التخبية الليبرالية - مع ما تؤمن به أغلبية المجتمع. فقد كان من شأن التوجه الإسلامي الأصولي الذي مثله حسن البنا أن يؤدي إلى تبني نمط من التشنش السياسية الجديدة التي تتعارض مع النموذج الليبرالي القائم.. ثم تقول العبارة » ولم يكن من مخرج سوى صعود الحركة الاجتماعية إلى مرحلة التغيير الثوري .. وليس سوى الثورة كظاهرة اجتماعية سياسية هي التي تلبى حاجة التوفيق وتحقيق التوازن القيمي الاجتماعي السياسي». ولعله تصور أن كلمة «الثورة» قد تستر أو تبرر أو تمبر النزعة الإرهابية التي سادت تصرفات الجماعة في آخر أيام مرشدنا الأول. على أية حال فإن هذه العبارة تحتاج إلى فحص.

فهل دعا الأستاذ المرشد إلى فعل ثوري؟ وهل قبل مجرد قبول بمبدأ الثورة ؟

«الثورة التي تعنى الحركة الشعبية الشاملة في مواجهة الخصم، وليس تحرك نخبة محدودة العدد ذات تشكيل عصابي مغلق، بما يترتب عن ذلك من اللجوء إلى



للـفـنـان عـائـل السـيـوـى



# حسن البنا

موضوعات اهتماماته على امتداد الزمن.

والالتزام بأدب فقه الخلاف، وهو ما يعنى فى مجال اقتنائه للكتب، عدم اكتفائه بالنظر إلى القضية التى تكون محلاً لاختلاف الآراء من جانب واحد فقط.

فأما التنوع فقد يلاحظ بعض القراء أن الوزن النسبى لما تحتويه المكتبة من كتب علوم الدين واللغة والتاريخ الإسلامى يفوق كثيراً ما بها من كتب فى الفروع الأخرى، وأن بعض فروع العلوم الإنسانية والطبيعية يندر ما نجده فيها من كتب، وهو ما يفصح عما نعرفه جميعاً من أن حسن البنا كان زعيماً دينياً، وبالتالي فكل ما يتعلق بالدين واللغة يدخل فى الدائرة المركزية لاهتماماته.

ولعل الرؤية تكتمل بصورة أفضل حينما تلقى نظرة فاحصة على ما تحتويه المكتبة من دراسات فى المجتمع المصرى وتاريخه، وفى القضايا السياسية المركزية، والمذاهب السياسية والفكرية، وفى جغرافية

واضح أن تلك الأمور لا تحد من خلال التعرف على محتويات المكتبة، وإنما تتطلب دراسة لأقواله (كتاباتة وخطبه) ولواقفه، دراسة تفصيلية منهجية، ثم العودة منها إلى ما درسه أو اهتم به فى مكتبته.

ويظل الحكم بعد ذلك بعيداً عن أن يكون مؤكداً، وتظل قيمة كل ذلك موضع تقييم النقاد والباحثين.

رغم ذلك فقد يفيدنا الإطلاع على محتويات المكتبة الشخصية فى تكوين انطباع ما عن بعض سمات شخصية صاحبها. فهى تشير على الأقل إلى مجال اهتمامه الفكرى أو الفنى، النظرى أو العملى، وقد تشير أيضاً إلى نوع توجهاته وطموحاته الشخصية.

واستناداً إلى ذلك يلاحظ الباحث فى مقاله ثلاث سمات أساسية تميز المكتبة:

التنوع، الذى يعنى الشمول لمعظم مجالات اهتمام الفكر الإنسانى، والتثقيع، الذى يعنى تفصيلاً للكتب والمراجع التى تخطى معظم

من خلال توصيف محتويات مكتبة حسن البنا الشخصية، يحاول الأستاذ إبراهيم البيومى غانم أن يحدد مصادر ثقافته العامة وفكره.

وقد أجرى عملية التوصيف هذه بإسهاب واقتدار فقدم لنا خمسة وعشرين بنداً توزعت عليها محتويات المكتبة، وحدثنا عن حالة وحجم المكتبة، وعن وسائل اقتنائه للكتب، وقدم أمثلة لمختلف أنواع الكتب التى تنتمى لفروع متنوعة، والتى تتبنى جهات نظر مختلفة فى بعض القضايا الهامة.

وقد فعل كل ذلك وهو يدرك مدى محدودية تلك الطريقة فى الكشف عن المكونات الفعلية لفكر حسن البنا وبإذات لشخصيته.

فهى لا تكشف لنا ما الذى قرأه وما الذى لم يقرأه من تلك الكتب، ولا أى منها درسه بعمق وإياً منها مر عليه بنظرة عابرة. ومن بين ما قرأه باهتمام ما الذى تأثر به فى تفكيره وممارسته وعلى أى نحو.

تعليق يرى أن البحث قدم عملية توصيف ورصد لمكتبة  
حسن البناء دون الكشف العميق عما قرأه وتأثر به فكرياً  
وممارسة .

عاطف أحمد

## فقه الإختلاف

النوعية وأقوال العلماء والأئمة - معنى العبارة إذن: أن القصصى يرى الأشياء (التراث الإسلامى) من جانب واحد (هو الجانب النقدى) - فويل له، فليس هناك من هو أشد منه ظلماً ولا أسقم فهماً. ذلك أن المؤلف يصمل على الغزالي وعلى الشعراى بيد أن حسن البناء يجعلهما إلى حد الغرام والهيام، رغم ذلك - وهذا كلام البناء - فهو لا يحكم بكفره ولا يطالب بشنقه (وكان المفروض أو الطبيعى أن يفعل ذلك)، ثم يذكر البناء بضع كلمات وردت فى الكتاب ويعلق عليها قائلاً «مصلحة من تدعوننا إليها الناقمون لأن نتبع هذه الكمية المربعة من السم البديل». ثم يوضح لنا البناء لماذا رغم ذلك لا يحكم بكفره ولا يطالب بشنقه، ذلك أنه «دعوة أو فكرة خير يريد أن يضعها - أى مؤلف الكتاب - فى شرفة النور فهو فى سبيل ذلك يكافح القيم المتراكمة والسحب القائمة وقد يندفع قلماً إلى حيث لا يريد».

والمعنى من كل ذلك واضح. فلو لم يشعر البناء أن القصصى حسن النية وأن خماسه دفعه إلى قول ما

إلتزام حسن البناء يانب فقه الخلاف، فإنها تجعل القارىء يتصور أنه أمام عقلية متفتحة تؤمن بتعددية الرأى وتتعامل مع الرأى الآخر بموضوعية ناجمة عن اقتناع داخلى باحتمال صوابه.

وقد وجد عبارة لصحن البناء، تعليقاً على أحد الكتب تقول «ويل للذين ينظرون إلى الأشياء من جانب واحد.. ويل لهم وويل للإنسان منهم .. وإن تجد على وجه الأرض أشد منهم ظلماً ولا أسقم فهماً» ففهم منها أن حسن البناء يرفض النظرة إلى الأشياء من جانب واحد، بمعنى أنه ينظر للمسائل والقضايا الفكرية فى مختلف الجالات من عدة جوانب، بما فيها الجوانب التى تتعارض مع وجهة نظره. أى أنه يستسلم حق الاختلاف وحرية الرأى وتعددية الفكر.

لكن نظرة واحدة على سياق هذه العبارة يجعل المسألة تبطل مختلفة. فهى عبارة وردت فى تعليق على كتاب «هذى هى الأغلال» للقصصى الذى يصمل بشدة على التراث الإسلامى بما فيه كثير من الأحاديث

مصر (بما فيها تقاسيمها الإدارية ومهندتها وقراها). مما يشى بأن الاهتمامات السياسية كانت قريبة أيضاً من الدائرة المركزية لاهتمامات حسن البناء، لتصبح صورته لدينا متفقة مع ما نعرفه عنه من أنه كان زعيماً سياسياً دينياً.

وهذا هو ما يؤسس السمة الثانية التى لاحظها الكاتب وهى سمة التتبع. فمتابعة ما يصدر من دوريات ودراسات تتبّع له إدراك ما يدور حوله فى مجال اهتمامه وتمكنه من التعامل معه وهو على بيّنة منه.

أما السمة الثالثة وهى الإلتزام بأب فقه الاختلاف فقد توحى للقارىء، بأن حسن البناء كان يتسم بتقبل الرأى الآخر ويؤمن بتعددية وجهات النظر. والكاتب يدعم ذلك الإلتطاع لدى القارىء حينما يوحى له فى الجزء الأخير، أن حسن البناء كان يمتلك «القدرة على الاستيعاب وسعة الأفق وغزارة المعرفة وشمولية الرؤية ورسوخ القدم فى ميدان العلم» وهى عبارة يوردها الكاتب دونما أدلة أو قرائن، ويقفز بها خارج سياق البحث، لكنها إذا تصافرت مع فكرة

لا يريد، لحكم بكفره وطالب بشنقه. وحسن النية هنا يعنى أنه مؤمن بالإسلام مدافع عنه، مهما كان حسن البنا نفسه أو بتعبير أدق على النحو الذى كان حسن البنا يؤمن به.

لم ير البنا فى القصيمى إذن رأياً آخر، بمعنى وجهة نظر مختلفة جذرياً عن وجهة نظره هو، وإلا لجاز له أن يحكم بكفره وأن يطالب بشنقه.

رغم ذلك لم يسلم القصيمى من عبارات السباب التى تحمل إدانة أخلاقية مباشرة: أن تجد على وجه الأرض أشد منهم ظلاماً ولا أسقم فهما .. **المصلحة** من تدعوننا أيها **الناقمون** لأن نبتلع هذه الكمية المربعة من **السم الوبيل**.

هذه النظرة الأخلاقية هى بمثابة البؤرة المركزية للمنظومة الفكرية التى ينتمى إليها حسن البنا. وهى ترى الرأى الآخر من منظور أخلاقى وليس معرفياً. من هنا تأتى الإدانة والاتهام، ومحاكمة النوايا، والتجريح الشخصى.

ولعل منهج حسن البنا فى التعامل مع الرأى الآخر والحكم عليه يتضح بصورة أوضح فى تعليقاته على كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلى عبد الرزاق.

فقد طرح على عبد الرزاق قضية الخلافة وطبيعتها ومصدر شرعيتها للبحث العقلى ربما لأول مرة فى تاريخنا الفكرى، و طرح معها أسئلة شديدة الجرأة فى مسائل شديدة

الحساسية مرتبطة ارتباطاً عميقاً بالوجودان الدينى الإسلامى: هل الخلافة ركن من أركان الدين، هل لها مصدر فى القرآن أو السنة. هل أقام النبى دولة سياسية، هل وضع نظاماً سياسياً لمن أتى بعده. هل كانت حروب الردة حروباً دينية. هل ظل طابع الحكم بعد النبى طابعاً دينياً.

وقد أجاب على عبد الرزاق على هذه الأسئلة جميعاً بصراحة سافرة ويقدر ما هو متوافر لدينا من معلومات.

فبعد وفاة النبى (ص)، قام الخلفاء من بعده مقامه فى حفظ الدين وسياسة الدنيا به. وسمى القائم بذلك خليفة وإماماً، خليفة لكونه يخلف النبى (ص) فى أمته، وإماماً تشبهاً بإمام الصلاة فى اتباعه والافتدائه به.

وهو ينزل من أمته بمنزلة الرسول (ص) من المؤمنين، له عليهم: **الولاية العامة**، والطاعة المطلقة. وله حق القيام على دينهم، فيقيم فيهم حدوده، وينفذ شرائعه، وله بالأولى حق القيام على شئون دنياهم أيضاً.

وليس للخليفة شريك فى ولايته، ولا لغيره ولاية على المسلمين، إلا ولاية مستمدة من مقام الخلافة، بطريق الوكالة عن الخليفة. فعمال الدولة الإسلامية وكل من يلى شيئاً من أمور المسلمين فى دينهم أو دنياهم من وزير أو قاض أو وال أو محتسب أو غيرهم، كل أولئك وكلاء للسلطان

ونواب عنه. وهو وحده صاحب الرأى فى اختيارهم وعزلهم.

من أين يستمد الخليفة هذا السلطان؟

هناك مذهبان .. الأول أن الخليفة يستمد سلطانه من الله تعالى وقوته من قوته:

- فى البداية اختلف فى تسمية أبى بكر، خليفة الله، فمنهم من أجازوه، ومنهم من منع الجمهور عنه. وقد نهى أبو بكر عنه لما دعى به، وقال لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله. [مقدمة ابن خلدون: ص ١٨١]

- عليهم أن يسمعوا له ويطيعوا «ظاهراً وباطناً». [حاشية الباجورى على الجوهري].

- طاعة الأئمة من طاعة الله وعصيانهم من عصيان الله [أبو هريرة، العقد الفريد جزء ١- ص ٥].

- زعم أبو جعفر المنصور أنه إنما هو سلطان الله فى أرضه [العقد الفريد جزء ٢ ص ١٧٩].

- والعلماء إذا ذكروا فى أول كتبهم أحد الملوك أو السلاطين رفعوه فوق صف البشر:

[خطبة نجم الدين القزوينى فى أول «الرسالة الشيمسية فى القواعد المنطقية، قطب الدين الرازى: شارح تلك الرسالة فى خطبة شرحه، عبد الحكيم السياكونى فى حاشيته على الشرح المذكور].



فجملة القول أن استمداد الخليفة لسلطانه من الله تعالى مذهب جار لعلى الألسنة، فاش بين المسلمين.

● والمذهب الثانى أن الخليفة إنما يستمد سلطانه من الأمة [الخطية فى شعره، العلامة الكاسانى فى كتابه البدائع، رسالة الخلافة وسلطة الأمة: المجلس الوطنى بانقرة، مطبعة الهلال ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م].

ومثل هذا الخلاف بين المسلمين فى مصدر سلطان الخليفة قد ظهر بين الأوروبيين، وكان له أثر فعلى كبير فى تطور التاريخ الأوروبى. ويكاد المذهب الأول يكون موافقاً لما اشتهر به الفيلسوف «هوبز» من أن سلطان الملوك مقدس وحقسهم سماوى. وأما المذهب الثانى فهو يشبهه أن يكون نفس المذهب الذى اشتهر به الفيلسوف «لوك».

ويستمر على عبد الرزاق فى تنفيذ رأى من يستمدون من القرآن أو السنة دليلاً على وجوب تنصيب خليفة. إذ لا تجد فى القرآن ذكراً لتلك الإمامة العامة أو الخلافة، كما لا تجد حديثاً واحداً يفيد وجوب تنصيب خليفة، ثم ينقد فكرة الإجماع مبيناً أنها دعوى غير صحيحة ولا مسموعة. ثم ينقد حجة أنها - أى الخلافة - تتوقف عليها إقامة الشعائر وصلاح الرعية.

وينتهى إلى أن الخلافة أو الإمامة العظمى لم تكن شيئاً قام على أساس من الدين القويم أو العقل السليم،

وإلى أن ما زعموا أن يكون برهاناً لها إذا نظرت وجدته غير برهان.

وينتقل على عبد الرزاق إلى بحث نظام الحكم فى عصر النبوة. فإذا نحن تجاوزنا عمل القضاة والولاية (وهى لم تكن شيئاً مطرداً وكانت تحصل لأوقات محدودة) إلى غيرها من الأعمال، التى لا يكمل معنى الدول إلا بها، كالمعاملات التى تتم بالأموال ومصارفها (المالية) وحراسة الأتس والاموال (البوليس) وغير ذلك مما لا يقوم بدونه أقل الحكومات وأعرقها فى البساطة، فمن المؤكد أننا لا نجد فيما وصل إلينا من ذلك عن زمن الرسالة شيئاً واضحاً يمكننا ونحن مقتنعون مطمئنون، أن نقول إنه كان نظام الحكومة النبوية.

وأعمال الرسول التى قد تبدو مظهراً للملك والدولة لم تكن إلا وسيلة من الوسائل التى عليه أن يلجأ إليها: تثبيتاً للدين، وتأييداً للدعوة.

لذلك لم يسم الرسول (ص) خليفته من بعده. وهو أمر ذو دلالة.

كذلك لم يعرف عنه أنه تعرض لشئ من سياسة الأمم أو القبائل العربية المختلفة فى زمنه، ولا غير شيئاً من أساليب الحكم عندهم، ولا مما كان لكل قبيلة من نظام إدارى أو قضائى، ولا وضع قواعد لتجاراتهم ولا لآراءاتهم ولا لصناعاتهم.

ويمضى على عبد الرزاق فى إجابة التساؤلات التى طرحها، ويبين

كيف تحولت الخلافة إلى سياسة بحث تستعمل الدين لإضفاء شرعية على ما تريد أن تفعله لدوافع وأغراض مدنية دنيوية.

فكيف قرأ حسن البنا هذه الدراسة التى أثارت جدالاً عظيماً وتعرض صاحبها بسببها للطرده من زمرة علماء الأزهر، وهى التى تعالج موضوعاً على درجة عالية من الأهمية بالنسبة للمنظومة الفكرية التى يتبنّاها حسن البنا؟

فحينما يتحدث على عبد الرزاق عن سلطان الخليفة، وكيف أن له وحده الأمر والنهى ويبيده زمام الأمة وتدير ما حل من شئونها وما صغر، يعلق حسن البنا قائلاً «مهلاً مهلاً» فهو معترض على سموية سلطان الخليفة دون أن يبين أية أدلة أو وقائع تدعم وجه اعتراضه. وإنما يعبر عن اعتراضه بعبارة إنشائية تعجبية وحسب. رغم أن تاريخ الفلفاء هو تاريخ قراراتهم الشخصية وصراعاتهم الشخصية التى تطال رقاب أى فرد من «الرعية»، وكانت قراراتهم فى أى أمر مصحوبة بالتنفيذ الجبرى والشخصى.

وحينما يتحدث على عبد الرزاق عن رفع الكتاب للملوك والسلاطين إلى ما فوق صف البشر، يعلق البنا قائلاً: «لا يصح أن يكون هذا دليلاً إلا على ضعف النفسية فقط. ولا يرى فى الأمر أية عوامل موضوعية قائمة فى الواقع السياسى حينذاك تدعو

الاجتماعى لم يتم بين الناس من ناحية، وبين الحاكم من ناحية أخرى وإنما هو تعاقد بين الناس بعضهم البعض، والحاكم ليس طرفاً فيه، وبالتالي، فلا يوجد من بين أفعاله أيًا كانت ما يمكن اعتباره خرقاً للتعاقد بحيث يعطى مبرراً للتمرد عليه، فالتمرد لا يمكن أن يبرر قانوناً، لأن صاحب السلطة هو فى ذاته مصدر القانون .. فمالك قد منح سلطة سلمت له بحرية، ومجرد تسلمه لها فلا يمكن استردادها منه، إذ ماذا يعنى استرداد السلطة منه ؟ يعنى أن المجتمع لن يعود قائماً، وأنا لن نجد من يفصل فى المنازعات، وأن الفوضى الأهلية ستعود ثانية، وهذه حالة يفضل عليها سلطة الحاكم أيًا كانت مستبدة (ص ٢٢٨ - ٢٢٩).

وأما جون لوك فقد دافع عن حرية المواطن فى الدولة على أساس قاعدة الصلاحية أو المنفعة، معارضاً بذلك الاعتقاد اللاعقلانى، المبني على التقليد الأعمى، والذي يعبر عن نفسه فى نظرية الحق المقدس للملوك. ولوك هنا إنما يجعل من نفسه المتحدث باسم ثورة ١٦٨٨، بأن يعالج مسألة الحكومة على أنها ببساطة، وسيلة لخدمة مصالح الشعب. وهو يتفق مع هوبز، فى أن الحكومة تنشأ عن التعاقد، لكنه تعاقد يدخل فيه الملك ويخضع لشروط مقيدة محددة، تعاقد يخلو من التصلب الذى وبسبه به هوبز، فالإبقاء على الأشكال القديمة

شخصه؟.. وماذا يقول البنا فيمن رفع نفسه شخصياً إلى مقام القداسة فأعلن أنه إنما هو سلطان الله فى أرضه؟ فهل تستطيع بعد ذلك - أو حتى قبل ذلك - أن تتحدث عن أنه ما فهم مسلم واحد على وجه الأرض أن الخليفة مقدس السلطان.

وحينما يتحدث على عبد الرزاق عن أن الفكر الأروى قد عرف أيضاً نفس المذهبين فى مصدر سلطان الحاكم مما كان له أثره فى تطور التاريخ الأروى، وذكر اسم ممثل لكل مذهب منهما. علق حسن البنا قائلاً: «هذا التشبيه خلط وخطأ من المؤلف أداه إليه أنه يريد أن يعالج بذكر أسماء هؤلاء الأرويين». ثم ينهى التعليق بالسبب قائلاً: «فليخس المؤلف».

فهل صحيح أن على عبد الرزاق كان يتمالك بذكر أسماء هؤلاء الأرويين؟ لقد أشار إلى اتجاهين فى الفكر الأروى وضرب مثلاً للاتجاه الأول رأى الفيلسوف توماس هوبز، وضرب مثلاً للاتجاه الثانى رأى الفيلسوف جون لوك. وأشار إلى المرجح الذى استمد منه ذلك. وقد عدت إلى ذلك المرجع\* وبحثت عما ورد فيه عن هذين المفكرين.

فأما هوبز فيقول بأن إرادة الدولة - ممثلة فى الملك أو فى السلطة - فإنها ذات سيادة عليها غير محدودة وغير قابلة للخروج عليها. فالعقد

إلى ذلك منها قدرة الحاكم على رفع من يشاء ويخفض من يشاء أفراد المجتمع من واقع تصرفه المطلق بالسلطة، كما ورد فى كتب التاريخ والتراث التى استند إليها على عبد الرزاق. وحينما يتحدث على عبد الرزاق عن المذهب القائل باستمداد الخليفة سلطانه من الله، يعلق قائلاً: «لا يؤيد هذا المذهب رأى ولا دليل ولا تدوى من أين أتى حضرة مؤلف الكتاب بذلك، وكل ما بعده ليس معناه ما يقصد إليه المؤلف «والعبارة الأخيرة تشير إلى أبيات من الشعر أوردها على عبد الرزاق ويحق للبنا أن يفهمها على نحو مخالف، أما أن هذا المذهب لا يقوم عليه دليل واحد فهو يتناقض مع رفض أبى بكر تسميته خليفة الله. نهى واقعة تفترض ضمناً أن هناك من دعاه بذلك، كما أنه يتجاهل ما جاء فى حاشية الباجورى على الجوهرة، وما جاء فى العقد الفريد عن أبى هريرة. ثم نفاجا بقوله إنه «ما فهم مسلم واحد على وجه الأرض أن الخليفة مقدس السلطان كما فهم الإنجليز فى الملك جون مثلاً». فالذين دعوا أبى بكر خليفة الله، والذين قالوا بأن طاعته من طاعة الله ومعصيته من معصية الله، والذين رفعوه إلى ما فوق البشر من الذين يعانون من «ضعف النفسية» فقله كما أشار البنا، الانزى فى فرد واحد منهم من أضفى قداسة على منصب الحاكم ومن ثم على

رغم تغير الظروف معناه التخلي عن الفرض الاساسى الذى نشأت من اجله الحكومات، فإذا تخلى الحاكم فى أية لحظة عما وثق الناس به لاجله، وإذا لم تتحقق المنافع التى منح السلطة بهدف تحقيقها، فيجب أن تعود السلطة هنا للشعب، وتصبح الثورة مبررة. (ص ٢٩٤).

على عبدالرازق إذن لا يتمالك بذكر أسماء أوروبيين، وإنما يشير إلى مسألة هامة علينا أن نتفهمها جيداً. هي أن ما طرحه التاريخ الإسلامى بطرحه أيضاً للتاريخ الأوروبى، مما يعنى أن المجتمعات فى تطورها السياسى والفكرى تمر بمراحل وتطرح تساؤلات وتبحث عن حلول متشابهة. وأن ما وصلت إليه أوروبا من تقدم فى النظم السياسية والاجتماعية إنما جاء عبر صراع طويل نعانى نحن حالياً من آلام مراحله الوسيطة. فنحن ليسنا حالة فريدة خارج الزمن وخارج تاريخ المجتمعات البشرية.

هذا هو المعنى المتضمن فى فكرة على عبد الرزاق، نقره بعين فمكرة فنجد له دلالات، ولا نقول إنه تعالج بذكر أسماء أوروبية، ولا نقول (فليخسا المؤلف).

ورغم أهمية موضوع الخلافة بالنسبة لحسن البنا، بوصفه زعيماً سياسياً دينياً، فإننا لم نعرف له بحثاً مفصلاً فيها. فكل ما ورد عنه فى

مسألة الخلافة هو عبارات من مثل «إن الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، ويظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير فى أمرها والاهتمام بشأنها».

هذا على المستوى النظرى، أما على المستوى العملى الميساسى فلنقرأ بضع فقرات لرفعت السعيد\*\* حول هذا الموضوع: «وبينما كانت مصر كلها تغلّى بالنضال ضد الاستعمار، والمظاهرات تملأ الشوارع مطالبة بالجملاء، والجامعة تلتهب بالعمل الثورى ضد الاحتلال وعملاته، نجد مؤتمر طلاب الإخوان ينحرف بالقضية كلها نحو ضرورة التركيز على «استرجاع الخلافة الضائعة».

وفى رسالة «نصر النور» يورد البنا ما أسماه بالمواقف العشر .. ويضع الاستعمار على رأسها ثم يورد خمسين مطلباً من المطالب العملية للدعوة تحت عنوان «بعض خطوات الإصلاح العملى» ولم يرد بها مطلب واحد يتعلق بالقضية الوطنية أو بالجملاء أو بالاستقلال أو بمقاومة الاستعمار، وكل ما هناك عبارة تقول «تقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية جميعاً وبخاصة العربية منها تمهيداً للتفكير الجدى العملى فى شأن الخلافة الضائعة».

ويتساءل رفعت السعيد قائلاً: «ولعل من حقنا أن نسأل هل كان

الإخوان بكل ما علقوه من آمال على الملك الفاسد فاروق كما أكد البنا نفسه عندما قال «إن لنا فى جلالة الملك المسلم أيده الله أملاً، ويكل ما قام بينهم وبين القصر من علاقات .. هل كانوا وهم يتحدثون عن الخلافة الضائعة يلوحون بها للملك الفاسد أم أى خليفة آخر كانوا يريدون؟ ..»

كانت فكرة الخلافة إذن بالنسبة للإخوان، على المستوى العملى بديلاً للوطن، وبديلاً للقومى العربية، وكانت على مستوى نظام الحكم بديلاً للديمقراطية والتعددية الحزبية.

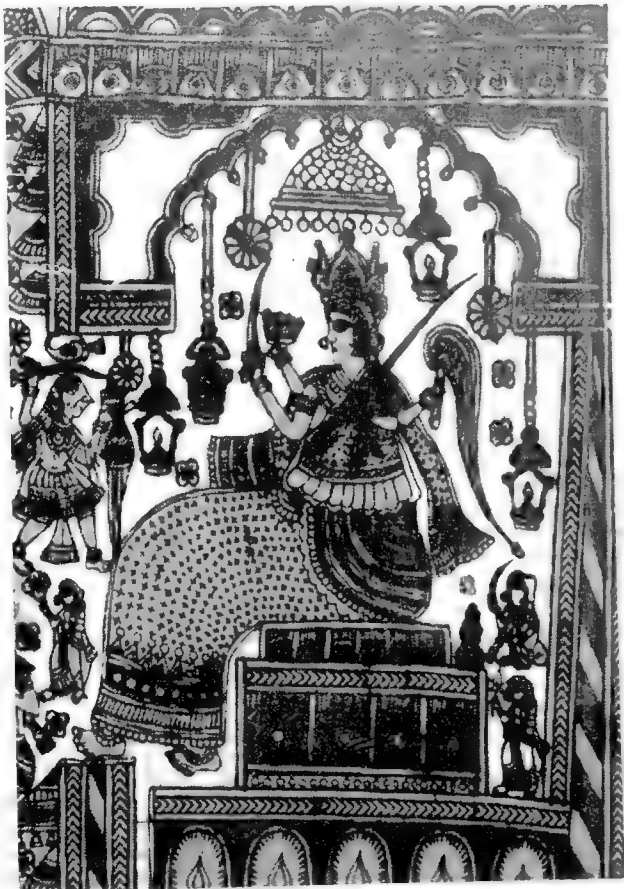
أما على المستوى النظرى، فكانت ذات شحنة عاطفية هائلة فى تفذية حلم عودة التاريخ، واستعادة المكانة والسيادة فى عالم قذف بنا إلى الظل. لذلك لم تصبح أبداً، بالنسبة للثياري الذى يمثل حسن البنا، موضوعاً يخضع للبحث العقلى ■

\* د. محمد عمارة: الاسلام واصل الحكم لطفى عبد الرزاق. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٧٢.

- A student's History of Philosophy. Arthur kennyon Rogers. N.Y. The Macmillan company. 3rd edition.

\* مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا: دار الدعوة. القاهرة ١٩٩٠ ص ١٩٨.

\* د. رفعت السعيد: حسن البنا: متى وكيف ولماذا؟ كتاب الامالى رقم (٢٨). أكتوبر ١٩٩٠ ص ١٤١.



# الإسلام بين أزمة الواقع ومطالبات العصر



## ندوة شارك فيها

- سيد محمود القمنى : باحث متفرغ له العديد من الدراسات الهامة فى مجال الفكر العربى والتاريخ الإسلامى .
- على جمعة : مدرس أصول الفقه، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر .
- إبراهيم البيومى غانم : باحث فى العلوم السياسية بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية
- جهاد عودة : باحث فى العلوم السياسية، له العديد من المؤلفات، يعمل فى مؤسسة «الصحفيون المتحدون» (مستولا عن مركز الأبحاث بها) أعد ورقة النقاش .
- وأسرة التحرير

# الإسلام

## بين

### أزمة الواقع

### ومتطلبات العصر

\* جهاد عودة :

ف

فكرة الندوة هذه الليلة فكرة جريئة في حد ذاتها، وجرامة الفكرة لها أكثر من مصدر . أولا : هي جرأة التوجه العام وهي أنه في مناخ ثقافي يقوم أساسا على الاستبعاد: استبعاد الفئات ، واستبعاد الأفكار في مواجهة بعضها البعض تسعى هذه الندوة إلى رد الاعتبار لكافة الأطراف وأن تعلى الاعتبار لأفكارهم مهما كان الاختلاف معهم . هذا أول مصدر من مصادر الجرامة ، مصدر آخر من مصادر الجرامة . ولابد أن يشار في هذا إلى جرأة أسرة تحرير هذه المجلة التي يمكن القول إن فلسفتها الأساسية هي التنوير ، ووفق الموارث في الثقافة المصرية يفهم التنوير بمعنى ضيق ومعنى استبعاد فإن يأت مثقف ويرد أن يصحح مفهوم التنوير بالمعنى المصري لكي يشمل أطرافا عدة فهي جرأة في حد ذاتها . أيضا فهي جرأة من الحاضرين فنحن في مصر تلوننا الهواجس في الحقيقة وتلوننا الشكوك من بعضنا البعض فإن يوافق الحاضرين ويعلونوا استعدادهم لتبادل الرأي حول القضايا بقصد الوصول إلى تحديد الإشكاليات التي يجب النقاش حولها هذه أيضا جرأة ، بمعنى آخر في عبارة مختصرة أنه ما كان مجلة

أو مكان يمارس الريادة، والريادة هي جوهرها جرأة .

هذا مجال للتبادل الخلاق للأفكار بدون أي هواجس وبدون شعور بضرورة الدفاع عن الذات، هذه نقطة هامة محددة لصوارنا ومرشدة لتفاعلنا .

والمقصود من هذه الندوة وعنوانها «الإسلام بين أزمة الواقع ومتطلبات العصر» ليس تسجيل مدى الاختلاف بين المشاركين فنحن نعرف أن المشاركين مختلفون وليس المقصود منها طرح تصورات مختلفة ومتعارضة، فنحن هنا لا نسمى لتكرار وإعادة إفراز ما نعلمه، ولكن الهدف الحقيقي من هذا اللقاء هو السعي أن يكون الاختلاف مدخلا للوصول إلى نقاط اتفاق حول كيفية ورؤية الحركة الإسلامية والفكر الإسلامي من منظور موضوعي بعبارة أكثر بساطة أن الاختلاف مشروع ولكن يصعب بناء عندما يكون هو وسيلة لفهمنا بعضنا البعض، ومعرفة كيف تفكر وكيف يمكن أن نتلقى، وانطلاقا من هنا، هذا ليس حوارا يتم فيه مجرد إبداء الرأي هذا أكثر من حوار لإبداء الرأي، هذا أكثر من حوار وأعمق هذا لقاء بقصد وضع أسس مفهومية كيف يدار حوار، إذا كان يمكن أن يدور في وقت مسا، على أسس لبناء رؤية

مشتركة تحمل عناصر الاختلاف وتعتبر أيضا عما هو مشترك بيننا، لهذا فالحاضرون نخبة من المثقفين المصريين، وليسوا أسماء عادية، أو جديدة، هي أسماء لها خبرة عملية في الثقافة وخبرة نظرية بالمفاهيم ولها روح تريد أن تجد حلا للآزمة التي نعيشها، وهذا مهم بالنسبة لنا، ولكي لا أطيل فقد قصدت من هذه الوقفة في البداية أن أضع إطارا عاما للحوار .

ونحن عندنا ورقة وقد كتبتها وليس المقصود منها إثبات ما هو الخطأ فيها، ولكن هي فاتحة للحوار أو اللقاء فنبدا بالحوار الأول ثم هناك محور ثان، وعندما تنتهي من تبادل الرأي حول المحور الأول «حول قضية الإسلام ومنايع التنوير» والقضية كما عرضت أن التفكير الإسلامي استهدف زهاء قرنين إثبات الذات وتجسيد الهوية الموروثة في المقام الأول بدون أن يتعدى ذلك إلى تخليق مفاهيم إسلامية تسمح للفرد بالانطلاق في مواجهة الأفكار المضللة. الأمر الذي أكد في النهاية أن التفكير الإسلامي يرتبط أكثر بتجسيد الهوية الموروثة أكثر منه بناء تصور عن المستقبل، أقصد المستقبل الثقافي وليس مجرد شعار سياسي أو ما إلى ذلك.

فى هذا الإطار يمكن أن نتبادل  
الرأى حول نسبية هذه العبارة أو هذا  
التأكيد: كيف يمكن فعلاً تحقيق  
مفاهيم تسمح للفرد المسلم أن ينطلق  
فى أمر الحضارة الإسلامية ويتوافق  
مع التطور العصرى، وأن يصبح  
عصرياً ومستثيراً، وفى نفس الوقت  
لا تكون القضية هى قضية الإسلام  
فى مواجهة العصر، أو الإسلام  
أحسن من الثقافات الأخرى، هى  
تصبح قضية استيعابية، نحن ننظر  
نظرة مختلفة، ثم بعد ذلك ندخل إلى  
المحور الثانى، والحوار سيدور بين  
المدعوين، ولكن الحاضرين يمكن أن  
يساهموا فى الحوار إذا جاءت  
مناسبة أو فرصة.

### ١٠ على جمعة:

فى ظل هذا الإطار الذى رسمه  
جهاد عوده هناك سؤالان تنظيميان:  
هل نحن مرتبطون بوقت؟ هل يمكن  
أن يكون هناك جلسات امتدادية؟

فأنا أرى أنه لابد لتحقيق هذا  
الهدف الذى أشرت إليه أن يكون  
هناك مطلق مشترك بين الجالسين  
حتى لو اختلفوا، ولكن جلوس  
المختلفين من غير مطلق مشترك لا  
يوصلنا إلى النتيجة التى نقول إننا  
نريد بياناً مشتركاً فى الاتفاق، بمعنى  
أنك قد افترضت أصلاً أن هناك نقاط  
اتفاق، فلابد من تحديد النقاط حتى

نتنطق منها ونعود إليها ونجعلها  
معياراً للقبول والنقاش والحوار الخ.

هل يمكن أن نجعل المشروع  
المصرى هو نقطة اللقاء؟ نحن كلنا  
مصريون ونريد صالح هذا البلد، وقد  
يكون هذا هو المشترك، أى أننا نريد  
لهذا الشعب أن يكون متقدماً أى أن  
يكون انتماءنا لوطننا انتماء يؤدى إلى  
التطور وهو الانتماء لبناء مشروع  
مصرى، كيف نبنيه، وكيف نطبقه؟  
ويأتى الإسلام كطرح من الأطروحات  
الموجودة أو إطار لجميع المشروعات  
ولكن نجعل المشروع المصرى هو نقطة  
اللقاء، وهذا أحبده لأننا فى حاجة  
إليه عملياً، وقد يكثر الكلام عن  
وجود مشروع مصرى بعد الناصرية  
وهذا يؤدى إلى فقد الذات، وديوان  
الهوية الخ من المشكلات.

وأجب أن أنبه إلى مشكلة قد  
تكون إجرائية ولكنها مهمة جداً وهى  
أن تنوع الثقافات قد يؤدى إلى فقد  
لغة التفاهم، بمعنى أن يكون اللفظ له  
معنى فى ذهن المتحدث وله معنى  
آخر فى ذهن السامع، ويتخذ تبادل  
الأفكار يجرى على طاولة الاجتماع  
بالرغم إنه ليس هو القاسم فى ذهن  
المتكلم.

وهناك خلل عضوى عظيم فى هذا  
الأمر خاصة بين المنتمين إلى الحركة  
الإسلامية وبين المعادين لها، وفى

كثير من الأحيان يصير الخلاف  
لفظياً أو غير محدد، أو أن هناك  
نقاشاً حتى لو كان حقيقياً إلا أن  
هناك ثقافات ضخمة جداً ولا تصل  
لشئ، وكان يمكن أن تصل لشئ لو أنها  
قد صاحبت لغة التفاهم أو روى ذلك  
فى الخطاب.

اتكلم فى المحور الأول وهو الإسلام  
ومنابع التنوير، يطرح إشكاليتين  
أساسيتين على المتحاورين:

**أولهما:** إن التفكير الإسلامى فى  
مجمعه خلال القرنين التاسع عشر  
والعشرين ومن منظور التنوير الدال على  
القدرة على نقد الأفكار المجردة بقصد  
تحرير الفرد من سيطرتها عليه أصبح  
التفكير الإسلامى مرتبطاً بمعانٍ تعيق  
التحرير، بمعنى عبارة قصيرة أن التفكير  
الإسلامى استهدف خلال هذين القرنين  
إثبات الذات وتجسيد الهوية الموروثة فى  
المقام الأول، بدون أن يتعدى ذلك إلى  
تخليق مفاهيم إسلامية تسمح للفرد  
بالانطلاق فى مراجعة الأفكار المضللة  
التي سبق الإشارة إليها، وأضرب مثلاً  
بالاستاذ على عبد الرزاق والاستاذ خالد  
محمد خالد فى محاولتهما الجريئة  
لتخليق مثل هذه المفاهيم الإسلامية،  
ولكن فشل هذه المحاولات وانقطاعها أكد  
إشكالية ارتباط التفكير الإسلامى  
وزوعه نحو إثبات الذات، وتجسيد  
الهوية الموروثة.

نحن وضعنا عدة نقاط، الأولى هي مسألة الثابت والمتغير والطلق والنسبي في الفكر الإسلامي.

المسلمون يرون أن هناك ثابتاً لا يجوز المساس به وهو النص، وجعلوا النص محوراً لحضارته وفسروا المجتزئة بأنها منها ينطلق الإنسان وإليها يعود وبها يتم التقويم، وتخدم بواسطة الفنون والعلوم والآداب وكل البرزنامج الحياتي.

هناك جزء قطعي من هذا النص إما في ثبوته وإما في دلالته وهناك جزء ظني إما في ثبوته أو في دلالته، الثابت والطلق لا يجوز الاختلاف فيهما، وهكذا كانت عناوينهم في المناسي كتاب اسمه «ما لا يجوز الخلاف فيه».

وهناك نسبي يجوز الخلاف فيه، وعليه فقد اختلف الناس إلى أن فصلوا الفرع الواحد في تطبيق هذا الحكم على الواقع إلى ثنائية مشرّ قولاً في قضية تامة وفي إطارها الثابت.

الثابت يمكن أن نعبر عنه بأنه هو الأفكار الحاكمة أو هي الأفكار الأساسية أو الإشكاليات الكبرى التي يجيب عنها النص بتصور الإنسان للكون والإنسان والحياة... إلخ.

هذا النص له علاقة مع الواقع، وهذا النص إذا أسميناه المعيار وجدنا أن الواقع دائماً من العصر النبوي إلى عصرنا هذا وإلى يوم القيامة منحرف عن هذا النص، فالنص يمثل المثالية

التي لم يدع أحد من المسلمين وليس هناك نص يقول إنه سيأتي يوم من الأيام أو إنه سيكون هذا أن ينطبق النص تماماً على الواقع ولا يكون هناك انحراف معياري ما بين الواقع وبين النص، وعلى هذا فقد فهم للمسلمون أن عملية الاجتهاد هي عملية تحاول أن تدرس النص في صورة إجراءات قابلة للتطبيق في الواقع بدون أن تدرس الواقع لتهيئة التطبيق عليه. المفكرون المسلمون ابتعدوا عن الواقع، فأصبحت محصورين في غير جانب التنفيذ سواء كان ذلك التنفيذ على المجال الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي أو في مؤسسات الدولة المختلفة. هذا المزل أدى إلى أن أصبح أولئك المسلمون يفكرون في جانب واحد وفي شطر واحد فقط، وليس في الشطر الآخر لأنهم معزولون عنه، ولا يمكن إيجاد الاجتهاد في معزل عن الواقع بمعنى أن الحاكم لا يسألهم، والذي بيده القرار على أي مستوى من مستوياته أوفى مجال من المجالات لا يأتي بهم أولاً يتحرك هو في ظل هذا الاجتهاد ولا يريد أن يجتهدوا، ويريد أن يكون إطار الأفكار الحاكمة الكلية. فعزل الاجتهاد عن الواقع أدى إلى عدم وجود اجتهاد، والاجتهاد لا يمكن أن يتم إلا في الواقع، فلو أردنا أن نعرف السبب الرئيسي في هذه الظاهرة في أنه أراد إثبات الذات وتجسيد الهوية ويدافع عن ذاته، ويريد أن يحفظها ولا يجد واقعا يطبقها فيه

لأن الأفكار الأساسية من كون أن الإنسان مخلوق للخالق، ومن كون أنه سيد في الكون، ومن أن هذا الكون الأصل فيه الاتساق وليس الصراع، ومن كون أنه لا ينزع حرمة الأشياء، لأن للأشياء حرمة وخصائص، الذي يقابلها في الفكر الغربي على سبيل المثال أن الإنسان مستقل، وهنا أن الإنسان مكلف، ويمكن أن يسمى الإنسان هناك حراً، لكني أسميه منطلقاً، يعني ليس له مرجعية يرجع إليها وهي الوحي، ونزع القداسة من الأشياء فالمسلم لا يستطيع أن ينزع القداسة من الأشياء لأنه يعتبر نفسه سيّداً في الكون، وهذا مبني على أن هذا الكون منشؤه الصراع وهذا أخطر في تعصيف علم الإدارة وعلم السياسة حتى في تعاريف العلوم.... وهكذا إذا أردنا أن نسعى فلنسعى إلى تقليل الصراع أو من هذا القبيل فكأنه يرى الأصل في الكون هو الصراع ويرى أن الأصل في النفس الإنسانية أنها صفحة بيضاء وأنها مستترأكس أو مستر وأى أنه كسول بطبعه وهكذا، ويؤثر هذا في علم الإدارة وعلم السياسة وعلم النفس وهكذا.

صاحبنا الثاني لا يرى هذا، يرى أن الفطرة ملهمة، فلهما فجورها وتقواها ويعتقد في هذا وبيننا بناء يؤثر حتى في مناهجه التي تعالج العلوم الاجتماعية والإنسانية حتى في مضمون هذه العلوم... إلخ.

أنن فثلاث النقاط هذه مهمة



أولاً مطلق مشترك، والدكتور جهاد يقول نريد أن نبني أساساً مفهومية لإدارة الحوار، نعم إذا أردنا ذلك، فعلياً أن نصبر على أنفسنا في لغة التفاهم، وأن يعيد أحداً الكلام مرةً والثانية والثالثة حتى نتوصل إلى مصطلحات محددة تنطق للمفاهيم القائمة في الأذهان حتى نفهم ويزول أغلب الخلاف، وفي ذلك معضلة من المعضلات القديمة للنقاش وتبادل الأفكار، فابن حزم يقول: لو اتحد الناس في مصطلحاتهم لانتبت ثلاثة أرباع خلافات الأرض، ليس فقط الموضوعيون في خندق واحد.

والمصدر الآخر: أننا أمام تصور معين أعرضه الآن، إن النص ينبغي أن يكون محورياً لحضارتنا، وأن هناكليات لتطبيع هذا النص على الواقع ودراسة هذا الواقع، حتى يتأهل للنص، وبذلك تبنى الحضارات، وخاصةً لشعب كان مسلماً مدة أربعة عشر قرناً ومازال مسلماً، فلا يمكن الخروج على هذا. فإذا أردنا مشروعاً وطنياً فينبغي علينا أن نرجع إلى مسألة النص لمحور الحضارة وينبغي علينا أن نوجه أبحاثنا في كيفية دراسة هذا النص وتطبيقه في هذا الواقع وكيفية دراسة هذا الواقع لتطبيق النص عليه، وبذلك نحقق الهوية والذات ونعيش الواقع ونبني الحضارة مرةً ثانية التي من أسسها المهمة الجدية بخلاف الاستهانة التي شاعت في الناس، هذه

الاستهانة أتت في ظني لعدم وجود مشروع يلتقون حوله، فلو وجد المشروع، فيمكن أن يكون هذا المشروع عوبة إلى الحضارة، ويمكن أن نغيره أيضاً، نقول إنه لو كان غير ذلك لما وصلنا إلى المقصود ولحدث تناقض وخلل وعدم انساق عند هذا الشعب، وبذلك لا نستطيع أن نبني أي مشروع إلا من خلال المشروع الإسلامي.

## ٢ • سيد القمني •

سأدخل في الموضوع مباشرة فأقول حول الإشكالية الأولى، التفكير الإسلامي المعاصر والوجود استهدف خلال ما بين قرنين إثبات الذات، وتجسيد الهوية الموروثة في المقام الأول، بدون أن يتعدى ذلك إلى تطبيق مفاهيم إسلامية تسمح للفرد بالانطلاق في مواجهة الأفكار المضللة. هنا كما لو كان الدين هوية بينما فُهم من الدكتور على فيما سمعت منه الآن شكلاً مستغنياً من الفهم الإسلامي، وهو حدد المشكلة بأنها يجب أن تتفق أولاً على أنها مصرية كحد أدنى وأضيف إليها أنها أيضاً إشكالية حضارية في مواجهة الآخر، ذلك الآخر الذي يمثل دائماً شكلاً ضاعطاً على التكوين النفسي والعقلي للإنسان في هذه المنطقة.

الثورة أيضاً ليست مصرية وحضارية إنما هي انتماء لعالم يرمته يمكن أن نسميه ولو مجازاً، بالعالم

الثالث، بكل مشكلاته مثلاً ذلك أسلمة قضية الجوسنة بينما هي قضية كان يمكن أن تأخذ شكلها الأفضل وتأخذ مناصرتها من انصرتها تحت ما نه، العالم الثالث، رغم الاعتراض حتى على هذا الاصطلاح، فعندما تكون الهوية إسلامية لمواطن في مصر، هذا سيخلق أمامنا إشكاليات أخرى وستصبح هوية المصري المسيحي نصرانياً الخ هذه الإشكاليات التي ستشور إزاء تحديد أن الإسلام هوية.

لكن في اعتقادي أنه عقيدة ولها شروط لن يؤمن بها أو من يريد الدخول فيها، وهذه الشروط تضغط على من يريد أن يخرج عنها، هذه مسألة يجب بدايةً من وجهة نظري أنا أن يكون هناك اتفاق حول كونها عقيدة أم هوية.

فالإسلام لا يستطيع أن يتصوره منظومة تقف في جانب، والعالم الآخر كله في جانب آخر، هذا هو سمعت العنصرية بالتحديد، للنقاط الثلاث التي خرجت بها من حديث الصديق الدكتور على يقف في بدايتها إيجاد مطلق مشترك.

حقيقة أنا أتصور أنه يريد أن نتفق على مفاهيم هي في الأساس إسلامية السمعت والمصدر، فنتفق حولها أولاً يكون هناك مساحة من الحوار، لكن أرى أن بناء أسس مفهومية لإدارة الحوار يجب أن تتفق عليها أي أن يكون هناك

أسس مفهومية واضحة في ذهن الجميع بحيث لا تجعل اللبس عند الآخر.

النقطة الثانية أيضاً يمكن أن تصور محورا للخلاف وليس الاتفاق وهي أن يكون النص محورا لحضارتنا. ثم إن هذا النص هو محور حضارة امتدت لمدة أربعة عشر قرنا، وهذا ظلم للإسلام ولنا جميعا. إن تصورنا أن النص كان محورا للحضارة طوال أربعة عشر قرنا، لأنه في خلال الأربعة عشر قرنا كان هناك من السلبيات أن قلنا إن النص كان مصورها فإن هذا سيرتد على النص بوجوب البحث فيه عن ثغرات أدت إلى نكسات كبرى، ثم لا نستطيع أن نبقى بظل الأزمة التي يعيشها المصري المسلم أو المسيحي بأنها نتيجة تخليه عن النص ثم الاستعمار. هنا نقطتان تشاران باستمرار، فإلى حد ما أننا لا نستطيع أن نملك الواقع لنؤمله لقبول النص ، يعني يجب أن يكون الواقع ملك أدواتنا لنطوعه ليقبل النص، ونحن بشر والنص إلهي ثم الواقع أيضاً هو ملك الإرادة الإلهية أي لو حتى أردنا التطويع فالتطويع في النهاية للإرادة الإلهية حسب الفهم الديني للأمر.

مسألة أن يكون النص محورا للحضارة هذا أمر يحتاج بعضا أطرحه الآن ولا أريد أن أقول كلمتي الآن حتى لا أسبق الحوار، هذا الأمر يحتاج أن نحدد المقصود به، كيف يمكن أن تؤمل الواقع لقبول النص، ذلك الواقع الذي لم

يقبل النص طوال أربعة عشر قرنا هو ما يحكيه لنا التاريخ ، هذا حتى نبني الأسس للمفهومية المطلوبة للحوار، أي نجد المساحة المشتركة التي سيسعى بعضها البعض حولها لنحدد ماهي؟

إن ساعدنا هنا إلى مقال الدكتور جهاد وهو أن نعود بداية لتحديد الإشكاليات .

أنا أتصور أن أول الإشكاليات فانتى أن أقول إن الاستعمار لم يكن السبب في تخلفنا، وهذا ليس دفاعا عن الاستعمار، لقد كنا متخلفين جاهزين، ولأننا متخلفون استعمرنا، وكان النص معنا وكنا محكومين به، سواء كان هذا زائفا أو كان حقيقيا فقد كانت هناك الخلافة، ثم أنه هناك الإشكالية الأخيرة: إيجاد مطلق مشترك، أي أننا يجب أن نقدم فهما واحدا بيننا لأصول شرعية وإيمانية نتفق حولها، هذا الفهم سيكون فهما نحن وآخرون سيعطون فهما آخر، أي أن النص في حالة محاولة الاتفاق على فهم مشترك سيكون بين أيدينا زبانيا، جانب آخر، لو قلت إن الإسلام فيه مطلق يجب أن نلتقي حوله جميعا، وأن هذا المطلق ثابت منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، فإن هذا سيعنى إشكالية أخطر من الإشكاليات الأخرى، وهي أنه ليس هناك ثابت لا يقبل التغير، ونحن نحاول فهمه سنخزل في مسألة الاجتهاد أو مانسيمي التناول، أو مايسميه آخرون التلفيق، هذه كلها

إشكاليات نريد أن نحددها حتى لا تكون مساحة الخلاف واسعة، نحن نريد أن نتفق على مساحة مشتركة، نتحدث في ضوئها ونعتقد أن من يسأل عن الزمن كان محقا لأن ورقة النقاش ملوثة بإشكاليات كبرى ربما تحتاج لأكثر من جيل للاتفاق حولها، ولكننا نحاول أن نخلق مبخلا، فإذا كان هناك مطلق مشترك فمن الذي سيحدده؟ أنا سأخطف في المطلق المشترك لأنى قلت من البداية إن الدين عقيدة، وأنا أعتقد بهداية عقلى وضميرى وثقافتى وممكتاتى وخصوصيتى وهذا يحيلنا إلى نقطة صغيرة أرجو أن تؤخذ في الاعتبار، فإنا لم اتفق مع جماعة المسلمين على الموت والجهاد والهجرة ووو ، وأيضا أن أخذ النفقة والغنائم ، فإن العقد في دولة لازالت تبني في بكارتها أكون هنا خائنا خيانة عظمى، فيجوز أن يقول على وأبريك بعد الردة وهذا يقودنا إلى مسألة التكفير، لأن في الورقة هذه الجزئية، وكيف يجوز هذا وهل يمكن؟ وهل حرية الاعتقاد نستطيع أن نكفلها للمواطن؟ هذه مسألة جوازية إذا كنا نتحدث عن مصر، حرية الرأي حرية الاعتقاد، حرية القول، حرية الدين، ما هو المطلق المشترك الذي نتفق عليه؟ بلا أسس مفهومية، نحن متفقون، لا خلاف، والفهم واضح بين بعضنا البعض، وأنا أتكلم بشكل لا مداراة فيه، كيف يكون النص محورا لحضارة ؟ فهو

إما نص ثابت جامد، أو كمل مأ سلسقط مفاهيمه عليه وهكذا سنؤول النص بشكل تلقىقى، أو تنزع آفة من سىاقها التاريخى، ومن وقىء حدوثها، والظرف الذى نزلت فىه هذه الآفة لتحل إشكالية أو نسلط على هذا النص الماضوى التاريخى فهما معاصرا كما فىعل البعض، ثم كيف ندرس الواقع كى يتأهل للنص أو نضع واقعا نؤهل للنص الخ نص كما سبقت الإشارة يعضى عليه أربعة عشر قرنا من الزمان وهو إذا كان مطبقا فهناك خلل، وإذا كان لم يطبق خلال هذه القرون فكيف نطبقه اليوم وما هو السبيل؟

### • إبراهيم بىوى غانم

فى البداية أحب أن أقول كلمة شكر واجبة لمنظمى هذه الندوة، وهذا الملتقى، وربما يكونون من القلائل السباقين إلى اختراق حواجز الاستقطاب وحالات التقاطع والتدابير بين الجماعات السياسية والمفكرة فى هذا البلد، فنأدرا ما يجمع الشامى على المغربى، وأعتقد أن هذا اجتماع ضرورى ومهم لكى تقرب وجهات النظر، أو يعرف كل منا صاحبه عن قرب، فلا يتحدث عنه بعد ذلك عن طريق الصور النمطية، أو الانطباعات المسبقة، ولكن من واقع ما سمع بالضبط، وأيس عن طريق السماع من بعيد، وهذه ميزة لهذه الندوة ولغيرها من الندوات التى تسير على هديها،

والهدف من الندوة كما هو موجود فى الورقة أنا أؤقق معه، واختلف فى نفس الوقت.

سوف أقدم بعض الملاحظات العامة حولها، ثم أنخل فىمما تبقى من ملاحظات.

بالنسبة للهدف من الندوة فأننا أؤقق بالفعل معه «من أن يكون سعى للوصول إلى أؤفاق حول كيفية رؤية الحركة الإسلامية. والفكر الإسلامى من منظور وتحليل موضوعى، وهذا أمل محل أؤفاقنا جميعا، ولكن أؤختلف فى كيفية الوصول إلى الهدف، وقبل أن نسعى لأهتين إلى الهدف . قبل الوصول إلى

الغاية التى لا يؤختلف عليها أؤثان، وهى الأؤفاق على كذا، يجب أن نؤقق على أن نؤختلف على أوسع مدى، كل منا يطرح وجهة نظره، والنقاط الخلافية لا تعنى أننا فى حرب صدامية أو عدوانية، نحن نريد أن نصل إلى هدفنا الفسعىلى. وبالتالى حتى نصل إليه ، يجب ألا نقفز على نقاط الأؤتلاف ، وكما تبين لى شخصيا مما قال الدكتور على والدكتور القمنى، هناك وجهتا نظر مختلفتان تماما. كل منهما ينطلق منها ويرجع إليها، ويؤحكم إليها فى نفس الوقت ، ويصحح كلام الأؤخر من خلال منظومة محددة لا يستطيع أحد أن ينكرها.

هناك مرجعية لكل وجهة نظر . نريد أن نبأءا من هذه المنظومات، وأنا أقول فىما يخص ما قاله الدكتور على جمعة

عن المطلق المشترك إنه بتعبير أؤخر هو المرجعية العليا التى أؤحكم إليها، التى هى لى لها سلطة مطلقة لها كل أؤتبار، يعنى لا يريد عليها شىء ، يعنى هذه المرجعية العليا فى الفكر الإسلامى هى «النص» هى الوحى، هى القرآن والسنة، ومن خلال أدوات الأؤتقرب منها كما هى معروفة فى التراث الإسلامى. إذن فهذه نقطة أولى يجب أن نؤكد عليها، وأن ننطلق منها، ألا تكون مزعجة لنا، ولا تؤثر أى نوع من أنواع الحساسية. الأمر الثالث هو بالنسبة للخطاب السائد فىمما بين الفرقاء .

هذه ملاحظة عامة سريعة .

إن هذا الخطاب السائد يعالج أزمة ذات ثلاث شعب. أزمة مفاهيم. ولا أؤختلف مع الدكتور القمنى حين يقول نبنى على أسس مفهومية. هو يقصد بمفهوم التؤوير شيئا وأنا أقصد شيئا أؤخر.

ثم ثانىا : أزمة منهج، أى كيفية الأؤتقرب من الظواهر والتفاعىل معها ومحاكمتها ثم ثالثا : أزمة وعى. وأزمة الوعى مركبة من ثلاث :

أزمة الوعى بالواقع، وأزمة الوعى بالمنهج، وأزمة الوعى بالفكرة لو أؤخذنا مؤالا على ذلك من المحور الأول وهو الإسلام ومناهب التؤوير.

ولدى الكثير من التساؤلات فى هذه الجزئية. ما هو مفهوم التؤوير؟ وهل

يمكن أن نتفق على مفهوم واحد للتنوير؟ أنا لا أتفق ، ولا أقصد للمفهوم الوارد هنا في الورقة لأنه في حاجة إلى تعريف والتعريف في حاجة إلى تعريف. نقول إن التنوير هو القدرة على نقد أفكار مجردة، ما هي الأفكار المجردة، أريد أن أعرف ما هي؟ نقصد تحرير الفرد من سيطرتها عليه ثم تسيطر عليه لماذا؟ . ما الذي يحل محلها لكي تسيطر على الفرد. سندخل في إشكالية تعريف يقودنا إلى الدخول في إشكاليات معقدة جدا، لأنها مرتبطة هنا بمفهوم كامن ومستتر غير معلن . فالتنوير في ذهني مختلف تماما عما في ذهن الدكتور جهاد. هل يستطيع أن يقول لنا كل واحد وجهة نظره؟ كل واحد يطرحه بمفهوم لابد أن يختلف لارتباطه بمفاهيم المفاهيم العليا التي يؤمن بها وينطلق منها ويؤسس وجهته في الكون والحياة عليها. إذن فمسألة المفاهيم لا يجب التوقف أمامها طويلا. وفي الجزء المتعلق بالإسلام ومنايع التنوير أنا سألتهم عن الجملة المكتوبة: إن الجمل خلال القرنين التاسع عشر والعشرين من منظور التنوير - وأنا لن أقف عند المفردات، - سأقول إن المساكمة أو المناظرة كي تنابع الفكر الإسلامي خلال قرنين من الزمان مدة طويلة ، فمن المجازفة أن أقوم عليها حكما مطلقا أو شاملا . أن أنظر إلى خلاصة هذا الفكر، فمن منظور التنوير لم أصل إلى

نتيجة. ما التنوير؟ أتعني إشكالية تحديد مفهوم التنوير؟

سأكلّمك باعتبار الاقتراب، ونقل المجتمع من حالة التخلف الاجتماعي والاقتصادي والاقتراب من نموذج الحياة الاجتماعية. وهي القضية الموجودة في الغرب، للتنوير عندي هو أن أرد الناس إلى العقيدة الصحيحة ، وأن يكون الفرد مؤمنا ملتزما بتعاليم الإسلام في شؤون الخاصة وشؤون بيته وشؤون مجتمعه وإلى آخر هذه السلسلة المرتبطة بهذه المنظومة فلا يهمني إلا النتيجة.. المقدمة، فليس من المقدمات أن أحصل على تقدم اقتصادي رهيب والحق بالغرب، وهذا الكلام كله يأتي كنتيجة تابعة، وليس هدفا أساسيا ويمكن أن يكون الإنسان سعيدا في غاية السعادة ، وهو لا يملك من حطام الدنيا شيئا وهناك تجارب كثيرة.

يمكن أن التفكير الإسلامي خلال هذين القرنين استهدف إثبات الذات، وتجسيد الهوية الموروثة، ولا أقول إنه قام بالوظيفة التي ما كان له أن يتخلف عنها في هذين القرنين فهذه هي المهمة الأساسية في إثباتها والقيام بها في مواجهة الهجمة الغربية، وأنا أختلف اختلافا جزئيا مع د . القموني في قوله إن الاستعمار ليس سبب تخلفنا هذا صحيح، ولكنه على الأقل قام بحراسة هذا التخلف، وقام بتكريسه وبثييته، هناك بالفعل القابلية للاستعمار قبل أن

يأتي، فأسبابه كثيرة ومتعددة، فالاستعمار أدى إلى استمرارنا على الوضع الذي كنا عليه هناك فرق بين الاستعمار والقابلية للاستعمار فهما مشتركان في هذا.

أركز على الجزئية الثانية في المحور الأول، وهي الإشكالية التي وقعت تحت مآثرق الانبواجية وطرقها العالم الغربي. أعتقد أن عكس هذا تماما هو السائد إذا دخلنا في التقليد الأعمى والتعميم الاغلب، فكثير من كتابات الحركة الإسلامية، إذا كنا نتحدث عن التنظيمات الإسلامية. وإذا سمحتم لي أرجع إلى التعريفات.

فما هي الحركة الإسلامية؟ ما هو التفكير الإسلامي؟ ما هي التنظيمات الإسلامية؟ كل مصطلح من هذه علينا أن نعدده على الأقل لتكون الأمور واضحة في أذهاننا.

في كتابات الكثير من التنظيمات الإسلامية عكس هذه المقولة، والموجود أن العلم والحدثة الغربية مرتبطان بالنفس والمشاعر الغربية، وعلى هذه المقدمة يبنى كثير من التنظيمات الإسلامية أفكارها ومنظورها يعلنون رفضهم لكثير من التقدم والحدثة الغربية في المجال الاقتصادي أو السياسي أو التكنولوجي. هذه مقدمة أساسية مهمة جدا. هذه المقولة أنا لا أتفق معها، أيضا خيل لي من الطرح

الأول الموجود أن عملية إثبات الذات عملية ليست إيجابية، فإثبات الذات مأزق وأنا اعتبره هكذا، فهذه مقولة لا تقل أهمية لأننا إذا نظرنا إلى البديل لها وجدناه هو الذويان في الآخر.

فإذا لم أثبت ذاتي، وأؤكد ما بئى شكل من الأشكال فسأظل مستنفذ الثروات ومستعبدا إلى آخر هذه السلسلة، فيجب أن أثبت الذات وأحافظ على هوية الأمة.

● القاهرة : يبقى تعليق بسيط حول النقاط التي وردت في الورقة، فهناك جملة طويلة تجاوزت فيها القضايا مما سبب مشاكل كثيرة، واعتقد أن د. على أشار للنقطة الأولى الخاصة بمسألة التنوير ومنابعه الأولى، وأنصوّر أن له رأيا في اجتهد خالد محمد خالد وعلى عبد الرزاق.

● على جمعة: في الحقيقة كما يقول سيد القمني: إن الوقت ضيق لبحث هذا، وأنا أشرت في قضية محورية النص، وقضية الثابت والمتغير، وقضية فهم النص لتحويله إلى إجراءات ليكون قابلا للتطبيق في الواقع، وما نلنا نملك الواقع فيجب أن ندرسه بطريقة تجعل النص قابلا للتطبيق، وهذا يجب بصورة شديدة العمومية على اجتهد على عبد الرزاق وخالد محمد خالد. ومن شدة التباس هذه الموضوعات، فعلى عبد

الرازق وخالد محمد خالد قد رجعا عما ذهبا إليه أولا، مما يدل على أنها مسائل اجتهادية، وأنها تتغير بتغير الأشخاص والأحوال والأمكنة، فبحثها ينبغي أن يكون مستقلا، وإلا فنحن نرسم الأطر العامة بدون الدخول في تفاصيل، قد يكون الكلام فيها بصورة مفتصرة مضرا وغير نافع. وموقفنا الأساسي هو أن النص يصلح لأن يكون محورا للحضارة، وأن صلاحيته كمحورية للحضارة لا تعني أن الناس الذين يملكونه أو يؤمنون به يطبقونه، فممكن جدا أن يوجد للنص ولا توجد الحضارة لأنه ليس هناك تلك العملية والنسق والمنظمية، ويمكن أن يطبق بصورة مختصرة تسبب مصائب كما حدث في التاريخ الإسلامي. ولأننا قد فصلنا بين النص والواقع، فلم نتجح حضارة. وجعلنا دراسة الواقع منفصلة تماما بمناهج مستقلة تماما عن ارتباطها بالنص، كما هو حادث الآن في العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تدرس الواقع لتغيره وتهنيه في مستوى السياسة والاقتصاد والاجتماع وتكون منطلقة من مناهج غربية. والمنهج مكون من شقين: الفلسفي والإجراءات. وجميع هذه المناهج غربية في لحمتها وسداها. هذا يجعل دراسة الواقع منفصلة تماما عن محور الحضارة.

القضية أن هناك إسلاماً هو دين وعقيدة - تتفق مع سيد القمني في ذلك - ولكن

هناك ما يسمى بالإسلام الحضاري، يستوعب الآخر وله آلياته في التعامل مع الآخر. وهذه الآليات تتغير مع تغير الأزمان. ويمكن أن تصل فيها إلى ترضية هذا الآخر، وأنه يؤمن فعلاً أنه مسلم حضارة وليس ديناً وليس عقيدة ولكنه مسلم في حضارته، في ثقافته. ومصر موصور العالم الإسلامي وليس هناك عالم إسلامي بدون مصر. أنا لأريد أن أفوت على بلدي الاستفادة، بل أريد أن أستغل هذا التراث وأستغل هذه الحضارة وأن أرجع للمصري عزته عن طريق الإسلام، سواء كان هذا الإسلام ديناً أو حضارة، ودينا على هذا يدخل معنى المسيحي ويدخل معنى اليهودي إن كان مصرياً. ولذلك لما تصورت المطلق المشترك والمشروع المصري تجاوزت النص. فأسألكم يؤمن بالنص أو لا يؤمن ويمكن أن نعتبره محوراً لحضارته. وكل حضارة لها محور، ولابد أن هذا المحور مرتبط بالافتكار الأساسية كلها التي يعتقدها الإنسان كروية كلية: من أين أنا؟ من أين أنت؟ ماذا أفعل هنا؟ ما علاقتي بالآخرين؟ ما الذي يربط نعط سلوكي وحياتي؟ كل هذه الأشياء بعضها متصل بالفلسفة، وبعضها متصل بغير ذلك، المهم أنها تكون منظومة. وهذه المنظومة توجد في الشيوعية والليبرالية كما توجد في الإسلام. والأساس هو أن هذه الرؤية الكلية لتلك الأسطة الحاكمة يبنثق عنها نظام .

وإذا كان هناك اتساق بين النظام، والرؤية الكلية وصلنا إلى بناء الحضارة أيا كانت هذه العقيدة بانحرافها وعدم انحرافها، وأيا كان هذا النظام، المهم أن يكون هناك اتساق. نحن ندعى أن هذا الاتساق حدث وأن النظام تولد عن العقيدة وبنيت حضارة إسلامية سطع نورها على الغرب في العلوم والفنون. لا نقول إن المعيار قد طبق تماما وهذه طوباوية لم ندعها وإن ندعها، وإن تكون إلا مثالا ثابتا، نحاول أن نقرأ به الواقع وأن نصل إليه، ولكن هناك فرق في السعي لتطبيق الواقع عليه أو لوصول الواقع إلى المعيار، ولو استطاع الإنسان أن يحل تلك الإشكالية، وأن يصل الواقع إلى المثال، لما كان هناك حاجة للنص أصلا. ولما كانت هناك حاجة للمحور، كلاء المحور يمكن تطبيقه وليس من المستحيل، ولكن ينبغي أن يكون هو الحاكم على إنشاء المناهج التي ينتهجها الإنسان في التعامل مع الكون، سواء كان أشخاصا أو علاقات أو مكانا أو زمانا .

كيف يتم هذا ؟ هذا تفصيل وله بيان، ولكن هذا هو الإطار الكلي الذي نرجع إليه، والحقيقة أن القاعدة لا تقف عند الرجال، على عبد الرزاق وخالد محمد خالد قالا هذا، وهي في هذا الإطار الذي ينبغي أن نتفلس أو نتناقش حوله.

**جهااد عودة :** أريد أن أشير إلى أن الحوار بدأ ينزلق إلى قضايا، نحن نريد

مسائل تعريفية، فالحوار من البداية يقضى على نفسه، فالدنيا والعلم ليسا قائمين على مسائل تعريفية، بل قائمان على مسائل مفهومية، فالمفاهيم لا تحتاج إلى تعاريف. وهذه مسألة مهمة جدا .

التنوير ليس له إلا معنى واحد. التنوير ليس عودة للأصول. فإذا كان هناك عودة للأصول فهي للانطلاق إلى المستقبل. التنوير والأفكار المجردة لها معنى واحد. فالواقع حقيقي بصرف النظر عن وجهات نظرك، فالسؤال: كيف يتجاوز الإنسان وجهة نظره ليرى الواقع ويعود بها إلى الواقع ليدعمها أو يثبتها أو ينقضها ويجعلها تسود أو يغيرها، وتغير الآراء هو معنى الاجتهاد في حد ذاته. الاجتهاد فلسفة أساسية لهذا ، الاجتهاد والقياس هو الإيمان أن هناك واقعا خارج وجهة النظر. إن الدنيا ليست مجرد انعكاس لوجهات النظر.

وأعتقد أن هذا منخل هام، وأنا أرى من بداية الحوار نوعا من الاتفاق، فالدكتور على والدكتور سيد يزعمان أن هناك انحرافا والواقع لا يمكن أن يكون تطبيقا للنص. وتطورت القضية إلى: ماهي العلاقة بين المعيار والواقع؟ وتطورت إلى : كيف تحكم على الأشياء؟ والنقطة المهمة الأخرى فيما يتعلق بالمفاهيم. فهل هناك مفاهيم عربية ومفاهيم إسلامية ومفاهيم يونانية؟ فإنني أجد في هذا اختزالا للقضايا إلى شعارات. ففي المفاهيم الغربية أثر هائل لتاريخ

الإسلام، وأثر لتفاعله مع تاريخ شرق آسيا وأثر لتفاعله مع التاريخ الروماني أو اليوناني فالقضية ليست مفاهيم غربية 1 وغيرها. القضية كيف يمكن أن تكون المفاهيم الإسلامية قادرة على استيعاب هذه المفاهيم الغربية وتجاوزها ، هذا هو التحدي. التحدي هو رفض الإدانة أو القبول، يعني أن الحضارة تحدث بالقدرة، وليس بإثبات أن لنا نمطا حياتيا مختلفا.

الحضارة ليست مجرد أسلوب حياة وإنما القدرة على استيعاب الآخر، والتجاوز لمفاهيمه، وأن تصبح مفاهيمه جزءا من مفاهيمك. فالقضية إذن ليست هوية للمفاهيم.

ورأى أن الحوار يسير في هذا الاتجاه. فتعترف أن هناك واقعا خارجيا.

● **سيد القمني:** إن إيجاد سلطة مرجعية مطلقة عليا هي النص، ويجب أن يحكم إليها الجميع، هذا هو الأمر الذي عليه علامة استهتام .

ووصح أن يطرح كإشكالية، فمعنى ذلك فرضه على الآخر والآخر هنا أيضا في مصر، إذا كنا نتحدث عن مشكلة مصرية كما طرح د. علي : الذي حدثنا عن المفاهيم، فالمفاهيم كي تتفق عليها ليس لها أكثر من تعريف واحد. والمسألة يختلف عليها إذا كنت واضعا مرجعية مسبقة لدى، وأريد أن أفهم أي شيء

طبقا لهذه المرجعية، هنا نختلف لكن نتفق علي المفهوم بمعناه العلمى الذى لا يختلف عليه الآخر. أنا حين تصد لي مرجعيتك سلفا وتقول لي: أنا أفهمها بهذا الشكل لن يكون هناك سبيل للاتفاق، وإن نخرج فى النهاية بثمرة من هذه الجلسة.

وبصدينا عن أزمة المنهج. المناهج تتعدد ولكل منهج شرط أن تعطى حرية اختيار منهجى قد تستخدم المناهج المتعددة في بحث واحد فانا لا اعترض على ذلك مادمت فى النهاية تبغى الوصول إلى ما ينفع الناس. وبالنسبة لازمة الوعي ، ما هو الوعي؟

الوعي هنا يعود إلى المنظومة الأساسية والمصدر الكلى للقدرة الذى اعطانا نصا أساسيا نعود إليه . كيف ؟ لا أصناد على هذا، ولكن لى وعى بتجربتي التاريخية .... الخ.

باختصار شديد يعني مسألة التنوير - ما هو التنوير؟ ! الاجابة ببساطة أن تتعدد الآراء بكل حرية، أن افكر بكل حرية مادمت فى النهاية أؤيدى عملا علميا، أن اتعامل مع النص بحرية أى نص : ديني، تراثي، نص علمي، اتعامل معه بالنطق العلمى، وأنت تتعامل معه، وتتعدد الآراء وتتجاوز وتتجادل، فتتمتع هنا نستطيع أن نصنع تنويرا. والسؤال: ماذا يحل محل الأفكار المرجعية المسيطرة ؟ يعنى محل أفكار الإسلام،

كثير من العلوم الإنسانية اصبح لها قوانينها وقواعدها. هذه قواعد إيمانية تخصنى وتخصك، وكل منا بدرجة إيمانه واقترايه أو بعده عنها، ولكن لا تكون محل خلاف بيني وبينك، إزاء قضية وطن، وإزاء أزمة نعيشها، أزمة حضارية خانقة. التنوير برأى د. على هورث الناس للعقيدة الصحيحة ملتزما بالمرجعية الإسلامية، أن يصلح الإنسان من داخله فإسالة إصلاح أخلاقي. واعتقد أن أوروبا تقسمت بذلك، تقدمت بالعلم ويتعدد الآراء بالمرية الليبرالية. هذا هو فهمي لكيفية التقدم. إنما أن تجعل النص مصانرا على حريتي في تعدد الآراء فلن ينتج إلا خطايا مغلقة، والخطاب المغلق دائما ما يؤدي إلى انتكاسة لذاته لأنه لا يخصب نفسه، ولا يتخصب حتى من الخارج، فيسقط فى النهاية، الخطاب فى التطبيق الاشتراكي كان لا يخصب ذاته أيضا، فالمصادر دائما إسماليني أو ماركسي ولذلك اشرت إلى ما حدث فى تاريخ الإسلام، فهذه الكوكبة من المفكرين لم تخرج ولم تبرز إلا بهذا التخصيب، وبهذه التعددية. بولان أروعهما فى ظل الخليفة المأمون الذى سمح بهذا التعدد، وإذا كنا نعتز بهذه الكوكبة فعلياً أن نذكر كيف خرجت هذه الكوكبة من المفكرين ؟

وإثبات الذات الذى تكلم عنه د. إبراهيم وقال إنه رد على الهزيمة أمام الآخر، فانا أتصور أنه هو الهزيمة

بذاتها، أتصور أن محاولة الانقلاب للداخل أو الانتكاف داخل الذات، وإقامة هذا السور الحديدى حول الذات، ومضغ الذات مع نفسها، هو إثبات الهزيمة والعكس هو الصحيح تماما.

ويفسر هذا علم الاجتماع : بأنه قد يكون مرضا اجتماعيا يصيب العقل الجمعى. بإيجازما فهمته من د. إبراهيم أن الذات هى الإسلام، هوية الأمة. أى أمة تقصد، الأمة المصرية الأمة العربية، وهل الأمة العربية أمة عربية ؟ أم مجموعة شعوب عربية تتكلم للسان العربى ؟ أم هى مجموعة شعوب التقت عرضاً وتسمى لأن تصبح أمة، هذه أيضا « حدوتى » أخرى، إذن هو يقصد باختصار الأمة الإسلامية ويصبح هنا الإسلام وطنا، وليس مصر هى الوطن، هذه أيضا نقطة خلافية واشكالية يجب أن نلتقى حول إذا ما كنا نريد أن نحدد الإشكالية، والتراث الإسلامى يقبله المسيحي عندما يتحدث عنه كحضارة، ولكن التراث المصرى ليس هو الإسلام فقط فالإسلام جزء من ماثور هائل، وهو جزء فى هذه البنية، وقد يكون الأكبر، وقد يكون المناط الأفيى، لكنه ليس وحده. وإذا أردنا أن نتعامل مع المفهوم بهذا المعنى كيان للحضارة، فبأنى الحضارة المصرية ليس الإسلام، لكن قد يكون قمة الهرم، أو اللبنة التى شكلت فى النهاية الشكل الحالى، رغم ما نخل عليها أيضا من تصوير ليصبح إسلاما

مصريا مصطبغا بالثأور المصري القديم.

إن الخطاب الذي لابد أن يعطينى مرجعية أساسية وينعكس داخل ذاته ليصبح هو الذات، وهو الهوية، ويطلب من الآخر التسليم بذلك، هو يتصور امتلاك الحقيقة كاملة باعتبار أن الحقيقة واحدة جاءت من عند الله، وأن هذا وحى، ولا خلاف على ذلك، ولكن المشكلة هي تعدد المفاهيم بشأته فليهم سيكون صحيحا؟ الأمر الثاني أنه يجعل النص مرجعية معرفية، وتصور أن النص ليس وسيلة وأداة للمعرفة بقدر ما هو موضوع للمعرفة والعلم، وأليس وسيلة أو أداة خاصة إذا كنا صابقين مع ما تطمناه من المناهج شريطة أن نربطه بظرفه وسياقه التاريخي، وزمن المستوى المعرفي الذي كان سائدا في زمن الوحي، ليعلم الناس وفق مستواهم للمعرفي، وما وصلوا إليه من تراكم في تطورهم الاقتصادي والسياسي.

والأخطر أيضا على الخطاب شكل التسمي، إنه تمن، هو إسراف في العمليات النفسية أكثر منه في العمليات العقلية، فالأمر لا يتحول فجأة بمجرد الالتزام بالسلوك القويم، إنما هو يحتاج إلى جهد حقيقي وصراع حقيقي من أجل تحقيق منجزات حصلها الآخر للسيطر. فالضمير لم يبد إلى تقدم الغرب، واعتقد أن الاستعمار الغربي لا يملك ضميرا، والحد في رأيي هو

«علمنة» هذا المجتمع، على الأقل مرحليا على المستوى الثقافي، بمعنى أن تترك الساحة حرة لكل الآراء، وأن النص لم يحكم دائما فالذي حكم هم بشر لهم أهواؤهم ونزعاتهم.

جهاد عويدة: أريد أن أقول إن ما أضافه د. سيد القمني هو مدخل قوى للمحور الثاني الذي يدور حول فكرة تفسير الواقع، والمحور الثاني يضم ثلاث أفكار تثير النقاش. الفكرة الأولى قائمة على أن إطار التفكير الإسلامي الحالي قادِر على أن يقوم بإفراز مفاهيمه الخاصة وهي تكون أكثر استجابة لآزمات هذا الواقع.

الفكرة الثانية أن هناك رجوحا في الفكر الإسلامي لعدم رؤية الواقع ككل، ويرى الواقع كعناصر، لا ككل منسجم، وبالتالي يشهدون النص عليه، هذا حقيقي أم لا؟

وفكرة الاستمرارية تأتي من الأنثروبولوجيا، إن استمرار ثقافات قديمة حتى يومنا هذا ليس دليلا على الاستقلال النسبي للواقع عن عناصره الأولى المكونة له، يعني حتى استمرار الإسلام يدل على هذا، والأفكار تستمر مع الوقت.

ثالثا إن تفسير الواقع يختلف من مكان لآخر، بنائيا ومفهوميا، رغم وحدة الزمن، فما يصلح هنا لا يصلح هناك، وما يصلح بالسودان لا يصلح بمصر،

ونحن نعرف سياسيا أن هناك خلافا بين المنظمات وأفكارها حول هذه القضية، ولاداعي للدخول في أمثلة، وربما يكون تفسير ذلك ما أشار إليه الدكتور على بعدم ممارسة الاجتهاد.

● على جمعة: إن هناك ما يمكن تسميته بالهيكلية البنائية للإسلام تضحيه من أذهان للمعتقدين فيه، والمعتقدين له من نطاق الفكر ووجهة النظر والرأي، إلى أخرى، القضية مركبة كما يركب الهرم من قاعدته إلى قمته، الإنسان المسلم يعتقد في عقيدته، هذه العقيدة كيف يعتقد بها، هذا أمر آخر، لكنه يعتقد، والاعتقاد هو إبرام حازم مطابق للواقع عنده، ونأشئ، عن دليل، وليس شكيا أو وهميا، وأنه مطابق للواقع وقائم على دليل، هذا الدليل قد يكون حسيا، أو قد يكون عقليا أو نقليا، لكن على كل حال هناك دليل، والدليل ما يتوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري - وهو الجملة المفيدة: كالله موجود. إن هذه الحياة فانية. إن هناك يوما آخر. وهذا متصل بسلوكيات. الآن ثم بعد ذلك يجب أن تكون أمامه أمور شديدة المحال مبنية على بعضها البعض. يجب وهو يقرأ النص ألا يكون بمعزل عن جلستنا الآن، وهذا ليس دخلا في الجزئيات، فهذا خطاب له منظومته الهرمية، أي الهيكل البنائي، فهو نص غير تاريخي. فخطاب الله قديم، والقديم معناه أنه خارج عن



الحادث، ومعنى خروجه عن الحادث خروجه عن الزمان، ومعنى ذلك أنه نص غير تاريخي، خطاب إلهي. كان يخاطب الآن - وهذا يعني أنه غير مرتبط بوقائمه بناء على الهيكلية البنائية للعقيدة الإسلامية.

إن لكل مجتمع في العالم مطلقات (ثوابت) ومن خلال هذه المطلقات تتم التعددية، ولو قلت إن المطلقات هي «العلمنة» لقلت شيئاً خلاف الواقع الموجود. فالناس في الشوارع تعتقد في الهيكلية البنائية للإسلام ولا تصلحها العلمانية، سواء المسيحيون أو المسلمون، ومسألة الاتساق تأتي من الواقع وليس من الفكر.

إن المطلق الثابت الشائع بهذا المجتمع، باعتبار المجموع، لا الجميع، هو القضية الهيكلية البنائية للإسلام بمصايريه. فكيف اتفاضى عن هذا كله وأطرح أن العلمانية هي التي تصلح مشروعاً نستطيع به أن نفسر الواقع؟ إذن سيرفض الشعب هذه العلمانية. فماذا سيكون حكم نصيبته، فنحن في مشروع العلمانية من أيام الخديوي إسماعيل، ولم ينجح. إذن ينبغي أن نحدد المطلقات (الثوابت) التي يتم من خلالها التعدد حتى نفهم الواقع. ومن هنا تنقضي الثنائية التي ظهرت في ذهن العربي عن الدين والعلم. فقد قال الفلاسفة القدماء: إن النصوص الشرعية متعلقة بالواقع الذي هو المدرك

الحسّي، سواء كان هذا على سبيل الكونيات، أو العلاقات وأن العلم متعلق بنفس الأمر، وهو أنه يتغير من زمان إلى زمان.

أريد أن أقول إنه يمكن في ظل الثوابت والمطلقات التي ينبغي أن نحددها أولاً أن تتم عملية التعددية بأسرع ما يكون وأن تنشأ الحضارة على أحسن ما يكون، ولكنه من خلال الواقع الذي لا ينبغي أن نتغافل عنه، فهذا البلد مسلم وهذا واقع حاصل وليس خيالاً، وموجود داخل كتلة من الدول الإسلامية، وليس هناك تناقض بين الواقع والأفكار الإسلامية.

ونحن لا نخالف الغير (الأخر) كلياً أو تبعه وكما أننا ندعو إلى الاجتهاد ندعو إلى التحرر من تبعية الغير، والتحرر من تبعية الماضي، الماضي في مسائله لا في مناهجه. هؤلاء الناس أخذوا بمنهج، وهذه المناهج لا بد أن ندرسها ونستفيد منها حتى نكون عقلاء في بناء بيتنا في المسائل لا المناهج، في مسائله التي كانت مرجوة ونعيش فيها. لكن المناهج نفسها (التي أشار إليها سيد القمني وهؤلاء المفكرين الذين أخذوا بها لكي يصنعوا شيئاً) نحن مؤمنون بها، ولم يعترض. سيد القمني، فكيف نأخذ منهم مرة ثانية؟ بأي كيفية نستفيد منهم الاستفادة التي تمكننا من كيفية الإنشاء والتحرر من تبعية الغير لأنني أدعو إلى استمرار

النص من خلال نفي المقاربات والمقارنات، بمعنى أنني من الممكن جداً بعد التفكير المستقل أن أخرج بمنهج أراه مقارياً أو مشابهاً لتراث الإنسانية وليس الغرب فقط، فنحن نفرق ما بين المعلومة والعلم، المعلومة لا يختلف عليها اثنان وهي الساحة للإنسان كالمعلومات التي قلناها الآن، وهي موجودة في مساحة ضخمة جداً ولكن كيف توظف؟ كيف تستغل؟ كيف يستفاد منها؟ كيف يتعامل معها؟ ما هو الفرق بين الفكر السطحي والفكر العميق والفكر المتغير؟ الفكر السطحي هو أن يرى ورقة الثبات من الخارج ويصفها بأنها خضراء أو أنها جميلة، لكن الفكر العميق يصفها تحت الميكروسكوب ويرى فيها عملية التمثيل الضوئي، والفكر المستنير يربط ذلك بقضية أن الإنسان أو العالم قد خلق لعبادة الله وعارة الكون.

إن حالة العالم الإسلامي قد وصلت إلى فكر سطحي في مرحلة من مراحله تعلن عن نفسها هنا فيما نتحدث عنه من محورية النص وأوضاعه في بعض العصور، وأتينا ندعي أن الفكر الغربي قد وصل إلى حالة الفكر العميق ولا بأس بهذا، ولكننا لا نقف عند هذا عندما يدخل في نسيجنا ينبغي علينا أن نتجاوز به إلى الفكر المستنير، وأن نربط هذا بما يمكن أن نقدم للإنسانية من سعادة في الدارين: الدنيا والآخرة، فالقضية في تصوري أنه لفهم الواقع

ينبغي أن نفرق ما بين الطوعية والعلم، وأن نعي تماما مسألة الهيكليّة البنائية للإسلام التي يترتب عليها أن النص خارج الزمان، وأن ذلك يؤدي إلى إخراج النص عن حد الفكر والنظرية، والنص له آليات ضخمة جدا ستزيل جميع الشكاوى التي تثار بمعنى أننا قد نتفق مع د. القعنّي في أن كثيرا مما أشعر به من تخوف لن يكون موجودا في ظل هذه الآليات المرجعية في أسلوب الفكر وسيزول إذا ما أطلعنا بقلّة على ما يسمى بأصول الفقه كمنهج من مناهج التتاول.

● إبراهيم بيومي غانم : اعتقد أنه لا يوجد اتصال بين المحور الأول والمحور الثاني، والدليل على ذلك أن د. القعنّي انتقل بسهولة من الأول إلى الثاني وأدخلنا فيه مباشرة، وأبدأ بالمحور الثاني، ومقصود الاتفاق مما ذكره جهاد عوده من أن التحدى الأكبر في الاقتراب من الواقع هو كيف يمكن للمفاهيم الإسلامية أن تكون قادرة على استيعابه واستيعاب المفاهيم الأخرى إلخ، ويتجاوزها في نفس الوقت. إذن نرجع هنا مرة أخرى إلى ما اعتبره جهاد وسيد القعنّي بشكل أو بآخر أنه لا خلاف حول مسألة المفاهيم ولا يجب أن نتوقف عند هذه المسألة لأن المسألة إذا وقفنا عندها فسيديم الحوار نفسه، فمن منطلق المفهوم الجميل الذي أسمعته لأول مرة في حياتي، مفهوم الطمانينة الذي

قاله د. القعنّي وهو تعدد الآراء بكل حرية، مامت في النهاية تؤدي عملا علميا بمعنى الكلمة، وإذا كانت هذه هي العلمنة فانا أوافق ما دامت حرية الرأي لكل فرد، وهذا المعنى يجمع الناس. النقطة الثانية في النظر إلى الواقع هي أنه لا بد من التمييز بين الثابت والمتغير، وعندما أتحدث عن الثابت فلا بد أن أرجع إلى مرجعيتي في كل لحظة، لا تقل لي العلم لاني سأقول لك عرف العلم ومفهومه، ومفهوم العلم عندي أن أزنه بميزان المرجعية التي أؤمن بها، وأنطلق منها وأرجع إليها في كل لحظة وحين، الثوابت التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان هي الكليات الخمس الكبرى الخاصة بالشريعة الإسلامية التي نزلت بها لكي تضمنها للبشر، أو المقاصد العامة للشريعة بتعبير الأصوليين، هي حفظ النفس والعقل والدين والمعرض والمال، هل نستطيع أن نقول إن في أمريكا يمكن أن يصدر قانون ينص على أن كل واحد من الشرطة يقابله واحد «اسمر» يقتله؟ هذا ضد حفظ النفس، لا يمكن أن يصدر قانونا بهذا الشكل أبدا، وهم لا يعرفون شيئا عن الإسلام، إنما هذه كليات لا بد من تواضعها وهي ثابتة رغم تغير الزمان والمكان فلا بد أن أرجع إليها وأعرف مدى تحققها، وهل إذا حكمت على الواقع في هذه اللحظة التي نعيشها نرى أن السلطات القائمة فيها تقوم على حفظ

هذه الكليات الخمس، وتحققها وتضمنها أم لا؟ إننا أنا أحكم إلى ثوابت وكليات عامة لا يختلف عليها اثنان وإلا فهل من اللبّاح أن يصبح النهب والاعتداء قانونا؟ لا يمكن هذه الثوابت عندما أنظر بها إلى الواقع أعتقد أنني أتمكن من خلال منظوري ومرجعيتي من رؤية الواقع ومحاكمته والدعوة إلى تصحيحه وتصحيح مساره بطريقة إيجابية، فالثوابت هي مرجعيتي في النظر إلى الواقع.

● القاهرة : هل هذه ثوابت المرجعية أم ثوابت أتت المرجعية لتأكيدهما؟

● إبراهيم بيومي غانم : انما أتكلّم عن الثوابت التي اعتبرها ثوابت عند النظر إلى الواقع وفهمه، هذه الثوابت أقرتها ونصت عليها المرجعية، إنها مرجعية الفطرة، والإسلام هو أصول الفطرة، وأتى ليقرر الفطرة ولينص عليها، وبينه الناس إليها. ويؤكددها ويقول لهم إن حفظ النفس والدين والعقل والمال والعرض أمور يجب على كل مستوى من المستويات أو مجموعة أو سلطة أو إدارة أو حكومة أن يقوموا ويتفوقوا في كافة جهودهم وأنشطتهم الصيائية والدينية على حمايتها، هذه النظم والإجراءات والقواعد والأخلاقيات التي لا يمكن أبدا في النظرية الإسلامية أن تنفصل عن أمر من هذه الأمور.

## ● على جمعة : هذه قضية تأثير

تساؤلا وهو هل جاءت المرجعية لتؤيد الثواب أم أن الثوابات جاءت من المرجعية؟ أثبتت هذه القضية في الفكر الإسلامي بعنوان آخر هو الحسن والقبح، وظلت ماثلة سنة، يعني من القرن الثاني الهجري إلى الرابع والخامس الهجري، وهم يناقشون مسألة هل القبح والحسن عقليان أم شرعيان؟ بمعنى أن الثوابات جاءت بها للشرعية أم أن المرجعية هي التي أتت بها؟

تحت عنوان الحسن والقبح رأينا اتفاقا ورأينا فرقة المعتزلة، كان هناك معتزلة وأهل سنة، وكثير من الباحثين يقول: إن هذه عوامل سياسية وأنا لا أرى ذلك، أنه تولد من الجدال صيغة، وهذه الصيغة موجودة في علم أصول الفقه، وكانت سبب انتهاء قضية المعتزلة، لأنهم اتفقوا على الصياغة المشتركة وهي أن الحسن والقبح ليس لهما معنى واحد وإنما لهما ثلاثة معانٍ، وأن معنيين منهم عقليان بمعنى أنهما خارجا عن المرجعية، وواحدا منهم شرعيا، بمعنى أنه وارد بعد المرجعية، وهذا التفصيل المعمول به أظن أنه لا يختلف عليه أحد من الجالسين حتى بناء على علمي بالتوجهات الموجودة.

معنى الحسن هو ما يلائم الطبع، والقبح ما لا يلائم الطبع، وهذا هو المعنى الأول، وهذا أصل، وقاب اتفاق، فالإنسان يتضايق من الوراثة الكريهة

ويحب أن يشم الوراثة الذكية أي إنسان هو هكذا، ينفر من اللجاسات وتجدد يرتاح مع النظافة، فملائمة الطبع وعدم ملاسته هذا أمر مركب في الإنسان وهو أمر عقلي، يستقل الإنسان به بون شريعة، للعنى ما يترتب عليه المذبح وما يترتب عليه الذم بالنسبة للقبح، وهذا أيضا عقلي، وهذا يجعل الكليات الخمس خارج المرجعية وجاءت للمرجعية لتؤيدها، فكون أن القتل والاعتداء على خلق الله وأكل أموالهم بالباطل أمر ينفر منه الطبع، وأن الإنسان مجبول على معرفته للظلم والعدل إلى آخره، أمر يقبله العقل، أما الأمر الثالث وهو الشرعي فإنه ما يترتب عليه الثواب في الآخرة والعقاب قطعاً، فإنا لا نعرف ما إذا كان الكذب سيخلفي الجنة أم النار، فينبغي أن أقول أنني أصلاً لن أصف الكذب بالحرمة أو الحل إلا إذا كان هناك خطاب لآل الحل والحرمة عبارة عن خطاب لم يرد فيه إذن فليس له حكم. أما إذا ورد إذن في هذا المعنى فهو أن هذه الثوابات تستوجب الثواب والعقاب فهو أمر شرعي، فلما اتفقوا على ذلك، كان أهل السنة قد تركوا شيئاً عما كانوا يطلقونه من أن الحسن والقبح شرعيان ويسكتون، واتفقوا على أن بعض معاني الحسن والقبح عقلي وأن المعتزلة قد تركوا ما كانوا عليه من أن الحسن والقبح عقليان مطلقاً وعالمياً إلى أن هناك نوعاً من الحسن والقبح ينبغى

عقلاً أن يكون من الشرع وهو الثواب والعقاب.

وعلى ذلك فالعبارة تحتاج إلى التفسير، ونقطة ينبغي ألا ننساها وهي قد تؤدي إلى إقناع وهي قضية العلمنة، فالمسلمون يفهمونها على أنها إنكار المطلق، ومعنى إنكار المطلق إذا أردنا الخطاب والحوار أننا نخاف من الفكر الغربي، أي أن يسوس بين الإنسان والصرصار، بل وقد يفضل في يوم من الأيام الصرصار على الإنسان لأنه يؤمن بنسبية «نيتشه» وينكر المطلق ويصبح احتلال جنوبي لبنان عدلاً، فبنسبية نيتشه تحولت إلى سلوكيات في الغرب تبشرها الثورة الجنسية في الستينيات، فيصير الظلم عدلاً والعدل ظلماً والإنسان متساوياً مع الصرصار أو هو أدنى منه إذا كان هذا الصرصار يجري عليه تجارب، والمصري المتخلف هذا ليس له منفعة عنده، إننا نخاف من تمثيلية أذيعت في الإذاعة المصرية تصور أنه في يوم من الأيام سوف تعرض البينات والإنسان بشكل عام في الفترينات وتضحك له وتقول: هل تريد أن تقتلني؟ أي يدخل الإنسان المحلات ويختار من يشاء ليقتله وهو الذي جعلنا محالاً الآن نحن نقول ويدعي ونستعد للنقاش إلى آخر مدى.

إن الفكر الغربي – طبعاً ليس بعموميته وإنما التوجه العام للفكر الغربي – يجوز من خلاله أن ينشأ مثل هذا التصور وأن

الاتجاه العام في الفكر الإسلامي يرفض هذا التصور، بالرغم من أننا كلنا ونحن جالسون الآن نقول ما يقوله الفكر الإسلامي بالرغم من أننا غفناه باسم العلمنة هذه هي الفجوات التي يمكن أن نتفق عليها، ويمكن أن نتوصل كما قال د. إبراهيم إلى الاتجاه العلماني، سيقول الطرف الآخر إن هذا سيوصلني إلى أن أدعيو إلى الإسلام إذا كان هذا هو إسلامكم إن هناك نموجا معرفيا ، هذا النموذج سيقودني إلى الإيمان بالنسبي وإنكار المطلق، وأنه سيؤدي إلى انهيار هذه الثوابت التي هي خارج المرجعية التي ينبغي للعقلاء أن يتفقوا عليها، وبالرغم من ذلك إلا أن هناك البعض لا يتفق عليها وسيؤدي نمونجهم للمعرفي إلى شيء غير متصور، وهذا موجود الآن بالفعل في صورة العنصرية وفي كثير من القرارات السياسية التي لا نستطيع تفسيرها إلا لأنهم يؤمنون بالنسبية وينكرون المطلق.

**القاهرة :** هناك أيضا تيار في الفكر الغربي الآن المعودة إلى الثوابت في أفكار حقوق الإنسان وفي الفكر الحقوق العامة وفي الفكر الطبيعية أو البيئية .

● **إبراهيم بيومي غانم :** أنا لدى نقطة اتفاق مع د. على جمعة بخصوص منهج النظر إلى الواقع والتعامل معه في مسألة المحور الثاني، وهي أنني أتحذر من المسائل والمناهج الخاصة بالآخر، أي

أنني رافض للمفهوم الغربي ولا أعتبره تقدما، ويقول د. سيد القمني : هذا تقدم مادي وحدث بدون أخلاق، أنا يا سيدي لا أعتبره تقدما ، بل أعتبره همجية وانتهاكا لكرامة الإنسان ، سواء دخل المجتمعات الأوروبية أو خارجها في المستعمرات بشكلال وصور متعددة من خلال قصة طويلة يمكن أن تأتي لها بالأمثلة من نهب المستعمرات، وإبادة الشعوب المخالفة، إلى آخره .

كيف نحاول أن تقنعني أن هذا هو التقدم، أنا لا أعتقد أن هذا تقدم ، هل العلم يؤدي إلى خدمة الإنسان؟ وتحقيق الكليات الخمس؟ وإذا كان يحققها يصبح تقدما، وإذا لم يحققها وأهدرها يصبح استحالة - كما يقول د. على جمعة - موضوعية إذا حاولت أن أنتج شيئا مثل هذا، فلكني أصنع سلاحا كى أفنى به الخلق هذا لا يمكن أن أصنعه أبدا، وطالما يحسق ويضمن وينجزر الكليات الخمس يصبح تقدما ، أنا أحكم عليه من داخل مرجعيتي، فلكني أحقق تقدما وارتماعا في مستوى المعيشة وأرى رأي أنجز في مقياس الحدادة، أي أنظر كم ساعة يشاهد الناس التلفزيونين وكم مرة يقرؤون الجرائد، وكم مرة يكون الهمبرجر في أسبوع، ويقول لى هذا مقياس الحدادة؟ هل هذا هو مقياس التقدم؟ أريد أن أرى للضمون، ماذا يحقق وماذا ينجس، هل الشاذ جنسيا يعد متقدما أم هذا الغلبان

الذي يأكل لقمة العيش وهو جالس في حاله؟ هذا هو التقدم في رأيي، وهذا ارتباط بالمفهوم الأخلاقي والمفهوم المادي والانفصال بينهما لا أقبله ولا أعتبره.

إن أتحضر من مسائل ومناهج الغرب لأنني لدى مرجعيتي أنظر فيها وأخذ ما يفيدني في هذا الإطار لأن معنى ميزانا فلا أترك الميزان .

إشكالية أخرى تحدث عنها د. سيد القمني في إطار الكلام عن الواقع وهي إشكالية العلاقة بين مستويات الهوية الوطن هل هو مصري عربي إسلامي أشد الأمور إزعاجاً أن هذه لا تمثل إشكالية من وجهة النظر الإسلامية وأنا أريد أن أسطبها من جدول الإشكاليات التي تطرح على الفكر الإسلامي، مثال بسيط وهو أن هذه الإشكالية متوهمة في ذهن صاحب الرؤية العلمانية الذي يرى حدود امتناع بين هذه المستويات إذا نظر إليها من منظور الدين الإسلامي على وجه التحديد ، فالرؤية الإسلامية لا يوجد بها امتناع بمعنى انحصار مستوى دون مستوى آخر من المستويات الأربعة بإضافة العالية والإنسانية إليها ولكن نبدأ بالوطن والعروبة ثم مسلم في كل مكان والإنسانية جمعاء والمشروع الإسلامي ليس مشروعا خاصا بوطن جغرافي محدود ، ولكن يمكن أن أخذ منه في هذا الوطن هو أسبق لى كعصري مسلم عربي ، ولكنه يمتد ليعطى

للإنسانية كلها ، وأنا أعود هنا إلى ما قاله د. جهاد مرة أخرى ،وأنا عندى بالفعل مفاهيم وسطية وأضرب مثلاً أن الإنسانية فى حاجة إلى هذا المفهوم وسيثبت المستقبل أنه لم يكن لها فكاك من الدكتاتورية .إن حل مشكلة التسلط من ممارسات السلطة ،لا يكون إلا من خلال الشورى،وليس الديمقراطية فهو محكوم بسيادة الأغلبية ،ليس لها مرجعية خارجة عنها .سوف أتى فى مصر وأقول لك سأقيم برلماناً ويصبح لى الأغلبية الأساسية من الأحزاب،وسيفرض هذا الحزب قراراً بأن هذا الآخر (غير صاحب الأغلبية) سارميه فى النيل وسأعلم له تيهاً فى الصحراء ،وسأخرج قراراً رسمياً من القنوات الرسمية باسم صوت الأغلبية وصوت الشعب وروح الشعب تتكلم وسيادته والأمة تقول لابد من إعدام خمسة ملايين هم كذا وكذا . هذا متنن ومحال إذا ماأثرت العملية السياسية من منظور الشريعة الإسلامية، ولكن لا يكون متمتعاً ولا محالاً إذا احتكمت إلى الأغلبية من منظور الديمقراطية الغربية.

القاهرة : لكن لنرى مايجرى فى بلد يقول البعض أنها تحكم بالشريعة الإسلامية،وهى فى الحقيقة تحكم على أبناء الشعب ولا تحكم على الأمراء أبداً، ولا على رجال الصاشية الموجودة والإشكالية المطروحة هنا هى ان

أى شخص وى سلطة وى مجموعة بشر تصل إلى السلطويقولون إنهم مسلمون من الممكن أن يحكموا ايضاً بهذه الطريقة .

د. إبراهيم بيومى غانم : المسألة لا يمكن أن تنفصل عن عمليات التنشئة الاجتماعية والتربية والمنظومة التعليمية والإعلامية ودوائر التنقيف العلمى فى المجتمع، كل هذه أمور توصل إلى بناء نموذج فى فكر هذا النظر من منظور إسلامى، ولابد من هذه الجوانب أن تكون متكاملة، أنا أضرب مثلاً د. على جمعة قال إن العلاقة بين النص والواقع مسألة لا يمكن أن أصل فيها إلى إعمال معيار، ولا يكون معياراطالما أنا علمت فى الواقع

أيضاً فى مسألة اقتراح الحل لمعالجة الواقع بالعلمنة أرى أن العلمنة بالفعل فشلت كما قال د. على جمعةولم تنتج شيئاً، وأنا أطالب د. سيد القمنى بأن يجيب لماذا فشلت العلمنة فى مصر وفى معظم الدول الإسلامية على سبيل المثال.

سؤال آخر بماذا تفسر يا د. سيد القمنى تحول الرواد الأوائل إلى الفكر الإسلامى ومراجعةذاتهم ونقائما؟ وهناك أمثلة كثيرة جداً. محمد حسين ميكل، منصور مظهر، وفى تركيا نجيب فضل سيزايد فراكيس، جميل بلش، وغيرهم

كثير جداًمن عتاة العلمنة رجعوا وأعادوا النظر مرة أخرى.

أريد أن أدرس الظاهرة يا د. سيد، هذه الظاهرة التى لها دلالة قوية جداً فى التعامل بمنهجين مختلفين، فى النظر إلى الواقع وتقويمه والاتلاق منه. ونقطة أخيرة وهى مسألة التعددية، والمنظومة الفكرية الوحيدة التى تضمن التعددية الفكرية على أوسع نطاق هى المنظومة الإسلامية، ومثال التعددية الدينية أنه لا يوجد دين يأمر أتباعه بأن يؤمنوا بكل دين سابق وبكل كتاب نزل قبل الإسلام، مثل الإسلام يعنى لا يكتمل الإيمان إلا بإيمانهم بذلك. "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وما أوتى موسى ويعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" هذه الآية يسورة البقرة ذكرتهم بالاسم، هل هناك دين يقول للناس آمنا بغيركم بهذا الشكل و لا يكتمل إيمانهم على النحو الأمثل إلا بهذا الشكل أعتقد أن التعددية الدينية مسألة مكفولة ، لكن النموذج الذى اقترحه ملخصه هو الآتى : إن هناك مرجعية عليا حاكمة هى الوحى أو النص وأن هذا الوحى قد تلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم ليقدم بثلاث وظائف كبرى أساسية سيتفرع عنها أنشطة كثيرة مختلفة لن نقوم بتفصيلها وإنما هى باختصار وظيفة البلاغ والبيان ، وهذه وظيفة تعليمية فقهية،

وظيفة الفقهاء ومؤسسة الاجتهاد، هذه مؤسسة علمية لعلما اجتهاد ترتبط بكل شكل من اشكال الحياة طالما ان كتاب الله سبحانه وتعالى الذي نزل هو الكتاب الخلو، يامر الناس بأن ينظروا في كون الله و الكتاب المجلول كما يقول السلف الصالح. هذه مهمة الاجتهاد ، والمهمة الثانية مهمة التنفيذ ومهمة الحكم وإدارة شؤون الناس ، وهذه مهمة من المهمات الكبرى والأساسية، وهذه نتجت عنها مؤسسة في التاريخ الإسلامي، وهي مؤسسة الجهاد أو الحكم أو الأمراء أو للحكام وهي مؤسسة سياسية قائمة بذاتها. والوظيفة الثالثة وهي وظيفة تركية النفس وترسيخ الأخلاق وبنائها، وهذه الأخلاق تطورت في مدارس مختلفة، ويمكن أن نجد لها تعبيرات في بعض أدبيات الصوفية مثل تغذية النفس والدعوة إلى الله سبحانه الخ. بهذا الشكل يمكن بالكمال ما بين هذه الأمور أن تصل إلى الواقع وأن تطور فيه وأن تسير في اتجاه صحيح.

● **جهاد عودة :** أريد أن أشكر د. ابراهيم . وهنا ملاحظة أو خطأ تاريخي أن نقول إن العلمنة كانت مطبقة إن الذي كان مطبقا هو الحداثة، هناك فرق بينهما حتى في الإنجليزية، فالحداثة هي أحد منتجات العلمنة، قد يكون منتجا فاسداً وقد لا يكون، وهناك اعتراف في المدارس الغربية يحتاج محورية هذا المنتج والجوانب السلبية فيه، هذا ليس إبداعا

إسلاميا أو إبداعا من العالم الثالث، في تركيا مسألة أخرى، فعنما نتكلم عن العالم الإسلامي المصري والعربي خارج تركيا لأنها تجربة فريدة ، نجد أن الذي طبق هو الحداثة، وبالتالي اتبع نظاما تعليمياً ثنائيا، ونحن نشترك الغربيين في اعترافهم، لأننا شاهدنا الآثار السلبية أكثر منهم لعنى الحداثة، فالأشياء مشوهة ومقطوعة في أفريقيا والتصحح وما إلى ذلك مثل المدن المكتظة بالفقراء من الرفيق القادمين إليها، هذا اعتراف كامل في أدبيات التنمية .

تجربتان في العالم هما اللتان حاولتا أن تتجاوزا الحداثة إلى التطبيق لعنى الجوهر العلماني، بمعنى الفصل ، أى إخراج فكرة الدين نهائيا من حياة الفرد وأنا أعتقد، وهذا اعتقاد قابل للنقاش: إن قضية العلمنة ليس المقصود منها إخراج فكرة الدين من حياة الفرد، ولكن إقصاؤها على حياة الفرد في صورة مزيفة لحصرها. التجربة التركية هي تجربة ليست علمانية، ولكنها تجربة تفهم في ظروفها التاريخية كرد فعل عنيف على التجربة العثمانية، أو مساوية السلاطين والملوك، وأيضا التجربة التونسية تفهم في سياقها التاريخي باعتبارها امتدادا متطرفا للأفكار الفرنسية، وتأكيدا لهذا الكلام أنها حالات تقترب من الاستثناء وغير منتشرة ، فالسائد والأغلب والأمم في التجارب الإسلامية أو في تجارب

الشعوب الإسلامية هي التجارب التي جاءت ثنائية، وهي التي أخذت بفكرة الحداثة والتفاسي عن العلمنة، غير حقيقي إن هناك علمنة في مصر أو في سوريا أو الجزائر أو ليبيا أو علمنة في الكيمياء أو علمنة فيزيائية أو في كل هذه الأماكن ، هناك محاولات للعلمنة التي وجدت في كذا تجربة وقد نجحت بعض الشيء في بعض التجارب وقد فشلت في بعضها الآخر، لكن الرجوع الذي نشاهده في تركيا الآن وما نشاهده في تونس هو الحقيقة عودة إلى الحداثة، وعدم قبول الشطط وأنا أريد توضيحا علميا لكى أصل إلى أنه كانت هناك علمنة نحن نرفضها.

● **سيد القمني :** ما يجب أن نتوقف عنده على مائدة التواصل ما قاله د . علي جمعة عن الهيكلية البنائية للإسلام، واعتبرها أساسا مفهوما لإدارة هذا الحوار التواصل

إن المسلم يعتقد ويدرك جازما أن اعتقاده مطابق للواقع بدليل احسن أو عقلى أو نقلى وفى ظل مبدأ العلمنة الذى طرحته الذى أتحدث عنه لا علاقة لما طرحته بتقديم أو تخلف، ولك أن تعتقد ما شئت.

ثم نقطة أخرى مضطرا أن أرف عنها، تقول إن المسلم يعتقد أن القرآن ليس نصا تاريخيا هو قديم خارج عن الزمان، هذه مسألة فيها أمور خلافية

كثيرة جدا وهى ترتبط بمدى مرجعية النص وهى الإشكالية المطروحة منذ بداية الصور، فالقرآن الكريم جاء وحيا على مدى ثلاثة وعشرين عاما، لم يتنزل دفعة واحدة ولم يكن كالألواح موسى استلمها منقوشة على الحجر جاهزة إنما خلال ثلاثة وعشرين عاما، كان الوحي الكريم يتابع المتغيرات، ويتفاعل مع الواقع ويتجاذل معه ، يؤثر فيه ويتأثر به، فينسخ ويبدل أية مكان أخرى، ويساق الصد، مساوقة هى سر إعجازه، وليس العكس، وهذا هو درس الإسلام فى عقيدتى وفى فهمى ورويتى. وكما قلنا اللهم يتعدى الاسم، أنا أرى أن هذا هو سر السيرة المتفاعلة فى القرآن الكريم، وهذا الجدل مع الواقع، هذه العلاقة المتفاعلة دوما، هذه التاريخية، بالعكس إن من يتصورون قولنا بالتاريخية بأنه سحب جزء من القدسية عن النص، هم مضطرون تماما وربما يحملون ظنا فى الآخر.

المسألة ليست بهذا الشكل على الإطلاق، العكس هو الصحيح تماما، إن يتفاعل الحي مع الواقع يعطى اتباعه درسا فى التحول مع المتغيرات ، وهو ما فهمه الفقهاء بما سعى بحساب للصالح والمنافع وعلم التفسير فى الآيات وفى النسخ كان من أجل مصلحة أعم فى فضلها، هذه جزئية لا بد من الوقوف معها وحتاج تعريفا طويلا لكن وقتنا لا يسمح بذلك.

يقول د . على جمعة الدس المؤمنة فى الشارع لا تؤمن بالعلمنة، ولو حاولنا فإن الشعب سيرفض وبالتالي سيكون حكم نخبية، الحقيقة أريد أن أركز على نقطة «حكم» الحديث، أيضا فيه «حكم» والعودة لمسألة من يحكم رغم أن الحديث غير مطروح بهذا الشكل لكنها مستبطنة دوما فى الحديث، د على يتحدث عن أننا فى مشروع علمنة منذ عهد إسماعيل. والحقيقة أن العلمنة ليست دينا آخر ، والعلمنة كما نطرحها ليست ضد أى دين. علمنة وأنا مسلم تماما، هل هناك إشكالية، علمنة وأنا على عقيدة ما، مسيحى حتى النخاع مثلا لكنى علمانى فيما يتعلق بشئون هذا البلد وحرية القول وحرية الضمير إلخ. أى أن العلمنة ليست دينا آخر يصادر الواقع كما ليست مصادرة للدين، أما إن احتكمتنا إلى الجماهير الاعتيادية فى الشارع فانا لا أستطيع أن أقول أن بيتوهوفن ردى، وأحمد عدوية المنتشر بينهم محترم مثلا. المسألة لا تدخل فى هذا الإطار، يعنى ليست محل احتكاك وإن تكون لاتجاه واحد وإنما للتعديدية، وإذا دخلنا فى الإطار السياسى فستكون ديمقراطية بالمعنى الليبرالى، وتداول السلطة الخ، الذى يضمن هذا هو ما يقوله عن علمنة المجتمع أن الذى سيأتى للحكم بالانتخاب علمانى، ليس صاحب نظام شمولى، إنما أن تأتى للانتخاب وأنت صاحب نظام شمولى وفى خلال أربع

ساعات تعلن كما حدث فى الجزائر أننا ساصير شمولىا إذن ستفشل التجربة، بالمناسبة كنا تماما ضد إسقاط هذه التجربة وكان لابد أن تنجح حتى لا يحسب على أى تفسير خاطئ نحن كنا مع استمرار التجربة.

أما مقولة أننا فى مشروع علمنة منذ عهد إسماعيل، هذا كلام - تاريخيا - ليس صحيحا، ثم تسأل د. على ما هى الملاحظات الثوابت التى ينطلق منها التعدد. وهذا إصرار على أن هناك ملاحظات ثابتة أى أنه حتى التعددية لا بد أن تنطلق من ثابت أوجد، كيف يكون متعددا وهو ينطلق من ثابت أوجد، هنا تضارب فى المسألة، هل المطلوب الآن حكم إسلامى أم نسلم أن الشارع مسلم، وهذا هو المطلق الثابت، فى الشارع موجود عند الناس فى ضماناتهم، فى ضميرى وفى ضميرك قائم ويوجد لا يحتاج إلى سلطان، ونبدأ جميعا كل حسب اعتقاده يمارس ما أسميته العلمنة بالتعريف الذى قلته، وأعتقد أنه لو سلطنا آخر عن العلمنة ويكون علمانيا حقيقيا - سيقول هذا التعريف، هذه خبرة الشارع فى التجربة واصطلاح الآراء، وهذا مما تفسره - العلمنة الحقيقية أن تترك الأفكار تصطرع وفى النهاية الحكم للجماهير.

يقول أيضا بالتحضر من تبعية الماضي فى مسائله، هذا جميل، لكن هذا مع خالص تقديرى للدكتور على جمعة هو

إلتفاف آخر حول المسألة، يعنى بالفعل هذا ذكاء مستتير، وما أخرجنا للمستتيرين هذه الأيام، يعنى للمسلم المستتير.

ولأنه يدرك جيدا أن المسائل كانت ظرفية ترتبط بزمنها ومكانها وإشكاليات عصرها، لكنه يقول إن ما كان يصلح أيامها من منهج يمكن أن يصلح اليوم مع اختلاف المسائل، هذه أيضا أحجية تحتاج إلى التقادم عليها. إن منهاجا كان يصلح لزمان ومكان فى مسألة بعينها، يختلف الزمان والمكان، اختلف إفراد الظروف اختلافا كليا فكيف استخدم نفس المنهج؟ أيضا لك حلك فى التعامل معه فى ظل العلمنة، لكن هنا نريد أن نعدد الأمر فى إطار علمي. أيضا يجب علينا أن نتحدر من تبعية الآخر فى مسائله ومناهجه. نعم لكن ما هو الآخر/ إنى أريد أن اتحدر مثلك تماما فى كل شئ، لكن هل أملك الأدوات لأن أعود إلى الدعوة الداعية للبداية من الصفر فهذه المناهج التى اتفق عليها الآخر ليس هو صاحبها. هذه المناهج أنت ساهمت فيها، وأنا كذلك ساهمت فيها، وللصبرى القديم ساهم فيها والباباوى والصينى والمسلم والكل، حسنتى وصلت إلى البشرية. هذا تصنيف طائفى للعنوجية. المنهج لا يعرف طائفة فهذا إبداع إنسانى.

انتقل إلى الصديق د. ابراهيم غانم. الرجل منذ البداية اتفق معنا على أن

العلمنة بالشكل المطروح يتفق معنا عليها، وأنا ومن على شاكلى مستعدون أن نكافح فى سبيل تثبيت هذا المعنى، إذا لم يكن ثابتا، لكن المشكلة أن هذا هو تصريف العلمنة بالفعل، إذا رجعنا إلى الأصول سنكتشف أن هذه هى العلمنة، يقول إننا فى الواقع بين الثابت والمتغير، ويجب أن أرجع مرجعيتى وليس للمفهوم العلمى، لأن مفهومى العلمى مبنى على مرجعيتى. ولكن إذا كنا فى مجال الحديث عن العلم فلن يكون حق أحد. إنما هو حق الجميع وحق الإنسان خلال صراعه الطويل حتى وصل لفهمه العلمى للأمور. المفهوم العلمى مفهوم مشترك للجميع، فمرجعيتك فيما يتعلق بخصوصيتك، وليس بخصوصية المجتمع برمته. الثوابت هى الكليات الخمس والحقيقة كان حديثا رائعا حول حفظ هذه الكليات الخمس هل هناك دستور فى العالم دينى أو وضعى لم يدر إلى المحافظة على هذه الثوابت. أتصور أنه لا يوجد ذلك. هذا يعيننا إلى نفس المشكلة. إن الذى يطبق هو المرجع وهو المشكلة، وكيف نضتار وكيف يتم هذا إلا بالأسلوب الديمقراطى المعلن وإذا شططت أسقط وفق قواعد الديمقراطية، أما الذى يحكم باسم الله وأنه سيحافظ على هذه الثوابت كما جاءت فى القرآن أنا لا أستطيع أن أراجع أو أراجع فهمه وكيف يطبقه؟

هناك فسرى بين من يحكم باسم الديمقراطية ويدعى أنه بشرى قد يصيب

وقد يخطئ، وبين من يحكم باسم الله، وأن هذا الفهم الصحيح للدين وما عداه مارق. لك أن تحافظ على هذه الكليات الخمس العظيمة وفق أى معتقد تشاء لكن بالطريق العلمى الديمقراطى الحر.

ثم يعود الدكتور على جمعة ويقول إن قضية العلمنة يفهمونها على أنها إنكار المطلق، والإناس لا تفهم نيتش، الناس ليس لديهم فكرة عن نيتش، العلمنة فى رأى لا تريد أن تنفى الدين ولا أن تثبته، ولا أن تدافع عنه، المسلمون يفهمونها على إنها إنكار المطلق، إن أصحاب ذلك المطلق، وراء تثبيت هذه القضية فى أذهان المسلمين وتكريرهم لها، وتنفيرهم من العلمانيين، أولئك هم أصحاب الرأى السلطوى الأوسع، وأصحاب الكراسى الحقيقية فى بقاء وتفسيرهم، هم الذين يملكون الصحف والإعلام والمسجد الخ. وهم من أثبتوا هذه القضية ليبنى الميدان مستباحا لهم وحدهم، بالضبط كما كانوا يفعلون فى الزمن السابق، مع الاشتراكية. جاءت الاشتراكية وتحول الرجال كلهم إلى اشتراكيين وغنوا: الاشتراكيون أنت إمامهم وأنا أقول إنها قضية مصالح، المسألة فيها الحفاظ على المصالح التاريخية. صاحب الرأى الأبعد لا يشغل إلا إنك تهز القعد التاريخى من تحت برأى آخر، وهو لا يقول ذلك.

العلمنة تحمى المسلم المعتقد من الاضطهاد ومن التكنيك به، لأنه سيد



حماية من الجميع الذين يؤمنون بحرية  
الرأى وحرية الاعتقاد.

ثم قال د . على جمعة : إن التوجه  
للفكر الغربى يؤدى إلى نشوء الجريمة  
إلخ .. بينما فى الإسلام غير ذلك ، حقيقة  
كنا مسلمين والجريمة قائمة والبشاعات  
قائمة

كان هناك من أطلقنا عليهم خلفاء  
وهم يستحقون بأن يلقبوا بأنهم مجرمون  
فما الذى يضمن هنا تطبيق المبدأ إلا أن  
أقول رايى وتقول رايك بكل حرية إن الله  
يدافع عن الذين آمنوا وليس العكس أنا  
مثلاً عندى مرض اسمه العصب  
الخامس واعتقد أن الذى صنع علاجه  
رجل يستحق ثواباً عظيماً برغم أنه  
ليس مسلماً

د . إبراهيم قال كلاماً جميلاً أوافق  
عليه ، أنا لم أقصد التفرقة بين مصرى  
وعربى ومسلم ، المستويات بهذا الشكل:  
الوطن - مصر - المروية - الإسلام .  
الإنسانية شيء رائع جداً ، لكن الملحوظ  
أنه فى وسط الإشارات الأربع سنجد  
ثلاثاً جغرافية وواحدة عنصرية ، لكن لا  
يعنى هذا عدم الانتماء هذه ملحوظة  
إجرائية إنما لا خلاف .

أما مسألة المذابيح التى يقوم بها  
المستعمر ، يجب أن ندرك أنها حروب  
مصلحة طبقية ورأسمالية واضحة جداً ،  
الحربان العالميتان قائمتا بهذا الشكل ،  
واليوم حروب على منابع البترول .. إلخ ،

لكن للتذكير إن ممن توفى فى ظل  
الصروب الدينية وفى ظل حكم شخص  
يقول أنا أحكم باسم الدين ، ثم الحروب  
بين الأديان الأخرى وبعضها ، ثم بين  
طوائف بين الديانة المسيحية لوعدنا  
ضحايا هذه الحروب ، ستكون أكثر من  
ضحايا حروب التكنولوجيا والطم .. إلخ ،  
كما قلنا فشلت العلمنة سابقاً لأنها  
مشاريع جزئية من العلمنة تريض لها  
صاحب الرأى الأوحىد يريد القضاء  
عليها ، لفرض سلطانه وإسكات أى لون  
من ألوان المعارضة ، لفترض اليوم أنه  
قد بدأت تحدث ألوان من ألوان التجربة  
الجزئية للعلمنة فى قطر ما من الأقطار  
ود . إبراهيم غانم قال : إن العلمنة قد  
فشلت دون أن يضرب مثلاً .

● إبراهيم بيومى غانم : تركيا  
مثلاً .

● سيد القمنى : تركيا كانت ردا  
على ظرف تاريخى كامل ، إنما الذى أريد  
أن أقوله إنه إذا تصورنا أن هناك جزءاً  
فى تجربة عبد الناصر كان فيه علمنة ،  
وإن كانت الحقيقة ليست بهذا الشكل ،  
لو تصورنا هذا وتصورنا كم كان  
التريض قائماً لها ، يعنى من الصعب أن  
نحكم على تجربة أربعة عشر قرناً  
واقارنها بتجربة العلمنة . هذه مسألة  
فيها من الظلم الكثير ، فهى لم تعط  
فرصتها بل إن العلمنة بالمعنى الحقيقى  
حتى الآن ليست مطبقة بشكلها الكامل  
لأنها حتى لو كانت فى المعسكر الغربى

مطبقة ، فإن من يصل إلى سلطة الحكم  
هو صاحب المال والنفوذ .. إلخ ويضيف  
الدكتور إبراهيم أن المنطوقية الفكرية  
الوحيدة التى تضمن التعددية هى  
الإسلام لكن هناك من يقول بغير ذلك من  
داخل المنظومة الإسلامية رغم اختلاف  
شعابها ، وأنا أقول إن من يقول إن  
الحرية التعددية يضمنها الإسلام هذا  
انتقاء لايات دون آيات ، وهذا لون من  
نزع الآية من سياقها وهدفها التاريخى ،  
وهو يجهل للآخر المعادى لحرية الاعتقاد  
أن يستشهد بالآيات الأخرى ويقف عليها  
.. إلخ .

الإيمان بالأنبياء السابقين ، نعم لكنه  
كفر اتباعهم وهذا لا يحل إشكالية اليوم ،  
نحن أمنا بالمسيح لكننا كفرنا اتباع  
المسيح الذين يقولون إنه ثالث ثلاثة ، نحن  
أمناء بموسى والتوراة لكننا كفرنا اليهود ،  
« ويل للذين يحرفون الكتاب .. وفى  
النهاية إن الدين عند الله الإسلام  
المسألة يجب أن تدرس دراسة موضوعية  
مرتبطة بظرفها التاريخى ، لا نسلخ الآية  
وتستشهد بها الآن ، لأن الطرف الآخر  
سلطوى ، سيتنزع أية أخرى ، تهدر  
توجهاته القمعية ، ولا تنس أن الإسلام  
قد أعاد التاريخ نورة كاملة ، ليبدأ من  
عند اللحظة المحمدية ، بحيث يصبح  
إبراهيم مسلماً وكل من تبعه مسلماً ،  
وهذا ما يرفضه أتباع الديانات الأخرى ،  
هنا إشكاليات لن نقبل حلاً بمجرد أن  
أقول إن الإسلام يضمن الحرية الدينية .

هذه عموميات أما التفاصيل فستواجه مشاكل إجرائية شديدة التعقيد.

● **على جمعة :** لقد ذكرنا مستويين مختلفين، وينبغي علينا حتى لا يطول بنا الكلام ونصل إلى ما كان مقصوداً، وهو تحديد نقاط الخلاف والإشكاليات، ينبغي علينا أن نفرق بين مستويين : المستوى الأول هو النموذج المعرفي، المستوى الثاني هو التطبيق ، فقد تكلمنا وكأنهما شيء واحد، ومهم جداً أن نميز بين النموذج المعرفي الإسلامي والنموذج المعرفي العلماني، بعد ذلك تجمي مسألة التطبيق، وهل كانت تجاوزات في تطبيق النموذجين ، لكن علينا أولاً أن نحدد ما هذا النموذج؟ وأيهما نختار منطلقاً لمشروعنا؟ نحن نريد أن نجلس على تمييز النموذج المعرفي الإسلامي والنموذج المعرفي العلماني كأساس لبناء مشروع مصرى.

● **جهاد عودة :** فى نهاية هذه الندوة أشير إلى أهمية ما حدث.

إن ما حدث الليلة هو أمر هام فى تاريخ الأفكار المعاصرة، أو على الأقل فى العشر سنوات الأخيرة من حياتنا الثقافية، ولابد أن الذين حضروا هذه الندوة يسعدهم أنهم قد شاركوا فى هذا الحدث التاريخي، ومجلة القاهرة لابد أن تدرك أنها قد ساهمت فى هذا الحدث التاريخي الذي نأمل أن يستمر، ولا يكون مجرد طلاقة. كما أود فى النهاية أن أخص ما دار فى هذا النقاش .

**الإشكالية الأولى :** التي ظهرت فى هذا الحوار هى : هل الدين عقيدة أم هوية؟ وما ترتب على ذلك من آثار ومذاهب ومناخ عدة.

**ثانياً** ما معنى أن يكون النص مصوراً للمضارة؟ وتطورت هذه الإشكالية إلى كيف ننظر فى العلاقة ما بين المعيار والنموذج المعرفي والواقع .

**ثالثاً** كيف يمكن تخصيص التفكير

الإسلامي بالأفكار المغايرة .

**رابعاً :** كيف يكون النص ليس فقط مصدراً للتمنى والحلم ولكن أيضاً مصدراً لعملية إبداعية عقلية .

**خامساً :** هل منتجات العقل وليس استخدامها هى مجايدة دينياً أم غير مجايدة .

**سادساً :** كيف يتم التحرر من الغير سواء فى المسائل أو فى المناهج أو كليهما .

**سابعاً :** هل جاءت المرجعية القرآنية لإقرار الثوابت الإنسانية وكيف ن حافظ عليها؟ وهل هناك ثوابت إنسانية ، وإذا كانت هناك فكيف يمكن العمل من أجل تشريعها وتثبيتها .

أخيراً وهو خاص بالعلمنة: لابد من تصديق مفهوم العلمنة فى بلادنا لكى تمنى حماية العقائد والآراء المختلفة من الاضطهاد الثقافي والسياسي . ■

# الفكر لـ الغايات

من كفر مندور إلى طه حسين

---

١٠٠ رسائل محمد مندور إلى طه حسين ، تقديم : نبيل فرج . ١٠٦ الرسائل

# رسائل محمد منـدور



# ...الى طه حسين



# رسائل محمد مندور إلى طه حسين

من كفر مندور وبarris والقاهرة

## هذه الرسائل

قد تكون هذه اكمل مجموعة من الرسائل التي وجدت ضمن رسائل الكتاب والمفكرين إلى عميد الأدب العربي طه حسين وضمن أوراقه وعين الكمال هنا أنها تابعت سياقاً مستمراً في العلاقة بين محمد مندور وطه حسين منذ كان الأول في شبابه ، وقد كتبها له من قريته قبل أن يسافر لبعثته الدراسية في فرنسا، ثم يستمر السياق ونقرأ مجموعة مهمة من الرسائل أثناء وجوده في البعثة، ثم يكتمل السياق لنقرأ مجموعة ثالثة بعد البعثة.

ثم إن وجه كمالها الأهم هي أنها تروى طرفاً مهماً وخفياً من السيرة الذاتية لمحمد مندور، لا شك أنه سيكون مفيداً للباحثين في هذه السيرة بالإضافة إلى أنها ترسم صورة «عاطفية» صادقة لعلاقته بأستاذه طه حسين، كما أنها تشير بقوة إلى العلاقة الفكرية بين التلميذ والأستاذ، بالإضافة إلى أنها تشير إلى رأى طه حسين في محمد مندور أو لنقل في بعض محطات حياته ، ومن خلال رسائل مندور نفسه .

وال مؤمل الآن أن نعرض على رسائل طه حسين إلى محمد مندور ، وهذا ما نحاوله منذ وصلت رسائل محمد مندور إلى أيدينا ، حتى تكتمل الصورة وتعم الفائدة .

التحرير

**ق**

هذه مجموعة خطابات كتبها محمد مندور إلى طه حسين فيما بين ١٩٢٩ - ١٩٤٠ ، لا يعلم أحد عنها شيئاً في حياتنا الثقافية ، لأنه لم يرد لها ذكر قط في كتابات أو أحاديث مندور عن نفسه، وما أكثرها، ولم يذكرها طه حسين بدوره قط.

يبلغ عدد هذه الخطابات ٢٣ خطاباً مقسمة إلى ثلاث مراحل : ٤ خطابات من كسر مندور في ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، قبل البعثة إلى فرنسا .

١٦ خطاباً من باريس في سنوات ١٩٣١ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، أثناء البعثة ، بينها ثلاثة خطابات بلا تاريخ . و ٣ خطابات من القاهرة في ١٩٤٠ ، بعد العودة من البعثة ، منها خطاب يحمل توقيع محمد مندور وتوقيع زميله في البعثة على حافظ ، وهو بلا تاريخ .

ومن المحتمل جداً أن تكون هناك خطابات أخرى ، لم يشأ طه حسين أن يحتفظ بها ، أو مطوية في مكان ما ، تنتظر من يعثر عليها ، أرسلها مندور في السنوات التي خلت من الخطابات ، أو في نفس هذه السنوات .

ولبيان الظروف التي كتبت فيها هذه الخطابات ، يتعين الإشارة إلى أن



مسيرة نادرة لـ محمد مندور بين الآثار اليونانية وهي التي أرسلها طه حسين ليثبت أن زيارته لليونان . والتي تسببت له في مشاكل عديدة مع مديرية البعثة في فرنسا ، كانت لرؤية الآثار وليس للبعث .

صلة مندور بطه حسين ترجع إلى سنة ١٩٢٥ ، عندما التحق بالجامعة المصرية ، طالباً في كلية الحقوق ، في السنة التي تحولت فيها من جامعة أهلية إلى جامعة حكومية ، ووجهه أستاذه طه حسين إلى دراسة الأدب في كلية الآداب ، إلى جانب دراسة القانون .

وبهذا الجمع بين الدراستين حصل مندور على ليسانس الآداب في ١٩٢٩ ، وعلى ليسانس الحقوق في ١٩٣٠ .

ولعل أكثر ما يمس قارئ هذه الخطابات ، وبخاصة الأربعة الأولى ، المحبة الفياضة التي نبض بها قلب هذا الفتى ، محمد عبد الحميد مندور ، نحو طه حسين ، في مطلع الشباب ، والوفاء الجميل الذي حمله التلميذ لأستاذه ، وهذا الاعتراف الصادق بفضل العظم في خلق شخصيته ، ويأنه كان نقطة انطلاق في حياته لأنه غير اتجاهها بدراسة الآداب ، بدلا من الاقتصاد على القانون ، كما غيرها ، بعد ذلك بالبعثة إلى فرنسا ، التي تمسك لها طه حسين ، وقام بتذليل العقبات التي اعترضت مندور في الكشف الطبي ، ووضع له منهج

الدراسة فى البعثة، ثم ظل يراعاه سنوات طويلة أثناء هذه البعثة.

أما خطابات البعثة فهى بمثابة ثروة أدبية ووثائق تاريخية، تصف بالوضوح الذى تميز به أسلوب مندور الحياة الشخصية لبعوث مصرى من النوايح، وعلاقته العاطفية كشاب شرقى مع فتيات الغرب، ومعاناته المادية للحصول على المراجع والقواميس الغالية، بسبب ضائكة مرتب البعثة، ومالقيه من الصعاب وسوء الفهم والعنت، من المشرفين على هذه البعثة، لاختلاف خطه فى الدرس والتحصيل التى رآها أفيد لمستقبله، من الخطط الرسمية الثابتة، وكيف واجه هذه اللجنة التى لم يفهم فيها أهد، وكادت تودى بحياته، حين فقد الأمل فى كل شيء، وعقد العزم على الانتحار.

وكان مندور قد قام أثناء البعثة برحلة إلى اليونان بهدف رؤية الأطلال القديمة فى أثينا، التى ترد فى الأدب اليونانى، مهد الثقافة الأوروبية وحضارتها، وتذوق ما تنطوى عليه من سحر الماضى، ثم فوجئ، بصدر قرار يفصله من البعثة، باعتباره مارقا على النظام المتبع.

ولو كان الإشراف على البعثة فى المستوى اللائق، لكوفىء مندور على صحوته العقلية المبكرة، التى أدركت أن زاد الآثار والأحجار، من العلم والمعرفة، لا يقل عن زاد الكتب.

وينفس هذا الإدراك والشغف بالعلم والمعرفة، سافر مندور إلى مدينة «روان» فى شمال فرنسا، ليطوف بالببيت الذى كتب فيه جوستاف فلوبيير فى القرن التاسع عشر رائعته الخالدة «مدام بوفارى»، وزار أيضا إيطاليا وصقلية.

وتكشف الرسائل عن تعثر مندور فى دراسته، ولكنها تكشف كذلك ما حصكه أثناء هذه البعثة من علم باللغات والآداب القديمة والحديثة، تجاوز بها كل ما تلقاه فى بلاده، ووضع بها الأسس والقيم التى استوى عليها ميزان النقد والمقارنة فى أعماله.

كما أنها توضح الى أى مدى كان مندور، فى الغربة، مهووماً بما يجرى فى وطنه، على نحو ما نجد فى حديثه عن مجمع اللغة العربية، وما ينبغي له بخصوص المعاجم اللغوية. وتعد هذه الخطابات، بما تضمنته من أحداث وحقائق وأفكار ومشاعر وترجمة ذاتية، يعرف الكثير منها لأول مرة، سجلاً حافلاً يعكس أهم مراحل حياة

مندور العلمية وتكوينه الفكرى المتين الذى يصعب على الناقد تلخيصه، لعمقه، وتنوعه، وانفساح مداه.

ومع هذا فيمكن ذكر بعض ملامح هذا التكوين فى النظر إلى الأصول والمبادئ الفنية من خلال الأصول والمبادئ الانسانية، النفسية والاجتماعية، لأن ما يجافى القيم الإنسانية، يجافى بالضرورة القيم الفنية. الإيمان الوطيد بالترابط المعرفى بين التراث والحداثة، أو بين القديم والجديد. والوعى بما تمنحه السياحة ومشاهدة العالم من ثمار طيبة فى تثقيف النفس، ومن تأثير فعال فى شحذ الملاكات. ووحدة الثقافة البشرية، دون غض من خصائص كل ثقافة بصفتها وعاء التقاليد والأخلاق والمزاج والروح القومية ذات الطابع المميز، فلا تعارض بين المحلية والعالمية، أو حتى بين فنون الشعب كفنون فى حد ذاتها، أو كاتجاه يغذى الإنتاج الأدبى المعاصر، وبين الفن العالمى بقوليه الحضارية المتطورة التى لا وطن لها، مثل العلم، والتى ساهم العرب فى صنعها مثلاً ساهمت كثير من الشعوب. والتعامل مع الإبداع كأبداع جميل وحكمة كاشفة وتجربة حية لها جاذبيتها، وليس كمتون



24 Rue des Ecoles  
Mission Scolaire d'Egypte  
Paris (5<sup>e</sup>)

التراث المشترك، وقوة أصالته ،  
وليس على الدين أو الجنس .

وترسم الخطابات الثلاثة الأخيرة  
صورة للمعاناة التي تعرض لها  
مندوب في أرض الوطن ، بعد غيابه  
الطويل في البعثة ، وعودته في يوليو  
١٩٣٩ ، لا يحمل شهادة الدكتوراة  
التي أخذ يحضر لها في باريس منذ  
سنة ١٩٣٥ .

ذلك أن أقسام اللغات العربية  
والفرنسية والإنجليزية في الجامعة  
رفضت ، مجمعة ، أن تعادل  
الدكتوراه بما حصل عليه من  
دبلومات في اللغة اليونانية وأدابها ،  
وفي الأدب الفرنسي ، وفي فقه اللغة  
الفرنسية ، وفي علم الصوتيات العام  
والتجريبى ، وفي الاقتصاد  
السياسى والتشريع المالى .

ولولا المساندة التي تيسرت لمندوب  
من أحمد أمين عميد الكلية حينذاك -  
بعد انتهاء عمادة طه حسين في عام  
١٩٣٩ - بإسناد بعض دروس  
الترجمة إليه ، من الإنجليزية  
والفرنسية إلى العربية ، لترك  
الجامعة بحثاً عن الرزق خارجها ،  
دون أن يعد رسالته العلمية  
للدكتوراه ذات المستوى الرفيع  
«تيارات النقد الأدبى في القرن الرابع  
الهجرى» التي صدرت في كتاب

بـ ربيع في أول أبريل  
استاذي  
مضى سهو حذر لم يشرف فيه بالكتابة إذ استاذي  
وقد صرت ضاحكاً به بما كانه من الواجب على أنه استاذي  
لأنك لم تكن تشارعاً بما المزيد ، لأنك به رغبتي وما لا حرجي  
حتى في أنه : سقى سهو قد تم - الذي قد رله قيته - يراستني  
ما تحا من ضيقنا لسانه قد منى به بالكتابة بكم فرائد  
بأنه : كنت منى ما علمنا به لك لساناً بارئاً استقامت جميع  
عميد الكلية بالاشتراك في مستكم مع : أهداني وأنا  
أبريم سعيد بأنه : أهدني بكم سهو جديد وهنأ  
رستني طه ما به جوده قلبى لستادى سهو علوا لجد وسامحة  
الذكر .

للنحس والصرف ، أو كهياكل جامدة  
للصنعة والتكلف ، يفلحها التمنيق  
والزخرف . ولهذه التجربة حريتها  
الكاملة في التناول والتصرف في  
وقائع التاريخ والأساطير ، حين تقخذ  
مادة للتعبير عن عصرها ، تتشكل  
وفق تضاريس الحياة . والإعلاء من  
قيمة الفطرة والتلقائية والصديق  
والرهافة والشاعرية ، في الموضوع  
والأداء ، وقد غابت هذه الصفات من  
سمات الفنون الحديثة كلها ، في  
الشرق والغرب ، وتحديد فلسفة  
الأدب والفن في نقد الحياة ، وركى  
المجتمع مقدا الديمقراطية الاجتماعية  
على الاشتراكية . وعدم فصل  
الضمير العلمى عن الضمير الوطنى ،  
أو التفريق بين حرية الكاتب وحرية  
الناقد ، والتأكيد على أن الوحدة  
العربية تنهض على وحدة الثقافة  
العربية ، ووحدة التاريخ ، وعلى

لا غنى عنه للباحثين في هذا التخصص، عنوانه « النقد المنهجي عند العرب » وإن لم يستغرق من مندور سوى تسعة شهور أو نحوها ، اعتمد فيها على ذاكرته وحدها ، ثم وثقها بالمراجع والمصادر .

ورغم حصول مندور على هذه الشهادة في ١٩٤٣ ، فقد ترك الجامعة نهائياً في أبريل ١٩٤٤ ، لينخرط نحو عشر سنين في الحياة العامة ، ويصيب فيها نجاحاً كبيراً في الصحافة والمحاماة والبرلمان ، استلهم فيها ضمير الشعب ، ودافع عن قضائيه في العدل والحرية التي يخوضها العالم أجمع ، وبدا فيها مندور شعلة متقدة من النشاط الفكري والسياسي ، في هذه المرحلة الهامة من الصراع السياسي والكفاح الوطني ، التي أرادت أن تبني المجتمع بناء جديداً ، مهد لثورة ١٩٥٢ .

ويعد الثورة تفرغ مندور نهائياً للنقد الأدبي ، محققاً بمقالاته وشحاضراته وكتبه وأحاديثه ، في كل مكان ، مجده الأدبي كناقذ من أكبر النقاد العرب في العصر الحديث ، أحباطاً باتجاهات الفكر والفن الرئيسية في بلاده وفي العالم ، ووقف بأدواته ومبادئه النقدية كالحصار

الأمين ضد الجهل والخلط والتعصب والمكابرة ، يشق طريقه لنهضة الأدب العربي ، ليجد مكانه بين الآداب العالمية ، متمتعاً بروح شعبية مثقفة ، لا يتنافر فيها جلياب الفلاح مع قبعة السوريين ، كما لم تتنافر ثقافة طه حسين الأزهرية القديمة مع ثقافته الغربية الحديثة .

ولأن هذه الخطابات وثائق بالغة الأهمية ، سواء بالنسبة للمندور أو بالنسبة لتاريخنا الثقافي في العصر الحديث ، فضلاً عما تلقىه من أضواء على شخصية طه حسين ، بقلم أقرب تلاميذه إليه وأكثرهم افتئاناً به ، فمن حق الحركة الثقافية أن تعرف أن هذه الخطابات ظلت في حوزة طه حسين سرا خفيا لا يبيحه ، ولم يخطر ببال أحد أن مندور كتب كل هذه الصفحات التي يصل مجموعها إلى ٧٧ صفحة ، ٥٩ منها من القطع الكبير . وقد حافظ طه حسين على كل ما جاء فيها من أسرار تلميذه ، كما يحفظ الآباء أسرار أبنائهم التي يمكن أن تمس وجودهم ، أو تؤثر على مستقبلهم .

وعندما رحل طه حسين في ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ آلت هذه الخطابات - مع كثير غيرها - إلى محمد حسن الزيات ، زوج ابنته أمينة طه حسين ،

الذي سلمتني إياها في أصولها الخفية سنة ١٩٩١ ، حين كان يقيم بمفرده في شارع حسن صبري بالزمالك ، وطلب مني بدعته أن أعدها ضمن فصول كتاب شامل عن طه حسين ومعاصريه ، يصوئ كل الخطابات التي أرسلت إلى طه حسين من أدباء مصر والعالم ، بعد أن أصبحوا جميعاً في ذمة التاريخ .

وخطابات مندور بصالة جيدة نسبياً ، لا تحتاج إلى ترميم فيما عدا اصفرار الورق من القدم ، ووجود بقع صغيرة هنا أو هناك ، أغلبها في الهوامش ، لا تؤثر على الكتابة ، وبعض السطور الباهتة ، وهي مكتوبة بالحبر الأسود على وجه واحد من الصفحة ، أو على الوجهين .

وستودع هذه الأصول المخطوطة ، بإذن الله ، كما تودع التحف والقطع الأثرية الثمينة ، في متحف طه حسين «رامتان» ، بترتيبها التاريخي الذي تنشر به في «القاهرة» ، مع كل منا يمكن جمعه مما كتبه طه حسين أو كتب إليه ، ويتطلب تتبعه وحصره واقتناؤه جهداً خارقاً .

وإذا كان هناك من يستحق أن يهدى إليه هذا الكشف الأدبي الفريد في تاريخ الثقافة العربية ، فهو محمد

حسن الزيات، الذى صانته من الضياع أو النهب أو التلف ، ولأنه وثق بأننى سأقدر خطره، وسأخلص فى تقديمه بالصورة التى تثرى ثقافتنا، ولا تنال من مقام مندور أو طه حسين كقمتين شامختين

للثقافة الإنسانية الحرة، انبسطت أشعتها على كل من قرأ لهما، وفرضاً حبهما وتقديرهما على المثقفين، ولم يرتفع عليهما أحد. وبعد .. فأرجو ألا يكون الزيات قد أساء الاختيار أو أخطأ القصد،

وأن تتيج لى روحه التى أشعر بها ترف حولى، منذ رحيله المفاجيء فى ٢٤ فبراير ١٩٩٣، أن أقدم لاسمه هذا العمل، كما تقدم الرقية، حتى تتخفف النفس من عبئها، وتهدا، وتستريح ..

قلب البعثنة

الرسائل



كفر مندور في ٧ يونية سنة ١٩٢٩  
استاذي العزيز:

لقد كان في عزمي أن أكتب إليكم بمجرد وصولي إلى أهلي ولكنني لم أستطع لشدة التعب الذي نالني في العام الدراسي المنصرم وما زلت حتى اليوم لا أقوى على قراءة أي شيء حتى الجرائد فأنني أمر عليها مرأً وقلماً أقرأ منها خيراً بتمامه .

على أنني مع شدة حاجتي إلى الراحة كنت دائم الخلق وكلما مضى يوم أو بعض يوم ازديت تلقاً لأنني أشعر بيني وبين نفسي بهاتف يصرخ بي أن في عنقي ولجأاً من الشهامة أن أسرع إلى أدائه على خير وجه فكلما أنساه قوى سلطانه على نفسي ولازم حسي ومسارب خيالي فهو مائل أمامي في كل حين وهو نجوى ضميري في كل وقت .

ذلك هو واجب إسداء الشكر إلى أهله وما أنا بكاذب إن قلت إن الاعتراف بالجميل والرغبة الصادقة المخلصة في حمد من تفضل على بسبب من عقله أو قلبه من الزم صفاتي والصقها بمنزلة الأعلى الذي أسير دائماً تحت ضوءه .

استاذي

لو قدر لي أن تكون حياتي موضع عناية أحد من الناس لوجب أن يكون اتصالي بكم نقطة انقلاب أحدث في حياتي أعمق الآثار . على أنك لو سألتي تحديد نوع ومدى ما أفدت منكم ما استطعت لا لأنني لا أدرك هذه الآثار بل لأنني معتقد بحق أنني كلّي منكم وكفاكم فضلاً أنكم خلقتم شخصيتي فلقد كنت لي مثلاً حسناً في قوة الشخصية وصراحة الإيجاء مما قوى في نفسي شعور الثقة بالذات ولولا هذا الشعور الذي ولدت به ونماه اتصالي بكم لكنت من أشقى الناس وأضعفهم حظاً في الحياة .

استاذي

في اعتقادي أن رابطة التلمذ أشرف الروابط لأنها رابطة عقلية ورياط العقل لا شك أسمى رباط . ذلك إذا كانت العلاقة مجرد علاقة أستاذ بتلميذه فكيف إذا كانت علاقة عقل وقلب معاً وهو ما كان بيننا وبين استاذنا فكم شملتنا بعطفكم وكم لطفنا بوقتكم وكم لاقيتنا باسماً مسروراً وكم عبثت بنا بذكائك الخارق وكم شجعتنا وداويت مواضع النقص فينا فعلاقتنا بك كانت ولا تزال ولن تزال علاقة تلمذة وأبوة وأخوة وصداقة فلك منا أوفر الحمد والثناء .

أستاذي

لقد تخرجنا على هدى علمكم ومن بين أيديكم وكلنا حماسة وكلنا قوة وأمل أن نكون تلاميذ برة وسوف يكون مظهر هذا البر العمل ففسير معك وتحت إشرافك في السبيل الجديد الذي شققته في عالم الآداب العربي فنتم ما بدأت ونصل بالآداب العربي إلى ما تبغى وفي هذا أكبر جزاء نستطيع أن نتقدم به إلى استاذنا .

لئن قال رجال نحن تلاميذ الأستاذ الإمام محمد عبده كما قالوا قديما نحن تلاميذ سقراط أو أرسطو  
فنحن اليوم أعلى من الجميع صوتا وأقوى روحا نصيح في كل مكان بأننا تلاميذك الخادمون الحق معك  
الساعون إلى تجديد الأدب ومن جدد الأدب فقد جدد مقوما من أعظم مقومات الحياة .

نعم نحن تلاميذ الدكتور طه نفتخر بهذه التلمذة ونباهل من ينكر علينا هذا الفخر . دوننا ودونهم  
معترك الحياة فليلقوا بأسهمهم وما نحن نلقى بأسهمنا ثم لينظروا أينما يحكم الرماية .

رويداً يا أستاذي فسوف نلقنهم كما لقت موسى موسى حبال السحرة .

أستاذي

كل جوار حي تشكر لك فضلك على فهل لك أن تتفضل بقبول هذا الشكر من تلميذك المعجب بك  
المقدر لفضلك الناطق بصمدك .

يا أستاذي أريد أن أشكر أكثر من هذا لأن ضميري لا يزال يناديني بوجوب الإفاضة في شكرك فهل  
إلى ذلك من سبيل . أترك لفظتكم تلمس مبلغ شعوري وأنا أكتب هذا الخطاب .

كم أكون سعيداً لو تفضلت وتنازلت بزيارة تلميذك ونحن هنا نسكن في عزية بها حدائق منشأة حديثاً  
والجو عندها صحو وسبل الراحة متوفرة فلو تفضلت بقبول هذه الدعوة التي أقدمها على استحياء  
فتفضل بأخباري لأحضر إلى مصر وأصحبكم حيث ينتظركم والدي وعمومتى والجميع فرحين  
يستبشرون ونحن لا نبعد عن مصر كثيراً لأننا بجوار منيا القمح شرقية وأرجو لكم ولجميع عائلتكم  
الكرامة الصحة والسعادة .

محمد عبد الحميد مندور

كفر مندور في ٣١ يوليو سنة ١٩٢٩  
استاذي العزيز:

يحلولى دائما أن اتحدث عن استاذي اطيب الحديث لأنه حديث نفسه يملئ إعجابى بكفائتكم التى لا أعلم لها عدلا وإن هو إلا حديث صدق لو لم أقله لقال نفسه فلا قبل لى بمغالبتة ونفسى حافلة بالإيمان بتفوقكم وشخصيتكم العظيمة تملأ نواحى.

ومن العجب أن تعلقى بكم يزداد يوما عن يوم سواء لاقيتكم أم لم لاقيتكم فلى فى حضوركم أنس لا تزعجى حتى عادات الامتحان فهو مله نفسى ما شرفت بالجلوس اليكم وهو مناط ذكرى طيبة ما صرفت إليه وهمى ! مذ غبت عنكم ووالله ما اتجهت بخيالى إليكم حتى تصورتك يا استاذى كما أبغيت وكان وأعيتى قد انتظمتك فى كل وضع فأتصورك محاضرا وأتصورك منصتا وأتصورك ماشيا وأتصورك ضاحكا وأتصورك ناقدًا مستغفا ولا عجب فقد صادفت شخصيتكم الكبيرة قلبا متلهفا لمن يملأ فراغه فانتشرت فيه وأخصبت نواحيه شيء واحد يا استاذى أريد أن أقرره عندكم بما لا يقبل اللبس هو أن إعجابى بكم لا مبدأ له ولا غاية فسواء كنت أدبيا فى مستقبل حياتى أم كنت سياسيا أم كنت قانونيا يجب أن يبقى حبيبى لكم وتقديرى لفضلكم على وإعجابى وتعلقى بذاتكم الكريمة فوق كل اعتبار .

أقول هذا وأصر على هذا القول وأرجو أن تذكره لى يا استاذى ما حبيت وهو فى نظرى أحب إلى من كل ما فى الوجود لأنى أشعر بقلبي يذق بحبكم دقا بريقنا أحسبكم تصون قوته وصدق بيانه .

استاذى :

عفواً أن اشتدت حماستى لكم فتدفقت رغم أنفى فقد بدأت هادئا ثم شعرت بذكريات طيبة تتشاجر فى وجدانى وقد أخذت تزكيتها نزعات شريفة تبيها شخصيتكم التى تملؤنى فتندفق فى قلبى شعورا وإيمانا خالصا يحركنى إلى البكاء .

استاذى :

كنت هذا الخطاب وكان فى عزمى أن أسالكم عن خبر نشره الأهرام مؤداه أن وزارة المعارف قررت إرسال اثنى عشر كاتباً من خريجي كلية الآداب إلى أوروبا مع منحهم مكافأة عشرة جنيهاً شهريا ويعلم الله أنني متالم جد الألم إذ تلجؤنى الضرورة إلى مكانتك فى هذا الصدد لأنى أغاز على علاقتى باستاذى أن يسها عارض يطامن من كبرياتها ولكنى استميج استاذى العذر وأرجوه المغفرة إذا نزلت على حكم الضرورة فباللغة أصبح أنا بمنع عشرة جنيهاً فقط ؟ مع أنه لا يوجد أى عضو بعثة فى أوروبا يتناول أقل من عشرين جنيهاً ؟ وهل يتصور أننا لا نتساول حتى مع بعثات الصنائع البدوية على أن لاتحة المكافآت والمجانبة للجامعة تقضى بمنح الطلبة الذين يدرسون فى الخارج مكافأة قدرها ٢٠٠ جنيه سنويا فلماذا نحرم من هذه المكافأة ! أظن يا استاذى أن هذا الخبر عار عن الصحة ولا كيف يتسع له العقل ؟

فهل لاستاذى أن يتكرم بإخبار تلميذه عما تم فى هذا الصدد؟

وأخيرا أرجوكم أن تتفضلوا بقبول شكرى على كلمات التشجيع التى وجهتموها إلى تلميذكم فى خطابكم الأخير والتى أعدها بمثابة وثيقة شرف أباهى بها ما حييت ولا عجب فإن نفسكم الكريمة أبت إلا تسمو بما تجيش به من عوامل الخير والذوق السليم مما يلهب إحساسى نحوكم ويزدنى لكم إعجابا وتقديرا وحبا .

وأما الزيارة فعلى أية حال فإنا شاكر لأستاذى عطفه ومجاملته السامية وأنا بعد ذلك عند إرادته فليكن ما تريد وإن كان أكبر أمالى أن أفرح باستقبالكم فى منزلنا أنا وأهلى على السواء .  
ختاما أرجو لأستاذى ولعائلته الكريمة صحة طيبة وسعادة شاملة وأتعشمن أن تقبلوا أشواقي الحارة وتحياتى الخالصة واحترامى العظيم .

#### المخلص

محمد عبد الحميد مرسى مندور

الجديدة كفر مندور



## استاذى الفاضل حفظه الله

اكتب إليك يا سيدى هذا الخطاب لأقول لك ما لم أستطع ولا أظننى أستطيع أن أسمعك إياه مباشرة لاعتبارات نفسية متباينة ولكننى لا أستطيع أيضاً أن أستريح وتطمئن نفسى ما لم أنقله إليكم .

ذلك أننى أشعر نحوكم بنوع من التحمس القوى يخيل إلى أنه ما من قدرة فى الوجود تستطيع أن تقوم له فى سبيل . وليس هذا الشعور وليد الساعة بل هو شيء كامن فى نفسى تحركه شهامتكم من حين إلى حين فأتحدث به وأشرك فيه من حولى . ومن العجب أن هذا الشعور يخالف أى شعور آخر فى خاصته . فحماستى لكم كالافكار تزكو بالإلتحاق . كلما ازدادت عنكم حديثاً ازدادت حماسة .

استاذى :

ليس هذا قولاً اخترعه وإنما هو صوت نفسى أحاول أن أسمعك إياه وأنا فى أشد الألم لأننى لا أجد سبيلاً إلى نقل شعورى إليكم كما هو . ولكن عزائى عن ذلك أن المستقبل قد يتيح لى فرصة أدل فيها على إخلاصى لكم وتغافى فى محبتكم بدليل عملى ناطق ..

سيدى :

يؤلم هذا الشاب الضعيف الذى يتحدث إليكم الا يجد سبيلاً لخدمتكم وهو المعجب بكم المتحمس لفصلكم ولكن ماذا اصنع وأنا لا أزال فى مقتبل العمر عاجزاً .

على أنه لا ينفى عجزى أن أتقدم إليكم بنفسى وأن أضع تحت امركم يدي وقلبي وإسائى وكل سلاح أملكه وأن انضوى خاضعاً تحت لواء مجدىكم للعقود وأى الشرف اكبر الشرف وأى السرور أتم السرور أن أكون جندياً من جنودكم أداغ عنكم وأنطق بمجديكم وأفنديكم بنفسى ولتثق يا استاذى أن هذا الضعيف الذى يخاطبك سيكون دائماً أول انسان يخلق من ضعفه قوة غلبة يؤيدكم بها ويحيى ذكركم ويخلد مجديكم فى كل مكان وفى كل زمان.

استاذى :

أحب أن أكتشف إليك قليلاً عن نفسى وأن أؤكد لك أن إخلاصى ومحبتى لشخصكم المسمى أسمى من المظاهر وأرجو أن تذكر لى ذلك دائماً إن إمتدت بى أسباب الحياة وطال بى الزمن . وأذكرتني دائماً وأذكر أننى من المتقانبين فى محبتكم والإعجاب بك ولكن أول إنسان يتجه إليه فكره عندما يشتد أمر لى عليه سلطان وسوف ترائى مقدماً جسوراً لا أتردد مطلقاً أن أهدر دمي فى سبيلك .

سيدى الأستاذ :

إن ما تجلى لى من رغبتيكم الصادقة فى فعل الخير للناس يستثير إعجابى ومحبتى وهو فى نظرى جانب متين من جوانب شخصيتكم العظيمة سأذكره دائماً أول ما أذكر . سأذكر دائماً طبعك الخير وخلقك الكريم السمح وسأتحدث دائماً عن غرامك الاصيل بإدخال السرور على قلوب الناس وتلطيف الالامهم ،

سأذكر محاولتك بكل سبيل أن تذهب من نفسي ونفس صحبى كل ألم يمكن أن تحدثه الشكوك فى أمر مستقبلنا . سأذكر ما حييت قولك (وهل سبق أن قلت لكم شيئاً لم يحدث) سأذكر هذا الحرص العجيب على ملء أفئدتنا راحة ومحو كل ألم يخالجها .

اكتب إليك يا سيدى هذا الخطاب وأقسم لك بالله قدسدت آياته أننى احس إحساساً صادقاً بكل معنى من معانيه وأننى أكتبه لأرقه عن نفسى المثقلة بفضلكم الجياشة بالإخلاص لكم والتحمس لشخصكم وأننى برين «برى» من كل غاية وأود أن يكون إعجابى بكم دائماً فوق الغايات لأنه عنصر خالد من عناصر البقاء . عنصر معنوى ليس للغناء عليه سلطان . أما الغايات فشئء والله فى نظرى ثانوى الاعتبار وأصارحك . حيث أننى كنت عضو بعثة أم لم أكن فإن ذلك ودى لن يغير ولا يمكن أن يغير من تقانى فى محبتكم فقد نما هذا الحب وتخلص من مسبباته واستقل بذاته حتى أصبح بشرفكم وشرف الله حيا فى نفسى . أصبح مملكة لا يمكن أن تزول وأقول هذا وأنا واثق من نفسى متمكن من ثقى فى أن فعل الخير إنما هو طبع لكم إنما هو فطرة فيكم لا تحتاج إلى من يذكرها أو يزيكها . وسواء كتبت لكم أم لم أكتب فأنت يا أستاذى دائماً ذلك الرجل الشهم الذى لا يتردد فى فعل الخير والتفانى فى مسرة الناس وتخفيف الامهم وهذا فى نظرى خير ما فى الحياة وأؤكد لك ياسيدى أن خير ما نربح من هذه الحياة الغانية إنما هو إعجاب الناس بك ومحبتهم لك وإخلاصهم لشخصك ودعائهم لك إن كانوا مثلى لا يملكون غير الإعجاب والمحبة والإخلاص والدعاء .

ويعد فعل أنا فى حاجة إلى تقديم شكرى لك بل هل أنا فى حاجة إلى أن أقول إننى أحنى رأسى إجلالاً لفضلك وتقديراً لشخصك بعد ما أشعرتك أن جميع جوارحى تتهيا وتتغذى بالإعجاب بك وأسأل الله أن يطيل فى عمرك ويبارك فى عملك وأن يلقى فى قلبك من السرور بقدر ما تلقى فى قلوب الناس والسلام .

محمد عبد الحميد مندور

الجرة فى ١٦ يناير سنة ١٩٣٠

## استاذى العزيز

أرجو أن تتفضلوا بقبول تهانى بعيد الأضحى المبارك لكم ولأسرتكم الكريمة .  
وإنى لأتمنى لكم السعادة والتوفيق والمجد من قلب يحس أنه مدين لكم بما يشعر من بهجة العيد ولذة  
الحياة ويزيده سروراً أن يتقدم إليكم خاشعاً بآيات الشكر والامتنان .  
وأنا أسأل الله أن يحفظ استاذى ويبقيه على مر السنين موضع خصومة الناس يتحمس له قوم  
ويتحمس عليه قوم وهو بلا شك موضع اكبار من الجميع وسوف يكتب الله لك النصر وإن طال الزمن  
والسلام عليكم ورحمة الله من تلميذكم المخلص الشاكر ،

محمد عبد الحميد مندور

١٩٣٠/٥/١٠

# أثناء البعثثة



مضى زمن طويل لم أتشرف فيه بالكتابة إلى أستاذي وقد مرت مناسبات ربما كان من الواجب على أن انتهزها لأكتب لعزتك مهناً راجياً المزيد إلا أن رغبتى وبالأحرى خوفي من أن أشغل من وقتكم - الذى أقدر له قيمته - بمراسلتى ما تحتاجه منفعتنا العامة قد منعنى من الكتابة إليكم فرايت أن اكتفى عندما علمنا بذلك النبأ السار نبأ انتخابكم بحق عميداً لكتبتنا بالاشتراك فى تهنتكم مع أخوانى وأنا اليوم سعيد بأن أتقدم إليكم من جديد مهناً متمنياً كل ما يروجه قلبى لأستاذي من علو المجد ونياهة الذكر .

استاذي :

أن تلميذك هذا الذى يكتب إليكم لتهنئ أجزاء نفسه حيالك وتعلقاً بذاتكم وإن قلبى ليفيض لكم بعرفان الجميل. ما أظن أن حوادث الأيام ستسمنى يوماً ما كنت أجدّه على لسانك - يا أستاذي العزيز - من آيات العطف والتشجيع وما أظن قلبى وقد مرت به أيام شديدة الحنة سيضل يوماً عن ذلك الضوء الساطع الذى كنت تبعه فى ثنائه بعبارتك الجميلة التى كانت تصب الأمل فى أفئدتنا صعباً . لقد عبرت لأستاذي قبل اليوم عن هذا الشعور القوي الذى غرستموه فى نفسى بإنسانيتكم السامية المهيبة ولكنى لا أزال كلما سنحت فرصة بالكتابة إليكم يتحس قلبى وتشتد عواطفى وكلما ازدادت تفكيراً فيكم فى أثناء الكتابة ازداد حماساً حتى لأحسب نفسى فى وطيس القتال وماهى إلا نزعات الحب وعرفان الجميل وآيات الإعجاب والتقدير لنبل مشاعركم وسمو نفسكم تتضارب فى نفسى ويشد بعضها بجوار بعض حتى لقتال من أعصابى . لست أبالغ ولست أكذب ولست أكتب كصانع للكتابة إذا قلت إنك يا أستاذي بما أظهرته نحوى من حرص على أمالى الصغيرة أن يرضيها اليأس ورغبة فى هداية تلميذك الذى تفضلت فزأيت فيه أملاً قد يرجى نفعه قد اشترت نفسى فهى ملك لك وستعاقب الأيام وستمر حياتنا كما مرت حياة غيرنا وسنرى ما يخبئه لنا المستقبل من غرور الآمال وسينقضى كل شئ ولكن سيبقى فى نفسى دائماً أنك أنت الرجل الذى عرفت كيف تأسرنى دوع الآمال ودع الحياة فكلها غرور فى غرور وتعال معى أستاذي أشهدك أمام الله أننى ساكون ما حييت لك وطروح إشارتك وسأعمل لجذك فوق ما أعمل لنفسى . سيعلم الناس أن هذا التلميذ يعرف معنى الفناء فى أستاذانه وسيعلم التاريخ - إن قدر لنا ذلك - أن القلوب إذا تصادقت تنتج خيراً كثيراً .

ثقي يا أستاذي أنك قد كسبتنى ولا تعجب لقولى هذا ولا تسأل نفسك عن مصدر هذا التفانى فإن حبيبى لك هو ضرب من التصوف . قل عنه ما شئت . قل هو جنون أو قل هو عبادة فأنا وحيدى أحس قوته وأقدر مداه . حبيبى لك هو حالة شاذة لا أظنها تتفق لكثير من الناس وهذا هو السر فى أننى لا أستطيع أن أكتب إليكم فى غيره . لقد أخذت هذا الخطاب لأقدم إليكم فيه أحد الأبحاث التى قدمتها هذا العام للمسربين وأنت ترى يا أستاذي كيف قد ساقنى إليك القول ووالله ما كنت أستطيع أن أمنع نفسى عن الجري كما جرت فأرجوك المعذرة.

هذا البحث قد كان من فضل الله أن حاز رضاء الأستاذ المختص - الأستاذ ميشو - فأعطاني عليه درجة راقية تسمح فوق درجة إخواني الفرنسيين ولقد رأيت أن أنقله إلى العربية وفعلنا ترجمته وأرسلته اليوم إلى مجلة الجامعة مع شيء كثير من التوضيح والتوسع ليكون مفهومها وأملى أن يحوز رضاكم ليكون في ذلك رضى لنفسكم عندما ترون خيراً في تلميذكم الذى علمتموه وثققتموه وأرسلتموه إلى ديار العلم ولقد طلب منى الديوانى بك صورة من هذا البحث فأعطيته إياها كما طلب منى مراسل جريدة (الريفورم) المصرية فى باريس نسخة أخرى لنشره بها فأعطيته أيضاً وكل ذلك نظراً لم أحدثه هذا البحث من رنة السرور سواء فى وسط إخوانى وأساتذتى فى السريون أو فى الخارج وسط إخوانى المصريين ومن يتصل بهم فقد تحدثوا عنه كثيراً والله الموفق.

ويعد إجازة الـ (Gorffe Paques) سارسل لسيدى الأستاذ صورة من بحث آخر هو الآن عند الأستاذ وهذا البحث يدور حول شخصية فتى يافع فى سن الثالثة عشر اسمه (Cherulin) فى رواية marriage de Jicyaro للروائى الفرنسى الشهير (Beaumarebois) والبحث عبارة عن تحليل نفسى لليافع 'l'adolescent' لوقد استعنت فيه بكتب علماء النفس وخصوصاً العالم (memdousse) فى كتابه J'ane de l'adolescent. وفى رأى أن هذا البحث ستكون نتيجته خيراً أيضاً من بحث اليوم لم بذلت فيه من عناية والله الموفق.

وأظن استاذى يعلم أننى أحضر لدور يولية القادم شهادة الأدب الفرنسى ولدور نوفمبر شهادة اللاتينى والله الموفق وعليك ياأستاذى العزيز من تلميذك المخلص تحية الله وسلام ،

محمد عبد الحميد مندور

استاذى العزيز :

لقد نسيت أن أرجو أستاذى أن يتفضل فيلفت نظرى بعد قراءة البحث إلى ما يرى ضرورة لفت نظرى إليه فإننى وإن كنت أحترم علم الأستاذ ميشو وذكاءه إلا أننى حريص كل حريص على تلمس رأى أستاذى الدكتور طه وأنا على يقين أن ماسوف تتفضل به على تلميذك من ملاحظات ساجد فيها نور الهداية والتوفيق.

لقد لاحظ الأستاذ ميشو الملاحظات الآتية :

(١) الموضوع طويل يجب الاختيار والحذف .

(٢) الموضوع القرب إلى الفلسفة الوصفية فيجب تغذية الشكل بشيء من الفن أكثر من ذلك وفيما عدا ذلك فالموضوع حسن جداً،

وأنا شاعر أننى دائماً فى أبحاثى القرب إلى الفلسفة منى الى الأدب فهل يرى استاذى ضرورة مقاومة هذا الميل وأن كان فكيف السبيل .

وأنا فى انتظار رد استاذى ،

أما بعد فقد أخذتني الظنون منذ أن بادلت عزتكم الحديث عن موعد سفركم القريب ولا أزال في أشد  
الآلم مما استطعت أن أفهمه من حكمكم عليّ بأنني قد أكون غير معنى بذلك ومعاذ الله أن أكون كما  
ظننتم وإنما هو حكم كانت لظروفي غير الموافقة أثر غير محمود في التمهيد له بشبهات من الظن علم الله  
أنها أبعد ما تكون عن حقيقتي النفسية وما أحمله لكم من محبة وتقدير وكيف يمكن أن أكون منكم على  
غير ذلك وأنا ابن فضلكم وغرس إيديكم وهل غابت عن ذهني مجهوداتكم الشريفة في سبيلي وسبيل  
أخواني . معاذ الله أن أعق فضلكم أو أن أنسى يدكم المشكورة على مستقبلتي . معاذ الله أن أهلك  
ياسيدي الأستاذ من نفسي في غير المكان الأول . معاذ الله أن أكون لكم إلا الفتى الشهم المعترف  
بالفضل بكل شجاعة وإيمان وو الله لو أنني كنت حجراً لنطقت بين إيديكم بآيات العرفان بالجميل وكيف  
يكون الأمر إلى قلب ضمضمتم جروحهم وأحييتهم ومواته وفي رأسي عقل يقدريكم مزايا النبل والأدب  
العالى السليم مضافة إلى ما ذهبت به الألسن في كل مكان من علوكم في سلامة الحكم وسمو  
التفكير . كيف يمكن أن أكون منكم على غير ذلك وأنتم الرجل الذي أدانني أكبر دين في حياتي . لا  
لست عاقاً ولست صغير النفس ميت الإحساس حتى أنساكم أو تغيب عن ذاكرتي أيديكم المتتابعة  
المتلاحقة وكيف يكون ذلك وإنما في كل يوم تلقاكم فيه دليل جديد على دأبكم المستمر وراء مستقبلنا . لا  
يا سيدي لست كما ظننت وما أستطيع أن أكون كما ظننت. إن إنسانيتي وإن وجودي وإيماني لتأبى على  
إلا أن أكون لكم وبين أيديكم كما تشاؤون فاقبلوني وليكن في ذاكرتكم دائماً أنني سهم في جبينكم  
ولسان صدق في الآخرين.

شاق على نفسي أن تحكموا عليّ هذا الحكم لأنه يخال من إنسانيتي ويديم وجودي. نعم سبق أننى لم  
أكن موفياً للتشرف بتوابعكم عند عودتكم إلى مصر في العام الماضي وكذلك عند سفركم إلى ريف  
فرنسا هذا العام ولكنني معذور في الحالتين. فاما عن العام الماضي فأذكر أنني قبل سفركم بيومين  
تلقيت تلفرافاً من أحد أبناء عمي للاقية في كاليه وقد أخبرت عزتكم بذلك ورجوكم المنة في التحلف  
عن ترد يكم وكان من كرمكم النفسي أن قبلتم العذر وأما عن هذا العام فلسوء الحظ كان سفر عزتكم  
بعد صدمة الامتحان التي ما كنت أجد بعدها في نفسي الشجاعة الكافية لاتفاكم . وبعد عودتكم من  
الريف كانت نفسي لاتزال تتهيب لقيامكم ولقد قدمت لعزتكم أشد تأسفاتي لعدم تشرفي بلياقاكم منذ زمن  
بعيد عند أول لقائى بكم وأملى لايزال قويا في أنكم قد تفضلتم بقبول عذري الذي أعود فأقدمه اليوم  
راجيا من كرمكم النفسي الصفع الجميل . وأنا واثق أن شعوري النبيل الذي أحمله لكم والذي اعتقد  
أنكم تدركون عنى الإخلاص فيه مضافا إلى كرم نفسكم وسعة صدركم ستكون كفيلاً بضمان رضائكم  
عنى وضمي إلى جناحكم الكريم كما كنت دائماً وكما أود بكل حرارة وإخلاص أن أظل والله بعد ذلك  
ولى السرائر .

والى اللقاء يوم الجمعة المقبل . صاحبكم السلامة فى الإقامة والرحيل واختتم خطابى راجيا  
رضاءكم والسلام عليكم ورحمة الله ،

تلميذكم المخلص

محمد عبد الحميد مندور

باريس في ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٥  
استاذى العزيز - حفظه الله :

ها أنا أضع جانبا نحو اللغات القديمة المقارن meillet et vendryes لأكتب إليكم بعد زمن طويل وذلك لأننى أشعر بحاجة كبيرة إلى مخاطبتكم على صفحات الكتاب بعد أن حرمت متعة لقياكم فى سفركم الأخير إلى أوروبا .

بعد يومين سأحاول للمرة الثانية شهادة الدراسات اليونانية وقد كان فى عزمى أن أرجئ الكتابة إلى استاذى المحبوب إلى ما بعد الامتحان لعلنى أستطيع أن أبشره بنجاحى ولكننى استمحيكم عذراً أن بادرت إلى ذلك قبل اليوم الأول وإنما تدفعنى إلى هذا حاجة نفسية حاسمة وما أنا أكتب إليكم وأنا شديد الإهتمام وموقفى أمامكم موقف من يلتبس عونا أدبيا يغذى به نفسه إذ ياتيكم بامتحان ضميره قبل أن يمتحنه الغير :

يشكر أخوانى عادة صعوبة الدراسات القديمة وأنا أصحابهم فى هذه الشكوى وإن كنت أعتقد كل الاعتقاد أن مرور الامتحان فى تلك اللغات ليس عسيراً لمن يستطيع أن يقصر مجهوده فى حدود المقرر بل إنه استطاع فى وقت قصير كان يسلك مسلك الطلبة الفرنسيين فيواجه الدراسة كسبيل للحصول على الدرجة العلمية لا غير ولكم لاقيت من أخوانى الفرنسيين من لا يعرف «لارستوفان» الـ ٦٠٠ بيت المقررة فى «السحب» أو «الأوريد» إلا نصف رواية «l'apogée en tavr edge» ولو أننى استطعت أن أنهج فى دراستى منهجهم لكنت انتهيت من اللسانس وإنما أشكو إليكم إن كان هناك محل للشكوى من عجزى المطلق عن الوقوف عند الجزء دون سبق إمام بالكل وأنتم خير من يعلم مبلغ ما وصل لنا من الثقافة اليونانية القديمة ولست أدري كيف سيكون حكمكم على تلميذكم إذا أخبرتم أننى قد قرأت كل ما وصل لنا من اليونان قليلا فى النص اليونانى ومعظمه فى التراجم الفرنسية لا الشعراء ولا الروائيين فحسب بل كل ما وصل إلينا مما خلفه مؤرخوهم وفلاسفتهم وخطباؤهم على السواء وفى مختلف قرون العصر اليونانى (Classique) كالعصر المستغرق (hellenistique) وفى هذا من الوقت ولا أقول ضاع لأننى واثق تمام الثقة أنه وإن تكن الدراسة الفقهية البحتة للغات القديمة على جانب كبير من الأهمية لتقويم مناهج التفكير من حيث أنها تفصيل مستمر للفكر المجرد Articulation de la Pensée فإن محمول هذا الفكر لا يقل عن تركيب أهمية ومن يستطيع أن يقف من أفلاطون عند الكتاب الثالث من الجمهورية دون أن يمر «بالمأورات» و«القوانين» .

استاذى العزيز :

بوى أن أشكركم فى حبنى أفلاطون حبا يقرب من العبادة فحقيقة لم تنتج الإنسانية على ما أظن كاتباً فى مثل هذا التوفيق من القدرة على الجمع بين عمق الفكر وشاعرية العبارة ولتسمحوا لى أن أترجم آخر جملة من «النداء» عن سقراط apologie لأنها أمامى الآن ومنذ يومين وهى تشغل مخى أينما كنت . ليست بفكرة عميقة ولا بعبارة خارقة ولكنها على بساطتها بل وبساطتها تملأ النفس بما يشبه



النشوة لمشاركة القارئ لقائلها في صفة الإنسانية : قال سقراط لتلاميذه بعد أن أنتهى الحوار وصح عزمه على الانتحار : « الآن يا أخوانى لقد حان موعد الرحيل : أنتم إلى الحياة وأنا إلى الموت ».

استاذى العزيز

لقد انتهيت من الأدب الفرنسى ومن فقه اللغة الفرنسية بعد أن قرأت كل ما وصلت إليه يدي مما كتبه الفرنسيون في كل ميادين البحث والتفكير من تاريخ إلى فلسفة إلى أدب بالمعنى الضيق للكلمة إلى أخلاق إلى اجتماع إلى فقه لغة والعلاقة بين اللغة والتفكير إلى تاريخ ديانات وتاريخ الفنون وتاريخ الموسيقى وتاريخ الآداب الأوربية الأخرى وعلى وجه الخصوص الآداب الألمانية والإنجليزية والروسية بل وقرأت الكثير مما ترجم إلى الفرنسية من هذه الآداب بل وبعضها في نصوصها الأصلية . كثير من النصوص الإنجليزية وقليل من النصوص الألمانية وأن تكن معرفتي لا تزال ناقصة في اللغة الألمانية .

وها أنا الآن غارق في الثقافات القديمة . وصلت إلى درجة لا بأس بها في اللاتينية بحيث لو رأيتم الاكتفاء بمرور شهادة «Les antiquités latines» بدلا من «Les études latines» لأمكننى أن أنتهى من اليسانس هذا العام والفرق بين الشهادتين ينحصر في أن الشهادة الأولى «antique» لا تتطلب «Theme» وإنما يحل محلها composition عن تاريخ النظم عند الرومان وأما الـ Version فمشاركة في الاثنين بل يخيّل إلى أن شهادة الـ antique أنفع لى لأنها تضم إلى الدراسة اللغوية البحتة دراسة الحضارة الرومانية القديمة بما فيها من Epigraphie numismatique Archeologie و rumismatique وربما كان في هذا ما يعوض عدم التعمق في فقه اللغة اللاتينية ، وعلى أى حال فقد وصلت في اليسانس إلى مستواه تقريبا ، ولم يبق إلا مرور الامتحانات . وهذه في نظري وأظنها في نظركم أيضاً مسألة ثانية.

لقد قرأت كما قلت كل ما كتب اليونان وفي عزمي إن شاء الله أن أقضى العام القادم في قراءة ما تركه الرومان متخذاً نفس طريقي في دراسة اليونان وهي أن أبدأ أولاً بمعرفة تاريخ الرومان معرفة جيدة معتمداً في ذلك كما فعلت بالنسبة للإغريق على مجموعة «L'évolution de l'humanité» التى يديرها Henri Berr فأقرأ جيداً عن الرومان الأربعة مجلدات أو الخمسة التى تقابل ما كتب في نفس المجموعة عن اليونان . وسبب تفضيلي لهذه المجموعة هو ميلها إلى إخضاع الوقائع البحتة إلى مبادئ اجتماعية وفلسفية عامة تخلق من التاريخ علماً بمعنى الكلمة بما يحمله معنى العلم من تفسير عقلى واستنباط لنواميس عامة فإذا انتهيت من ذلك وأستطيعك عذراً لعدم الدخول في تفاصيل تلك الكتب وواجبها لضيق المقام ، أواجه ما كتبه الرومان أنفسهم فأقرأ ما أستطيع أن أقرأ في النصوص اللاتينية وأكمل في التراجم الفرنسية لضيق وقتي مع شديد الأسف.

وبجانب هذه الثقافة العامة اللازمة لزوماً لا مفر منه لمن يريد أن يكون نفسه ويرجع إليكم نازلاً عند أملمك فيه أستمّر في دراسة فقه اللغات القديمة تمهيداً لشهادة «فقه اللغات القديمة المقارن» وفي يونيه القادم أقدم للامتحان ولكن لأى امتحان.

هنا الخس ما فات وأعرض عليكم ما أراه للمستقبل ولكم الكلمة العليا لأننى وأثق إنكم لن ترون إلا الخير وكم أنا مدين لكم إن هديتمونى إلى سبيل الثقافة الحقّة ولن أقف فى مفترق السبيل مادام فى عزمى ذرة نشاط :

الخص فأقول: حصلت إلى الآن مع الأسف الشديد لتأخرى من الناحية المدرسية ولا أقول من الناحية العلمية على شهادتين : (١) الأدب الفرنسى، (٢) فقه اللغة الفرنسية. وبعد يومين سأحاول شهادة الدراسات اليونانية « Etudes Grecoes » فإن وفقت للنجاح وهذا أملى كان خيراً، وإلا ربما كان الأفضل أن أسلك فى سبيل الامتحانات مسلماً آخر لا فراراً ولا خوفاً من العجز فإننى شديد الأمل فى إمكان الانتهاء من أى مقرر تفضلونه وإنما لا اعتقائى بأن الشهادات التى اقترحها ربما كانت أفيد لى وأفيد لما ترجوه منى الجامعة وها أنا أفصل ذلك:

إن لم أوفق للنجاح فى نوفمبر فى الدراسات اليونانية أواجه العام القادم على أن يكون استعداداً للشهادات الآتية :

(١) شهادة فقه اللغات القديمة المقارن Grammar et philologie وامتحان هذه الشهادة يتكون من امتحانين: (١) تفسير نص فرنسى تفسيراً لغوياً وقد سبق أن مررت بشهادة فقه اللغة الفرنسية فمعلوماتى فى هذا الباب أوسع بكثير مما يتطلبونه فى الفقه المقارن. (٢) تفسير نص يونانى ونص لاتينى وقد حضرت النصوص اليونانية المقررة فى شهادة اليونانى ومعلوماتى فى اللاتينى الآن جيدة إذ منذ مجيئى إلى باريس وأنا أحضر لللاتينى وقد وصلت إلى درجة لا بأس بها بدليل مروى فى فقه اللغة الفرنسية وأنتم تعلمون ما يتطلبونه فى السريون من معرفة باللغة اللاتينية لمروى فقه اللغة الفرنسية ومنها ترون بالاستاذ العزيز أن تحضير هذه الشهادة شىء فى حكم الماضى بالنسبة لى الآن ويخيل إلى أن هذه هى الشهادة التى تعلقون عليها بحق أهمية كبيرة.

(٢) بدلاً من الاستمرار فى شهادة الدراسات اليونانية Etudes Grecoes وذلك فى حالة عدم توفيقى لا قدر الله فى الامتحان الحالى أقدم لشهادة Les antiquités Grecques وفى هذا فائدة مزدوجة لى وللجامعة وذلك لأن الامتحان فى هذه الشهادة يتكون من شيئين: (١) سؤال Composition فى تاريخ النظم اليونانية، (٢) ترجمة نص يونانى Version والتعليق عليه. بينما شهادة الدراسات اليونانية لا تتكون إلا من ترجمة فحسب Une version et c'et tout ويضاف إلى ذلك طبعاً الشفوى وهو عبارة عن تفسير نصين نص شعر ونص نثر من مقرر محبوس. ومن هنا ترون أن شهادة الـ Antiquités Grecques أنفع لى بل وأقيم فى نظر الأساتذة بالسريون لأنها تضم إلى الدراسة اللغوية البحتة دراسة الثقافة اليونانية والتاريخ اليونانى عامة وأظن أنه من الناحية اللغوية فى شهادة الفقه المقارن ما يكفى واضيف إلى ذلك

أنه في حالة تغيير الشهادة على هذا الوجه لن ألقى أى صعوبة في تحضيرها إذ قد قرأت الشيء الكثير جداً عن تاريخ اليونان وفلسفة اليونان وأدب اليونان ودين اليونان وفن اليونان حتى وأثرىات اليونان ولعل أستاذى على علم بأن لى صديق من الـ Ecole normale ومرشح للـ Ecole d'athenes أحضر معه امتحاناتى وهو الذى فتح أمامى كل هذه الأبواب وإننا قد زونا سوياً بلاد اليونان ودرسنا حفرياتنا دراسة لا بأس بها فمن الـ Acropole إلى Delos لم نترك شيئاً لا أثر إلا درسناه ولا تمثال إلا تفقدناه وقرأنا مجمل آراء العلماء فى دلالاته التاريخية وقيمتة الفنية وكذلك فعلنا فى إيطاليا من روما إلى مبابى إلى صقلية . ومن هنا يرى أستاذى أننى تحضرت تحضيراً أظنه يضمن النجاح فى مثل تلك الشهادة بغير كبير عناء وفى اعتقادى أنه من المستحسن أن استفيد مما سبق أن حصكست بدلاً من تضييع وقت أطول فى التعقق أكثر من ذلك فى اللغة اليونانية البحتة كأنها غاية فى ذاتها لا غاية وراها .

(٣) بدلا من شهادة «Etudes latines» بما تتطلبه من theme و Version أقدم لشهادة Antiquités Latines حيث يحل سؤال فى تاريخ النظم محل الـ Theme وفى الـ Version ما يكفى من الناحية اللغوية مضافا إلى شهادة النحو المقارن وما أنا أرفق بخطابى هذا منهج الدراسات فى السربون ليرى أستاذى تفصيل ما أجملت .

هذا ما أرى ولكم الراى الأعلى لأنه سيان عندى هذا المقرر أو ذلك فإن طريقة دراستى شخصياً هى واحدة وأظنها هى الطريقة المثلّى وإنما كل التغيير سيكون فى كسب الوقت إذا تصبح طريقتى الشخصية هى الطريقة الرسمية وطريقة الامتحان وبهذا أستطيع أن أمر الامتحانات بسهولة بدلا من سلوكى مسلكاً لا يؤى مباشرة إلى امتحان لا يتطلب إلا ذاكرة حافلة بالألفاظ والتراكيب النحوية .

وحقيقة أنه لما يؤسف له أن تسترق الـ Erudition أساتذة السربون هذا الاسترقاق المخيف وأنه لمن المؤلم ألا يرى الأساتذة فيما كتب أفلاطون أو مارك أوريل أو فرجيل ما يوجب عنايتهم إلا البحث عن الغلطات الوهمية أو النغلية أو تراكيب الأفعال الغريبة أو تصاريغها . لا أن فيما خلفه القدماء معنى إنسانياً أوسع مما يظنون وأنه لمن الإجماع أن نحصر تلك العقول الجبارة فى حدود النقد اللفظى المفر وفى هذا ما يؤننى لما حقيقياً حتى لكأنى المجنى عليه وبودى لو أستطعت أن انتصف لديمستين وأمثال ديمستين عندما يقرأ أستاذ السربون ببرود العلماء دون أن يقف إلا باحثاً عن Variante .

لقد سلكت فى دراستى غير هذا المسلك ووضعت أمام نظرى دائماً أن أقرأ أفلاطون فى نص صحيح لا لذاته ولكن لما يحمله من غذاء نفسى وخلقى من الاجرام ألا يلفت نظرنى إليه أستاذتافى أكبر جامعة فى بلاد تعرف لغذاء النفوس حقه .

هذا رأى أعرضه على أستاذى بصفة خاصة سائلا التصح لا العونة لأننى وأن كنت دائماً فى حاجة لعونكم الأدبى وعرايتكم السامية فحاشاى أن أرجوكم مساعدتى على الفرار مما فيه الخير لى ولبلادى

وإجماعى ضناً بمجهودي أو جبناً وما ألى ذلك قصدت وإنما فائدتى من الناحية التكوينية البحتة ثم فائدة الجامعة فيما يمكن أن نقدمه لها جزاء على ما مهدت لنا من سبل العلم الصحيح .

فإن رأى أستاذى رايبى أو رأى غيره كان لى أن أرجوه رجاء حاراً أن يوافينى بالرد قبل أن يبتدأ العام الدراسى لآكون على بينة من أمرى ولأن فى عزمى أن أنتهى بأى طريقة من الليسانس هذا العام فقد نضجت وأصبحت أظن نفسى كفتاً لهذه الدرجة المتواضعة .

هذا ولئى رجاء آخر من أستاذى وهذا أن يعطينى راية فيما بعد الليسانس ، أما رأى الخاص فهو أن أنتهى طبعاً من الليسانس وبعد ذلك أبدأ فى الدكتوراه مع تحضير شهادة اللغات السامية القديمة فى السريون وفى المنهج تفصيل ذلك .

وأما الرسالتين فريما كانتا كالآتى :

[ ١ ] الرسالة الكبيرة حول Hellenisme chez les arches وهنا لى أن أرجوكم تحديد الموضوع أو اعاننى على ذلك لأن معرفتى بالعرب ضعفت فى ذاكرتى .

[ ٢ ] الرسالة الثانية تكون عبارة عن بحث فى تاريخ الاستشراق مع وضع Bibliographie نقدية «raisonnée» لماكتبه المستشرقون عن العرب ومن يتحصل بالعرب عن قرب كالفرس مثلاً واليهود L'orientalisme: histoire et bibliographie classée et raisonnée

ولهذا بودى أن أغادر فرنسا بعد الليسانس الى ألمانيا للاتصال بمستشرقىها وإجادة اللغة الألمانية والبصحت فى المكاتب على أن أزور فى أثناء ذلك انجلترا وأسبانيا - اسكوريا - هذا ما فعلت وما أود أن أفعل واعتذر عن هذا التلويل الذى لم يكن منه بد .

وقبل أن أختتم خطابى أقدم إلى أستاذى برجاء آخر وهو أن يتفضل - مع كل ما أحمله لكم من محبة وثقة واحترام - باستشارة أستاذتى فيما أعرضه عليكم وبخاصة أستاذى المحبوب أحمد بك أمين فقد شملنى دائماً كما شملتونى بعطفه الأبوى النبيل ولست أشك فى أنه سيعطى استشارتى هذه حقها من عطف وعناية. هذا وسأكتب له دون كل هذا التفصيل راجياً أن يراجع أستاذى الدكتور فيما ترون فيه خيرى وسبيلاً أمن لأداء واجبى نحوكم ونحو جامعتى ونحو وطنى المسكين .

ولكن آخر كلماتى أحر تمنياتى لشخصك المحبوب ولعائلتك الكريمة مع عظيم شوقى ومحبتى وتقديرى .

لم أنساك يا أستاذى ولن أنساك ما حييت فاذكرونى فإن فى الذكرى عزاء لغرب اعتاد عطفكم .

الخالص

محمد عبد الحميد مندور

6, Rue Marere  
Paris (14 éme)

«عندما كنا في بلاد اليونان أراد زميلي الفرنسي أن يرى مصر وخصوصاً المتحف الإغريقى الرومانى بالإسكندرية  
لاتصال ذلك بدراسته عن قرب ووافقتة أنا على ذلك لانتهاز الفرصة وأزور أهلى بعد هذا الغياب الطويل وفعلنا دُهيماً إلى  
مصر لمدة ستة أيام فى شهر سبتمبر الماضى وبمجرد عودتى أخبرت الديوانى بك بذلك واعتذرت له عن عدم استأذانه  
قبل زيارة مصر وأخبرته أن الفكرة إنما طرأت ونحن فى اليونان وأملى ألا تكون المسالمةن الخطورة بحيث أخبرنى  
الديوانى بك ونقلنى كبيرة فى أن استأذى سيدارك الأمر إن دعت الحاجة» .

## استاذي العزيز حفظه الله

شامت الاقدار أن تمر سنون دون أن ألقاكم أو أستمع إليكم وما هي اليوم تأتيني بكتابكم الكريم وقد فزلت عندكم موضع الشك بدل الثقة والتقصير دون الاجتهاد.

لست أشكر قسوة عبارتكم فإن قلبي يحس خلف تلك القسوة الظاهرة حباً جمأً وحرصاً صادقاً على من أوليتموه رعايتكم ولما يلج باب الحياة.

وأما عن حسن ظنكم بملكاتي الطبيعية ففيه أكبر عزاء لنفسي بين ملاسبات عدتني بقدرتها وهوت بي إلى ما لا كنت احتسب وفي الحق ما زلت كما كنت يوم وضعت في أمالاً كبيراً حلت من نفسي محل الفكرة العاملة ولكن فيما العجب الست بشراً واليست لقدرة البشر حدود لن نجوزها أو نتحطم دونها.

ثم إن تكن هناك حالة لم أضع فيها الأشياء موضعها فما أحسبها تكون في جانب التفريط وقد أخذ بزماسي ضمير قاسي ما أظنه قد سمح يوماً ما منذ جابهتني صعاب الدرس وحوالي أخواني على وشك الانتهاء أن تضطرد أيام شبابي حلوة في غير مرارة:

نعم يا استاذي لست بلأه عن حقى على نفسي ولا عن حق الوطن عندي وقد علمتني الغربة فوق ما كنت أعلم أنني لست بدونه شيئاً وأناى به كل شيء. لا أقول هذا تطوعاً وقد حركتم في نفسي وترأ حساساً إذ ذكرتم كد مواطني الأعزاء وما ينتظره بحق الشباب منهم من عون أولى الأمر. إن في قلبي جرحاً دائماً لهذا الوطن لن يلتم أو أبذل إليه خير ما في نفسي لا أبغى عنه نفعاً بل ولا شكوراً.

لهذا الوطن أكد وقد انتشر في نفسي منه شعاع كأنه إلهي يسمو بي عن صفائر الحياة. حاشاى أن أحرص على البقاء بأوروبا غير موفق طالباً للهو أو لرغد في الحياة وأنا ألهف ما أكون على أن أزد لأدوى الحق حقيهم.

لئن طالت بي أيام الدرس فهذا ما يؤلمني وكأنه يخذش إبانى وقد بلغ الكثير من إخواني دوني غايتهم ولست بمؤمن أنني انحط عنهم مقبرة أو غيرة على واجبى وما أظنكم تجهلون ذلك إن تغيب عنكم علقه.

لهذا أستطيع أن ألم ما بقى منتشراً في نفسي من قوة وإيمان لأقول لأستاذي وكلى أمل أن يحمل قولى محمل الصدق أن أيامى في أوروبا كانت ولا تزال أمر مما يظن.

والآن وقد بسطت على بساط رحمتكم التى أنزلها منزلة الأيوية لون نفسي وهو على ما أحسب أقتم مما ظننتم وأشد قريباً إلى الجد إن لم يكن إلى قسوة الإيمان. استمحيكم عذراً إن دفعتم عن نفسي تهمة الخروج على القانون.

لست أتبين بوضوح كيف خرجت على القوانين ولست أدري أن السفر إلى بلد غير فرنسا من بلاد أوروبا محرم علينا وقد سافر جميع أخواني إلى حيث أرادوا وقد أخبرت سعادة المدير بعزمي على هذا السفر في سبيل غاية علمية وقد أصبح بقائي في باريس بغير فائدة كما فسرت لأستاذي . كل ما أعلمه هو أنه يجب أن نكتب إلى البعثة من حيث تكون وهو ما فعلته إذ كتبت من روما إلى حضرة المدير . ثم أن سفرى لم يكن إلى مصر حتى أنتظر تصريحاً خاصاً من الوزارة إذ في هذه الحالة يتغير المرتب على ما أظن . فأين خروجي على القانون في كل هذا . إلآني لم أوفق في الامتحان حيث يطلب إلى أنهب النجاح نهياً وحيث حتى النهب يتجاوز طاقة البشر - يجب أن أبقى أسيراً حيث كنت . ما أظنكم تطالبوني بهذا وقد أردتم لى صعباً ورضت نفسي على ذلك عاقداً عزمي على الفوز وهو ما سوف يكون ولكن أليس من العدل أن تقدروا معي الصعوبة حق قدرها لأشعر بعطفكم فينهض عزمي إلى غايتي .

في اعتقادي أن الخير ما أردتم ولا أحسب دراسة اتفع ولا غذاء أصبح مما أردتم لى ولكنى أود لو منحتونى شيئاً من صبركم وعطفكم فأنا أشد منكم قلقاً وأكثر إحساساً بالمسئولية فامهلونى قليلا ولتكن ثقتكم فى الفوز النهائية تكتفى غير محدودة .

بقى أن أشكركم إلى نفسكم أن حملتمونى نقصاً فى الصراحة واتساعاً فى الحيلة والله يعلم أننى أبسط من كل ذلك وبخاصة حيث يعلم أستاذى ويحس أننى اندفع دائماً بين يديه بقلبي لا بعقلي ولو أنى كنت داهية أو أردت أن أكونه ما استطعت منكم وأنا أتجه إليكم بكل حرارة كما أتجه إلى والدى سواء بسواء .

لا يا أستاذى ما كذبت عليك فى شيء ولا سعيت إلى خديعتك وحاشائى أن أقف منكم موقفا كهذا وفى نفسى للنبل معنى إن ثنال منه الأيام وأن اشتدت قسوتها فى غير ما استحق .

لا يا أستاذى لست أحاطبك كمن يعرف كيف يكتب ولا كمن يدري كيف يفكر ولكن كقلب طاهر يتدفق بين يديك بمافاض من محبة لا أبغى من جرائها شيئاً من أعراض الحياة الزائلة وهى نبع من محبة الله التى وسعت كل شيء .

ليكن ما تريد يا أستاذى ولتحطك رعاية السماء أنت ونورك ومن تحب . بجميل رحمتها .

تلميذكم المخلص

مفذور

يودى أن القاكم فهلا أخبرتمونى كيف السبيل . (كتبت هذه العبارة جاءت على جانب الرسالة - المهر).

### استاذي العزيز حفظه الله

منذ نصف ساعة وصلني من أخى خطاب ومن أحد أبناء عمى خطاب آخر يخبراني بخبر فصلي من البعثة وأما والدي فلا يريد حتى أن يقول لي كلمة واحدة في هذا الموضوع لأنه في ألم شديد ولأنه يستنكرني بل وينكرني بعد أن اطلع على قرار حضرة مدير البعثة بأنني لا أواظب على عملي ولم أمر امتحاناتي وأن لي موارد رزقي خفية وأنني في غير حاجة للبعثة وأنني أنتقل في بلاد لا يعلمها .

طلب إلي أهلي أن أقابل استاذي الدكتور وأن أعتذر إليه وأن أعتذر إلى حضرة مدير البعثة وهذا ما بذلت فيه كل مجهودي وقد حاولت ولم أوفق إذ لا أزال أحس أنني لم أرضكم ولم أقتنعكم وقد رجوت أن القاكم فلم يصلني رد بذلك وأنا الآن الحق بزيميلي على حافظ لأنكم طلبتم منا كثيرا في وقت قصير

لقد أسلمت لاستاذي مستقبلي وحياتي وكنت واثقا أنكم لن تتركوني يوما ما، وما أشك في نفسي ولا أشك في أنه لو كان موضوع دراستي أخف حملا مما كلفت به لا انتهيت كما انتهى اخواني بل ربما قبل الكثير منهم وما قد مضيت ستة أعوام من حياتي وعندما وصلت إلى وقت جني الثمرة تحطمت آمالي وحيل بيني وبينها .

لو كنت أعلم كل ذلك لاخترت في الحياة سبيلا آخر وكنت أفضل ألف تفضيل أن أظل عاطلا في قريننا عن أن أوسع لأهلي الأمل في ولدهم ثم يأتي يوم فاصدمهم تلك الصدمة العنيفة .

لم يبق في نفسي أي نشاط خلقي ولربما وصلكم يوما ما خبر وفاة مندور، وعندئذ تعلمون أنني ما عصيتكم ولا عصيت المدير وأن والدي المسكين ما كان يستحق مني ذلك وأنني أعرف كيف أكفر عما ظننته مني أخطاء .

كنت أوئل كثيرا في الحياة وكنت أود أن أكل ما أستطيع الإلمام به لأنفع بلادي فلم يفهمني أحد وقد فضلت أن أخلي الحل لمن أكفأ مني وما أنا عاقد عزمي على أن أخلي هذا الحل لا في البعثة فقط بل في الحياة .

لقد ألتني كثيرا أن ظننت أني أكتب لكم أدب لغة أو دفاع قانوني وكنت أظن أنكم ستصدقوني فيما أقول .

أكتب لكم هذه الكلمة وأنا أبكي ما استطعت البكاء . سامحكم الله سامحكم الله وعشتم سعيدون موفقون أنتم ومن تحبون وإلى اللقاء . في عالم آخر خير من عالمنا هذا،

**تلميذكم اليائس - مندور**

القرار جاء بخصلي لا بولقي ونشرته الجرائد (هذه العبارة جاءت على جانب الرسالة - المحرر)



## استاذي العزيز حفظه الله

أخشى أن تكون خطاباتي إليك أكثر عددا مما ينبغي وأنت الآن في سبيل الاستراحة قليلا من عناء العام الدراسي ولكن أبت الظروف إلا أن تتفق على تنغيص حياتي في هذه الفترة المؤلمة التي أمر بها الآن، وثقتي عظيمة في أنك موسع لى صدرك وأنا أعلم علما لا شك فيه أنك من القلائل الذين يعيشون لغيرهم وطالما أحسست أنك تشعر بأكبر سعادة عندما تدخل الفرح على قلوب الغير وفي هذا عزائي عما ألقنكم فيه وما اعتذر عنه كل الاعتذار.

لقد ابتدأت نفسي تهو كثيرا وانصرفت إلى دراستي بكل نشاطي ولكن وصلني خطابان من مصر الماني أشد الألم وعكرا راحتني في عملي. أحدهما من أخى والآخر من ابن عمي ويقول الأخير إنه اطلع على تقارير حضرة المدير وعلم بكل ما كان يحيط بحياتي بباريس وأنه تألم شديد الألم وأنه يسك القلم عن ذكر كل ما علم لأنني أعلمه ويدعوني إلى نسيان هذا الماضي وابتداء حياة جديدة وهذا ما أكاد أجن منه جنونا ويودى أن أعرف ماذا قيل عني.

لم يقل أحد في يوم من الأيام إنني سكير أو لاعب أو معريد أو غاوى نساء، وأنا لا أعرف لا الخمر ولا السباق ولا المقامرة وما كان مني في مسألة النساء ليس فيه إلا ما افتخر به وكل ما كان يعلمه حضرة المدير ويعلمه والدي وقد هنأني من أجله حضرة المدير نفسه وما هو يمكن لأستاذي أن يسأله ليعرف إلى أي حد بلغت عفتي وطهارة نفسي ولا تزال تعاودني كلمته عندما قال لي إن الفتاة التي تعرفت بها ما كان يمكن أن أنال من معرفتها إلا كل نبل ورقة إحساس وقد تمنى أن لو كان غيري مثلي .

والواقع إنني ما تعرفت إلا بفاتنتين إحداهما المانيه كانت تريد الزواج مني ولم أرد ، ولم تطل معرفتي بها إذ سافرت إلى بلدها ، ولكنها استمرت في مراسلتي لمدة ما على مكتب البيعة وأنها لم تعرف يوماً ما عنواني الخاص ولو كان في الأمر أي شيء لما قبلت أن تكتب لي على البيعة ، وقد قطعت ردي على عنها لأنني لم أرد أن اشغل نفسي بما لا فائدة فيه وأما الفتاة الأخرى الفرنسية فقد فكرت أن أتزوج بها حقيقة ولكن أهلها لم يقبلوا ذلك فعدلت وحاولت أن أنهى العلاقة ولكن للأسف كانت الفتاة قد تطلعت بي بعض الشيء ولذلك لم ير أهلها بدأ من مقابلة حضرة مدير البيعة ليتوسط لهم عندي فأقسموا على الفتاة وأظهر لها ما ينفرها مني لأنهم عجزوا عن إقناعها بأنه لا يمكن لها أن تتزوج من مسلم غريب عن بلادها بعوائده وعقليته وما إلى ذلك مما يعرفه أستاذي وقد سألهم حضرة المدير في هل كان مني ما يعاب من الوجهة الخلقية فكان ردهم ورد الفتاة بأنني مثل طهارة النفس ولم يكن مني أي ما يعاب عليه أفع الناس خلقا وقد هنأني حضرة المدير لسلوكي في موقف كهذا كان يمكن للإنسان أن يسقط فيه بسبب ضعف الطبيعة فينا وكانت الفتاة طالبة معي في السريون في نفس الدراسة كما كانت الفتاة الألمانية .

هذا كل ما كان وقد كتب أهل الفتاة الفرنسية إلى والدي مثنيين على طهارة سلوكي وراجين أن يطلب

إلى أن أعدل عن فكرة الزواج بينتهم لاختلاف الدين وما إليه فعدلت طبعاً وتالت لذلك بعض الشيء وانتهت المسألة بأسرع وقت.

أما عن الخمر أو اللعب فهذه مسائل لم أعرفها في حياتي أصلاً ولا أشعر بأى ميل لها بل أنفر منها كالتوحش.

ولذلك أرانى فى دهشة شديدة ولست أدري ماذا يمكن أن يكون قد نسب إلى وما كان منى وإن يكون ما يعيب شاباً مثلى ليس فى نفسه محل لهذه الصغائر. وأنا بطبعى كثير الهموم كثير الطموح ودائماً فى عبوس مستمر وغضب على نفسى مما يفر منى حتى الرجال من أصدقائى.

حقيقة لست أدري ماذا يمكن أن يقال عني ولذلك أكون شاكراً لو تفضل استاذي وأخبرني بما يمكن أن يعلم عن حياتي الخاصة لأنني فى شديد الالم وأخشى أن يكون حضرة المدير ظن شيئاً من كثرة خطابات الفتاة الألمانية وهو فى ذلك يكون مخطئاً أكبر الخطأ وقد علم عني كل ما يشرف من الفتاة الفرنسية ومن أمليها .

ثم إن حضرة المدير أعطاني مرتب شهر يوليه وأرسل لى أخى مبلغاً صغيراً وأنا من هذه الجهة فى راحة تامة لأنى بطبعى مخفر وإن ضرتنى ذلك إذ ظن بى حضرة المدير الغنى وترتب على هذا الظن الباطل ضياع مركزى ولكن عدنى الآن ما يكفينى لمدة شهرين ويمكننى أن أنصرف إلى عملى بكل راحة.

أعطاني حضرة المدير مرتبى بعد توسط صاحب المعالى مكرم باشا فى الأمر طبعاً لأن الديوانى بك بنفسه عنيد جداً وفى منتهى القسوة ولست أدري كيف أفسر ذلك اللهم إلا بطبيعة تكوينه وقد أخبرت أستاذي - مع شديد احترامي كى ينفي لحضرة المدير - أنه على ما يظهر لى تركى جنساً وأستاذي يعلم عن عناد الأتراك أكثر مما أعلم .

والآن أعلن أن الديوانى بك لن يكتب لوالدى وإن كان قد وعدنى بذلك كما وعدنى أن يرفع اعتذارى وطلب عودتي إلى البعثة إلى الوزارة بل طلب منى هو نفسه أن أكتب هذا الطلب وهو يعلق عليه بما يسهل للمسألة طريق الحل ولكنى أخشى الديوانى بك ويخيل إلى أنه لن يفتقر لى ما ظنه منى خروجا على إرادته وقد عدت فاعتذرت إليه كتابة وهو الآن ببليجكا ورجوته أن يفي بوعده وأخبرته بتلغراف استاذي فرد تلغرافيا قاتلاً أنه من رأى العميد وعلى أن ألزم الاطعمان وأن المسألة ستنتهى ولكن هذا التلغراف لم يفتدى بشيء فلم أعرف أكتب إلى والدى أم لا ولم أعرف أرفع طلبى إلى الوزارة أم لا وما أظنه سيخبرني عن شيء من ذلك قبل عودته إلى باريس ووالدى فى قلق شديد وعزيز على نفسى أن يظل فى هذا القلق وقد وعدت والدى بأن الديوانى بك سيكتب له ليرضى عني كما ستكتبون إليه وقد يفسر والدى سكوت الديوانى بك بعدم رغبته فى إيلايه ولو كنت أعلم ذلك لاكتفيت بإخباره بخطابكم لأن هذا أمر كل ثقة بأنكم لن تروا مانعا بل بالعكس ستسارعون إلى الإحسان إلى تلميذكم بى بينما الديوانى بك لا يظهر لى من الاهتمام بأمرى ومستقبلى وحياتى إلا شعوراً نسبياً وأن يكن مؤمناً على ما يخيّل إلى أنى لست عارياً عن كل خير وإلقد اعتذرت إليه - كما طلب والدى بلسان أخى - واستسمحته

بكل قوتي وأظن أن كرم النفس يقضى بأن يتسامح معى خصوصاً وأنه قد عاقبني لخروجي عن رأيه أو ما ظنه ذلك عقاباً ليس بونه عقاب، وقد حلم سمعتي وكاد يحطم مستقبلتي لو لم يكن من رحمة الله بي أن فتح لي قلبكم الرحيم النجات إليه وأنا من اليأس على اقرب بعد

لهذا ترون يا أستاذي المحبوب أنني لا أثق بأحد غيركم وإن يلخذ بيدي في هذا اللظرف المؤلم من حياتي إلا أنتم والآن وقد وثقت من رحمتكم وعطفكم ستقلب على كل الصعوبات وسأكون عند حسن ظنك بي وسأضع أمام عيائى باستمرار أن على واجبا نحوكم وهو أن أؤدى واجبي نحو نفسي وقد آبت رحمتكم وأبى كرم أنفسكم وقلبيكم الذى يفيض محبة إلا أن يجعل منه واجبا نحوكم وهذا هو أكبر خير أتيتموه إلى لأن عرفان الجميل والتفانى فى محبة من أحسن إلى كل هذا الإحسان هو فرح قلبي.

فهل لأستاذي أن يخبرني عما يمكن أن أكون قد أؤخذت به وأنا لا أدري ليطمئن قلبي ولأرى الاستحقاق من حيث لا احتسب غضب والدئ واستنكار أهلى لى أم هو مجرد تفسير خاطئ، لما قاله حضرة المدير فى تقريره الأخير من أنى مهمل وكثير السفر إلى جهات لا يعلمها مما يترك للتأويل كل محل.

ثم إن الديوانى بك رجل أحرص مما ينبغي ويخيل إلى أنه يخشى الوزارة فيما إذا عاد فدافع عنى أواللب تخفيف العقاب عنى وما دام أستاذي لا يؤيده فى العودة إلى الانصاف لن يعود ولنك أرى - والرأى الأخير لكم طبعاً - أنكم لو كتبتكم إليه ليكتب لوالدئ ويرفع طلبى للوزارة ويعلق عليه بعد أن علم أن تغرافه لم يصلنى وبعد أن اعتذرت إليه وبعد أن تحقق من أن سفرى كان فى سبيل غاية علمية - بما يخفف من مسئوليتي عند الوزارة لفعل وهو ما أرجوه منكم كل الرجاء .

وأختتم خطابي داعياً إلى الله - مخلص الدعاء - أن يسهل عليكم وعلى عائلتكم المباركة فيضاً من السعادة وراحة القلب والضمير وتلك أعظم نعم الحياة، وأعود فأرجوكم أن تسامحوني فى إقلاق راحتكم بهذا الشكل الذى يؤلنى كثيراً،

**تلميذكم المحب المخلص**

**منور**

6, Rue, Marere,  
Paris (14<sup>ème</sup>)

### استاذي العزيز. حفظه الله

قابلت اليوم صاحب العزة مدير البعثة فعملت منه بالخطاب الذي تفضلتم بأرساله إليّ توصونه فيه بي خيراً وكذلك بما كنت أعلم به من قيل من عزمكم على استخدام تفويضكم الطيب في صالحى لدى وزارة المعارف عند عودتكم إلى الوطن سالمين معافين إن شاء الله وهو ما أرجوكم أن تقبلوا عنه أخلص عبارات الشكر والعرفان بالجميل وبكم من حسنات لكم عندي لن أنساها ما حييت .

لقد أعطاني حضرة المدير مرتبتي لشهرين من المتأخر لى وحجز شهرا واحدا عقابا لى ورغبة منه فى أن يشعرنى أكثر مما كنت بمستوليّتى ووجوب احترام النظام موضوعاً وشكلاً وعسى أن تكررنا شيئاً وهو خير لكم . وعلى أى حال فقد كان من هول الصدمة من الناحية النفسية ورغبة الإصلاح ما يفوق مرتب أشهر بل سنين ومع ذلك قبلت برضى نفس هذا العقاب امتثالاً لرأى حضرة المدير وبالأخص امتثالاً لرأيكم وأنا مدّين لكم بكل شيء .

علمت كذلك من حضرة المدير أنه قد كتب إلى وزارة المعارف بإرجاعى إلى البعثة والاكتفاء بعقابى بخمسم مرتب شهر واحد بدل ثلاثة بعد أن تبين له أن ما ظنّه من غناى لم يكن للأسف صحيحاً وقد وعدنى عزته وعداً أكيداً بأنه سيعطينى مرتبتي فى أول الشهر المقبل كالعادة ولست أدري على أى شيء يستند وعده هذا . أهو بناء على رأيكم أم استباقاً منه لموافقة الوزارة على ما اقترح أم وصله قرار بهذا المعنى من مصر . لا أعلم من كل هذا شيئاً ولم يخبرنى حضرته بشيء ولكنى مطمئن إلى سلامة العقابى ما دمت متمتعاً برضاكم عنى وكل همى الآن هو أن أعمل على استحقاق هذا الرضاء الكريم لأنى لا أريد أن أجازيكم بالشكر والمحبة والأخلاص فحسب بل بالعمل وأنا أعلم أن توفيق تلميذكم يدخل على قلبكم الطاهر الرقيق أنبل السرور فأعاهدكم وأنتم من أنتم فى نفسى أن انتهى مما كلفتمونى به أو أفنى دون ذلك وسياتيكم فى نوفمبر القادم لو شأته إرادة الله أول تحقيق لهذا العهد ولا يهلونكم مشقة الطريق فانه برغم كل شيء ممكن الاجتياز وما اظننى أقل فى شيء من الشبان الفرنسيين الذين يعمرون مثل تلك الامتحانات وإنما المسألة مسألة وقت - أقل وقت - نصل فيه إلى مستوى معرفتهم بتلك اللغات عند دخول الجامعة ولا يخفى على استاذى أننا على أى حال أكثر منهم تضجوجاً واقدر على أن نحصل فى وقت قليل نسبياً ما حصلوه هم فى سنوات فاطمتوا ولا تيسرنا لأنى شخصياً كبير الأمل فى الفوز النهائية بل والفوز فى أقرب وقت ثم هل أنا بحاجة إلى أن أنكر استاذى بما يعلمه عن خبرة طويلة من أن السقوط ومعاودة الكرة مراراً ومراراً لا يمكن إلا أن يعود على الخير ويؤيدنى تضجوجاً وتثبتاً مما أدرس وأنه من الأفضل لى ألف مرة أن أمر بعد عدة محاولات وأنا ثابت القدم من أن أمر بالصيغة والاتفاق .

ثق يا استاذى بأنى سأنتهى من هذه اللىسانس وسأخرج منها تام التكوين يستطيعون الاعتماد على بكل اطمئنان خصوصاً وأنى شديد الحماسة لهذه الدراسة المتتجة وعاهد عزمى على أن استخلص منها

كل ما أستطيع من خير فساعدوني على الوصول وإن أهن وإن تسمعوا عني بعد اليوم إلا كل خير وسترون إن شاء الله عند عودتي إلى مصر أن محمولي العلم يبرر بكل سخاء ما يمكن أن أضطر إليه من تطويل في مدة بقائي بأوروبا.

ثم بودي أن أرجو أستاذي أن يعفوني ويسامحتني فيما يمكن أن يكون قد ساقني إليه المي واضطرابي من مجاوزة القصد في العبارة في خطاباتي السابقة فقد كنت حقيقة كناقذ الوعي وأنتم كآبي وكنت ولا أزال أكتب إليكم كما أكتب إلى والدي وقد كان لأملي فيكم - أملي الذي لا حد له - أكبر مشجع على أن أقول لكم كل ما يمر بخاطري مما يتعلق بحياتي الدراسية أو الشخصية فأشملوني بعطفكم الأبوي وخذوا ما في خطاباتي من خير على أنه أحسن ما في نفسي وسامحوني فيما يمكن أن يكون أخطأت فيه. وكما يكون امتناني لو سمح بفتحكم وتفضلتم بإخباري عن مجمل شعوركم نحوي بعد كل تلك الخطابات التي تلوح لي الآن كصرخات حالم . في نفسي مخاوف شديدة من هذه الناحية فهلا تكرمتم بتبسيطها.

لم يبق لدى الآن إلا أن أدعو الله مخلصا له الدعاء أن يرعاكم بعنايته في حلكم وترحالكم أنتم وأسرتكم الكريمة وأن يبيحك ياسيدي البك عونا ورحمة لتلميذكم المحب المخلص،

هنور

6, Rue, Marere,  
Paris (14<sup>ème</sup>)

باريس في ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣٦

ضاح ميعاد الطيارة ولهذا أرسلت  
لكم هذا الخطاب بالباخرة بدلاً من  
الانتظار ولعله يصلكم على عجل.

استاذي العزيز:

ظهرت اليوم نتيجة امتحان فقه اللغات ولم أنجح واست أسفا على ذلك بل أفضله لأن تحضيرى لفقه اللغتين اللاتينية والفرنسية القديمة لم يكن كما يجب كما أخبرتم وأنا أعلق أهمية كبيرة على دراسة تطور اللغة اللاتينية منذ أقدم عصورها إلى أن تنتهى إلى اللغة الفرنسية الحديثة والواقع أن فى ميدان علم اللسان وفقه اللغات ليس لدينا مثلاً أصح ولا أسلم لدراسة تاريخ وتطور اللغات غير هذا المثل أعنى تطور اللاتينى وانتهاى إلى اللغات الرومانية الحديثة وبخاصة اللغة الفرنسية التى أعرفها الآن إلى حد ما (١) هذا ويخفف من المي أنه لو كنت فرضاً مررت التحريرى فما كنت أستطيع أن أمر الشفوى لأن هذه دراسات جدية كما لا يخفاكم ولا يغنى الذكاء أو المهارة عن التحصيل فيها شيئاً فهى ليست ميدان تفكير بل ميدان حقائق تاريخية ليس للتفكير فيها إلا حظ التفسير بل إن التفسير نفسه يأتى وحده من معرفة الحقائق معرفة تامة على نحو ماتحمل الشجرة ثمرها وأذن فالخير ما كان.

لهذه الأسباب لم يؤثر فى نفسى هذا البؤس الجديد كما أثر اليونانى، فحقيقة تحضيرى لتلك اللغة قد نضج كل النضوج بحيث يمكن أن يفسر سقوطى بما نسميه عجزاً عن الاهتداء إلى سبب نفسى آخر سوء الحظ.

والآن لديكم كل وسائل التقدير. لقد بذلت كل مجهودى فى اليونانى ومستعد أن أجدد هذا المجهود إلى آخر ذرة من قوى جسمية كانت أو عقلية كما فى عزمى أن أكمل جواب النقض الواضحة فى تحضيرى لفقه اللغات وهو ما سأخصص له هذا العام وأملى أن انتهت من كل ذلك هذا العام أن تكون مسألة اللاتينى قد قرب حلها فلاشك أن معرفة نحو وفقه تلك اللغة كما ينبغى سيسهل الموضوع تسهيلاً واضحاً كما أنه لا يخفاكم أن المقرر فيما يختص باللاتينى فى شهادة فقه اللغات (كما هو واضح فى البرجرام الذى أرسلته لمرتكم) يتناول نصف مقرر شهادة اللاتينى وفى هذا ما يجعل اللاتينى نفسه بعد مرور تلك الشهادة أمراً هيناً نسبياً إن كان هناك شى يصح وصفه بذلك فى دراسات كهذه .

أما ما ينقصنى حقيقة لتحضير ذلك كما يجب فهى أدوات العمل كما لا يخفاكم فمن المستحيل أن أكتفى بدروس الجامعة لأن الأساتذة لا يفسرون طول العام إلا جزءاً لا يذكر من المقرر بل حتى لا ينتهون من تفسير كل المقرر فى الثلاثة أعوام التى يبقى فيها المقرر مع تحضير جزء كل عام ولذلك لا بد لى حتماً من تحضير الباقي بنفسى وكيف لى بذلك إن لم أملك من المراجع والقواميس ومطولات كتب النحو الوصفى والتاريخى والمقارن ما لا بد منه وكل هذه المراجع وإن وجدت فى المكتاب العامة إلا أن منها ما لاغنى لنا عنه فى منازلنا لأن وقت المكتاب محصور بالضرورة لأنه يتعارض مع وقت الدروس وهو لذلك لا يلقى أصلاً وتلك الكتب فى غير متناولنا لغلاء ثمنها . نعم لقد استطعت أن أحصل على بعضها بعناء

شديد وكونت لنفسى مكتبة صغيرة لا بأس بها ولكن أهم تلك المراجع لا يزال ينقصنى ولتسمحوا لى من باب التمثيل أن أضرب لكم بعض الأمثلة:

فعن اللاتينى واليونانى مثلا. كيف نستطيع أن نحل المشاكل التى نلقاها فى كل سطر وكل كلمة فيما يختص بأسماء أعلام وأسماء أمكنة وأسماء آلهة ومعتقدات ونظم اجتماعية وقانونية ومظاهر فنية وأثار تاريخية وما إلى كل ذلك بدون قاموس عن antiquitas greco - latines الستم ترون معنا أنه ينبغي أن يكون فى متناول يدينا باستمرار لا أقول القاموس الألمانى الشهير الذى يعتبر بحق المثل الأعلى فى بابيه

(1) Pauly - Wissowa - Kroll: Real - Encyclopadie des classischen altertumswissens-haft.

بل على الأقل القاموس الفرنسى الذى لا بأس به والذى يمكننا مؤقتا الاكتفاء به بكل سهولة

(2) Daremberg et faglio: Dictionnaire des antiquites grecques et romaines (5 vol) en 10 parties.

ولكن أنى لنا به وثمنه على الأقل ١٥٠٠ ألف وخمسمائة فرنك

ثم قاموس Mullit et Ernout وعنوانه يدل على قيمته التى لا حد لها. Dictionnaire etymologique du latin (1 vol)

(3) Lictionnaire Etymologique du latni (1 vol)

وثمنه ٢٥٠ مائتان وخمسون فرنكا.

(4) Litiennaire etymologique du gru (3 vol) ثم قاموس

وهو ما أجعل ثمنه ولاشك أنه غاية فى الارتفاع.

أما ترون أنه يجب أن نحصل على مثل تلك المراجع أو بعضها إن أردنا حقيقة أن نعمق دراستنا وأن نعرف كيف نحل بانتفسنا المعضلات التى لا حد لها والتى نواجهها فى كل وقت وفى كل نص

وأما عن الفرنسى فكيف لنا أيضا أن نستغنى لا أقول عن قاموس Lettre مثلا بل على الأقل وعلى الخصوص عن قاموس Datsfeld, Thomas et Jarrestetver lditionnaire qeeral de le langue franciase (2 vol) فى جزئين وثمنه أيضا ٢١٠ فرنكا هذا عدا القواميس الصغيرة التى نستطيع أن نحصل عليها بمرتبتنا كقاموس Lmairous عن لغة القرن السابع عشر وقاموس أو مختصر قاموس Godefroy عن اللغة الفرنسية القديمة وكل هذه القواميس للأسف لا نستطيع أن نستغنى عنها لأن المقرر كما ترون يتناول جميع عصور اللغة والتفاوت كبير بين جميع تلك العصور بحيث يتحتم الرجوع إلى قواميس خاصة كل حين ومراجعة

كل ذلك في القاموس العام لمعرفة تطور معاني الكلمات وتولد بعضها من بعض حتى تتصل الحلقاء.  
وأخيراً فافهم القواميس الحديثة في اللغة الفرنسية إطلاقاً وما لا بد من الحصول عليه بأى طريقة وهو  
قاموس:

Van wartbury et G. Bloch: Dictionnaire etymologique de la langue française. ( 2 vol )

وثمّة لا يقل عن ٣٠٠ فرنك.

وأما عن فقه اللغة فمن يستطيع أن يدعى دراسة اللغة الفرنسية دون أن يكون في متناوله على الأقل  
الكتابيين الهامين الذي أقتصر على ذكرهما لأنهما يفتيان عما عداهما تقريباً كل الغناء وهما:

(1) Inyrop: Grammaire historique de la langue française, Paris, Copenhague... ( 6 vol ).

(2) Brunot: Histoire de la lanque Francaise ( 10 vol ).

هذا وأساتذة السريون مجمعون على أنه من المستحيل تناول أى نص فرنسي دون أن يكون هذان  
الكتابان على المائدة أمام القارئ. وكيف نستطيع أيضاً أن نحصل عليها وثمان ٢٥٠٠ فرنك على الأقل.

هذه هي المراجع التي يتحتم لنا الحصول عليها وأما ما عدا ذلك من الكتب الصغيرة والنصوص  
والترجمات والتعليق التي لأحد لها فتستطيع الحصول عليها من مرتبنا مع شيء من الحرص ومن هذا  
ترون عزتكم أنا محطون عندما نطلب تعويض الكتب.

والآن لدى رأى اعرضه على عزتكم ولعله يقابل موافقتكم وهو أن نتفضلوا فنتوسطوا في الأمر  
ليصرفوا لى تعويض الكتب ومرتب الشهر المخصص منى على أن أشتري بها جميعاً بعض هذه الكتب  
بواسطة البعثة أو بفاتورة أحملها إلى البعثة أو تشتريها لى البعثة إن أرادت لأنى لأريد شيئاً غير ذلك.

بقى لى أن أخبركم فى كلمات موجزة عن حالتي النفسية لعلنى بانها لاشك ملاقية من عطفكم أجمل  
صدى وهى للأسف متغيرة كل حين ما بين حماسة تقرب من الجنون إلى يأس وائم يتركنى بالحرارة  
كالغصى عليه ولكن لأعليكم من ذلك وليس لى أن ألقاكم بشكوى كل وقت لهذا سأحزم أمرى وأكتم الامى  
فى نفسى وكفاكم ما تبدونه من عطف نحوى وهو ما أشكركم من أجله ألف شكر.

على أننى أود وأمل منكم ألا تياسوا منى مادمت غير يائس من نفسى فاصبروا معى قليلاً والله  
للموفق.

ومهما يكن من شيء فخير البلاء أو خير البر عاجله وليس ألم فى النفس من الخوف والانتظار



فأرجوكم ولو من باب الرحمة أن تخبروني على عجل إن استطعتم بما أنتم قاضون في أمري لتطمئن نفسي إلى شيء من الراحة سواء بالأمل أو باليأس لأن أشد الآلي النفسية إنما مصدره هذا الانتظار وأنا كما يقولون في الآداب «لاحي فيرجى ولا ميت فينسى» فهلا أخرجتموني من هذا الموقف المؤلم.

لم أرد الانتظار بعد ظهور النتيجة بقيقة واحدة وهأنا أبادر بأخباركم بجميع ما ترونه لازماً للحكم على لي أو ضدي ولكم بعد ذلك الحكم الأخير فقد ضاق بي الوقت وضاعت بي قدرة الله عن أن أنجح وأن أفي بوعدي والنتيجة ليس فيها للأسف إلا ما يغم فإن رأيتم برغم ذلك أن أملككم في لا شك متحقق مع شيء من الصبر وهذا هو رأيي الذي لن أحييد عنه فدافعوا عن هذا الأمل الذي وضعتموه في وأنا محققه إن شاء الله ويرغم جميع الصعوبات.

وأختم خطابي المحزن راجياً لكم دوام البقاء والسعادة لكم ولعائلاتكم الكريمة ورحمة الله تشملنا جميعاً،

### تلميذكم المخلص

#### منذور

6, Rue, Marere,  
Paris (14<sup>e</sup> arr.)

(١) وذلك لمعرفة نقطة البدء (التصويص اللاتينية القديمة) ونقطة الانتهاء (الفرنسي الحديث) بخلاف غيرهما من اللغات.

(٢) ضاع ميعد الطائفة ولهذا أرسلت لكم هذا الخطاب بالباخرة بدلاً من الانتظار ولعله يصلكم على عجل ( كتبت هذه العبارة في أعلا الرسالة على الجانب الأيسر - المحرر).

## استاذي العزيز:

بعد أن حملت إلى البريد خطابي الأخير اليكم ذهبت إلى سكرتيرية الكلية وطلبت درجاتي لأوافيكم بها كما يجب والغريبة أنها كانت على خلاف ما توقعت وسوف ترون منها ماعى أن مسألة الامتحانات كما قلت في أحد خطاباتي السابقة لا يمكن للأسف أن تعتبر الليل الأول والأخير على كمال مجهود الإنسان أو نقصه وأن الإنسان أدرى بمواضع نقصه أو قوته وما نتائج الامتحانات إلا تقديرات كثيراً ما تعدو الواقع لأسباب حقيقة فيها ما يحير النفس لغموضها عن الفهم ولعل فيها أيضاً ما يبرر تحاملي على السريون يوم كتبت لكم خطابي باللغة الفرنسية وأنا في حالة ثورة نفسية لأحد لها وبهذه المناسبة أرجوكم أن تعذروني إن لحتم في ذلك الخطاب ما أخشى أن أكون سرت إليه من اشتداد في اللهجة كان له كما لا يخفاكم ما يمكن أن يبرره.

قلت لأستاذي نقص تحصيلي لفقه اللغة اللاتينية والفرنسية القديمة وكماله فيما يخص باللغة اليونانية واللغة الفرنسية الحديثة ومع ذلك وبرغم حملي على نفسي لم أخطأ مرور الإمتحان إلا بشيء قليل فدرجتي في اللاتيني واليوناني  $\frac{4}{5}$  وفي الفرنسي قديمة وحديثة  $\frac{3}{5}$  ومتوسط المرور في كليهما  $\frac{1}{2}$  وإذا تذكرت أن هذه الشهادة هي التاج الذي يجب أن أتوج به دراستي وأنها أهم الشهادات المكلف بها وأصعبها في نظري وأفيدا لمستقبلي وأنها تتطلب أعرق معرفة للغات الثلاثة مما رأيتم معي أن مجهودي لم يضع سدى وأن الأمل لا حد له في النجاح القريب في جميع ما كلفت به .

أما اليوناني فدرجته تكاد تلقى بي في حالة الجنون. تعلمون من للتقديرات السابقة طبعاً أن درجتي في الامتحان الماضي كانت  $\frac{3}{5}$  وإذا أضفتم إلى ذلك المجهود الشاق الذي بذلته في الأشهر الأخيرة لاشك ستكون دهشتكم كدهشتي إذا علمتم أن درجتي في هذا الامتحان كانت  $\frac{3}{5}$  فقط ومعنى ذلك أن المصحح لم يكلف نفسه عناء التفكير في سبب انحرافي عن الترجمة الرسمية للنص ولم ير أن كل ما كان سببه سهو يؤسف له في قراءة كلمة ولو أنه فطن إلى ذلك وقرأ الترجمة على ضوء هذه الفلطة الأساسية لرأى أنني بلاشك أستحق خيراً من تلك الدرجة. لقد المني كثيراً درجة كهذه لأن معرفتي باللغة اليونانية تفوقها بكثير وكان يجب عقلاً وعدلاً أن أمر الامتحان ولكن هذا ما كان.

لقد ساقني التفكير في معنى هذا السقوط المخزي والمؤلم إلى مراجعة واجباتي التي قدمت في العام القادم إلى الأستاذ (Plassart) أستاذ للترجمة بالسريون ويبدى الآن جميع الراجيات ومراجعة درجاتي وجدت بينها تفاوتاً غريباً ففي العشرة واجبات التي كلفنا بها أثناء العام الدراسي السابق تراوحت درجاتي ما بين  $\frac{2}{5}$  و  $\frac{10}{5}$  ومنها  $\frac{3}{5}$  و  $\frac{4}{5}$  و  $\frac{5}{5}$  و  $\frac{6}{5}$  و  $\frac{7}{5}$  و  $\frac{8}{5}$  و  $\frac{9}{5}$  والغريبة أن أحسن درجاتي كانت عن ترجمة نص «لتسفيد» أي مؤلف الامتحان ولأغربة في ذلك فهذا المؤرخ وإن يكن أشق الكتاب اليونانيين مراساً فهو بلاشك أشدهم نكاه وأساسهم منطقاً مما يسهل فهمه مع شيء من التدقيق والجهد.

كان بوى أن أرسل لكم جميع تلك الواجبات لتروا بانفسكم كيف يصحح اساتذة السريون تلك الواجبات وما فيها أحيانا من قسوة أولين قد يصعب على الطالب أن يوافقهم عليها وهو أنرى بنفسه ولكنى أرى أن اكتفى بإرسال أسوأ درجة وأحسن درجة والنص الأول كان من (Talybe) وأسلوب هذا الكاتب المتأخر متكلف ومهلل وعقيم عقم أسلوب «بلوتارك» بل أشد عمقا وضعفاً والنص الثانى من «تسيبيد» كما قلت سابقاً.

حقيقة أن فى الحياة أحيانا ما يحير الألباب.

هذا ويشجعنى على الصبر والصلابة ما علمته أمس من نجاح زميلى الأخ على حافظ فى الامتحان التصيرى للغة اللاتينية وإذا تذكرتم محاولاته المتعددة فيما مضى بغير توفيق رايتم معى أن النجاح ليس مستحيلا فى أى شئ مع العزم والحزم والمثابرة. للأسف لم يمر الشفقى ولكن أمامه فرصة يونية القادمة وإن شاء الله ينتهى من تحضير النصوص المقررة كما يجب ويحصل على الدرجة نهائيا. ثم أما ترون معى أن رجوعه إلى بعثة وراحة نفسه لابد أن كان لها أثر فى هذا النجاح.

والآن قد أدبت إليكم كل ما عندى من معلومات عن سير دراستى وإكم الحكم بما ترون وفى انتظار ردكم الكريم أرجو أستاذى أن يتقبل خالص تقديرى وشوقى ومحبتى ،

**تليمنكم المخلص**

**منصور**

## استاذي العزيز:

منذ أيام وأنا ملازم فراشي لمرضى ولما طال بي الانتظار دون أن يصلنى أى رد من حضرة مدير البعثة على خطابي الذين «الذين» أخبرته فيهما بما كان من أمر امتحاناتي اتصلت به تلفونيا من حجرتي معتذرا بمرضى عن المجيء لمقابلته فرد متهمكا شاكرا الله على أن كان الالم فى رأسى دون قدمى وقائلا أنه لا يستطيع أن يعطينى مرتبى ولا تعويض الكتب فرجوت أن يعطينى على الأقل تذكرة سفرى لأعود إلى بلادى لأراكم وأرى ماذا سيتم فى أمر مستقبلى فقبل ذلك بعد أن تتحسن صحتى التى لا يريد أن يصدق حتى انصرافها كاتى منافق أو كاذب أو نصاب أو مدع أو ممثل هزلى أو لا أدري ماذا.

تعويض الكتب علمت أخيرا أن حضرة المدير أعطاه إلى زميلي عبد العزيز عزت فلماذا إذن يرفض إعطاه لى ولماذا هذا التفريق؟؟ مع أن عزت أيضا لم يمر للأسف امتحانه ولم ينتظر المدير نتيجة هذا الامتحان بل أعطاه تعويضه قبل ذلك بزمان.

ثم إن مرتب الشهر الذى خصمه منى جاء اتفاقا فقد كان يظن أنه أعطانى كل المتأخر لى فلما ذكرته بالحقبة وراجع حسابه فرأى أننى لم استلم مرتب ذلك الشهر قال: حسن جداً. إذن سنخصم منك أجر هذا الشهر لأنه لا يمكن أن تنتهى للسالة بهذا الشكل وتؤب فى الماء وكفى أن أعطيناك مرتب شهرين من ثلاثة ولا كان الأمر مهزلة ولست أدري من أين تأتى المهزلة، لقد ظن أنى لم أرجع إلى باريس برغم تغرافه وقد تحقق الآن من عدم وصول ذلك التغراف وقد تركنى فى «نيس» أتصور جوعا مدة ثمانية أيام حتى أتهمنى صاحب الفندق بالاحتيال وهم بإلقاء متاعى فى قارعة الطريق وكان ماكان مما لا يستطيع أن أتذكره الآن دون أن أتالم أشد ألم وقد كتبت إليكم شارحا مركزى للمادى فأبت شهادتكم إلا العفو عنى فكتبتم إليهم طالبين صرف مرتبى لى وكذلك بينت له أنى لست من الغنى بحيث ظن وأنى لا أستطيع أن استغنى عن مرتبى وتفضل معالى مكرم باشا فرجاه كما رجوتهم أن يعطينى مرتبى فهل بعد كل ذلك يجوز أن يتشدد معى كل هذا التشدد لا لغرض إلا لضايقتى وتثيبت الالم من نفسى.

ثم يهمنى بنوع خاص أن ألقت نظر عزتكم إلى أننى لم أرجو «أرج» معالى مكرم باشا ليتدخل فى الأمر إلا لضيق ذات يدى ضيقا لا حد له وأنا بعيد عن أهلى وكان لابد لى من الانتظار مدة طويلة حتى يأتينى منهم رد وماكنت أستطيع أن أنتظر والأهم من كل ذلك هو أننى قبل أن أفاتح مكرم باشا فى الموضوع ذهبت إلى الديوانى بك قائلا (لقد آتيت بإسعاد المدير لاستسمح فى أن أرجو معالى مكرم باشا ليكون لى واسطة خير لآنى فى حالة ضيق شديد ولأن المسألة تتعلق بمستقبلى وحياتى ولن أشكو منكم بل سأنشكو من ضيق ذات يدى ومن الخطر على مستقبلى وليس فى ذلك مايمكن أن يؤثر فيكم أى أثر خصوصا وأن المسألة لم تعد فى يديكم الآن بل فى يد الوزارة وحلها يكون بواسطة الوزارة وقد كان من حسن طالعى أن مر الوزراء الآن ولهذا سألحاول إصلاح أمرى عندهم) فرد موافقا ومحبذا وكان ماكان.

اظن بعد ذلك أن تحامله ضدى كل هذا التحامل لامبرر له وحقيقة من المألوم أن يظن أن فى عطفكم علىّ وعطف معالى مكرم باشا اى انتصار لى أو اى اعتداء على حقوقه. اليس من الطبيعى ومما يتمشى مع إحساسى كإنسان أن أدافع عن مستقبلى وقد بذلت فى سبيله دى وإذا دافعت عنه أأكون أجزمت فى حق اى إنسان.

لقد اعتذرت إلى الديوانى بك مراراً وتكراراً وحاولت رضاه بجميع الطرق وللأسف لم أصل إلى شئ فلا يزال ولن يزال فى أشد الغضب ضدى. وهل بعد رفضه لمقابلاتى. حتى لأخبره بما تم فى امتحانى دليل بعد ذلك.

وهبونى أخطاء فى شئ أو عصيته فى صغيرة أو كبيرة أما من سبيل إلى إصلاح ذلك وأما هناك تسامح أو أو شهامة تشفع لمن يخطأ «يخطئ» ويعترف بخطئه ويعتذر عنه من الاعتذار وهل من النبل وكرم النفس أن يختصم مدير بعثة طالب «طالباً» تحت إشرافه. طالب لاحول له ولا قوة وهو صاحب الأمر والنهى فى مستقبله وحياته.

هل إذا شامت طبيعة بشرية يؤسف لها أن تصل إلى حد كهذا أما من سبيل إلى الشكوى إلى رجال آخرين اسخى طبعاً وأطيب نفساً وهل إذا اتيتكم شاكياً والأمر واضح أما تستطيعون عدلاً وإنسانية أن تكونوا واسطة خير بينى وبينه أو أن تتصفونى بأى طريقة. إلى من أشكو. أيمكن أن يستمر الأمر على هذا وأما لى من سبيل يتحقق به العدل والإنسانية. وهل إذا أخطأت ورجوت المعذرة ممن ظن أنى أخطأت فى حقه أو حق النظم التى يرعاها وأبى قبول معذرتى واضطهدنى بغير حق ولاعدل يستطيع أن يفعل مايريد ويقضى على مستقبلى لائى شكوت لغيره ثم لا أجد سبيلاً إلى إنصاف نفسى من اضطهاده. هذا ونفسى ليست ضعيفة وإنك لا أستطيع أن احتمل ذلك وإلا إنقلب قوتى النفسى إلى سخط سيفضى على كل عناصر الخير فى نفسى.

اظن يا استاذى أن كلامى هذا سيقلى موافقتكم فهو معتدل ومعتز برغم الى الذى لاحد له. يؤلنى أن تتخذ المسألة دوراً شخصياً فانا خاضع للقوانين والنظم وقواعد الأخلاق ولرؤسائى ومن الظلم أن أعامل معاملة كهذه. ثم انه لا داعى لكل ذلك فإن كنت مجرماً أو مقصراً لحضرة المدير أن يطلب فصلى أو رفتى ولكم وللوزارة أن توافق أو ترفض حسب ما يقتضيه العدل والمصلحة دون جرح إحساسى أو التحكم ضدى بغير حق.

مامعنى إعطاء تعويض الكتب لمن هم فى مركزى سواء بسواء ورفض إعطائه لى ثم مامعنى إعطائى مرتبى عندما يريد حضرة المدير وكما يريد ورفضه عندما يريد بتحكم ظاهر ورغبة واضحة فى إبلاى ثم مامعنى التهمك حتى على مرضى. كل هذه أمور لأخبر فيها ومن المستحيل نعم من المستحيل أن توافقوا عليها وأنتم من رقة الإحساس ونبل النفس وطيبة القلب.

لقد رجاني أو امرني كما ترون حضرة المدير ألا أشكو لأحد بعد أن شكوت لكم باشا فامتنتع  
ونامت المسألة إلى الآن ولكن ماذا أفعل أترك مستقبلي يضيع بهذا الشكل لأنى سافرت هذا السفر  
المشؤوم وعנית نفسي وسط الحجارة وبرغم كل ماقلته وما أقول من رغبتى فى أن أعلم وأن أزرر وأرى  
من الآثار ما يكمل ثقافتى بغير شك أيجوز أن يستمر سوء الظن ضدى وأن أرمى بغير هوادة بفساد  
الخلق وانحلال النفس بما يشبه الانتحار الأدبى. ماذا أستطيع أن أفعل لأثبت لكم ولحضرتة وللوزارة  
ولجميع الناس انى كنت وسط الآثار من أول يوم إلى آخر يوم. لدى بعض صور ولكنها للأسف غير وافية  
وهانا أرسل لكم احداها مؤقتا لترون بأنفسكم صدق ما أقول ثم باستطاعتى أن اعطيكم عناوين جميع  
الفنادق التى نزلت بها لتحققوا صدق ما أقول وتسألوا إن أردتم بخطابات عن مدة بقائى فى كل بلد ونوع  
حديثى مع أصحاب تلك اللوكاندات وسترون من ذلك انى لم أذهب لا إلى شاطئ بحر ولا إلى قمة جبل  
ولا إلى ملهى ولا إلى مرقص وإن يكن لا عيب فى كل ذلك ولكن على أى حال لم يكن شئ من كل هذا.  
اتريدون وهل يكفيكم أن أسوق الأمر إلى أن أقسم لكم بالله وبشرفكم وشرفى وأهلى أن كل ما  
أقوله هو الحق وانى لم أكذبكم ولا كذبت أى إنسان عن كل ما فعلته فى إيطاليا ثم هاهو المسيو Treheux  
زعملى فى السفر مستعد أن يرسل لكم شهادة ليثبت كل ماقلته وسأطلب منه تلك الشهادة وأرسلها لكم  
لأنه للأسف غير موجود بباريس الآن. فبالله ماذا أفعل.

لقد طالت المسألة وسأضطر إلى الرجوع إلى مصر لاجتهد فى إصلاح الجو المتحمس ضدى فى  
الجامعة وفى الوزارة وبذلك سيضيع منى وقت ثمين ولست أدري طريقا لحل مسألتى بسرعة إلا  
وساطتكم وقد طال المي وانتظارى وكيف يخفاكم كل ذلك يا استاذنى وأنت الرجل الرقيق النفس الحاد  
الإحساس. أما ترون فى كل ماكان مايقولنى وأما ترون فى كل هذا الانتظار وضياح وقتى فى التفكير  
وتقلب الأمى ما يلقى فى نفسى أشد أنواع الاضطراب. أما حان الحين ليفصلوا فى أمرى نهائيا  
ويضعونى فى وضع قانونى بحيث لا يتحكم فى ظلما حضرة المدير ويفعل بى مايشاء كائن خرقه بالية أو  
خادم حقير. يستدعنى ويطرذن. يعطينى مرتبى ويرفضه يقابلنى أو يأتى مقابلتى. يسخر من المي أو  
يتحكم على مرضى كما يشاء وكما تريد نفسه وأنا عاجز قابع ذليل. لا. هذا ما لايرضاه أحد ولا أرضاه  
لنفسى ولا يمكن أن أقبله بحال من الأحوال. وهل ترون أن أقبل معاملة كهذه لأقول بصفتى تلميذكم بل  
بصفتى إنسان على الأقل مستتير ويدون شك حساس وكريم النفس.

بوى أن أصل إلى أن أشعركم حقيقة بنى متالم فهل وصلت إلى ذلك. إن كان للألفاظ معنى  
فاظننى قد بلغت ما أردت ثم لكم أن ترجعوا بتفكيركم قليلاً على نفسه لتعلموا مدى المي إن قصرت  
عبارتى عن أداته. حقيقة أرجوكم وأتوسل إليكم أن تحاولوا إدراك مدى هذا الألم وأثاره المحزنة فى  
نفسى سواء فى الامتحانات أو فى الدراسة بل فى حياتى اليومية وكل أوقاتي.

أرجوك يا أستاذي أن تكتب لى بما تراه وأن تنهى مسألتى بما تراه وأن تخبرنى هل من الخير أن أحضر إلى مصر أم لا وهل يرجى من الوزارة أن تسرع فتبت فى الأمر. كل أملى هو أن تبت فى الأمر بسرعة. أفعلا ماترونه عدلا ومتفقا مع مصلحة بلادى ولعليكم منى فأننا خادم لبلادى كالملايين غيرى وشخصى لاقيمة له وإنما أنا عضو فى جماعة قد أنقعتها وقد لايرجى منى نفع وهذا هو مايجب أن يقودكم فى حكمكم دون أى اعتبار آخر.

ينصح حضرة المدير دائما بأن نستعطف ولكنى أرفض ذلك لأنه يتعارض مع الكرامة ومع مصلحة بلادى وعندى أن الكرامة الشخصية من جهة ومصلحة الوطن من جهة أخرى من الأمور التى لايمكن التهاون فيها لأى سبب ولا لأى اعتبار وأنا واثق من موافقتكم إياى على ذلك.

لقد ألقى حضرة المدير بجميع السبل وحقيقة يطول الأمر لو أردت أن أشكو لكم كل ماكان وكفى ماضيته لكم من أمثلة.

وفى انتظار ردكم أرجوك يا أستاذي أن تتقبل خالص محبتى وتقديرى مع خير تمنياتى لعائلتكم المباركة،

**تلميذكم المخلص**

**مندور**

---

لأتصور أنى بغير مرتب وأن أهلى مركزهم المادى هو ما تعلمون وأن لتتظارى لما سيتم لأحد له وأنه من الأفضل أن اتخذ قرار فى شأنى أن تتفشلوا بإخبارى به رأسا لأن طريق البعثة لأنه لا يستبعد أن يتركنى حضرة المدير إياما بل أسابيع بدون مرتب حتى بعد وصول أمر بصرف مرتبى وصنفونى فى ذلك.

استاذى العزيز :

كتبت خطابى إليكم مساء الأمس وما أنا استيقظ الآن وفي نفسى شعور عنيف بانى مظلوم. لقد جرى العدل بين الناس أن يسأل المجرم عن جرمه قبل أن يحكم عليه وقد ظن حضرة مدير البعثة اننى سافرت رغم ارادته ولم اعد عندما طلب عونى بالتفراف واننى لم انتظر حتى نتيجة امتحانى وكل هذا غير صحيح فإرادته لم يظهرها بوضوح كاف حتى لاخذتها كراى يبيديه وما اظنه يكذبنى فى ذلك وتلغرافه لم استلمه ومن الممكن تحقيق صدق ما أقول بسؤال مصلحة التفراف وأما نتيجة امتحانى فلمساوىء الأقدار ماكنت انتظرمن وراءها شيئا بعد أن ظهرت نتيجة اليونانى على غير ما قدرت ولهذا لا ادرى ماهو هذا الجرم الشنيع الذى استحق أن تتركنى من اجله الحكومة ولا عائل لى وأنا بعيد عن اهلى وقد افهم أن ترجعنى الحكومة إلى مصر إن ظفنت أن لديها من الشبان من هو اكفا منى للقيام بما اقوم به وأما ان تتركنى بغير مرتب وتطلب إلى ان أوأصل دراساتى وسط صعوبة مالية لا قدرة لى على حلها لا أنا ولا اهلى فى بلد غالى المعيشة كفرنسا فامر يخيّل إلى انه بعيد عن العدل .

لقد كتلت اهلى فوق طاعتهم بسبب رحلتى إلى إيطاليا وصقلية والله يعلم ما إلى اللهو قصدت وإنما إلى العلم بل خير العلم ولست أستطيع أن اجد طلبى إليهم الآن- اما يظن استاذى ان من العاقل أن اسمع الوزارة رابى فيما ارتكبت من جرم قبل ان يلقضوا على بما لا استحقه من عقاب خصوصا واننى لا أستطيع الاتصال بالمدير والبعثة لا تريد انه تعطبنى عنوانه وهو فى الإجازة. أرجوكم أن تنصحنونى بما يمكننى عمله .



6, Rue, Morere,  
Paris (14 éme)

١٤ / ١٢ / ١٩٣٦  
استاذى العزيز

افتتح خطابى إليكم متمنيا عيداً سعيداً لكم ولعائلتكم الكريمة ولكم كنت أود أن يقف خطابى عند هذا الحد ولكن الظروف المؤلة التى تحيطنى تضطررنى للأسف أن أعود فأشكو إليكم حتى فى يوم عيد يتبادل فيه الناس التهانى وعلامات السرور ولكن أملى فيكم هو أن تعذرونى فقد كنت أفضل أنا أيضاً أن أشعر بشيئ من السرور يريح نفسى من عنائها المستمر ولو فى يوم عيد ولكن حظى السيئ لم يرد ذلك.

والواقع أن حضرة مدير البعثة طلبنى منذ يومين وأخبرنى بوصول تلغراف من الوزارة رداً على تلغراف منه وقد حتمت الوزارة فى تلغرافها عودتى إلى مصر فوراً وأخبرنى حضرة المدير أننى لا أستطيع أن أرفض رجوعى إلى مصر وأن أبقي لإتمام دراستى فى فرنسا لأن الحكومة فى هذه الحالة سترفع دعوى على والدى بطلب جميع ما أنفقته علىّ ولذلك لم أر بداً من الموافقة على الرجوع وإعطائى حضرته تذكرة سفر ليوم ٢٢ ديسمبر على باخرة النيل ولهذا أنا شارع فى بيع العفش البسيط الذى أملكه وتجهيز كبنى لشحنها وقد أعطيت إنذاراً لصاحب البيت لإخلائه ولكنى فى حيرة شديدة من أمرى فإن صاحب البيت يطلب منى أجرة ثلاثة أشهر كما يقضى قانون الإجارة وليس معى ما يكفى لدفع كل ذلك ولما كنت قد رايت فى تلغراف الوزارة للديوانى بك موافقة على صرف رتبتي لغاية شهر ديسمبر فقد ذهبت اليوم لمقابلة الديوانى بك فتركتنى فى حجرة الانتظار حتى قابل جميع الطلبة مع أنى حضرت قبلهم جميعاً وأنا أنتظر وأخيراً طلبنى آخر واحد بعد أن ضاعت علىّ فرصة درس مهم جداً وقد رجوت أن يعطينى الشهر المتأخر فرفض قائلاً أنه سيعطيه لى يوم سفرى فقط لأنه يخشى أن تتوسلوا لى خصوصاً وأنه أرسل لعزتك على ما أخبرنى تلغرافاً ويود أن ينتظر ربكم ليتأكد أولاً من أن فصلى أصبح نهائياً وعندئذ يكتب بهذا العقاب الحاسم المرضى ويعطينى الشهر المتأخر. إلا سامحه الله، أى جريمة ارتكبتها ليتهاك هذا التهاك على محاولة إيلامى والانتقام منى. لكن أن تقدروا ماترون. وقد طلبت منه أيضاً أن يعطينى تعويض الكتب كمرت فابى أيضاً قائلاً إن صرف التعويض لعزت كان سهواً منه وهذا لا يعطينى الحق فى طلب مساواتى بزميلى. وطلب منه ٢١٠ فرنكا التى دفعتها لتقييد اسمى فى الكلية فرفض أيضاً مع أنه على ما أظن أعطاها لعزت وطلبت منه أجر الدروس التى اضطرت لأخذها من مدرس كان يصلح لى وإجاباتى فى اليونان تحضيراً للامتحان فرفض أيضاً قائلاً أنه لاحق لى فى أى شىء.

أيرضيك يا استاذى كل هذا. وأمالى أن أثابر فى أملى فيكم. أنا أعلم أن مشاغلكم كثيرة وأن بين أيديكم مستقبل الآف الطلبة مملئ ولكن أما يحق لى أن أرجو منكم برغم كل ذلك رداً بما ترون. لقد مضى زمن طويل من العام الدراسى وأنا فى حالة ألم وانتظار لأحد لهما والغريبة أن الديوانى بك نفسه يرجع أن التلغراف الذى جاءه من الوزارة لأعلم لكم به وأنه من المنتظر أن تتوسلوا فى الأمر وهذا هو السبب الذى حمله على إرجاء سفرى إلى يوم ٢٢ ديسمبر وإلا لأرسلنى إلى مصر فوراً. ومن ذلك ترون أن الديوانى بك نفسه يفترض فى عزتكم عطفكم علىّ وكذلك جميع أخوانى أما يحق لى بعد كل هذا أن

يستمر أملى فيكم كما كان . وأما من سبيل إلى إنصافى . أيجوز أن ترغمنى الحكومة بهذا الشكل على الرجوع إلى مصر دون إتمام دراسى وأنا شديد الأمل والرغبة والنشاط فى الانتهاء منها . ثم أما ينبغي أن أعامل كالأخوانى . أحقيقة جريمى لاتغتفر . وأما فى صدق مجهودى ما يشفع عنى إن أخطأت النجاح .

لاتريد نفسى أن تطاوعنى على اليأس من عطفكم . لست أدرى لذلك سبباً ولكنى أحس فى أعماق نفسى بأنه لا يمكن أن تتركبنى ولا يمكن أن توافق على إطفاء ما فى نفسى من رغبة صادقة فى العلم وخدمة العلم وخدمة بلادى . لا . لا . استحيل أن أصدق ذلك .

استاذى العزيز :

فى يوم الأحد الماضى حاولت أن أدون لكم رأى فى مسألة الآداب والعلوم وودت أن أرسله لكم وما أنا أفعل اليوم ولعزكم إن رأيتم فيه غناء أن ترسلوه إلى إحدى المجلات لعله يؤدى إلى شىء مما أملت من وضع الأمور موضعها الحق .

ثم أرسل لكم أيضاً واجب شهر نوفمبر الذى قدمته كالأخوانى للاستاذ Planort بالسرسبريون لتستخلصوا منه ما ترون من استنتاج وحكم .

أما عما عملته هذا الشهر فسأخبر عزكم به أما شفويًا إن لم يات من عزكم رد ينجنى فى حينه من ضياع وقتى وضياح حياتى وإما بخطاب أن تفضلتم بالتوسط فى امرى ولعزكم جزيل شكرى وشوقى ومحبتى ،

### مندور

رجائى من عزكم أن تتكرموا فتنسولوا فى الوزارة لترسل تلغرافاً آخر بـ Contre- arche للديوانى بك ويأجداً لو وصله ذلك قبل اليوم المشهود يوم ٢٣ ديسمبر حتى لا أضطر لترك دراسى والعودة إلى مصر وذلك فى انتظار حل المسألة نهائياً ثم أن تفضلوا بإرسال خطاب خاص منكم لو سمحتم تطلبون من الديوانى بك أن يعاملنى كالأخوانى وأن يعطينى تعويض كتنى ومصاريف الجامعة وأجر الدروس والشهر المتأخر لى كما تطلبتم منه وطلب مكرم باشا خصوصاً وأن الوزارة قد وافقت على ذلك فى تلغرافها الأخير وحقيقة أنه لن المؤلم أن يتعنت الديوانى بك إلى هذا الحد ولست أدرى أملك كل ذلك أم لا ولكنى وأثق على أى حال من أنه يملك عكسه أى التسامح معى لوتفضلتم وطلبتم منه ذلك شخصياً . لأن كل هذا لا يحتاج إلى إقرار من الوزارة ولأمن الجامعة وربما كانت الجامعة والوزارة تجهل كل الجهل سلوكه نحوى هذا السلوك وأن فوساطتكم الشخصية ستلقى بغير شك . ثم رجائى الأخير الحار هو أن تفضلوا فكتبين لى عن رأيكم وعما سيكون فى امرى وأنكروا يا استاذى أنى ربما لا أكون أقل من غيرى من أخوانى فى شىء وأنه من غير العدل أن أعامل هذه المعاملة بينما غيرى تصرف لهم مصاريف سفر وتعويضات وما اليه مما تعلمون حق العلم .

سامحونى ان عدت ما فاسمعتكم صوتى مرة أخرى وقد تحطم مستقبلى وستليه حياتى عما قريب.  
أعلمون بما يتهمنى به حضرة المدير فى تقريره . يتهمنى بالإهمال وكثرة السفر إلى جهات لم يعلمها وقد نسى أنى أخبرته بهذا السفر قبل البدء فيه وأنى كتبت له من روما بمجرد وصولى إلى تلك المدينة وأنى كتبت إليه من جزيرة صقلية وأنى اتصلت به تليفونيا من «نيس» . أهذه كلها جهات لم يعلمها وماذا سيظن والذى أو ماذا ظن عندما سمع ذلك. أظن أنى سافرت مغويا عن نفس بفئة إحدى النساء أو أنى أدرجت نفسى فى عصابة لصوص أم ماذا يظن .

يتهمنى حضرة المدير بشق عصا الطاعة عليه وهل فى سفرى إلى رحلة علمية بصحبة مدرس فى اليونانى عصيان يستحق عقابا كهذا وهل حاول أن يتأكد من وصول تليفرافه إلى وهل إذا رأى حضرة المدير أن زيارة الحجارة لا فائدة فيها وهو طبيب وقالت كل السريون عكس ذلك يجب أن أصدق بالامر وأبقى فى حجرتى لا أتحرك . لم أغادر باريس فى الأربعة أعوام الأولى قيد شعرة وتقدمت إلى جميع الامتحانات موفقا حينما وغير موفق أحيانا ولم أر من أوربا بل ولا من فرنسا لا شط بحر ولا قمه جبل وكل ما زرت هو بلاد اليونان فى العام الماضى وإيطاليا هذا العام منتقلا بين الأحجار ومضنيا نفسى فى حر الشمس وفجوات الجبال. أؤمن استاذى حقيقة بينه وبين نفسه أنى أجرت زيارتى تلك البلاد اجرا ما يستحق تحميم مستقبلى بهذا الشكل المحزن وتحطيم ثقة أهلى فى بهذه القسوة والمدير نفسه يعلم أن رحلتى لم أطلب من ورائها حتى الراحة ولا لفضلت رأيه وذهبت إلى إحدى القرى فى فرنسا أو إحدى شواطئ البحار وليس من الخير أن الشهر الوحيد الذى أردت أن أجدد فيه نشاطى قليلا مضيت فى زيارة البلاد التى تتصل بموضوع دراستى.

يتهمنى حضرة المدير بأن لى مورد «مورد» آخر أنفق منه وأنى غنى عن البعثة بدليل أنى لم أسحب مرتبى لشهر يولية وإذا أخبرتم بكل صراحة بأن والذى لا يملك إلا ٢٧ فدانا وأنه ليس له مورد رزق غيرها وأن إيراد تلك الأرض لا يتجاوز بحال من الأحوال ٢٠٠ جنيه فى السنة وأنه يعول خمسة أخوه ذكور أغلبهم أطفال وثلاث إناث منهم من لم تغادر ثدى أمها وكلهم لا يكتسب مليما واحداً أيصدقنى استاذى بعد ذلك ويعزرنى أن شكوت من صعوبة الحياة بغير عون الحكومة لى وخصوصا فى بلد كباريس وحتى كل الـ ٢٠٠ جنيه ما أظنها تكفى لمعيشتى أنا وحدى بباريس والسبعة أخوة ماذا أقول لهم. إذا كان هذا مركز والذى وسأرجوه أن يرسل إليك شهادة مالية بذلك أما تظنون أنه أحق منى بالمساعدة وأنه من الطبيعى أن يطلب إلى وأنا فى هذه السن ويعد أن كلفته مالا يطيق أن اتركه يتولى أمر إخوتى إن لم أستطع مساعدته. وإن فمن أين لى مورد رزق آخر وما قال أحد أنى تسولت أو سرقت وهل إذا اتصدت طول العام مبلغ ١٥٠٠ فرنك أسافر بها فى رحلة علمية مع التخفيضات والتسهيلات الموجودة فى إيطاليا ولأنى اكتسابا للوقت فضلت أن أسافر لأرجع بسرعة لعلى ولم أنتظر صرف مرتبى يستتج أو يتهمنى حضرة المدير بأنى غنى عن البعثة - باليتنى كنت غنيا بل باليتنى كنت مجرد حر عن

رق المادة - نفسى أنواع الرق. وهل إذا علم حضرة المدير بأن لى مكتبة خاصة بها بضعة مئات من الكتب جمعيتها بحرصى وبراءة دم قلبى أو أننى أعرت شيئاً مالبعض أخوانى ليردوه لى فيما بعد أو إذا رانى نظيف اللبس بحكم طبيعتى يظن أنى غنى عن البعثة. وليس من الخير لى وللحكومة أن تعلم ذلك بدلا من أن تعلم عكسه. ولو أننى كنت مبذراً مسفلاً وراء لذات الحياة الحقيرة أو لم أكن قنوعاً عفا النفس وكنت أنفق كل مالى وأتى لحضرة المدير أشكو إليه كل يوم إفلاسى أكان عندئذ يحكم بانى فى غير غنى عن البعثة - أترك لكم الحكم فقد أصبحت أشك فى كل أحكامى وأتهم نفسى بكل ضعف فى التقدير .

ثم أنه يرمينى بالتقصير فى دراستى ولست أذكر أيام دراستى فى مصر عندما كنت دائماً أول ستنى فى المدارس الثانوية وعندما كنت الثانى عشر فى البكالوريا برغم وزارة ماهر باشا لى سنة ١٩٢٥ لأسباب سياسية وفى آخر العام قبل الامتحان ولست أذكر مدة الجامعة ولعلمكم تذكرون كيف كنت أدرس فى قسم اللغة العربية وقسم الفلسفة وفى كلية الحقوق وكيف وفقت الى كسب عطفكم يوم أعطينونى ١٨ من ٢٠ لرسالة ذى الزمة وجعلتمونى الأول بين إخوانى ولا كيف كنت الأول أيضاً فى كلية الحقوق حتى إذا وصلت إلى الليسانس منيتمونا بالبعثة فخففت قليلا من عنائى فى التحضير ومع ذلك مررت بين الأوائل ومتوسط درجاتى بغير درجة المواظبة طبعاً لا أظنه يقل عن ١٦ أو ١٧ ودرجتى فى القانون المدني كانت معجزة ١٩ من ٢٠. ولو أنى كنت أعلم ما يخبئه لى المستقبل لالتحقت بالنيابة أو على العموم واصلت مستقبلى كقانونى وكانت درجاتى وكان ترتيبى سهلاً أمامى الطريق ولست أذكر أنى وصلت فى نفس الوقت حتى السنة الرابعة فى قسم الفلسفة وتركتها أيضاً لأنى فضلت أن أكون تلميذكم - تلميذ الدكتور طه حسين - وكنت كللى أمل يوم وصلت إليكم أنى وصلت إلى بر السلامة ثم يحطموا "يحطمون" مستقبلى بهذا الشكل وأنت تعلم ذلك يا أستاذى فلا تمد يدك تدفع عنى هذه الطامة الكبرى أو على الأقل تمهلها حتى يحققوا معى. لو أنى كنت قاتلاً أو مجرماً لما وجب إعدامى قبل التحقيق معى ولو أننى كنت شاباً معدماً عديم النفع ولا يرجى منه أى خير لوكلوا من يدفع عنى احتراماً لما أشارك فيه الناس من صفة الإنسانية فكيف يكون الأمر وقد ذبحونى ضحية طاهرة بريئة بجزئرتكم وأنتم عدتى أخزيتكم منذ زمن بعيد لنكبات الدهر.

يخيل إلى أحياناً أنى مجنون عندما أفكر فى كم من مرة كنت أتصور أنى أستطيع أن أجلب عطفكم لنزوى حاجة أو لشاكى مظلمة وهى أنا أجد نفسى الآن أضعف من أن أجلب عطفكم حتى لنفسى وأنا تلميذكم فوضت إليكم أمر حياتى توجهوها «توجهونها» كيفما أردتم وأنا راض سعيد أن تكون حياتى بين يدى الدكتور طه حسين الذى طالما سمعت عنه وقرأت له فى طنطا والذى كنت أود أن تتمحى أشهر من حياتى لأحصل على البكالوريا وأتى إلى الجامعة لأستمع إليه. ايحطموا ايحطمون حياتى وأنتم تعلمون وأى خير فى الحياة ومن لى فى الحياة بعد ذلك. لم يوقفونى بل فصلونى، فصلونى عن الحكومة وعن أهلى ومهما يصيبينى من أذى فاشده فى نفسى ما أصاب أهلى من حسرة لا أكاد أتصورها بسبب تقرير

المدير. اظن انى لو طلبت من استاذى أن يكتب إلى والدى بئى لم أرتكب جريمة لا يرفض مثل هذا الطلب كما أرجو أن يكتب إليه أيضا حضرة المدير بهذا المعنى .

ثم هل لى أن اعود فأذكركم بئى مررت الأدب الفرنسى بعد عام واحد وأنه لولا اللاتينى ولزومه للنصوص القليلة: لمررت الشفوى أيضا وأنتم تعلمون كل تطورات المسألة فلا داعى لتحريك كل ذلك ولكن على أى حال أنظنون حقيقة. أن ثلاثة أعوام كثيرة لطالب متلى لم يكن يعرف من الفرنسية شيئا ولأن اللاتينية وقد مر امتحان ليسانس فى السريون مع الفرنسيين فى لغتهم ثم فقه اللغة أقول إليكم أيضا إنه كان فى حاجة إلى اللاتينى وأنه من المستحيل المرور فيه بدون تلك اللغة وقد مررت أيضا هذا الامتحان فى العام التالى للأدب الفرنسى وهل يحسب استاذى أن الأدب الفرنسى أسهل من اللاتينى أو اليونانى. على أى حال مثل هذا الراى لا يدين به لا طلبة السريون ولا أساتذة السريون وأؤكد لكم وقد بلوت الأسرين إن الأدب الفرنسى أشق لأنه يحتاج إلى شىء كثير من الثقافة العامة ومن التكوين بعكس اللاتينى مثلا فمجرد الاجتهاد وطول المراس والمراجعة إلى ما شاء الله والحفظ قد تكفى .

ثم هل يعتقد استاذى حقيقة أن سنتين مدة أكبر من اللازم لليونانى ومعه اللاتينى لانى لم انته من اللاتينى ولا أستطيع أن اعمله أسبوعا واحداً وأمامى الفقه المقارن . أظن استاذى أنى حقيقة مقصر وأن غيرى كان يستطيع أكثر من ذلك . حولى الكثير ممن يحاولون منذ ثلاثة أعوام حتى الأدب الفرنسى ومع ذلك لم يمر أحد منهم . سامحونى إن ذكرت مثل هذه الصفات ولكن يمكنكم على أى حال أن تسألوا البعثة وهى تخبركم بأكثر من ذلك .

لو انى كنت أدرس تاريخا مثلا أو فلسفة حيث تقسم المادة إلى عدة مواد أو عدة فروع كل مادة أو فرع بشهادة تفرح بها البعثة ولجنة البعثات لحصلت على تلك الشهادات مثل أخوانى ولكن دراستى لغات وفى اللغات لابد من طول المراس وعندما ينضج الإنسان يكون مرور الامتحان أمراً ميسوراً .

والآن قد وصلت تقريبا إلى يوم الحصاد تطردوننى من البعثة بهذا الشكل الشنيع كالمجرم بغير تحقيق ولا سؤال .

لقد حرمتهم علينا أن ندرس شيئا غير موضوع بعثتنا وكنت أستطيع أن أحصل على دكتوراه فى القانون تساعدنى على اكتساب حياتى فهدونى وأنزوني بالحق بالمسكين على حافظ فامتنت وكست ستة «ست» سنوات من حياتى لدراسات اللغات الثلاثة «الثلاث» ووصلت فيها جميعا إلى درجة طيبة والآن تحطمون كل هذا وتوقفوننى على خطوات من النجاح ويحزن فى نفسى أنك مقتنع شخصيا بكل ما أقول وتحضرنى الآن كلمة لك أو على الأقل شكاً فى هل سنستطيع على وأنا عمل هذا المقرر أم لا وذلك قبل مغادرتنا مصر فهل نسيت كل ذلك .

وإذا كان أخواننا الفلاسفة والمؤرخين أضاعوا خمسة أو ستة أعوام فى تحضير ليسانس فلسفة أو تاريخ مع أنهم إنما يعدون ما درسوا فى مصر أكثر حقيقة علينا ستة أو سبعة أعوام وأما يصح عدلا أن تعطينا ستة أكثر منهم على الأقل ونحن نبدأ دراسة من العدم لم نسمع عنها لأنى ثانوى ولا فى الجامعة ودرجة صغوبتها لم يقل أحد بأنها فى مستوى التاريخ أو الفلسفة .

لست أحملكم أى مسئولية عن تحطيم حياتى ولا عن خاتمتى المحزنة فقد قبلت البعثة بإرادتى ومسئوليتى لا يبررها جهلى بموضوع بعثتى وتقدير هذا الموضوع بالقياس إلى قدرتى بل مقدرة أى بشرى غيرى فى حدود الزمن الممنوح لنا وقد كان يجب على أن أذكر أن أهلى فى حاجة لى وأن أكسب حياتى وكنت مسلحا بلسانين ولكن الآن وقد قبلت ووصلت إلى ما وصلت إليه وأنا أقول لكم الآن إنى كنت ضامنا النجاح وإن لم أنجح لكم أن تشفقونى إن أردتم ثم يأتى المدير وتنشر الجرائد أن مندور قد فسد وخاب وشق عصا الطاعة وسافر إلى مجاهل الأرض ورسب وتقرر فصله . من يتحمل ذلك وأهلى يظنون أن أوروبا بلد الفساد وإنى قد فسدت وإلا لنجحت كما عوبتهم فى مصر .

لست أستطيع أن أتصور أنكم توافقون على كل ما حل بى وقد علمت أنكم أسفتم بحق لما أصاب على وقد سرت أنا خطوات لا بأس بها وما أظنكم إلا مقدرين ذلك وكنت أستطيع أن انتهى فى أقصر وقت من دكتوراه القانون وتركزت ذلك وكان الأمل لا يزال معقودا بأن اتخلص من الموقف بنجاح وفى آخر فرصة تتركونهم يفعلون بى ما فعلوا ويجددوا «وتجددون» ظلم على فى . أما كان من الواجب على الأقل أن تحققوا معى فى مسألة النظام وثورتى على القوانين ويعاقبونى بخضم مرتبى مثلا أسبوعاً أو اثنين أو شهراً وفى المسألة الدراسية إن كنتم ترون بإخلاص أنى مقصر فاندرونى مثلا بأن لم أمر فى دور نؤمجر أفصل وأمهلونى إلى أن ينتهى العام الدراسى مع تمكينى من الحصول على الضرورى للبحث لإمساك ريقى حتى أستطيع أن أواصل عملى فى راحة نسبية .

بدل هذا وهو ما كان يمليه لا مجرد العدل فقط بل العقل والمصلحة مصلحة الحكمة ومصالحتى فى أن واحد أبوا إلا أن يقضوا على ما فى نفسى من عزم أو نشاط وأن يشعرون أنى لست شيناً ، وأن حياتى أو موتى لا قيمة لها فى نظريهم وأنهم إنما يصرفون على كما يصرف إنسان على ماشية ليستفيد منها فيما بعد ثم يتحررها عند اللزوم .

سنة أعوام من حياتى تضيع هدرأ أى جريمة ارتكبتها تبرر ذلك ومن سألنى عن تلك الجريمة . وأما يظن استاذى أنى لو كنت فرنسياً أو إنجليزياً ورفعت أمرى إلى القضاء لانصفنى بل لو طاعنى نفسى بأنها لن تغضب أحداً ممن يعز على أن أغضبهم ورفعت أمرى للقضاء فى مصر أعجز أن أجد قاضياً عادلاً يقول الحق وينطق بالعدل وإلى من أقول كل هذا أقوله لمن يعرف فوق ما أعرف أنه لا ألم فى النفس من الشعور بالظلم إلا عدم القدرة على الانتصاف من ذلك الظلم .

لقد لاقيت يا أستاذي في حياتك الكثير من التعتن وما أظنك إلا ذاكر «ذاكرًا» أن العدل هبة من الله ينبغي أن يشترك فيها جميع الناس وأنا تلميذك وكل حياته بين يديك وأنت وأثق بأنني مستقيم ورجل غير على مصلحتي ومستقبلي وأن مايلوح للناظر عن بعد من تقصير مني إن هو إلا استحالة مادية في موضوع دراستي ومن السهل التأكد من ذلك بسؤال أساتذتي في السريون بل لدى جميع الواجبات التي قدمتها هذا العام على الأقل أستطيع أن أرسلها لكم لو أردتم وقد كتبت إلى مدرسي في اليوناني ليرسل لي تقريراً أو شهادة عن زيارتي لإيطاليا وسأكتب لوالدي أن يرسل إليك شهادة بمركزه المالي والعائلي ويمكنك فوق ذلك أن تقارن مجهودي بمجهود غيري ممن يدرسون الأدب الفرنسي أو اللغات القديمة من بعثات المجمع اللغوي وغيره وعلى العموم فأنا مستعد أن تحققوا معي في كل صغيرة وكبيرة عن حياتي الخاصة وحياتي الدراسية وعن استغلالتي لأوقات فراغي . كل هذا يمكن تحقيقه بكل دقة وعندئذ تعرفون كل الحقائق بدلا من الحكم على مجرد ظنون أو أحكام لا تستند إلى الحق في شيء .

لا أطلب إلا التحقيق معي ويعد ذلك لكم إن ثبت أنني فاسد الخلق أو مهمل في عملي أو خارج على القوانين أو مغلق للذهن أو أي عيب أو ذنب آخر لكم أن تحكموا عليّ بما تريدون وأما أن يقول المدير عنى كل ما قال وتفصلني الحكومة بناء على ذلك بغير تحقيق ولا سؤال فأظن هذا لا ترضوه «ترضونه» ولا يرضاه إنسان.

ومع خير تمنياتي لكم ولاسرتمكم الكريمة أتعظم أن تذكروني بالخير وأن تسامحوني فيما أخطأت فيه والآن أشعر بشيء من الراحة يحل بنفسى وباليته اليوم .

(منذور)\*

---

(\*) عنوان والدي هو - جديدة (شرقية) كثار النير - الشيخ عبد الحميد منذور - كتبت هذه العبارة على جانب الرسالة - الحرر .  
(\*) بدون تاريخ.

6, Rue, Morere,  
Paris (14 éme)

استاذى العزيز - دام موفقا

لن احاول أن أصف لك وقع تلغرافك فى نفسى فهذا ما تستطع دونه مقدرتى وسأحفظه لنفسى ذكرى طيبة ما ترددت أنفاسى فى جوفى لو كنت حاضرا عندما وصلنى لما ملكت نفسى عن تقبيك وتقبيل أياديك الطاهرة الكريمة وبماذا أجازى قلبا كقلبك الرحيم العادل. ألا جزاك الله عنى خيرا والف خير . لن أنسى لك ما حببت هذا الفضل فحتى مجرد كلمة منك كانت تكفى لتخلصنى من اليأس القاتل الذى كنت فيه وقد شعرت بأنى فقدت عطفك وأنه لم يبق لى فى الحياة نصير ومالى من عضد فى الحياة غيركم . الا بارك الله فيك وفيمن تحب. لقد غضب منى والدي وأنكرنى دون أن ينتظر حتى دفاعى عن نفسى كائى فسدت أو أجمرت وأبت رحمتك إلا أن تمتد فتشملنى بعطفها الذى كانه فيض من الله نزل بقلبي فشكرا لك ألف شكر.

وهل للحياة من قيمة إلا بما فيها من خير سنفتنى جميعا كما فى غيرنا من قبل وإنما هى أطماع باطلة ووالله لو كنت يتيما ولولم يكن خلفى أهل كرام يأملون منى الكثير لما هالنى ما حل بى هذا الهول ولكنى الآن راضى النفس وابتدأ الهدوء يشعرنى براحته وأستطيع أن أتدبر أمرى وأواجه المستقبل بعزم لن يعرف الملل.

سيكون شكرى لاستاذى - إن شاء الله - بإرسال شهادتى اللغة اليونانية وفقه اللغات المقارن فى نوفمبر وسأبذل المستحيل لأرسل له فى العام القادم - على أبعد تقدير شهادة اللاتينى والدبلوم وسأعرف كيف أفى بهذا الوعد الذى أقطعه أمامكم - وأنتم من أنتم فى نفسى - ولكم أن تسجلوا عنى هذا الوعد وتطالبونى بتحقيقه والا فلکم أن تنكرونى ولن أكون جديرا بأبوتكم الروحية . من الآن إلى نوفمبر سأحبس نفسى حبسا ولا أخرج من سجنى إلا منتصرا لأثبت لاستاذى وللوزارة ولدير البعثة أن الطيبة لم تهرمنى لامن قوة الجسم ولامن سلامة العقل .

بقى لى أن أرجو من استاذى أن يساعدنى على تسوية مسائل ميسور أمرها . وأولها إرضاء والدى وإفهامه انى لم أسافر كما قال حضرة المدير إلى جهات لا يعلمها وأنه لم يغفونى أحد عن نفسى ولا فسدت أخلاقى ولا شىء من هذا القبيل وإنما كانت رحلتى فى سبيل العلم - سامحه الله - ويصحبة مدرس فى اللغات القديمة والذى لن يصفتنى ولهذا أرجو من استاذى أن يتكرم ويضحي بخمس دقائق من وقته يقول فيها لوالدى انى لم أفسد وإنما دراستى صعبة ويمكن معذرتى وخصوصا انى لم أغضب استاذى وأنه لا يزال راض «راضيا» عنى لأن والدى يريد أن يعلم ذلك وأن مستقبلى بين أيديكم ولا خطر عليه مادمت مجتهدا فى عملى وكذلك أرجوكم أن تطلبوا من مدير البعثة أن يكتب إلى والدى أيضا بمثل هذا المعنى وبهذا يزول من نفسى أكبر أسباب الألم لأن والدى شقى من أجلى كثيرا وقد أخبرتكم بصراحة بحالته المالية وما أظن إلا أنكم ترون أنه لا يستحق منى إلا كل خير.

ثم لى بعد ذلك أن أرجوكم أن تطلبوا من حضرة المدير أن يعطينى على الأقل مرتبى من أوائل يولية أو من يونية لا أدري - لأن الرتب يظهر أنه يدفع آخر كل شهر - إلى يوم صدور قرار البعثة وأظن أن هذا



من حقى وما يعطيه لى ساكتفى به إلى دور نوفمبر إن لم تحل المسألة قبل ذلك وإلقد رجوت صاحب المعالى مكرم باشا أن يتوسط فى المسألة عندما كان بباريس فى طريقه إلى لندن ففضل وطلب من الديوانى بك أن يعطينى مرتبى ولكن الديوانى بك لم يعطينى شيئا ولم يحضر أصلا إلى البعثة ولست أدرى لماذا كل هذه القسوة معى وما كان بينى وبينه إلا كل خير . على أننى لا أظن أنى اتعدى حدود الأدب إن أخبرت أستاذى أنه على ما يظهر من مظهره الخارجى تركى الأصل وإن يفتقر لى عدم الاستماع لرأيه وعدم التسليم معه بأن زيارة الأحجار اللاتينية لا فائدة فيها . وعلى أى حال أظن أنه سيعطينى مؤخر مرتبى إلى يوم صدور قرار لجنة البعثات مادام هذا من حقى قانونا وخصوصا لو طلبتم منه ذلك.

أما عن مسألة انتشار الأمر فى الجرائد وتشويه سمعتى عند من يعرفنى وبخاصة لأن كثيرا من الناس فى مصر يظن أنى قادر على تذليل كل الصعوبات وأنى وأنى فإظن أنه لا علاج لإصلاح هذه المصيبة إلا أخبر إعادتى إلى البعثة عندما ترون وترى الوزارة ذلك وسانتظر بصبر وحزم هذا اليوم الميمون وسأكتب خطابا لمعالى وزير المعارف بشرح الحقائق فيما نسب لى وماذا فعلت فى باريس حتى الآن مع التنويه بأن مركزى العلمى ونتيجة دراستى أحسن بكثير من مركز الككييرين ممن أرسلوا لدراسة نفس ما أدرس بل حتى لدراسة اللغة الفرنسية وحدها ولا شك أن خطابكم لمعالى الوزير سيحل المسألة نهائيا لأن الوزارة أخبرت أهلى بمصر أن حل المسألة بأيديكم ويبد حضرة مدير البعثة وأنه بإمكانكم لو أريدتم أن تطلبوا أمهالى إلى دور نوفمبر وأن يعطى لى مرتبى حتى ذلك الشهر وعندها أن تجت استمر فى البعثة وبهذا أرجوكم إن رأيتم ذلك ألا تبخلوا على بهذا الفضل أيضا لأنه يريح ضميرى من الوجهة المادية وأنتم تعلمون مبلغ غلاء المعيشة بفرنسا وأن تطلبوا إلى حضرة المدير ألا يشتد ضدى إذا طلبت الوزارة منه رأيا أو غيره وكفانى ما حل بى وما أظنه إلا أنه سيتسامح معى خصوصا وأنه بعد أن قابلته وشرحت له المسألة وأن تغرافه لم يصلنى وما إليه طلب منى أن أكتب كل ذلك ووعدنى أنه سيرسل دفاعى عن نفسى إلى الوزارة مع موافقته عليه وطلب تخفيف العقاب عنى .

هذا كل ما أريد والأآن سأتارك المسألة بين أيديكم وأنصرف إلى امتحانى بكل جهدى فهو سبيلى إلى النجاة ولعزتكم أن تنصرفوا فى الموضوع كما ترون فانا واثق أنكم لاتريدون لى إلا كل خير وما سترونه سيكون دائرا خيرا مما أراه .

مع تمنياتى الطيبة إلى عائلتكم الكريمة وإلى الأخ فريد . حفظكم الله لتلميذكم الشاكر الف شكر.

#### مفدور

(\*) ثم بردى أن لو كلمتم الأخ بأن يخبرنى مجرد إخبار بما ترون فيما أطلب الآن وهل أستطيع أن أمل الحصول عليه أم لا وخصوصا الخطاب إلى والدى لأكتب إليه أنا أيضا مستسحا ومستندا إلى خطاب أستاذى . ثم أرجوكم أن تتسامحوا عما فى خطابى الأخير من اضطراب فليست أمري ماذا كتبت وقد كنت كالسكران .  
(\*) بدون تاريخ .

لقد أثر فى نفسى كتابك المملوء محبة ورحمة تأثيراً شديداً وأؤكد لك أنك كالمهم فى كل ما تقول. لا أريد بعد اليوم أن أعود فأكرر ما قلته لك غير مرة من أن فى نفسى لك حبا لاحت له فقط أسقط هذا الخطاب بينى وبينك كل الحجب وهأنا أشعر بأنى مساق تحوك فى راحة نفس لا يخالفها ما كنت أحسه من قبل عندما أكتب إليك من لهف ما كنت أدرى له من سبب وأما كنت أشعر شعور المتقطع الانفاس . لهذا وقد تحولت عاطفتى من تيار تقطعه أمواج عاتية إلى مجرى سهل لين وعاد قلبى مما كان يشبه الألم عندما اتجه إليكم إلى راحته التامة أستطيع أن أعود إلى نفسى أناقشها الحساب وأن أقول لك بكل أمانة حكى على نفسى .

الواقع أن ثقتى بنفسى وثقتى بالحياة أعمق بكثير من أن ينال منها يأس وأنا مؤمن بينى وبين نفسى أنى قادر على الكثير بل ويخيل إلى أن فرط الثقة إلى هذا الحد سبب من أسباب الضعف فى نفسى لأنه يشعرنى أحيانا بأنى استحق أكثر مما يؤمله لى مجهودى وأنا أعرف تمام المعرفة أن القدرة هبة من الطبيعة لا تعطىنى الحق فى شىء بل بالعكس تلزمنى الواجب بوضع تلك القدرة فى خدمة الغير .

ولعلك تسألنى بعد ذلك ولماذا إذن هذا اليأس الذى ظهر فى خطابى لكم وجوابى على ذلك أن اليأس عندى لم يكن شعوراً وقلبى لا يعرف اليأس وإنما مجرد فكرة . فكرة صانقة طبعاً ولكن متغيرة بطبيعتها لأن العقل فى حركة مستمرة ولو أنه كان شعوراً لقضى على حياتى بدون انتظار . الفكرة تناقض ويوجد العقل دائماً ما يحبها وما ينفىها وينتهى الأمر عادة بشل التنفيذ - بل بالعكس كلما كان الإنسان . أقوى تفكيراً كان أضعف إرادة لأن التفكير فى وجهى كل معضلة كلما طال واتسع فشلت الإرادة ووقف التنفيذ والشعور بالعكس لا يزداد على الزمن إلا قوة وعمقا وشعوراً باليأس لايد منتهيا بالهلاك . لهذا انتهى بى التفكير إلى تغليب عامل الأمل وبهذا وفقت ما بين عقلى وأقوى ما بنفسى من شعور وهو ثقتى بالحياة.

والآن أود أن أشرح لأستاذى الذى أحبه بكل قلبى أسباب اضطرابى فى عملى ولماذا لم أوفق إلى ما كان يأمله منى وماكنت أمله من نفسى بكل إخلاص ويكل صراحة وأنا واثق أنك ستفهمنى وستمدنى بنصحك الغالى وتهدينى إلى ما لا أستطيع أن أهتدى إليه بنفسى .

يرجع إخفاقى - أن خرجت من كتابى هذا بالحكم بذلك كما أحكم أنا على نفسى - إلى عاملين أحدهما عارض مكتسب والآخر فطرى أصيل فى نفسى والأوضح. أولهما فرط الثقة بنفسى كما قلت وقد أصابنى هذا المرض بنشأتى فى وسط اجتماعى متواضع من بعض الوجوه وشاذ من بعضها الآخر . عائلتى كبيرة العدد والمنافسة قوية بين الشبان منها ومنهم المبرز بشكل واضح مخيف ومنهم الضامل للبدد الحياة ومنهم من فقد عقله بالإفراط فى الحياة ووسط تلك العممة المهلكة كان من توفيقى أن اكتسبت من الصغر مكاناً متيناً وجزت بين نوى فكرة اعتدالى الخلقى وقسوتى على نفسى قسوة

الرهبان من جهة وتفوقى فى دراستى تقوفاً ظاهراً من جهة أخرى فأحاطونى بسياج من الإعجاب نفعتى كثيراً وضررتى كثيراً . نفعتنى إذ دفعنى إلى مواصلة السير والتبريز مرة بعد الأخرى وضررتى لأنه جعلنى عالة على إعجابهم بدلا من أن أستمند حافزى إلى العمل من نفسى وأن أقدر مجهودى قدره لا إفراط ولا تقريط .

أتيت إلى أوروبا و فى نفسى شعور ساذج بأننى قادر على كل شئ وإننى سأقوم بما كلفت به وفوق ما كلفت به واجتهدت بإخلاص برغم ما كان منى من تهاون قليل من الناحية الخلقية إذ ابتدأت لأول مرة فى حياتى أن أعرف لذة الحواس وحتى هذا حملنى عليه تفكيرى المطلق إذ ظننت - وربما كان فى ذلك شئ من الصحة - أن مقاومة الطبيعة إلى غير حد أمر قد يضر أكثر من أن ينفع وأن ضيق صدرى فى ذلك الحين وكثرة حزنى بغير سبب ربما كان سببه ما ألزمت نفسى من عفة مفرطة فى مصر وجاء الامتحان فرسبت فى يونية لأول مرة فى حياتى فزال ذلك من نفسى كثيراً وعادت الكرة فى الإجازة ملزما نفسى من الجهد فوق ما يجب وجاء نوفمبر فمررت فعدت إلى ثقتى بنفسى برغم عجزى عن مررد الشفوى واستهنت به وابتدأت فى تحضير دبلوم قانون مررت فيه بسهولة مذهشة وابتدأت فى اللاتينى وهنا تبدأ المساة .

جاء الشفوى فعجزت عنه للمرة الثانية وضاع التحريرى واضطرت فى العام التالى إلى تحضير مقرر جديد وانتهيت من الأدب الفرنسى لثالث عام .

هنا هالنى الامر وشعرت بأن عزتى قد جرحت وسخطت على نفسى وشكيت لمدير البعثة مرارا سخطى على نفسى إن حقا وإن باطلا وضررتى مدير البعثة ضرراً شديداً لأنه كان يحبذ هذا السخط ويزيده فتكا بنفسى حيث كان يعتقد أنه يحقرنى بذلك على العمل وهو يؤمن بينه وبين نفسه أن مرور الأدب الفرنسى حتى بعد ثلاثة أعوام لطالب مبتدئ يعتبر فوزاً إذا قيس بما يبرهن عليه غيرى من المصريين من القدرة فى دراسة كهذه ودليلى على ذلك أنه كان يدافع عنى فى الوقت الذى يحبذ فيه سخطى على نفسى وهذه غلطة كبيرة منه يمكن تفسيرها طبعاً بعدم معرفته بحقيقة نفسى وإن كنت أشك فى ذلك لأن الديوانى بك متقد الذكاء نافذ الحس وقد شعر غير مرة وبناقشنى مراراً فى فرط ثقتى بنفسى ولكن فاته أن علاجى لا يمكن أن يكون فى تقوية سخطى على نفسى إذ أن هذا السخط يزيد بالعكس تلك الثقة قوة بل بتبصيرى بمدى قدرتى وحتى على أن أقنع بما انتهيت إليه وأن أوصل عملى فى راحة ضمير ومادمت قد تمكنت من اللغة الفرنسية فقد هان على الأمر .

قوى إذن سخطى على نفسى ورأيت حولى أخوانى وقد مر بعضهم بشهاتين أو ثلاثة وما تعودت الخمول وأصبح لقائى بهم جرحاً فى نفسى يسيل دماً كلما فكرت فيما صرت إليه بالنسبة إليهم الآن وبالنسبة إليهم فى مصر وهنا دخل الاضطراب على نفسى وأخذت اتخبط أستمر فى عملى أم استقيل

من البيعة وأدرس غير تلك المواد لأتفوق كما تعودت وأجد من إعجاب الناس بى ومن إعجاب أهلى وأخوانى وأساتذتى الحافظ القوى الذى كنت أجده فى مصر وأخبرت الديوانى بك مراراً بعزمى على الاستقالة دون أن أشرح له حقيقة شعورى حتى ظن أنى غنى وأنى فى غير حاجة لمرتب الحكومة وما إلى ذلك مما لايزال يعتقد على غير أساس ودون أن يرى بوضوح أو يفهم علة تلك الأفكار الغريبة التى كنت أدلى بها إليه من يوم إلى آخر . وحالت دون استقالتى ظروفى المالية واشتد الهى وتبرمى بنفسى ولذلك لم أر علاجاً إلا فى دراسة ما يدرسه غيرى من أخوانى لأثبت قدرتى وأرضى بتغفيلى نفسى عن نفسى ولكن ماذا أدرس . تعلمون أنى بطبيعتى ميال إلى الفلسفة وإن فلأدرس الفلسفة وأتقدم إلى الامتحانات وفى نفس الوقت أرمى الحكومة بامتحان أو اثنين لأستمر فى الحصول على مرتبى ولكى يكون نجاحى وتفوقى أمراً لا يحتمل الشك عقدت عزمى على أن أحضر شهادة علم النفس وشهادة الاجتماع والأخلاق معا مضافاً إلى ذلك عملى فى اللاتينى واليونانى والقانون . تشئت مجهودى وعجزت طبعاً فى الجميع - ومن هنا ترون كيف ضررتنى تلك الثقة بنفسى هذا الضرر الشديد - وتقدمت إلى امتحانات الفلسفة وإلى فقه اللغة فنجحت فى الأخيرة فقط لأن الديوانى بك كان قد مهدنى قبل الامتحان بشهرين وفى ظرف شهرين فقط صرفت جل مجهودى لهذه الشهادة ، وحاولت مرة أخرى شهادات الفلسفة بالرغم من أنى ما كنت أملك الوقت الكافى لتحضيرها فلم أوفق أيضاً ولست أدرى كيف لم يعلم الديوانى بك بكل ذلك لينصحنى بحصر مجهودى قبل أن يضع على الوقت . وجاءت السنة الخامسة ومن ذلك التاريخ عدلت عن الفلسفة وانصرفت إلى التاريخ ولكن لا على أمل أو عزم التقدم للامتحانات ولست أدرى لماذا لم أفكر فى هذا مطلقاً وإنما لأنى غيرت طريقتى فى محاولة إقناع أخوانى أنى لست دونهم فى شىء وبدلاً من التقدم للامتحانات عقدت عزمى أن أقرأ وأن أعرف كل ما يدرسون فإذا قابلت أحداً منهم أسأله ماذا يقرأ وأى الكتب أحسن فى هذه أو تلك المادة وأطير كالمجنون أشتري الكتب وأقتل نفسى فى قراءتها وأنتظر بفروغ صبر أن ألقى زميلى لناقشه فيما قرأت وأظهر له أنى على علم بالكثير من موضوع دراسته وأنهى الأمر باستمرارى على ذلك طول مدة بعثتى تقريباً إذ منذ السنة الثانية بأوروبا ومنذ أول سقوط لى وأنا أطبق نفس الطريقة أولاً مع الامتحانات وأخيراً بديونها .

وهنا يأتى دور السبب الآخر لخوفى فى البيعة وهو السبب الأصيل الفطرى فى نفسى لآنى بطبيعتى ولست أدرى إلى أى أحد اختلف فى ذلك عن غيرى من الناس محتاج إلى الفهم وأشعر بالهم شديد وقلق قوى عندما لا أفهم ما أقرأ ولا أملك الصبر على علاج ما لا أفهم ولهذا شقيت كثيراً فى البدء فى اللغات القديمة . أقرأ أكتب النحو وأواجه نص «نصاً» من النصوص فأعجز عن فهمه وأبحث عن وجه لفهمه ولا أصبر على البحث وأطير للحصول على الترجمة أبداً أقرأ فى الترجمة فأجد لذة فى فهم ما أقرأ فاستمر فى القراءة وأترك النص وأقرأ طول الليل بحماسة شديدة كالمجنون وأنا بذلك أفهم نفسى أنى أؤدى واجبى وأخادع ضميرى . ثم أنى محمول بطبعى إلى الألام بالكليات ويؤلمنى ويضايق نفسى

الوقوف عند جزئية من الجزئيات وأنا أعرف أنى مخطئى فى ذلك لأن تحصيل لغة من اللغات إن هو إلا عمل طويل شاق وجزئية بجزئية وأعرف أنه من الأقيد لى أن أسير متممقا فى نقطة واحدة بدلا من أن أعوم على السطح وأجرى إلى مسافات بعيدة مخطئا وماراً دون أن أشعر بجواهرلم أفطن إليها . ولا أفق عند هذا الحد بل أبحث عن ترجمة ما كتبه الكاتب أو الشاعر غير الكتاب الذى بيدي واشترتها جميعها واشترى بعض ما كتب عن ذلك الكاتب وأضيع العام فى القراءة باللغة الفرنسية والقراءة بحماسة وإخلاص لأنيم ضميرى ويأتى آخر العام فإذا معرفتى باللغة القديمة لاتزال محصورة.

فى آخر العام تمر بى عادة فترة محزنة إذ التفت وانتبه إلى الخطر المحدق بى من الحكومة وأنا فى أشد الحاجة لمرتبى ولست وأثقا من نفسى فأتور وأحاول أن أروى نفسى على العمل فى اللغة القديمة فيما بقى لى من وقت فأتجع أحيانا وأحيانا كثيرة أرى أن الوقت الباقى لا يكفى بشئى وإنى ضعت فاهمى على وجهى فى الشوارع لا أخاطب أحدا ولا يخاطبنى أحد كالمجنون وفى نفسى من الحزن ما لاحد له وأريد بينى وبين نفسى أنى قادر وإنى لست أعجز من غيرى وإنى قرأت الكثير وأسخط على نفسى أحيانا وأجهد أحيانا أخرى أن أبرها بصعوبة العمل وصدته لنفسى وما إلى ذلك وأنا أعلم تمام العلم أنى لو صرفت نصف وقتى فقط بانتظام لتحضير امتحانى ولو عرفت كيف أجبر نفسى واحملها على الشاق لمرت امتحاناتى بكل أطمئنان.

خرجت من كل ذلك بأن قرأت الشئ الكثير ولست فى حاجة إلى أن أخبركم أنى كنت أقرأ بلذة عقلية حقيقة وأنه وإن كان فى دأقتى إلى للقراءة عوامل غريبة عن حب الأفكار لذاتها فقد كان هذا الحب موجودا حقيقة فى كل أوقات قراتى .

تروى من كل ذلك أنى حقيقة لم أضع مقدرتى فيما كلفت به لا أعدوه وإلا لمرت امتحاناتى وانتهيت من اليبساس منذ زمن بعيد . لقد عملت فى نفسى أحيانا عوامل لا أقول إنها صغيرة فالمناخسة الشريفة - طبعاً بغير حقد فأتا حقيقة بى، من ذلك وأحب أخوانى ويسرنى توفيقهم بغير شك وكلهم يعرف ذلك - لم يقل أحد بأنها حقيرة . ومحاولتى إرضاء ضميرى القاسى وأن سخطت فى تلك القوة عوامل خارجية كراى الغير وما شابه ذلك مما أحكم أنا نفسى بصغره وإن لم أستطع تبرئة نفسى منه - شئ قد يدل على خير فى طبيعتى ولكن انتهى كل ذلك بى ومالى من مرشد ولا قائد إلا نفسى المضطربة إلى أن ضاع منى الوقت وأصبحت الآن كالمذبح .

نعم أطلعت على الكثير وكرفت نفسى تكويننا أفننه لا يقل عن تكوين أى شاب أوروبى حريص على تربية عقله وحسه كما يجب ولكن كل هذا لا ينفعنى بشئى وعادمت لم أمر امتحاناتى فمن يدري إن كان إخفاقى لفسادى واستهانتى لم لعوامل نفسية على أى حال أرفع من مثل تلك العوامل واسلم عاقبة .

لكل هذا تروى أنى غير راض عن نفسى إطلاقا وقد أصبحت الآن أرى بوضوح وساعدنى محاولة وصف نفسى لكم على إتمام هذا الوضوح ولكنى أثارن نفسى بغيرى - من جهة الامتحانات طبعاً - فأرى

أن من المصريين من يعجز عن مرور امتحان الأدب الفرنسي التجريى نفسه حتى بعد ثلاثة «ثلاث» سنوات أضرب لذلك مثلا عبد الحميد الدواخلى والخولى عضوى بعثة المجمع اللغوى) ومنهم من لا يزال يحاول بعد سنوات مرور فقه اللغة فلا ينجح ، إن بينهم من لا يعرف حقيقة إلا عمله ويهلك نفسه فى هذا العمل وأنا مرتت مع تخصيص القليل من وقتى لهذه الامتحانات ومنهم من يعيد ليسانس فى الفلسفة ولا ينتهى من ذلك بعد ست سنوات (ولو أضفنا مدة الخمسة «السنوات الخمس» سنوات فى مصر لكان المجموع إحدى «أحد عشر عاما) ومنهم ومنهم . أعقد تلك المقارنات وأنا فى شديد الألم لأنى ماكنت أحب أن أقارن نفسى بالضعفاء . من بين أخوانى وكنت أفضل أن أنافس الأقوياء ولكنى ألجأ إلى ذلك لأبرر نفسى أمام من لا أستطيع أن أقول لهم الحقيقة والحقيقة أنى لو عملت لتحضير مقررى فقط لانتهى بدين أى شك وأخرج من ذلك بأن أعتقد وكأنى صادق فى اعتقادى انى مظلوم .

والآن أمامى اليونانى وقد زالت الصعوبات الأولى بعد أن بذلت مجهوداً طيباً فى العام الماضى لإحساسى بما كان ينتظرنى وأظن أن رسوبى فى يونية لم يكن إلا إنفاقاً لأن النص جاء شعرا من شكل ويخيل إلى أنه لو جاء نثراً لمررت الامتحان وفى عزمى أن أنتهى إلى آخر هذا الشهر من مؤلفين «أريد وأرستوفان» لأنى لم أدرسهما جيدا أثناء العام الدراسى ثم أبدأ إعادة عامة للثمانية مؤلفين المقررين واجتهد فى أن أحفظ الكثير من الاصطلاحات والتراكيب والألفاظ لأن اللغة ماهى إلا الفاظ بالرغم من كل ما يقال فى السربون ومعرفة كلمات كثيرة ستكسبنى وقتاً فى الامتحان أصرفه فى وضع الأفكار فى قالب فرنسى صحيح بل وممتاز لأن هذه أيضا صعوبة لا يستهان بها . ولابد من الترجمة بأسلوب أدبى مع المحافظة على أمانة النقل . هذا وسأتمرن طبعاً على الترجمة ابتداء من أول سبتمبر القادم مع مدرس خاص لتصحيح التراجم لو حكمت على بما كنت أستطيع أن أفعل ولم أفعل للأسباب التى ذكرتها سابقاً لقضيتى بأنى استحق الفصل وإما أن حكمت على بما يرجى منى من خير أو بمقارنتى بالآخرين من أعضاء البعثات لوجب إرجاعى للبعثة وأما عن رأى الخاص فى نفسى فهو بكل إخلاص انى بعكس ما قالته لجنة البعثات فى قرارها أصلى للبعثة وإنما يجب أن تقودونى لأنى ضعيف الإرادة وإن أكن حى الضمير وفى هذا مصدر شقائى وأظن أننى عندما أعود إلى الجامعة كاتفع الطلبة وربما نفعت العلم ونفعت بلادى بل لا شك فى ذلك لأنى فى مصر سأتى نتيجة لعملى طبعاً وسأعود فأجد فى صدى عملى من التشجع ما كنت أجد وأنا طالب وأنا واثق فى نفسى - مع عدم الإفراط - بأنى لو صرفت مجهودى وحصرته من الآن إلى العام القادم لانتهى من الليسانس وأما عن الدكتوراه فمثل هذا العمل فيه من الحافز ما يجده كل فنان وكل خالق وكل بأن فيما يصور أو يخلق أو يبنى وليس حكمه حكم الليسانس وسط آلاف الطلبة المبرزين فى مواد يعرفونها جيداً.

ثم إن عدم اتصالى بالاساتذة واستحالة ذلك مع كثرة عدد الطلبة سبب آخر فى عجزى عن حصر مجهودى ولو أنى وجدت فى باريس استاذاً يضمنى تحت جناحه كما وجدتم فى مصر لا تخذت الأمور مجرى غير ما أخذت.

وأما عن مسائل لذات الحياة وما إليها فحقيقة وبكل إخلاص لم تشغل فى حياتى أثرا يذكر ولعلكم تشعرون بذلك من وصفى لحالتى النفسية فمن الواضح أنها لا تتفق مع الاستهانة والرضا اللذان «الذين» يدعوان إلى الانهماك فى الذات حتى اللذات كان طعمها فى نفسى مرأ

استاذى العزيز :

لقد حاولت بكل إخلاص نزولا على طلبك أن أصف لك مجمل أمرى الآن وقد عرفت الداء فصف الدواء بما تراه حكمتك وثقتى بك عظيمة وسأخذ نصائحك مصباحا ينىر لى سبيلى وأما عن البعثة فحقيقة لا يؤلمنى فى كل ما كان إلا مسألة أهلى لأنهم سيظنون فى الظنون ولم أفتح لأحد غيرك نفسى ولا يدرى أحد عنى شيئا فإن كنتم تعتقدون فى خيرا كان لى أن أرجوكم أن تدافعوا عنى أمام والدى وأمام الهيئات الرسمية التى لا تعرف عنى لا القليل ولا الكثير وما أنا بالنسبة لها إلا رقم أو شيء يستغل ولكم عندى أن أعمل بما تريدون فسيرونى كما تملى عليكم حكمتكم وسأكون دائما عند إرادتكم لأنها إرادة الخير.

وعشت سعيدا موفقا أنت ومائلتك ومن تحب مع عظيم شكرى واعتذارى لما كان منى من إقلاق راحتك وأنت فى الإجازة . سامحونى فما قصدت إلى شر ومازلت ابنكم المطيع المحب الداعى إلى الله أن يهزيمكم عنى خير الجزاء .

مندور

6, Rue, Morere,  
Paris (14 eme)

\*(

---

(\*) لا تصدقوا الليوانى بك فيما قد يظن من استحالة بعثتى لأنه يبنى هذا الظن على اعتقاده باتى بذات كل مجهودى فى الدراسات القديمة وهذا للأسف غير صحيح ولا أشرت بغير شك فلا تياسوا منى واسروا الماضى ولا تحكموا على بمقتضاه .  
(\*) بدون تاريخ .

### استاذي العزيز :

في باريس شاب في الخامسة والعشرين من عمره - صديق لي - اسمه عمر جميعي يدرس فن الإخراج المسرحي منذ أعوام تحت رقابة البعثة علم بشرف معرفتي بعزيتكم فطلب إلى أن أكتب هذا الخطاب. قبلت طلبه بسرور لأحييكم بعد هذا الصمت الطويل أملا أن تؤدي صداقتي له ما أمله في . ما نرجوه من عزيتكم هو أن تؤيدوا طلبه بالانضمام إلى بعثته الحكومة لفن الإخراج المسرحي لمدة سنتين والواقع أنه قد قدم بالفعل هذا الطلب لصاحب العزة خليل بك مطران منذ شهر ولكن إلى الآن لم يصله رد . مؤملاته هي الآتية :

(١) دراسته لفن «إخراج» بالاديون و «الآتية» حيث هو ملتحق الآن بالمعهدين وحيث يدير إخراج أحد مناظر رواية يوليوس قيصر لشكسبير والآن يمثل في بعض فصولها مع «دبلان» حيث رأيته بجانبه (٢) إنه زار واتصل بعدة مسارح في جميع عواصم أوروبا المهمة وخصوصا في برلين وفيينا ولندن لمد مختلفة تجاوزت عادة الستة أشهر .

(٣) إنه يجيد اللغة الفرنسية كما أن خبرته بالمسرح والأوساط المسرحية نضجت ولم يبق له إلا القليل من الزمن لينتهي نهائيا من المعلومات اللازمة ليبدأ في معالجة هذا الفن بنفسه .

(٤) إنه عالج التأليف المسرحي وبين يديه الآن روايتان كتبهما باللغة الفرنسية وقدمها للمخرجين الفرنسيين . نعم لم تمثل رواياته لاعتبارات كثيرة قد لا يكون مرجعها الاول والاخير إلى قيمة رواياته في ذاتها إذ رأيت في ربود مديري المسارح إليه امتداحا لتلك الروايات راعنذار عن عدم تمثيلها لاعتبارات تتعلق بالإدارة الفنية أو بالجمهور وهو مستعد أن يرسل لعزيتكم روايتيه لو أردتم لتحكموم بأنفسكم على استعداده وثقافته.

هذا عن صديقي جميعي ويغز على أن يمر الجدل حول مهمة المجمع اللغوي دون أن أبدى حقيقة ذهنتي من الخلاف فيما لا محل للخلاف فيه إذ إنه من الواضح أن فرع الدراسات اللغوية الذي يتعلق بالمعاجم كان منذ الأبد علما رصينا - علم ملاحظة وتسجيل كما قلتم بحق وأن مهمة المجمع تنحصر في أمرين. أولهما أن يكون كمصلحة إحصاء لغوي وثانيا أن يقيم التوازن اللازم بين الثبات والتطور فهو قوة واعية تعادل القوى غير المدركة التي تتطور بالغات . لو أن الخلاف كان عن نحو اللغة مثلا لفهمناه فقد تصور ويمكن أن يتصور نحو تعليمي يدعى تقويم ما هو واقع أو تقرير ما يجب أن يكون بدل الاكتفاء بحصر وتبويب وشرح ما هو ثابت بالاستعمال ويمكن أن يتصور نحو عقلي يحاول إخضاع العرف للمنطق أما المعاجم فما رأينا لا معجما عقليا ولا معجما تعليميا وإنما كانت كلها وفي جميع الصور معاجم إحصاء ثم ألم يسمع مجمعنا الموقر عن الدرس القاسي الذي تلقاه المجمع الفرنسي من أستاذنا brunt يوم نشر نحو اللغة الفرنسية دون أن يستمع بتواضع إلى ما يمليه العرف اللغوي الدارج بين



جماعة الكتاب بل والمتكلمين فما بالكم لو أنه نشر معجما بنفس الروح والواقع أن ما ينقص مجمعنا هو الروح العلمية فالدراسات اللغوية قد أصبحت علما كسائر العلوم والعلم لا يخلق شيئا. العلم يكشف عن حقائق أو عن قوانين . يفسر ظواهر أو يحصيها أما الخلق فله وحده أو للفنون. وبالجمله فالمنهج المتبع الآن في دراسة اللغات والذي أظنه منتجا بعد تجاربي المحدودة هو منهج علمي. تاريخي من جهة ومقارن من جهة أخرى ويدون دخولي في اعتبارات نظرية يخيل إلى أنه خيرالف مرة لمجمعنا أن يصرف كل جهده لدراسة اللغة العربية وهنا أود أن أرجو عزتكم ألا تستعملوا نفوذكم الهائل في الحصر من اختصاص المجمع فمجمعنا في موقف غير موقف مجامع أوروبا.. في أوروبا لديهم المواد الأولية ليتولها معاجم أو مؤلفات عن النحو وما إلى ذلك. أما في مصر فالول واجب علينا هو جميع تلك المواد الأولية وإلى هذا يجب أن ينصرف مجمعنا لو كان لراي قيمة أو لو سألت في ذلك ثم يودى أن لو رأيتهم معي أن خلق institut لن يغير في مسألة اللغة شيئا فالمعهد الفرنسي مثلا على ما أعلم تهمة الأفكار أكثر من الألفاظ واختصاصه اللغوي لا أعرف عنه شيئا. طبعاً لنا في مصر أن نعطي من الاختصاص ما نريد ما دنا على بينة من الممكن وغير الممكن ومن الصالح وغيره ولكن ما شاهدته هو ما ذكرت وإن فمن حق المجمع اللغوي أن يتناول اللغة جميعا طبعاً لا بالخلق بل بالدرس والإحصاء. من الناحية العلمية يودى إن أروحوكم أن صادف رأيي موافقتكم أن تستعملوا نفوذكم لتصلوا المجمع على ما ياتي :

١ - طبعاً قبل كل شيء نشر جميع النصوص ما لم ينشر منها وما هو منشور نشرات علمية بكل ما في ذلك من معنى.

٢ - النشر لا يكفي وإنما يجب أن يكلف كل عضو مثلاً بوضع Lexique لشاعر ما أو كاتب أو فيلسوف أو عالم عربي ولا يخفى استاذي الأهمية التي لا حد لها والتي يجب أن تعلقها على مثل تلك الأبحاث. فيوم يكون عندنا معجم صغير لكل كاتب بانفراد يمكن محاولة وضع قاموس اللغة العربية.

٣ - المرحلة الثالثة تكون وضع Fiches لكل كلمة مستعينة في ذلك بالمعاجم التي ذكرتها وبوضع تلك القصاصات لدينا تجربة منقطعة النظير قام بها الألمان في «ميونخ» بجمعهم ملايين القصاصات تهيداً لنشر كنز اللغة اللاتينية Thwssusus المشهور والتي لم تكف الأموال لنشره وهو لا يزال في مكتبة «ميونخ» حتى يقدر الله لاشترك دولي أن يعين على نشره.

٤ - وضع تاريخ اللغة العربية. تاريخياً داخلياً Interne وأعني بذلك تاريخ تكون اللغة العربية أصولاً ونحتاً واشتقاقاً وتركيباً إن كان بها تركيب وتحويلاً وخلقاً ووفاء ونقلًا وتقريباً وتحديدًا وتوسيعاً وما إلى ذلك مما لدينا عنه الأمثلة في الكتب التي تتعلق بعلم الدلالة Semantique وأبحاث Littré و Nupoh و Breal وتوسيعاً وما إلى غيرهم في اللغة الفرنسية وما يتعلق بأبحاث علم تكوين الألفاظ Morpholoqi كأبحاث Touche عن الفعل الفرنسي مثلاً وكالبحث الجامع للمانع الذي نشره أخيراً أستاذنا La formation des noms uk Blowtraive en que ancie وما يتعلق بعلم صياغة العبارة التاريخي Lmmtone listouque كأبحاث mpoh وبالأخص بحث العلم الهولندي Vogel عن Lytaxe listouque de la lauque fancaie وأبحاث Jesferson أو Kellner عن اللغة

الإنجليزية. هذا من جهة ومن جهة أخرى تاريخ اللغة العربية الخارجى externe وأعنى بذلك تاريخ نشأة اللغة العربية وامتدادها إلى مختلف البلاد من فارس إلى الأندلس وما اعتزها من حياة أو موت فى كل تلك البلاد أو ما ألت إليه من تحديد وتعديل حتى إذا وصلنا إلى العصر الحالى أمكن دراسة اللهجات من الوجهة الصوتية خصوصا من جهة ومن جهة أخرى من وجهة الجغرافيا اللغوية Lseoqsaphie linquistique من جهة الألفاظ والأصوات معا على نحو ما قام به Lsillieson فى فرنسا وبالأروح التى أوصى بها Mielar- det فى كتابه Lmguistique et Llalectotoologie rosuaues.

٥ - محاولة إقامة علم اللغات السامية المقارن على أسس ثابتة وباحذا لو انتهى بنا البحث يوما ما إلى إمكان وضع قاموس مقارن للغات السامية على نحو ما وضع W. meyer Lilthe قاموسه المشهور Pln- (1911 - 1920) maniches etymolgiches Wörterbuch فقد خلطت الأبحاث المقارنة خطوة هامة وكان لها فى فهم اللغات فضل لا حد له كما لا يضافكم.

هذا ما أرى أن ينصرف إليه مجمعنا فالواجب الأول هو إحصاء ودراسة اللغة وأكثر ظنى أن هذا هو ما أردتم الإشارة إليه عندما سميتم ذلك إحياء الأدب العربى فقصدكم طبعاً هو إحياء اللغة العربية بدرس تاريخها وتحديد معانيها وأما عن الخلق فهذا موضوع آخر ونحن لانعلم مانحن فى حاجة لخلقه إذ قبل ذلك يجب أن نعرف ماعندنا وما ينقصنا وأن نتبين ما يتفق مع اللغة العربية كما سيدلنا بحثنا التاريخى عن تكوينها فأصول اللغة أصولها الداخلية لن نعرف بغير ذلك يجب أن يكون لدينا على الأقل ما يعادل Troite de lu fosh de lu luy fane التى صدر بها larmeateeter قاموسه الفرنسى.

هذا وبودى أن أرجوكم أن تعملوا نفوذكم ليظل للمجمع اللغوى حق بل واجب القيام بكل تلك الدراسات جنباً إلى جنب مع كلية الآداب فليس بخاف عليكم أن ضرورات التدريس فى الكلية ستعطى حتماً لتلك الدراسات اتجاهاً غيره فى المجمع حيث سينقطع كبار العلماء أو يجب أن ينقطعوا لدراسة اللغة فى ذاتها. بوى أن لو أصبح للمجمع كمعمل لغوى مزوداً بكل أدوات البحث وخصوصاً بمعمل أصوات تحت تصرف الأعضاء وفوق هذا وذاك بالمال اللازم.

خطر ببالى كل ذلك وأنا أقرا جدلكم مع أستاذنا الدكتور منصور بك فهمى ولهذا انتهزت هذه الفرصة لأعرضه على عزتكم.

لا أريد أن أجند القول فى أحوالى الخاصة فليس لدى من جديد بعد كل الخطابات التى أقلتت راحتكم بها وإنما أكرر عنها اعتذارى. ها أنا فى انتظار الامتحان.

وتقبلوا عزتكم وافر تحية واجلال تلميذكم

مندور

مع خير تمنياتى لعائلتكم الكريمة

استاذى العزيز :

كتبت هذا الخطاب واملئ ان يلقى رايى عن صديقى الاستاذ جيمعى موضع العطف منكم فقد كرس لدراسة فن  
الاخراج مدة طويلة من حياته برغم معارضة أسرته فى المبدأ - أسرة جيمعى بالاسكندرية التى ربما سمعتم عنها - كان  
ذلك جريا وراء ميله الخاص فاقطن أنه من الطبيعى أن يشجعه أولو الأمر على الوصول إلى ما يريد من خدمة المسرح  
المصرى الناشئ وما اظن ان الحكومة ستمكن أعضاء بعثتها من تكريس ستة أعوام لتلك الدراسات كما فعل جيمعى.  
لهذا أكرر رجائى لاستاذى أن يؤيد طلب انضمامه إلى البعثة لمدة السنتين كما طلب فقد وصل إلى ما سيصعب على  
غيره الوصول اليه فى وقت قصير كالتواضع المنحوح لأعضاء تلك البعثة.

## استاذي العزيز :

تعاودني ذكراك منذ أيام في الم يعلم الله مداه ولو سألتموني ولمْ ذلك لذهبت نفسي شعاعا لا يدرك. إلى اليوم لم أجد في نفسي من القوة ما أستطيع به أن أسألكم أصبح ما أخبرتم به والذي من أنكم لو كنتم بباريس لرفضتم لقيائي أم عاودتم أنفسكم فأنكرتم عليها هذا الحق. عما قليل أظن أنكم قادمون إلى باريس فهل سيظل غضبيكم عليّ كما هو. في ١١ يونيو سأقدم لامتحان اليوناني وله فقط على أن أعود إلى ما بقي في نوفمبر القادم بعد أن استوثق من رضاكم أولا ومن مستقبلي ثانيا لست أريد أن أخبركم عن مجهودي شيئا وسأترك الامتحان لعه يدل على صدقه وعند حضوركم بسلامة الله لو سمحتم لي ببقياكم ربما أسمعكم قليلا معاقق بذهني شعرا أو نثرا باليونانية عن طول مراس وفي نوفمبر سننظر ما أستطيع. هذا وفي عزمي بمشيئة الله أن أثبت لعزيتكم أن كل الامتحانات ليست سواء وأنني كاخواني أستطيع الحصول على ليسانس في وقت لا شك سيكون دون وقتهم أما الآن فليس لي إلا أن أدعو الله أن يأخذ بيدي للانتهاء مما كلفت به فلنصبر ولنترك الزمن يصلح ما في النفس من جروح ولنلزم الصمت حتى تنطق الحقائق ومهما يكن من شيء فلي عندكم رجاء وهو أن تذكروا دائما أن تلقى بكم تعلق روحي وأنا أسمو به عن كل نفع أو ضرورة وإلا فلا خير في وأما عن ترددي عليكم فمصدره اعتقاد جازم في نفسي بأن كل ما ياتيني منكم لا يجوز أن أقف عند لفظه بل أسمو إلى غايته وإيماني هو أنكم ما قسوتكم على ولا يمكن أن تقسو عليّ إلا تظاهراً أو لمصلحتي كما يقسو والد على ولده.. لا أقول هذا تطفلا بل لأنه إحساسى الداخلى وليس لدى أى شك في صحة هذا الإحساس ثم سامحوني إذ أبيع لنفسى الجرى وراء شعورى كلما كتبت إليكم فلست أستطيع في ذلك شيئا وقد خلقت أسير للجانب الإنسانى من نفسي ولن أرى فيكم إلا ما أشعر به عنكم.

في ٢١ مايو الصالى أرسلت إلى لجنة مباراة التمثيل رواية أسميتها «ه مأساة نفسى» الرواية متعددة الفصول والمناظر وستحتاج إلى دقة في الإخراج إن قدر لها ذلك ولهذا وجهت عناية خاصة إلى توضيح هذا الجانب ولكنى غير واثق من مقدرة المخرجين بمصر. لقد درست ولاحظت بقدر ما استطعت الجانب المسرحى ولعلى أخبركم فيما سبق باهتمامى بالمسرح ويكل ما يتعلق به منذ أن وصلت إلى باريس. كل هذا عن الناحية الشكلية أما عن تأليف الرواية نفسها فلست أكتفكم أنها كانت تجربة فى حياتى لم يسبق لها مثيل لهذا أرجوكم أن تسمحوا لى بشرح ظروفها لأننى حريص كل الحرص على معرفة رأيكم عن محاولتى وليكون «وليكن» هذا الرأى عن بيئة أود أن تعلموا كل ماكان.

سبق أن أخبرتكم عن صداقتى المتنامية لأفلاطون. منذ أن تعرفت به وأنا متعب النفس أتلسم سبيلى فى الحياة. لاحظت فى نفسى منذ زمن سهولتى فى الحوار حتى كان يوم جاسى فيه زائراً أحد أعضاء بعثة الإخراج فساقنا الحديث إلى المباراة التى نشرت أخبارها الجرائد دون أن أعلم عن ذلك شيئا كما نشرت من قبل خير مباراة أدبية كثيرة لم أعلم بها فسألنى هذا الصديق لماذا لاأحاول التأليف المسرحى مادمت مهتما بالمسرح ومادامت ثقافتى الأدبية تسمح لى بذلك فأخبرته فرداً بإمكان ذلك وإن لم يسبق لى

التفكير في هذا الناحية وفي دقائق معدودة اخترقت تفكيرى أشعة متعددة وتساقطت على الموضوعات كالمحموم اقترح الصديق أن أضع له هيكل إحدى الروايات وهو ينميه إن ضاق وقتى عن ذلك فوافقت وافتقنا. خلوت بنفسى فخيّل إلى إن حقاً وأن باطلاً أن الصديق ليس من النضوج بحيث أريد فأخذت قلبى وأنا وحيد بصيرتى ويسهولة مذهشة وضعت التقاسيم العامة للرواية وفوراً ابتدأت فى تحريرها ولم أترك قلمى إلا وقد انتهيت منها فى مسافة ٤٨ ساعة دون أن أنام ودون أن أشعر بشئ مما حولى حتى لقد تناولت قهوتى فى الصباح ثم عدت أسأل ربة البيت الذى أسكنه راجياً أن تعطينى إياها وكما كانت دهشتى عندما أخبرتنى أننى تناولتها. سيبدو لكم هذا غريباً ولكنه الحق وأنا أجلك عن ألا يكونه. بعد ذلك نمت طبعاً كالبيت نوما لأحد له وعند استيقاظى أخذت روايتى وقرأتها لأحد أخوانى فحازت رضا. حاولت بعد ذلك أن أحاول إصلاح ما يمكن أن يكون فيها من عيب فكتبت كلما حاولت ذلك يخيّل إلى أننى أظف بدل أن أصلح لهذا اكتفيت بإصلاح تفاصيل لا تذكر وأرسلتها كما هى يخيّل إلى أنى حازت تلك الرواية رضاكم أننى إما كنت فى حالة جنون مطلق عند كتابتها أو أننى موهوب ولهذا أرجوكم رجاء خاصاً أن توجهوا إليها عنايتكم بصرف النظر عن المبراة وأن تفضلوا بإخبارى عن رأيكم فيها وهل من الواجب على أن أعود إلى هذا التأليف أم خير لى أن أتخذ سبيلاً آخر. الرواية على ما يظهر لى عسرة الهضم وأكثر تركيزاً مما كان يجب وخصوصاً لجمهورنا. فقد كتبتها وأنا فى حالة اختلاط عقلى تام. كنت أشعر بغموض مرور كثير من الناس ممن لاقيت فى حياتى يفترون تفكيرى دون أن أميز بينهم أو أن أضع واحداً منهم بالذات أمامى وكذلك الأمر فى كل ما قرأت. بالرواية مئات بل الآلاف الذكريات ولكنها مختلطة حتى لأعجز أنا نفسى عن إرجاعها إلى أصولها ولكم كانت دهشتى عندما قرأتها بعناية مع خير إخوانى وأنفذهم فهما وأنفهم تحصيلاً الأستاذ مراد فكان يكتشف خلف كل جملة رأياً فلسفياً أو أدبياً لفيلسوف أو كاتب وفى الواقع كانوا جميعاً ممن سبق أن قرأت وأما عن الجانب الإنسانى من الرواية فلست أكتمكم أننى لا أزال حائر اللب اتسائل ماذا فعل الله ببطل روايتى؟ إلام فاده القضاء؟ أنهض أم لايزال بقارة الطريق وبوسط الظلام الدامس حيث تركته بعد معركة مع قوى الطبيعة الخفية؟ ثم لايفوتنى أن أخبركم إلى أى حد غيرت عندى تلك التجربة كل ما يتخلله النقاد من غير المؤلفين منهم عندما يحاولون تلمس رأى الكاتب أو الشخص الذى يمثله فى الرواية أو طريقة التأليف أو أفكل هذا باطل والمؤلف لايمكن أن يتصوره إلا مؤلف ولاغرابية فى ذلك فليس لنجار مثلاً أن يشرح تركيب محرك عربة لدى مئات الأفكار أود أن أحدثكم عنها ولكنى أحتفظ بكل ذلك إلى يوم لقياكم إن شاء الله بعد أن تقرأوا الرواية وبعد أن أنجح بإذن الله وتعود نفسك فتفتتح لى كما كانت وبمت لتلميذكم المخلص المحب،

مفردور

مع خير تمنياتى لعائلتكم الكريمة

الدفى فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٠

## أستاذى المحبوب :

تباركت آيات الله إن عدت فرأيتك وقد اجتمع بنفسك الجميلة ما أعرف فيك من حب لمن أحبك فإذا بك كما عهدتك وكما ستظل دائماً مستقراً بقلبي سواء جمعتنا الأيام أو جرت بيننا بقضاء وقد استويت إلى حافة المقعد ويداك الجميلتان فى نصف إغلاق إلى مقدم المنضدة وضربات خنصرى هى هى إلا أنها كانت بالأمس ترن فى قلبى كما يرن ناقوس بقلب راهب عمره الأيمان ذلك أنها جاءت بردا على قلب خربه الألم ومالى أحنك هذا الحديث هب أن الظلم لم يرتفع وإن يرتفع. أقسم بين يديك الطاهرتين أنى مبتسم بعد اليوم لكل ما يكون.

اكتب إليك ولما حائر بجفنى لا إنيك نحتت عنا بإيمانك الذى يصعق النفوس فسيان عندى غنى وفقر ولا لأن صوتك الذى طالما طربنا له لا يمكن أن ينحدر إلى مفاوز الظلم ونبرات نبرات الحق بل لأننى عدت فأحسست فى جرسك نغمة الحب لنا وعلى هذا نحرص أول الأمر وآخره ،

هب أننا لن ننال عدلاً وأننا قائمون على ما قدر لنا من ظلم وهب أن الحياة مجهزة علينا وهب أن ما درجنا عليه من أمل مصيره إلى الفناء المحقق بل وهب أننا مغادرون الحياة بما عليها ومن فيها ، هب كل ذلك صحيحاً ثم أعلم أنه لو صبح لبقى لنا ما نتعزى به عن كل شيء وهو فيض من المحبة وصل بين نفوسنا ونفسك وهذا شيء لا أملك فى حياتى عنصراً أتم منه ثباتاً ، هذا هو الحق وهو ما نسال الله أن ينزله بنفسك لذاته نقياً طاهراً بريئاً من كل غرض .

نحكك أيها الرجل النبيل ، وأقول ذلك وأنا أبكى كالطفل الصغير لأنك جميل النفس ، نحكك ونود أن نقدك بأنفسنا وثق أننا ما نمسك أرواحنا عن التهاك عليك إلا خوفاً على هذا الحب الذى نحمله لك

نحكك ، أيها الرجل النبيل لأننا لا نستطيع غير ذلك قد نتور وقد تتور ولكنها ثورة اللسان وأما القلب فعلم الله أنه ثابت على حبك .

ما أريده اليوم هو أن أرجوك أن تنسى كل ملابسات حياتنا الحقيبة المؤلمة لتحرر النفس من كل قيد لبرهة من الزمن ، أن تذكر فى تلك البرهة التى تستخلصها أن هناك نفساً بشرية تحبك لحقيقة نفسك لا لشئ آخر وأنا بعد وأثق أن خير ما فى الحياة لا يمكن إلا أن يكون برهان «برهانا» كهذه وهى بعد فى مدى الزمن الذى امتد من قبلنا وسيمتد بعدنا إلى غير غاية بمنزلة قرون لاخير فيها .

تباركت رجلاً وتبارك النبيل فيك وماذا أستطيع لك إلا أن أدعو الله مخلصاً له الدعاء أن يبيحك لنا وأن يمنحنا من القوة ما نكون به رحيث تأمل منا . أستاذى المحبوب - تلميذك مندور الذى يحبك والذى علم الله كم تماسك حتى لا يخف إليك مقبلاً شاكراً كلمات الأمس التى لا يعدل بها فى الحياة شيئاً .

ولتكن لك نعمة الله أنت ومن تحب ،

مندور

## استاذي العزيز :

تحية وإجلالا وبعد فتريد إدارة الجامعة أن تعتبر بعثتي فاشلة وذلك تقطع من حياتي التسع سنوات التي قضيتها في الدراسة بأوروبا على هذا تستند في محاولة التفريق بيني وبين إخواني العائدين معي هذا العام من فرنسا: ولهذا القول الباطل يكاد قلبي ينخلع وأملئ إليكم أن تصححوه لدى إدارة البعثة بالوزارة ولدى إدارة الجامعة وذلك لأنه:

(١) ليس صحيحا أنني فصلت من البعثة فلم يصدر على ما أعلم أي قرار من لجنة البعثات بفصلي وإنما صدر قرار من مجلس الكلية يترك لي الخيار في الرجوع إلى الكلية أو الاستمرار على نفقتي الخاصة وقد فصلت البقاء رغم مشاق ذلك لأدرس علم الأصوات التجريبي بالعمل وانتهيت من ذلك بنجاح بعد تقديم رسالة كبيرة عن أوزان السفر العربي نلت عنها الدرجة  $\frac{10}{10}$  وشهادة أخرى عن النطق فهل أعاقب على ذلك. هذا وإدارة البعثات لاعلم لها بما فعلت ولم تشر إلى ذلك أقل إشارة في خطابها إلى إدارة الجامعة.

(٢) يقولون إن بعثتي فاشلة ولست أدري بما يمتاز على إخواني وقد عادوا جميعا بدون الدكتوراه التي طلبت منا جميعا والتي ضاق عنها الوقت وما يحمل منهم أحد غير ليسانس جديد هوتكران لما حصلوا عليه من جامعتنا (ليسانس تاريخ أو فلسفة) وقد عدت مثلهم ليسانس مكون من:

١ - الأدب الفرنسي.

٢ - الأدب واللغة اليونانية.

٣ - فقه اللغة الفرنسية.

٤ - دبلوم علم الأصوات العام والتجريبي.

وعلاوة على ذلك:

١ - شهادة علمية في النطق والإلقاء.

٢ - دبلوم قانون في الاقتصاد السياسي والتشريع للمالي من كلية الحقوق (لا تعلم به إدارة البعثات)

فهل كل هذا لايساوي ليسانس تاريخ أو فلسفة؟

(٣) وأما الدكتوراه فلست متخلفا عن إخواني في اعدادها وسوف انتهى منها مع إخواني وإحدى الرسائل عن أوزان الشعر وهذه معدة بالفعل ولايعوقني عن الانتهاء منها إلا عدم وجود آلات للقياس ببعض التجارب التي تنقصني والثانية عن الفعل في القرآن وهذه سرت فيها هذا العام إلى مسافات بعيدة أستطيع أن أطلعكم على مراحلها لو تفضلتم بقبول ذلك.

(٤) لو اضمقتم عزتكم إلى ذلك سافرت إلى البعثة ومعى ليسانس آداب كنت فيه الأول وليسانس حقوق كنت فيه من الأوائل وذهبت إلى أوروبا بالدراسة لغات جديدة عني (٤) لو اضمقتم عزتكم إلى ذلك أنني سافرت إلى البعثة ومعى ليسانس آداب كنت فيه الأول وليسانس حقوق كنت فيه من الأوائل وذهبت

إلى أوروبا الدراسة لغات جديدة عنى وعن دراساتي السابقة بينما عاد أخوانى إلى دراستهم من تاريخ أو فلسفة مما يدل على مبلغ الظلم الجارح الذى يريدون إنزاله بى اليوم. أتقبلون عزتكم أن أعين بـ ١٢ جنيها بعد حصولي على ثلاثة ليسانسات وبعد عشر سنوات من تخرجي مع أنى أعلم أن غيرى عين بـ ١٧ جنيها لأنه يحمل ليسانس آداب و ليسانس حقوق فقط (عطية مشرفة بكلية الطب البطرى) ومن الموظفين كثيرين «كثيرون» ممن وصلوا إلى الدرجة الخامسة أليا ويض المدة وقد كان باستطاعتى أن أعمل فى القضاء منذ سنة ١٩٣٠ كما عمل غيرى ممن كانوا متخلفين عنى وأن أصمل إلى الدرجة الخامسة أو الرابعة كما وصل غيرى. أكانت هذه البعثة شركا تتردى به حياتى. هذا ظلم يقشعر له بدنى أعين بـ ١٢ جنيها كمتخرجي هذا العام من تلاميذى. أعين بـ ١٢ جنيه «جنيها» كمدرس ابتدائى لأن جماعة الكتبة يرون ذلك تطبيقا للوائح لايعرفون عنها شيئا ومتى كانت حياة الناس بهذا الرخص. هذا ظلم لو أنى استطعت حصر مصدره لقومته بيدي إذ أنى لا أستطيع أن أقبل الحياة معه وحتى الاستقالة أصبحت اليوم لأتشفى نفسى لأن جرحها لاقرار له. من يستطيع أن يقول - وعهدى بك أستاذى صادق الحكم صادق الحس - أنى دون أيوب أو سيدة أو عثمان أمين لأنهم عادوا بليسانس تاريخ أو فلسفة بينما عدت أنا بشهادات فى الأدب الفرنسى واليونانى وفقه اللغة - والأصوات ودراساتى أشق وأكثر تنوعا وعمقا وفائدة. هذا ظلم يقص به صدرى.

(٥) عهد إلى هذا العام بتدريس أشياء مختلفة فهل بلغ عزتكم ما بذلت فى ذلك من جهد وماتلت من حماسة الطلبة حولى وقدمهم من جميع الأقسام لاستماعى بل ومن الكليات الأخرى - فى هذا العام كتبت أربعين مقالة فى تحت يدى الآن نشرت ما استطعت نشره منها وما لم ينشر لأننى لى فيه وأصحاب للجلات لم يرفضوها لأضعفها بل لقوتها ومنها ما يقع فى عشرات الصفحات عن المسائل اللغوية. فى هذا العام نقلت إلى العربية عن الإنجليزية:

١ - الغراب لأيجار يعود بو «الثقافة».

٢ - مرتبة فى مقبرة ريفية لجرأى «الرسالة».

٣ - عندما وصلتنى صورة والدنى لكوبر (لم تنشر ولكن طبعتها وزعتها على طلبتى).

٤ - أريس لقتسون (لم تنشر ولكن وزعتها على الطلبة أيضا).

٥ - بطلان رغبات البشر لجولشون (أملتتها على الطلبة).

وعن الفرنسية:

(١) قصيدة الحرية لشبينة (مثلاها الطلبة).

(٢) ليالى موسىيه (مثل منها الطلبة ليلة أكتوبر).

(٣) قصيدة سامسون وبليلى (لم تنشر) لثنى.

والروايات الآتية

(١) نزوان ماريان لمسييه.

(٢) الشمعدان لمسييه.

(٣) لائلهوب بالحب لمسييه.

فهل هذا مجهود مقصر أو عاجز.



عهدوا إلى هذا العام بالإشراف على لجان الفنون قفرحت ووجهت وأتمت ما استطعت من حفلات رغم عدم التقدير والمضايقات التي آتت من الأفكار السيئة التي في بعض العقول عنا والتي هي الظلم بعينه وهي بعد لاتستند إلى أى أساس وقد أحرقتم نعى في فتح أفاق أدبية أو فنية أمام الطلبة بكل ما استطعت من قوة وأقبلت على عملي بالكلية. كعمل مقس لا اتساهل في واجب ولا أسكت عن عيب وكل إيماني انى أريد إلى بلادى ما أهدت إلى من جميل. أعلى هذا اكفىء دكانا بهذه الإهانة.

لهذا أرجو من عزتكم أن تتدخلوا في الأمر فتحملوا إدارة اليعثات على تصحيح الخطاب الذى أرسلته إلى إدارة الجامعة وتلك الإدارة لاتقيم وزنا لخطابات الكلية إلى جانب خطابات إدارة اليعثة إذ يجب أن يقرروا انى لم أقصم من اليعثة وأنى لم أفضل في بعثتى وأن سقوطى وهم كتابى وأن تتدخلوا لدى إدارة الجامعة لتعاملنى كخوانى على الأقل فأعطى مرتبى في الدرجة السادسة باعتبار انى تخرجت سنة ١٩٢٩ واستحققت لى العلاوات التي أخذها جميع الموظفين وأن أرقى إلى الدرجة الخامسة بعد ذلك باعتبار أن ثلاثة ليسانسات وبلومين وعشر سنين تكفى لاستحقاقى للانتقال من درجة إلى درجة.

بالكلية من تخرج بعدنا بسنين ومن كانوا دوتنا وهم الآن بالدرجة الرابعة ومنهم من اقتصر جهده على الحصول على دكتوراة جامعة وأنتم تعلمون معنى ذلك ومنهم من يحمل ليسانس يسمى بكتواره وتعتبره الإدارة كذلك لانه يحمل حروف الدكتوراه هذا عيب وظلم لايجوز أن يكون بجامعة حيث يوجد من يستطيع أن يقدر اين تكون الكفاءة والعلم بصرف النظر عن الصروف والا فإن سادات الجامعة عقلية العبيد فلاخير في جامعة ولا في علم ولسنا جمادات حتى نتهمنا جماعات الكتب وما تلك إلا آلات صم بكم حقى.

أستاذى العزيز:

سيكون خطابى هذا إليكم آخر رجاء أوجهه لتحققوا الحق فقد فضلت أن يكون كتابة لانه من الثقيل على نفسى أن اضايكم شفويا كل يوم وآخر بمسالتى ولديكم من المشاغل ما لاخصى فإن رأيتم عدالة شكواى وكان من عزمكم العمل على رفع سببها حمدا لكم صنعكم فإن لم يكن كان رجائى أن تخبرونى بما ترون كى أنظر ماذا أستطيع أن اعمل حتى لاتنهيار حياتى بين يأس وأمل لالتحقق.

هذا ولولا بقية أمل معلقة بك لنفضت يدى من الجامعة ومن فيها ولكتى حتى اليوم كنت أصبر لانى اعلم أنك لم تتاولتم هذه المسألة حقيقة لثمت في أقرب وقت وحتى اليوم كان موقفكم منها موقف تحفظ رعاية لإحساس من يهيم الأمر ولكننا اليوم أمام مرحلة حاسمة فإن كنتم تريدون مساعدتنا فلنشرورنا بها وإلا فلا فائدة من هذا العذاب الذى طال وعمل وضقتنا به نفسا.

أستاذى العزيز:

أملى أن ترفعوا عنى الظلم لتقرير الإدارات المختلفة العدل والقول:

(١) إن بعثتى ناجحة إن كان معنى النجاح تقدير الجهد الذى بذلت والنتائج التى وصلت إليها وقد كونت نفسى تكوينا اعتقد أنه صالحا يؤهلنى لتولى هذه المهنة الشريفة مهنة تثقيف الشباب كما أعتقد أن الثقافة يجب أن تكون .

(٢) انى لم أقصم من اليعثة وأن مدة اليعثة وهي زهرة حياتى لايجب أن تسقط من تلك الحياة لانى بعثت سنة على نفقتى أضنى أهلى في طلب العلم وماذا نفعل بالثمانية سنوات الأخرى التى بقيتها على حساب الدولة - ألم تكن هذه الدة بعثة وقد عدت على نفقة الدولة وإلى المصلحة التى أرسلتني - فهل معنى هذا ضياع كل تلك السنين.

(٣) إن مؤهلتي العلمية والأدبية تكفي لاستحقاقى علاواتى فى الدرجة السادسة ونقلنى إلى الدرجة الخامسة مساواة لى بغيرى.  
وأنا شاكر لكم ما تعملون من أجلى مقدر فضلكم آملا فيكم أكبر الأمل ولكم أصدق التحية والإجلال.

**محمد عبد الحميد مندور**

**سيدى الأستاذ :**

نحييكم تحية خالصة مخلصة ثم نسألكم أن تعيأوا بأمرنا فى الكلية التى صرنا فيه كسقط المتاع لآنجد سبيلاً صالحاً للعمل ولا يلقي علينا من الدروس إلا أشياء أولية كمبادئ النحو اللاتينى واليونانى لطلبة لا يدرسون هذه اللغات دراسة جدية على حين أن فى الكلية علوماً شاذة نحن أجدر الناس أن نقوم بها كالأدب اللاتينى واليونانى فى قسم الدراسات والفرنساوى فى قسم الأدب الفرنسى والأهواء المتضاربة التى تسيّر كل قسم تولى العمل من تشاء وتحرم من العمل من تشاء حتى صرنا فى حيرة من أمرنا ولسنا ندرى علام بذلنا من شبابنا تسعة أعوام نحصل ونعمل ثم لا نجد من يزيكنا ولا يقرنا من الخير بل لا نجد إلا دعاة التنمية يقطعون علينا كل سبيل يرموننا عند من لا يقدر دراستنا بالجهل مرة وبالغرور مرات ثم بالثورة أحياناً ولسنا هنا محاربين ولأمدعين وإنما نريد أن ننتفع وننفع بما نعرف ومن أجل ذلك نتخذك لساننا بصرخات ضماثنا ونحن مؤمنون رغم كل شيء أن بيدك أن تفعل الخير إن أردت وهذا خير قد ينال التعليم وهى غاية من غاياتك التى تسعى لها والتى من أجلها حملنا ما حملنا من بلاء وجهد وتضحية.

على أننا نبيح لأنفسنا أن نخاطبك كرجال شبوا عما ينزل إليهم عامة المتقربين الكاذبين عالمين أنك تقدر أن لنا آملاً جديرة بال نصر والخير فلتكن أنت نصيرها وإلا فلا فغنيكم ولا يغنى أحداً أن تسيّر القافلة ونحن وقوف حيارى نتحسر على ما يتحطم من هممنا ودوافع إيماننا ولكم أطيب السلام.

**على حافظ**

**محمد عبد الحميد مندور**

(\*)

(\*) الخط الذى كتبت به هذه الرسالة مختلف عن سابقتها جميعاً، وهى موقعة من كل من «على حافظ» و«محمد عبد الحميد مندور»، لذلك ترجع - بالمقارنة ب توقيع على حافظ، وهو الأول - إنها كتبت بخطه، وإن كانت مرسلة ليه حسين منهما.  
(\*) بدون تاريخ.

**المصر**

# المراجعات

---

١٧٠ العلم في الثقافة المصرية . سمير حنا صادق .

---

١٧٦ السياسة الثقافية في ضوء تطور التقنيات في مجال الاتصال ، سعد لبيب .

---

١٩٢ تندارى ، الموت والليل والنشور ، على عفيفى .

# العلم فى

هل حدثت فى حياتنا الفكرية ثورة تساير الثورة السياسية والاقتصادية التى أحدثت لنا تغييراً لا جدال فيه؟ بعبارة أخرى: هب أننا أقمنا مقارنة تحليلية بين أوجه نشاطنا الفكرى خلال العشريين من هذا القرن وما يقابلها خلال الستينيات (أو خلال التسعينيات س.ح.ص) فهل تجد بينها فارقاً نوعياً يستحق أن يوصف بأنه ثورة فى عالم الفكر؟

زكى نجيب مصطفى

إنتاج التكنولوجيا الحديثة وفى العلوم الإنسانية. ولماذا نذهب بعيداً ونحن نعلم أن العالم الرأسمالى بأسره قد تخلص من الجانب الأكبر من أزماته الاقتصادية وحقق ازدهاره بتطبيق المنهج العلمى على يد علماء الاقتصاد مثل كينز (J. M. Keynes 1882-1946) ولسوف يظهر التاريخ الدور الذى لعبه التهديد بتكنولوجيا حرب الكواكب أيام ريجان وجورياتشوف.

ولقد بدأ التفوق الساحق للولايات المتحدة فى ميادين العلم والتكنولوجيا بعد إطلاق الروس لأول قمر صناعى عندما أعلن كندى عن ثورة فى تدريس الرياضيات والفيزياء تمهيداً للهبوط على سطح القمر بعد عشر سنوات... وقد كان. ورغم هذا التفوق فإن حكومة بوش عندما شعرت ببعض الخلل فى ميادين التقدم العلمى أصدرت دراسة بعنوان "أمة فى خطر" وقامت بثورة فى أجهزة

علاقة طردية وثيقة بين العلم والمنهج العلمى من جانب والرفاهية والسعادة والخير من جانب آخر. فكلما احترمت أمة العلم والمنهج العلمى، زاد تقدمها ورفاهيتها وسعادة أهلها. انظر إلى نور شرق آسيا: إن رؤية العلم والمنهج العلمى تعلو فى هذه البلاد علواً شامخاً، ففي تايوان مثلاً ينص الدستور على إنفاق نسبة كبيرة محددة من الميزانية على العلم والتعليم. وهكذا ترتفع سنوياً فى تايوان ما تصرفه الدولة على العلم والتعليم بارتفاع الميزانية.

بل إننى لا أبالغ حين أزعم أن انهيار الاتحاد السوفيتى وانتصار الولايات المتحدة عليه كان سببه الأول هو الموقف من العلم. فلقد استبدل الاتحاد السوفيتى الأيديولوجيا بالعلم (وقصة العالم الدجال ليستكنو واستيلاؤه على عقل ستالين خير مثال لذلك)، بينما تبنت الولايات المتحدة العلم والمنهج العلمى فى

ف لو أننا تدارسنا هذا الخيط الطويل من المشاكل التى تواجهنا فى مصر: المشاكل الاقتصادية، مشاكل التنمية البشرية، مشاكل الأمن القومى، مشاكل الإرهاب والعنف، مشاكل نقص الإنتاجية، مشاكل البطالة، إلى آخر هذه المشاكل المتشابهة الصعبة التى تواجه بلدنا، لو أننا تفحصنا وتدارسنا هذا الخيط الطويل المعقد بحثاً عن العقدة، العقدة الأم، التى لو حللناها لسهل حل باقى العقد، لكانت هذه العقدة تتمثل فى غياب العلم والمنهج العلمى عن حياتنا. فبالعلم وبالمناهج العلمى يزداد الإنتاج وبالعلم تحسن الصحة، وبالعلم يشقى الطفل المريض ويعود له ابتسامته، وبالمناهج العلمى يشتد عود الأمن القومى، وبالمناهج العلمى تحل المشاكل الاقتصادية.

ولو نظرنا إلى شئون دول العالم حولنا لرأينا للتو واللحظة أن هناك

# الثقافة المصيرية

## سمير حنا صادق

التعليم زادت من التركيز على العلوم الأساسية والرياضيات.

بالعلم إذن وبالمناهج العلمية تتقدم الأمم ويسعد الإنسان وتزدهر الحضارات.

لتوينبى (A. Toynbee) نظرية تزعم أن الحضارات تزدهر وتندوى حسب التحديات التي تواجهها ووفقا لاستجابتها لهذه التحديات، ومن هنا ونحن الآن على مشارف القرن الواحد والعشرين، ونحن نواجه رغم عدة ثورات اقتصادية وسياسية واجتماعية موقفا أصبحت فيه حركتنا الفكرية أكثر تخلفا عما كانت عليه منذ العشرينيات، من هنا تصبح مناقشة رافد العلم في الثقافة المصرية موضوعا هاما للمناقشة، لأن عليها تتوقف مشكلة أن تكون أو لا نكون.

لكن لنبدأ أولا بمحاولة تعريف ما هو العلم، وما هو المنهج العلمي، وما هي الثقافة.

### ١- العلم والمنهج العلمي:

مثل الكثير من النشاطات الإنسانية، فإننا رغم معرفتنا بشكل عام بما نتحدث عنه، فإن التعريف «الجامع المانع» للعلم يواجه العديد من الصعوبات. ويزيد من هذه الصعوبات أن كلمة «علم» باللغة العربية ما زالت تعبر حتى الآن عن «المعرفة» بل هي تعبر أحيانا عن معان لا علاقة لها بالعلم فنحن نصف السيدة ذات العلاقة المحدودة جدا بالعلم بأنها «عالة».

والوضع هنا الآن مماثل ما كان عليه الأمر منذ قرون في الغرب، فالأصل اللاتيني لكلمة علم Science هو Scientia وهي تعنى المعرفة. ولكن في الاستعمال الحديث خلال القرنين الأخيرين أصبحت كلمة «علم» باللغة الإنجليزية Science تعنى أنواعا خاصة من المعرفة، بدأت بالمعرفة الخاصة ببعض العلوم الطبيعية التي كان يطلق عليها قبل ذلك اسم فلسفة

المليعة «Natural Philosophy». ولقد أصبح استعمال الكلمة الآن يشمل أفاقا مختلفة ومساحات شاسعة من المعرفة: فمن أجزاء الذرة إلى مجرة الطيور، ومن فسيولوجيا المخ إلى ولادة وموت الكواكب، ومن الهندسة الوراثية إلى علوم الاجتماع والاقتصاد.

ورغم صعوبة وضع هذه النشاطات جميعا تحت تعريف واحد يجمعها، إلا أنها تشترك بشكل عام في متطلبات معينة حتى تعتبر علوماً. ورغم اختلاف المتطلبات في نماذج Paradigms مختلفة بين علم وآخر، فإنها تشكل فيما بينها جميعا ما يطلق عليه اسم المنهج العلمي-Sci-entific Method فكل هذه العلوم للمتبانة تتطلب بشكل عام:

- مراقبة محايدة منظمة مدربة للطبيعة الميدانية أو لتجربة مضبوطة.
- فحص نتائج هذه المراقبة بعقل مدرب تدريباً خاصاً على المنطق والنقد.

## العلم في الثقافة المصرية

- استخراج قوانين عامة عن نتائج أعمال الفكر المدرب في نتائج المراقبة.

- تطبيق هذه القوانين على مراقبات أخرى، فإذا ظهر خلل في التطبيق بين القوانين المفترضة والظواهر الجديدة تعدل القوانين إلى ما يلغى هذا الخلل.

- وتبدأ دورة جديدة على مستوى أعلى.

صحيح أن هذا التسلسل قد لا يتبع أحيانا إلا جزئيا، وقد يختزل في علوم معينة، وقد يقوم باحث بإتمام عمل الآخرين، ولكن الخطوط العريضة لهذه العمليات مازالت تحكم الجانب الأكبر من النشاط الإنساني الذي نطلق عليه اسم «العلم» بالمفهوم الحديث.

ولقد مرت محاولات الإنسان لتفهم ما حوله بعمق بمراحل ثلاث كبرى يمكن تبسيطها كالآتي:

**ففى المرحلة الأولى: التى** تمثلت بوضوح فى عصر الفلاسفة الإغريق، كان الدور الأساسى للتفهم والمعرفة هو للعقل: لقد كان هؤلاء الفلاسفة يعملون عقولهم فيما حولهم وتخرجون بنتائج هذا الفكر: كان من هذه النتائج مثلا فكرة أن العالم يتكون من أربعة عناصر: الماء والتراب والنار والهواء.

**وفى المرحلة الثانية:** اكتشف الفلاسفة قيمة التجربة فتغلبت على العقل وأصبحت المعرفة مبنية أساسا على التجريب . Empiricism . وقد عبر عن هذه الفترة تماما الفلاسفة المسلمون الذين ازدهروا فى عصرهم منهج التجريب وانتشرت تجارب مثل محاولات تحويل المعادن إلى الذهب على أيدي الكيميائيين Alchemists .

**أما المرحلة الثالثة:** ففيها تم التفاعل بين التجربة والعقل على النحو الذى سبق ذكره عن مفهوم العلم الحديث.

فإذا عرفنا «العلم» بالمعنى الحديث (إعمال التجربة والعقل) فإننا سنلاحظ أنه لم يظهر إلا بشكل بسيط فى أيام مكتبة الإسكندرية (٣٠٠ ق م - ٣٠٠ ب م) وفى بعض المراكز أيام ازدهار الحضارة الإسلامية ثم اختفى تماما إلى أن ظهر علماء الفلك العظيم: كوبرنيكوس (N.Copernicus 1473-1543) وجاليليو (Galileo 1564-1642) وكبلر (J.Kepler 1571-1630).

ولقد تخصص العبيد من الفلاسفة فى موضوع العلم وأصبحوا بهذا «علماء العلم» ويلمع عندنا فى مصر العديد من الأسماء فى هذا المجال منها على سبيل المثال لا الحصر: الأستاذة الدكتوراة زكى نجيب محمود (رحمه الله) وفؤاد

زكريا وصلاح قنصوه ويمنى طريف الضولى. ولعل أحد أشهر هؤلاء الفلاسفة على المستوى العالمى هو كارل بوبر (K. Popper) الذى يعرف العلم بأنه «ما يمكن تكذيبه» ويصمد لاختبار التكذيب». ويحدد النشاط العلمى بأنه يدور دائما حول محاولة تكذيب ما يفترض من مفاهيم سابقة.

وفى حقيقة الأمر، فإننا لو دققنا النظر لاكتشفنا أن العلم ليس هو المعرفة وإنما هو «صناعة المعرفة». فالعلم يرتبط دائما بالبحث أو إعادة البحث Resear وعندما يتوقف البحث يتوقف العلم. والبحث يقوم على إعادة التساؤل عما سبق وضعه من قوانين وأفكار والشك فيها ومحاولة تعديلها وبناء معرفة جديدة. ومن هنا كانت أهم خواص العلم النمو المستمر بالشك المستمر. ولا يتم هذا النمو بالتراكم (مثلما يحدث فى الفنون والأدب) وإنما يتم بالتفاعل بين القديم والحديث والخروج كل يوم بصورة أوضح عن الظواهر التى ندرسها لنطويعها لخدمة البشرية وجعل الحياة أكثر سعادة وحرية. ومن هنا نستطيع أن نتفهم مقولة أوجست كونت (A. Comte 1798-1857) «إن تاريخ العلم هو العلم نفسه» .

ولا يمكن أن ننهى حديثنا عن العلم قبل تذكر أن المنهج العلمى قد

«مثقّفون» وهم ما يطلق عليهم  
باللغة الإنجليزية كلمة -Intellectu-  
als.

وتضيف بعض الموسوعات إلى  
هذا المعنى المتفق عليه عن الثقافة  
معنى آخر يحتوى على ما يدور بذهن  
الآباء والفنانين والعلماء والمفكرين  
من أفكار وأعمال تحاور الوضع  
الحالى للثقافة وتحاول الانتقال به  
إلى ما تظن أنه أفضل وأحسن.

والتسلية ووسائل الإنتاج والمعتقدات  
والخرافات والأساطير وعادات الأكل  
واللبس.. الخ التى تشترك فيها  
مجموعة معينة من الناس. بمثل هذا  
التعريف المقبول عالمياً، تصبح كلمة  
«مثقّف» بفتح أو بكسر القاف لا  
معنى لها. ونحن نستعمل هذه الكلمة  
عاملة بمعنى «عامل»  
بالفكر Intellectual. ومن أجل هذا  
نصف مجموعة من الناس بأنهم

انتقل الآن من مجرد التطبيق على ما  
كان يطلق عليه اسم العلوم الطبيعية  
(كالمبيعة والكيمياء وعلم الأحياء)  
إلى العلوم الإنسانية كالإقتصاد  
والعلوم الاجتماعية والإعلام  
والسياسة وعلم اللغات وعلم النفس.

ويتحدث بعض أعداء العلم من  
الجهلة عن أن العلم يرتكب أخطاء  
مستمرة ويكتب نفسه دائماً مما ينقى  
وظيفته، ولكن الحقيقة غير ذلك:  
فالذى يحدث فى النشاط العلمى هو  
زيادة الإيضاح وإلقاء ضوء أكثر على  
الحقائق. وتصوير العلم كمجموعة  
من المعلومات المشوشة الكاذبة خطر  
على حضارة أى أمة فى العصر  
الحديث ومقدمة لوقوعها فى أيدي  
الدجالين والمحتالين.

هذا هو العلم الآن ..

فما هى الثقافة؟

## ٢- الثقافة

كما هو الحال فيما يتعلق بالعلم،  
فإن تحديد تعريف مانع جامع للثقافة  
عملية صعبة. ويزيد من صعوبتها  
اختلاف المفهوم فى اللغة العربية عنه  
فى اللغات الأخرى.

وتعرف الموسوعات العلمية  
«الثقافة» Culture بأنها «مجموع  
العادات والتقاليد وأساليب المعيشة

زكى نجيب محمود



## العلم فى الثقافة المصرية

ولعله من المفيد ونحن نناقش رافد العلم فى الثقافة المصرية أن نتذكر لورد سنو (C. P. Snow) ومحاضراته الهامة فى أواخر الخمسينيات فى جامعة كامبريدج،

ويمثل لورد سنو ظاهرة إنسانية فريدة، فإلى جانب ما كتبه من إبداعات أدبية - ومنها العديد من الروايات الرائعة - فهو من أهم العلماء الذين ساهموا باكتشافاتهم فى مجالات علم الطبيعة. وفى خلال الحرب العالمية الثانية كلفه تشرشل بتكوين هيئة من العلماء تولت القيادة العلمية للحرب.

فى عام ١٩٥٩ ألقى لورد سنو فى جامعة كامبريدج محاضرة بعنوان «الثقافتان» The Two Cultures. وأحدثت هذه المحاضرة ضجة كبيرة ونشرت فى طبعات عديدة من الكتب ونشرت سلسلة فى بعض المجلات الأسبوعية الجادة مثل «السنداي تايمز» Sunday Times.

فماذا قال لورد سنو فى محاضرتة؟

قال سنو إنه كان يحكم الدراسة والعمل باحثاً فى علوم الطبيعة، وأنه كان يحكم الهوية أدبياً. وقال إنه بعد فترة من عمله فى كامبريدج لاحظ أنه كان يقضى نهاره بين العلماء ويقضى ليله بين الأدباء. وأنه كان ينتابه إحساس بأنه كان ينتقل بين مجموعتين مختلفتين من الناس،

صحيح أنهم من أصل واحد وطبقة واحدة ووضع اجتماعى متشابه، إلا أنه يفصل بينهم بحر كبير من الفواصل الفكرية. بل إن غياب التفاهم بين المجموعتين يصل أحيانا إلى درجة الكراهية المتبادلة.

وتتميز المجموعة الأدبية، فى رأى سنو، بميل أعضائها للميمين السياسى، ويأن أفرادها يعيلون إلى التشاؤم الاجتماعى الذى وصل ببعض قممها إلى الانضمام لصفوف الفاشيين مثل ازرا باوند (Ezra Pound) وبيتس (William Butler Yeats) ويندهام لويس (Wyndham Lewis) ويصل بالبعض الآخر إلى درجة العدمية واليأس مثل جورج أورويل (George Orwell).

أما مجموعة العلماء، وقد اتحت لسنو فرصة معاينة وحوار عشرات الآلاف منهم أثناء الحرب، فإنهم يتميزون بشئ من التساؤل الاجتماعى والاستبشار بالمستقبل، مما دفع بجانب كبير منهم للاشتراك فى الحرب الأهلية الأسبانية ضد فرانكو، وأن أغلبهم يميل لليسار السياسى، وإن أغلبهم لا يقرأ الأدب، وأقصى ما فعله بعضهم فى هذا المجال هو محاولة قراءة ديكتن، وأنهم رغم ذلك كانوا بشكل عام أكثر تفهما للكلمات التى يستعملونها مثل

«موضوعى» و«فلسفة» و«تقدمى»... الخ. ويلاحظ سنو أن العلماء، وإن كانوا أقل تزمنا فيما يتعلق بالدين، فإنهم كانوا أكثر تمسكا بشكل عام بالأخلاق، كما لاحظ أيضا أن علاقتهم بالفنون تتركز على الموسيقى الجادة وأحيانا على الفنون التشكيلية.

ويقول سنو: إن المبدعين الأدباء انغردوا فى غفلة من الزمان بلقب «المثقفين»، Intellectuals وللورد سنو مقولة مشهورة فى هذا المجال: إن يقول إنه اكتشف بعد أن استقره عدة مرات أنه يسؤالهم عن القانون الثانى للحركة الحرارية Thermodynamic (فى رأيه المعادل العلمى لقراءة شكسبير) اتضح له جهلهم التام به.

ويستخلص من كلام لورد سنو فى هذا المجال أنه كما أننا لا نعتبر الجراح أو عالم الفيزياء مثقفاً Intellectual فى هذه الأيام إلا لو كان قرا تشيكوف ودوستوفسكى وسارتر وشكسبير، وسمع شوستاكوفتش وبريلوز وإلجار ورأى رسومات ماتيس وجوجان ورفائيل وبيكاسو، فإننا يجب ألا نعتبر الكاتب المسرحى أو الروائى أو المؤلف الموسيقى مثقفا ما لم يكن قد قرأ عن النظريات التى غيرت الفكر الإنسانى مثل نظريات التطور والكم والنسبية، وما لم يكن يعرف شيئاً عن الهندسة الوراثية ونظرية المعلومات.



كبيرة من الصخور والركام في هذا الطريق، لهذا فقد أصبح في منتهى الأهمية أن نحقق ثقافتنا بأسرع ما يمكن بكل الطرق بجرعات كبيرة من الثقافة العلمية حتى نصبح جديرين بأن نعيش المستقبل .

فما هو الطريق إلى ذلك؟

إن الطريق إلى ذلك يمر بثلاث دوائر أساسية وبيعض المناطق الصامة. والدوائر الأساسية هي الإعلام والتعليم والثقافة ■

هوة السقوط من قافلة التاريخ، فلا بد لكل المشغولين بمستقبل هذا البلد من العمل من أجل إدخال رافد العلم والمنهج العلمي والتفكير العلمي والمنطق العلمي كمكون أساسي وكرافد هام في تيار الثقافة القومية لهذا البلد.

فنحن في مصر نمر الآن بمأزق حضارى خطير لا خروج منه إلى المستقبل إلا عن طريق العلم. وقد وضعنا سياسات خاطئة عقبات

ويخلص لورد سنو إلى أن هذا الاستقطاب بين المجموعتين كارثة للجميع وخسارة فادحة للمجتمع. ويقول إنه إذا استمر تجاهل العلماء للادب وازدراء الأدباء للعلم فإن مستقبل بلادنا يصبح معرضاً للخطر.

هذا تلخيص لبعض ما قاله سنو في محاضراته الرائعة الطويلة (٥٢ صفحة من القطع الصغير)، فما علاقة هذا كله بنا في مصر؟

إن النظرة الشاملة للمثقفين في بلادنا يتضح منها الغياب المطلق لمجموعة العلماء، فقد هجر الجانب الأكبر من علمائنا العلم والثقافة العلمية، الفلة منهم إلى الثقافة الأدبية والبقية إلى ما غير الثقافة كلية.

فإذا أخذنا بالاعتبار ازدياده التليفزيون - جهاز الإعلام الرئيسى - للثقافة عموماً والعداء الشديد الذى يكتفه للعلم، وإذا تدارسنا ضعف التربية العلمية لابنائنا في المدارس، إذا تذكرنا كل ذلك، لتضح لنا خطورة ما نحن به من تخلف.

فإذا كانت الثقافة هي «مجموع العادات والتقاليد وأساليب المعيشة... الخ التى تشترك فيها مجموعة من الناس» وإذا كان العلم والمنهج العلمى هو الطريق إلى دخول القرن الواحد والعشرين و إلى الإنقاذ من



عزرا باوند

# السياسة الثقافية فى ضوء

يرى الكاتب هنا أن الثقافة هي منظومة تضم فى إطارها الإبداع الفنى والمعارف العلمية ووسائل نشر الإبداع والمعارف والمعلومات والتعليم وطرق الإنتاج. لكنه هنا يركز على الجانب المتصل بالمعلومات ووسائل الاتصال الجماهيرى القائمة على تكنولوجيات الاتصال الحديث.

ونستطيع أن نخلص من هذا التعريف الذى اصطلح عليه جمهوره الاجتماعيين والمعينين بشئون الثقافة، إلى أن «السياسة» لا تعدو أن تكون بلورة وتصبيدا للفكر الذى يوجه النشاط فى مجال معين أو الرؤية والفلسفة التى يتبناها واضعوهذه السياسة من أجل تحقيق ما يعتقدون أنه يمثل طموحات المجتمع، فى فترة زمنية معينة.

ومن هنا كان الفرق بين السياسات والخطط التى يظلم عليها الطابع العملى الذى يقود إلى تنفيذ السياسات.

وهذا هو المفهوم الذى انطلقت منه أعمال «لجنة الخطة الشاملة للثقافة العربية»، وأثبتته فى مقدمتها (ص ٢٤ ط٢) بهذه العبارات الواضحة:

«كانت اللجنة تدرك أن وضع الخطة يقتضى (أولا) تحديد المنظور المستقبلى العربى، والرؤية الواضحة

عن بقية العناصر إلا على سبيل الدراسة والبحث.

وستركز هذه الدراسة على الجانب المتصل بالمعلومات غير المتخصصة والإبداع الفنى إنتاجا ونشرا، على الأخص عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرى المعتمدة على تكنولوجيات الاتصال الحديثة.

## أولا : حول السياسات الثقافية

### ١ - تعريفها ومكوناتها

تشير لفظة «سياسة» بمفهومها العام، إلى «تفكير منظم، يوجه سلوك وتصرفات وإبرام دولة أو منظمة أو فرد». وبالتالي فمن الممكن تعريف السياسة الثقافية بأنها تفكير منظم، يوجه الأنشطة والمشروعات فى ميادين العمل الثقافى، لتحقيق الأهداف التى يتطلع المجتمع والأفراد إلى تحقيقها، فى ضوء الظروف والإمكانات المتاحة.

ف من المعروف أن الثقافة بمعناها الشامل تشمل عددا من الجوانب، يأتى على رأسها: الجانب المعرفى - والجانب الإبداعى - والجانب المتعلق بالقيم وأنماط السلوك.

وبالتالى فمن الممكن اعتبار الثقافة «منظومة» تضم فى إطارها الإبداع الفنى، والمعارف العلمية، ووسائل نشر الإبداع والمعارف والمعلومات، والتعليم والتعلم النظامى وغير النظامى، وطرق الإنتاج فى المجتمع، وتوزيع الناتج القومى والفردى، وفوق هذا وذاك، العقائد والقيم وأنماط السلوك السائدة، وعلاقتها بقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية المختلفة.

والذى لا شك فيه أن العناصر المتنوعة لهذه المنظومة تتفاعل مع بعضها البعض، فى سلسلة لا متناهية من عملية التأثير والتأثر، بحيث يستحيل فصل أى عنصر منها

# تطور التقنيات فى مجال الإتصال

## سعد لبيب

أولوياتها وفقا لظروف المجتمع وطموحاته فى فترة زمنية معينة، وبالتالي صياغة الأهداف الثقافية التى لابد من تحقيقها لمواجهة هذه الاحتياجات والاتفاق على المناهج والأساليب التى ينبغى اتباعها لتحديد الاحتياجات.

٢ - تحديد مجالات العمل وأنواع الأنشطة التى تتناولها السياسة الثقافية بشكل مباشر أو غير مباشر، فالأنشطة الإعلامية مثلا لابد أن تكون مجالا رئيسيا من مجالات التحرك الثقافى على الأخص فى هذا العصر الذى تطورت فيه تكنولوجيا الاتصال تطورا هائلا. فوسائل الإعلام الجماهيرى من تليفزيون وإذاعة وصحافة تتولى نشر الرسائل الثقافية وتعميمها على الجمهور بفئاته المختلفة، وسواء كانت هذه الرسائل محلية أو أجنبية المصدر، بالإضافة إلى أنها من الأجهزة المنتجة للعواد الثقافية شأنها شأن المسرح والسينما ونور الطباعة

المختلفة، على الأخص منها وسائل الاتصال الجماهيرى، من أجل تحقيق أفضل النتائج الاجتماعية الممكنة، فى إطار النموذج السياسى والاجتماعى والاقتصادى الذى تأخذ به الدولة.

أما «التخطيط» فهو توظيف الإمكانيات البشرية والمادية المتاحة أو التى يمكن أن تتاح خلال سنوات الخطة، من أجل تحقيق الأهداف التى رسمتها «السياسة»، مع الاستخدام الأمثل لهذه الإمكانيات.

فوضع الخطط إذن هو المرحلة التالية لرسم السياسات.

ووفقا لهذا المنظور فى فهم السياسات، فإن تناول السياسات الثقافية لا يمكن أن يقف عند تحديد الطموحات أو الأهداف العامة التى ينبغى تحقيقها بخطط مرحلية، شاملة أو نوعية، بل لابد أن يمتد كذلك إلى المحاور التالية:

١ - استكشاف الاحتياجات الثقافية العامة والنوعية، وتحديد

لنوع الإنسان الذى نريد، وشكل المجتمع الذى نبني، وبناء نظرية ثقافية متكاملة على أساس ذلك، لتكون الإطار المرجعى للسياسات الثقافية العربية فى تنوعاتها القطرية، وضمن تحديات الغد الثقافى ومتغيراته.

ومن هذا المنطلق أيضا، ويمزج من التفاصيل والإيضاح، كان التعريف الذى أخذت به «اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال فى الوطن العربى» فى تقريرها عن الإعلام العربى حاضرا ومستقبلا (المنظمة، ١٩٨٧، ص ٦٦)، حيث ذكرت أن المقصود بسياسات الاتصال فى هذا التقرير (وهو ما يمكن أن ينطبق بنصه على السياسات الثقافية):

«مجموع المبادئ والمعايير التى تحكم نشاط الدولة تجاه عمليات، تنظيم، وإدارة، ورقابة، وتقييم، ومواسعة نظم وأشكال الاتصال

## السياسة الثقافية في مجال الإتصال

والنشر، كما أن المؤسسات التعليمية لها دورها في نشر الثقافة، سواء في إطار التعليم النظامي أو التعليم غير النظامي.

٣ - تصعيد دور الدولة في النشاط الثقافي، وواجبها في توفير البنية الأساسية اللازمة لهذه الأنشطة، سواء عن طريق أجهزتها المختصة ويتمويل منها، أو بالاعتماد كلياً أو جزئياً على المبادرات الفردية ونشاط المؤسسات الأهلية غير الحكومية.

٤ - ويتصل بهذا وضع المعايير الخاصة بملكية المرافق الثقافية والإعلامية وطريقة إدارتها، وترجيئها ومدى قدرة الأفراد والجهات غير الحكومية على الحركة والإبداع.

٥ - ويقتضى كل هذا وضع التشريعات واللوائح التي تعاون في تقنين السياسات ووضعها موضع التنفيذ.

٦ - وأخيراً يأتي دور التقويم وطرقه ومناهجه التي ينبغي توفيرها لتواكب الأنشطة الثقافية وتتابعها لمعرفة مدى كفاءتها في تحقيق الأهداف المحددة لهذه الأنشطة.

وسنكتفي هنا بتفصيل بعض من الأبعاد التي تتضمنها السياسات الثقافية مما يتصل بموضوع هذه الدراسة، وهما على التوالي: تحديد

الاحتياجات الثقافية، والاتصال الجماهيري.

### ٢ - الاحتياجات الثقافية

إذا كان تصعيد الأهداف هو الغرض الأساسي لأي سياسة ثقافية، فإن هذا التحديد لا يمكن أن يتم إلا عن أحد طريقتين، الأولى هو رؤية النخبة أو الصفوة السنولة عن وضع السياسة الثقافية، وقد تكون هذه الصفوة هي وحدها المثلة لسلطة الدولة، وقد تشاركها في رسم السياسة الثقافية المؤسسات غير الرسمية المعنية بشئون الثقافة، أو صفوة من المثقفين. وفي هذه الحالة تكون الرؤية معرضة للانحياز السياسي للسلطة أو للتصورات والاجتهادات الشخصية التي قد تنقصر إلى الموضوعية، ولكنها لازمة في كل الأحوال، إذ إنها تعبر عن المسؤولية الاجتماعية والثقافية للدولة، وللصفوة.

أما الطريق الثاني فيتمثل في البحوث التي تجرى للتعرف على الواقع الثقافي والاحتياجات الثقافية لفئات الجمهور المختلفة.

وينبغي هنا التمييز بين «الاحتياجات» الثقافية، و«المطالب» الثقافية. ويستند هذا التمييز إلى معيار الإعلان والكمون، بمعنى أن الاحتياجات الثقافية قد تظل كامنة

غير معنونة، وبالتالي يصعب التعرف عليها إلا عندما تأخذ شكل المطالبة. أي أن المطلب الثقافي يعتبر الوجه الواضح والمعلن عن الاحتياج الثقافي، والمعبّر الفعلي والواقعي عنه.

ويقودنا التمييز بين المفهومين إلى أهمية توافر المكون الثقافي، والعلم بوجوده، والرغبة في الحصول عليه، مع القدرة على ذلك. فالإنسان لا يمكن أن يحتاج إلى ما لا يعرف، أو ما لا وجود له، أو ما لا يرغب في الحصول عليه.

ويميز البعض هنا بين البعدين المطلق والنسبي للاحتياجات. فالاحتياجات المطلقة هي الحد الأدنى الذي تفرضه المواقف الإنسانية للمجتمع في ظروف معينة، أما لاحتياجات النسبية فتربط بالذوق الخاص لفئات من هذا المجتمع، ويتربط على إشباعها نوع من السمو أو التميز، وبالتالي فهي متجددة ومتنوعة.

وهناك أيضاً مفهوم «الاحتياجات الأساسية»، والشق المعنوي منها يتعلق بقيم المشاركة والمساواة والحقوق الإنسانية، وهي في جوهرها عناصر ثقافية تتحدد في الإطار المجتمعي الذي توجد فيه، وبالتالي فرغم أنها أساسية، إلا أنها

نسبية تختلف باختلاف المجتمعات، كما تختلف في ضوء المتغيرات الاجتماعية كالتعليم والجنس والمهنة والسن.

ولابد من الاشارة هنا إلى إمكانية وجود وعي لدى الأفراد باحتياجاتهم الثقافية، ولكنها لا ترقى إلى مرحلة المطالبة بها، لأسباب مختلفة.

وهكذا نرى أنه رغم أهمية تحديد الاحتياجات الثقافية كمنطلق لتحديد أهداف السياسات الثقافية، إلا أن المداخل إلى هذا التحديد متنوعة، ولكل مدخل منها إيجابياته وسلبياته، ويقتضى في كل الأحوال العديد من البحوث الثقافية ذات المناهج المتعددة.

### ٣ - الحاجة إلى ثقافة العلم

وفي هذا العصر - عصر العلم والتكنولوجيا وثورة المعلومات - لابد أن يكون المواطن العربي مؤهلاً للعيش مع العصر، قادراً على استيعابه والإسهام فيه، فقد أصبح المجتمع يعتمد اعتماداً متزايداً على العلم وتطبيقاته في تنمية موارده وتطوير خدماته التعليمية والصحية والثقافية والإعلامية. ولابد أن يكون الوعى بدور العلم والتكنولوجيا والمعلومات وعياً شاملاً يمتد إلى كل القوى المؤثرة في المجتمع.

والتكنولوجيا وإن كانت قد سبقت العلم تاريخياً، إذ اعتمد عليها الناس رغم بدائيتها منذ تشكلت المجتمعات البشرية، ورغم أنهم لم يعلموا شيئاً عن أسسها الفكرية والعلمية، إلا أن الوضع تحول في المجتمع المعاصر، إذ توثقت العلاقة بين العلم والمعلومات والإنجازات التكنولوجية، فالعلم يفتح الطريق أمام التطور التكنولوجي، والتكنولوجيا المتطورة تتيح للعلم تقنيات ووسائل تزيد من قدرته على ارتياد مجالات أوسع، وبالتالي تزيد قدرة المجتمع على التنمية في جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية. كما ينبغي أن يكون هناك ارتباط بتيار الوعى العالى الذى يؤكد على أن العلم والتكنولوجيا يقدمان إضافات واضحة للإرادة الاجتماعية والسياسية للمجتمعات المختلفة، للتحكم في أقدارها، وتوفير وسائل القوة اللازمة لتحقيق ذلك، وإمداد المجتمعات باحتياجات واسعة النطاق لما يمكن أن يكون عليه مصير البشر في هذه المجتمعات.

والقاعدة المستقرة تاريخياً هي أن العلم والتكنولوجيا لا يصبحان قوة من أجل تغيير أى مجتمع إلا عند ارتباطهما عضويًا مع مجمل الموارد الثقافية في هذا المجتمع، بحيث يكونان معاً مورداً لبناء مستقبل

جديد له، وهكذا فإن الجهود العلمية والتكنولوجية تعبر في أسسها إشكاليها عن الجانب البناء والخلاق لعقل الإنسان وروحه، وأى حضارة أو ثقافة تتجاهل هذا لا يمكن اعتبارها كاملة أو شاملة.

وقد أتاح الظروف في الماضى وفي الحاضر فرص الاختيار بين العلم والا علم، أى بين التقدم والتخلف، ذلك لأن ضغوط العلاقة بين الجماعة والموارد الطبيعية والتنمية أتاح فرص البقاء واستمرار الحياة في ظل التخلف العلمى والتكنولوجي، وخريطة العالم اليوم تبرز التباينات فيما بين الجماعات البشرية. أما في المستقبل القريب فلن يتاح البقاء للمتخلفين: العلم سبيل البقاء، والا علم سبيل الدمار، ذلك لأن العلم وتطبيقاته هو السبيل الوحيد لتحقيق التنمية المتواصلة التي تتيج الموارد ومتطلبات الحياة للأجيال المتوالية في المجتمع. والخيار بين العلم والا علم لن يكون متاحاً في القرن الحادى والعشرين.

واختيار العلم ليس بمجرد الكلام، ولكنه بالعمل والقبول الاجتماعى المخلص. ونقصد بالقبول الاجتماعى أن تتسع دائرة الاقتناع بأهمية العلم وجدواه بين عناصر المجتمع جميعاً، من إدارة الحكومة العليا إلى الناس قرائى. ومن ثم

### ٤ - ديمقراطية الثقافة وثقافة الديمقراطية

ولابد أن يدخل في الاحتياجات الثقافية العمل على «ديمقراطية الثقافة»، بمعنى توسيع قاعدة المشاركة في العمل الثقافي، وهي من القواعد الأساسية لأية تنمية ثقافية، استنادا إلى «الحق في الثقافة» وهو من حقوق الإنسان الأساسية. وزيادة المشاركة في الحياة الثقافية تعنى توسيع تلك الفئة من المجتمع التي يطلق عليها اسم فئة المثقفين، وهي الفئة المنتجة للثقافة، وهي كذلك المستهلكة لها. فالمثقف إنسان ينتج الثقافة من جانب، ويستهلكها من جانب آخر..

وتتطلب عملية زيادة المشاركة في الحياة الثقافية، أو ديمقراطية الثقافة، استنباط عدد من الوسائل الكفيلة بخلاق الرغبة لدى الأفراد والجماعات للدخول في العملية الثقافية إنتاجا واستهلاكاً.

ويتناقش «الحق في الثقافة» مع «الحق في الاتصال والإعلام»، وهو الذي أثار ومازال يثير العديد من المناقشات والأفكار، وهو يستند أساسا إلى حاجة الإنسان إلى الاتصال، وهي حاجة إنسانية، نشأت منذ نشوء المجتمعات البشرية. حاجة الفرد إلى الاتصال بغيره من الأفراد،

يصبح من الواجب العمل على إشاعة الثقافة العلمية والمنهج العلمي في مؤسسات المجتمع جميعا، سواء في ذلك المؤسسات التشريعية والتنفيذية والمؤسسات الأهلية والتنظيمات الجماهيرية.

ويرتبط باعتماد النشاط الثقافي على الفهم الواعي لدور العلم كمكون رئيسي للثقافة، وممارسة التفكير العلمي، والقدرة على التعامل مع آليات التكنولوجيا، ونظم المعلومات. والتفكير العلمي هو أسلوب في التفكير يعتمد على العقل والبرهان المقنع بالتجسرية أو اللبيل. وهو التفكير الذي يسعى إلى التحرر من مخلفات عصور الجهل والخرافة عن طريق الاعتماد على المنطق، في كل شئون الحياة اليومية. وهو التفكير الذي يتضمن مجموعة من المبادئ، يطبقها الفرد دون أن يشعر بها شعورا واعيا، مثل مبدأ استحالة حدوث الشيء ونقيضه في آن واحد، أو أن لكل حادث سببا، أو استحالة حدوث شيء من لا شيء. كما يقتضى التفكير العلمي القدرة على استيعاب الجديد، وترك ما أثبتت التجربة العلمية عدم صدقه أو قصوره، وبالتالي فمن خصائصه المرونة وعدم التعصب، وريظ الفكر بالعمل.

يتبادل معهم المعلومات والأفكار ويعبر عما في نفسه بكل أشكال التعبير المتداولة، ويتلقى من الآخرين ما لا يعرف، ويعطيهم ما يعرف، ويتشارك الجميع في المتعة والتواصل الحي. وتغيير «وسائل» الاتصال ومناير التعبير وطرقه، لا يعنى تغييرا في طبيعة هذه الظاهرة الاجتماعية، بل المفروض أن تطور هذه الوسائل ووسائل النقل والنشر ومناير العرض، يؤدي إلى تفضية هذه الظاهرة وتنميتها، وبالتالي تنمية المجتمعات البشرية ذاتها. وزاد من هذه المناقشة حول «حق الثقافة والاتصال»، التقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال التي أدت إلى ظهور نظم وخدمات اتصالية جديدة أكثر مرونة وتنوعا.

وإذا كانت ضرورة زيادة المشاركة في العملية الثقافية أدت إلى نشوء مبدأ الحق في الثقافة، أو ديمقراطية الثقافة، فإن هذا المبدأ يرتبط ارتباطا عضويا بمبدأ آخر، هو ضرورة توفير وسائل «الانتفاع» بالثقافة. أي أن الحديث عن ديمقراطية الثقافة يعنى بالضرورة الحديث عن حقى «المشاركة» والانتفاع.

ويقتضى الحق في «الانتفاع» بالنشاط الثقافي والمشاركة فيه، مسئولية المجتمع بمؤسساته الرسمية

وغير الرسمية وبالمبادرات الفردية، في إتاحة وسائل الاتصال ومنابر التعبير الثقافي لكل فئات المجتمع، بصرف النظر عن موقعهم الجغرافي أو الاجتماعي، حتى لا تكون هذه الوسائل والمنابر احتكاراً للصفوة دون غيرهم، حتى ولو كانت هذه الصفوة أقدر على الإفادة من بعض النشاط الثقافي، ولا تكون وقفاً على سكان المدن دون سكان الريف أو المناطق المعزولة، ولا تقتصر المتعلمون دون غيرهم، ولا تقتصر على التعبير عن فئة اجتماعية متميزة وتمثل الفئات الأخرى، سواء كان مصدر هذا التمييز هو الجنس أو العنصر أو الدين أو الانتماء السياسي.

وليس معنى هذا ألا تكون هناك وسائل أو منابر للعمل الثقافي متخصمه لأي فريق من هؤلاء، فهذا ادعى إلى مزيد من التواضع الثقافي بكل ما يحققه من أهداف، وينشط البيئة الثقافية والاجتماعية للمجتمع كله، وإنما المقصود هو إتاحة فرص الانتفاع بالعمل الثقافي لكل هذه الفرق لكي تتواصل فيما بينها، ومع الآخرين، والعمل على عدم حرمان أى منها من هذا الحق.

ويعنى حق «الانتفاع» بالعمل الثقافي والاتصالي، توفير الوسائل وفرص التعبير الخاصة لكل

المجتمعات المحلية أو ذات السمات الخاصة، التي تربط بينها عوامل تحد ذاتيتها، سواء كانت جغرافية أو عرقية أو مهنية، وهى تمثل كلها روافد للعمل الثقافي العربى سواء على المستوى القطرى أو القومى.

وإذا كانت «ديمقراطية الثقافية» تعنى زيادة حجم المشاركة في العمل الثقافي والانتفاع به، فإن «ثقافة الديمقراطية» تعنى شيئاً مختلفاً، وإن كانت العلاقة بينهما وثيقة الارتباط، ارتباط الوسيلة والشكل بالضمون... فالمواطن الذي ينبغي أن تعمل الثقافة على صقله في هذا العصر الذي نعيشه، والذي سقطت فيه الأيديولوجيات التي تعمل على قهر روح الفرد في سبيل سيطرة صفوة سياسية أو اجتماعية مهما حسنت نياتها، هو المواطن الذي يقدر الحرية له وللآخرين، واحترام ذاته وذوات الآخرين، والقادر على المبادرة، والمشاركة النشطة والواعية والمسئولة في حياة مجتمعه، والذي يحرص على استقلاليته وحرية في الاختيار مع الموازنة بينها وبين الانتماء إلى الجماعة، والتضامن الجماعي والتطلعات المشتركة.

ونقطة البدء في بناء مجتمع ديموقراطي، ليست الهياكل والمؤسسات على أهميتها، بل الفرد الذي تكونت لديه ثقافة ديموقراطية

نابعة من إحساسه بالحرية والمسئولية والمشاركة في القيم، وإن اختلف أسلوب التعبير عنها.

٥ - الثقافة ووسائل الاتصال الجماهيرى

يتميز المنتج الثقافي سواء في الكتاب أو المسرح أو السينما أو الراديو أو التلفزيون أو غيرها، بأنه معد أصلاً للاستهلاك. فعملية الإبداع الثقافي لا يمكن أن تكتمل إلا إذا تلقاها الجمهور المستهدف، تماماً كعملية الإعلامية، لا تكتمل إلا إذا توافر متلق للرسالة الإعلامية التي ينتجها القائم بالاتصال (الإعلامي)، عبر وسيلة من وسائل الاتصال أو الإعلام الجماهيرى. فالاستهلاك الثقافي مرتبط ارتباطاً عضوياً بالإنتاج الثقافي، ومن ثم كان لابد من توافر وسيلة التوصيل أو التواصل أو النشر أو البث، وفقاً لطبيعة كل حالة، لكي تكتمل الدائرة. فالوسائل الثقافية والاتصالية تمثل البنية الأساسية للنشاط الثقافي، ونعنى بها دور النشر والتوزيع والمسارح ودور العرض السينمائي، ومعارض الفنون التشكيلية، وقاعات الندوات والمحاضرات، ثم، وليس هذا بترتيب الأهمية، الراديو والتلفزيون وما يتصل بهما من شرائط الكاسيت الصوتي والفيديو.

## السياسة الثقافية في مجال الإتصال

أيضا في حالة المعارض التشكيلية وقاعة المحاضرات والندوات وغيرها من المؤسسات الثقافية.

على أن الإذاعة بالراديو والتلفزيون ليست فقط وسيلة لنشر الإنتاج الثقافي والإبداعي والإعلام عنه، بل إنها أيضا وسيلة من وسائل إنتاجه. ولهذا الإنتاج سماته الخاصة من حيث الشكل والمحتوى، والتي تختلف كلياً أو جزئياً عن سمات الإنتاج الثقافي والإبداعي في الوسائل الأخرى، وإن كانت تتأثر به أشد التأثير.

ولكن هناك الكثير من المأخذ على الإنتاج الثقافي للراديو والتلفزيون، فهو إذ يحاول التوجه عادة إلى الفئات المخططة من الجمهور، يعتمد إلى التيسيط الشديد بل والسطحية ومخاطبة الفئات الثقافية المتوسطة والدنيا في المجتمع، ويترخس في استخدام اللغة العربية، ويعتمد كثيرا إلى اللهجات العامية، بالإضافة إلى خضوعه التام لأفكار وتوجهات السلطة الحاكمة مما يحد من حرية الإبداع والتعبير.

على أن هذا لا ينفي أن بعض الخدمات أو البرامج الإذاعية والتلفزيونية تتوجه إلى فئات خاصة من الجمهور، وتقدم لها ما يتناسب مع ثقافتها وأذواقها.

الأحوال لوسائل الاتصال الثقافية التقليدية.

فالتلقي عن طريق الراديو والتلفزيون يتسم بالسلبية، مقارنة بالكتاب أو المجلة أو الصحيفة التي تتطلب قدرا من المشاركة بالجهد الذي يبذله القارئ لاستيعاب الأفكار والمعلومات الواردة بها وتخليها.

وإذا كان الراديو يعمل على تنشيط الخيال لدى المستمع لتعقل ما يصفه من أحداث وما يقدمه من شخصيات، فإن الكتاب أقدر على هذا التنشيط إذ تكون الكلمة المكتوبة مجسدة من الأصوات والمؤثرات وألوان الموسيقى التصويرية التي يستمع بها الراديو وتساعد المستمع على التخيل. وينعدم الخيال والمشاركة الإيجابية في المتلقي في حالة التلفزيون.

ثم إن مشاهدة العرض المسرحي ممجلا في التلفزيون أو الفيديو يفقد المشاهد متعة «الفرجة» الحية والتعامل المباشر مع المؤدين والانفعال والتفاعل معهم. كما يفقد مشاهد السينما في التلفزيون متعة الصورة الجميلة على شاشة السينما بتفاصيلها. وفي الحالين يفقد متعة التجمع مع الناس في صالة العرض المسرحي أو السينمائي والتواصل مع انفعالاتهم، وهو ما يمكن أن يقال

بل إن الثابت على سبيل القطع أن انتشار أجهزة استقبال الراديو والتلفزيون يفوق آلاف المرات انتشار الكتب والمسارح والمعارض وندور السينما وغيرها من المؤسسات الثقافية. وعلى سبيل المثال، فإن المسرحية التي يعرضها التلفزيون في سهرة واحدة، تصل إلى عدد من المشاهدين يفوق عدد رواد المسرحية إذا استمر عرضها عشر سنوات متوالية.

وعلى عكس المنتجات المادية التي تفقد قيمتها باستهلاكها، فإن المنتجات الثقافية تزيد قيمتها إذا استهلكت، ويتضاعف تأثيرها بزيادة حجم المستهلكين لها. ومن ثم كان لابد من اتباع كل الوسائل المتاحة والملائمة لنشر الإنتاج الثقافي، سواء على مستوى الجمهور العريض، أو على فئات منه حسب نوعية الإنتاج والهدف منه.

ومن هنا يأتي دور وسائل الاتصال الجماهيري من تلفزيون وإذاعة وصحافة. وقد دعمت التكنولوجيا الحديثة قدراتها - في نشر الإنتاج الثقافي المناسب.

ولكن لابد من التأكيد هنا على أن وسائل الاتصال الجماهيري المستندة إلى تكنولوجيا الاتصال الحديثة، ليست البديل في كل



على أن عيوب السطحية والتناول الخج في الإنتاج الثقافى، أصبح من الأمور التى انتشرت كذلك فى الإنتاج المسرحى والسينمائى، بل وفيما ينشر من كتب، بحيث أصبحت ظاهرة لا بد لها من المواجهة الشاملة.

## ثانيا: تكنولوجيا الاتصال الحديثة

### واتجاهات المستقبل:

يتميز هذا العصر بالتقدم المذهل والمستمر فى تكنولوجيا الاتصال، ونعنى بها هنا التكنولوجيا المستخدمة بالتحديد فى وسائل الاتصال الجماهيرى من تليفزيون وإذاعة مسموعة وصحافة، سواء من حيث إنتاج موادها أو نشره وبثه وتوصيله إلى الناس بالوسائل المختلفة.

والتطور فى تكنولوجيا الاتصال فى العالم ليس مفصلا عن التطور التكنولوجى بشكل عام، والذى يمتد إلى كافة مجالات الإنتاج الصناعى والزراعى ومجالات الطب والهندسة وإنتاج وتوزيع المعلومات وغيرها الكثير من كل ما يتصل بحياتنا المعاصرة. وهو يعتمد أساسا على التطور العلمى البالغ التخصص، والتقدم فى مجال البحوث العلمية، والموارد المادية الضخمة، وفوق هذا، وذلك توفر المناخ العام الذى يسوده

التفكير العلمى وينأى عن الخرافة والأفكار الجامدة غير القابلة للبحث والتجريب.

والعلم وما يوفره من معلومات وما يؤدى إليه من إنجازات التكنولوجيا، هو مصدر للقوة، وبالتالي مصدر للسيطرة. فاليد الطولى هى لمن يعلم ويملك، فى مواجهة الذين لا يعلمون ولا يملكون.

ومن هنا كان حرص الذين يعلمون ويملكون، على احتكار المعلومات والمعرفة التكنولوجية التى توصلوا إليها، للإبقاء على مصدر السلطة والثروة. وهكذا انفردت بإنتاج تكنولوجيا الاتصال الحديثة. شأنها شأن غيرها من التكنولوجيات -

مجموعة من المراكز المحدودة فى عدد من الدول، تتكامل فيما بينها فى بعض الأحيان نظرا لما تستلزمه من تخصصات دقيقة قد تتوفر هنا ولا تتوفر هناك، وتتنافس وتتصارع على الأسواق فى أحيان أخرى. ولكنها فى كل الأحوال تتفق جميعا على أن تظل محتظة بالأسرار الدقيقة للتكنولوجيا التى تنتجها كل منها، حتى يظل الذين لا يعرفون، معتمدين على الذين يعرفون ويملكون.

ومن هنا كان البعد السياسى والاقتصادى والثقافى فى التعامل مع تكنولوجيا الاتصال الحديثة معا

ينبغى الالتفات إليه، وقد نبهت إلى هذه الحقيقة فى أكثر من موضع تقارير اللجان المتخصصة الدولية والعربية - وهى أن «التكنولوجيا ليست محايدة».

واعتماد التكنولوجيا الاتصالية حديثة، أو تقليدية، مسألة نسبية تتوقف على ظروف كل مجتمع، فإذا كان التليفزيون أو الفيديو مثلا أصبحا من التكنولوجيات التقليدية فى المجتمعات المتقدمة، إلا أنها مازالت تعتبر من التكنولوجيات الحديثة فى الوطن العربى وغيره من مناطق العالم الآخذة فى النمو، وهو ما ينطبق على بقية التكنولوجيات الاتصالية.

## ١ - التطورات الحالية فى تكنولوجيا الاتصال

وما يهمنا هنا بطبيعة الحال هو التكنولوجيا الاتصالية الحديثة المستخدمة فى الوطن العربى، فى مجالات الإنتاج والبث التليفزيونى والإذاعى وطباعة الصحف وتوزيعها وما يتصل بهذا وذاك من وسائل ومجالات فرعية:

(١) فى مجال التليفزيون وبالنسبة لإنتاج اللواد التليفزيونية المختلفة بدأ استخدام أنواع من الكاميرات الإلكترونية الخفيفة المحمولة وما يتبعها من معدات

## السياسة الثقافية في مجال الاتصال

(ب) وفي مجال الإذاعة الصوتية (الراديو) تطورت إمكانيات الميكروفونات وأنواعها التي تستجيب لأشكال الإنتاج الإذاعي المختلفة، كما تطورت أجهزة التسجيل على الأخص الصغيرة والمحمولة بحيث يمكن التحرك بها في أى مكان، وهى ذاتية الطاقة. أو لوسائل التسجيل الموسيقى والغنائى والدرامى فقد تطورت كذلك بحيث تسمح بالاستعانة فى التسجيل أو البث بما يصل إلى أربعين مصدرا للصوت فى وقت واحد، هذا بالإضافة إلى بدء استخدام الصوت المجسم (الاستريو) على الأخص فى التسجيلات الموسيقية.

أما بالنسبة للبث فقد عم استخدام موجات التشكيل الترددى - FM - لتغطية المساحات المحدودة، فى المدن الكبيرة وضواحيها، بجودة صوتية عالية، وزادت قوة محطات الإرسال على الموجة المتوسطة بحيث أصبحت تغطي مساحات واسعة من الأرض العربية من أى نقطة منها، بالإضافة إلى أجزاء من المناطق المجاورة بدلا من استخدام الموجات القصيرة ذات الخواص الصوتية المنخفضة.

(ج) الكاسيت والفيديو ويتصل بالعديد من الراديو والتلفزيون الحديث عن التسجيلات

أما فى مجال البث فقد زادت قوة محطات الإرسال وأصبحت تغطي مساحات أوسع عن ذى قبل، واستخدمت تقنيات حديثة أخرى يأتى على رأسها أقمار الاتصال التي يمكنها ربط المناطق الالهة بالسكان على امتداد مساحات شاسعة بدلا من استخدام شبكات الميكروويف الباهظة التكلفة إنشاء وصيانة، وذلك على نحو ما يحدث الآن فى السعودية والجزائر وليبيا وسلطنة عمان والسودان باستخدام القمر العربى «عريسات» أو الأقمار الدولية «انتلستات»، هذا بالإضافة إلى إمكان توصيل القنوات التلفزيونية خارج القطر، إلى أقطار عربية أخرى أو إلى مناطق أخرى من العالم.

كما بدأ استخدام الاليف البصرية فى الشبكات الأرضية، وفى قدرتها جعل العديد من القنوات التلفزيونية فى وقت واحد دون تدخل أو شوشرة وجودة فنية تفوق شبكات الميكروويف وشبكات الكوابل المحورية.

كما عم استخدام الترددات عالية القدرة VHF، والفاقة القدرة UHF وهي تعطى إمكانيات إضافية لتغطية مناطق محدودة كالمدن الكبرى.

الصوت والإتارة مما يتبع مزيدا من المرونة فى تغطية الأحداث الجارية ومنها الأحداث الثقافية، وتسجيل أو بث اللغات والندوات. كما أصبح فى الإمكان إمداد استوديوهات تليفزيونية صغيرة متنقلة فى أى موقع لإجراء التسجيل فيها أو حتى إجراء البث المباشر، وهو ما يتيح التواصل مع الإبداع الثقافى فى الأماكن البعيدة عن مراكز الإنتاج والبث التلفزيونى فى المدن الكبرى، كما يسهل إعداد البرامج الوثائقية والعلمية والتعليمية والبرامج الموجهة إلى الأطفال والشباب، والأهم من هذا وذلك إتاحة فرص مشاركة الفئات الهامشية المحرومة من التواصل الثقافى.

كما استحدث استخدام أجهزة وضع الترجمة العربية على التسجيلات الأجنبية بطريقة إلكترونية، وعمليات «الدبلجة» أى وضع الصوت المتحدث بالعربية بدلا عن اللغات الأجنبية، سواء فى البرامج الوثائقية أو التعليمية أو الدرامية، وأفلام الرسوم المتحركة.. كما أصبح فى الإمكان أيضا إنتاج هذه الأفلام فى بعض الاستديوهات العربية. هذا بالإضافة إلى استخدام أجهزة المؤثرات الصوتية المتقدمة التي تغطي للإنتاج التلفزيونى جانبية خاصة.

الصوتية، والمرئية التي عم انتشارها في كافة أنحاء الوطن العربي، لرخص أسعارها، وبخول نظام التاجير بالأخص بالنسبة لشروط الفيديو، مما يخفض تكلفة الاستخدام. وقامت العديد من الشركات الخاصة بإنتاج هذه التسجيلات التي تمتد سوقها لتشمل كل الأرض العربية تقريبا، وتتسع ليشمل كذلك العرب المقيمين في الخارج. وتتوزع أشكال الإنتاج هنا وإن كان التركيز في الوقت الحاضر على المواد الغنائية والأفلام السينمائية والحلقات التلفزيونية، وبعض المواد الأجنبية كالأفلام الهندية والكارتون المناطق باللفة العربية. على أن القليل من هذا الإنتاج اتجه إلى البرامج التعليمية وبعض المواد الأدبية.

#### ( د ) إما بالنسبة للصحافة

فقد سادت تكنولوجيا الجمع التصويري الإلكتروني في الوقت الحاضر بما يضمن السرعة في إعداد الصحيفة، واستخدمت عملية فصل الألوان على الأخص في الصحف (المجلات) الأسبوعية والدورية، وتطورت أساليب الطباعة بما يضمن السرعة الفائقة غير المسبوقة والجودة في الأداء.

واستفاد الكتاب من تقدم تكنولوجيا الطباعة، التي لم تقتصر

على الصحف، بل تعدتها إلى كل المواد المطبوعة.

على أن أهم التطورات التكنولوجية التي حدثت في مجال طباعة الصحف وتوزيعها هو استخدام الأقمار الصناعية فيما يعرف «بالطباعة عن بعد»، بحيث تنقل صور صفحات الجريدة أو المجلة عبر شبكات الاتصال الفضائية، وباستخدام معدات خاصة في الإرسال والاستقبال، من مركز إصدارها إلى مراكز أخرى سواء في الوطن العربي أو خارجه لكي تطبع في المركز الرئيسي والمراكز الفرعية في نفس الوقت، وتوزع منها، فتوفر الوقت والنفقات التي تتكلفها عملية الطباعة والتوزيع من مركز واحد.

ناهيك عن السرعة الفائقة التي أصبحت تنقل بها إلى الصحيفة تقارير المراسلين أو إنتاج الكتاب والمعلقين عن طريق «الفاكس» أو «التليفون» المتصل بالشبكات الفضائية، مما يعطي للصحافة جانبية خاصة نتيجة القدرة على متابعة الأحداث والأفكار وسرعة توصيلها للقراء.

على أن تكنولوجيا الطباعة في طورها لم تخدم فقط الصحف الكبرى ذات التوزيع الواسع في الداخل والخارج، فقد صاحبت

التكنولوجيات الكبيرة، تكنولوجيات أخرى صغيرة، استغلتها الصحف والمجلات التي تصدر لخدمة جماعات محدودة، كما هو الشأن في الصحف المهنية أو الصحف الإقليمية والمحلية (الجهوية).

#### ٢ - تكنولوجيا الاتصال الحديثة واتجاهات المستقبل

تتمتع الاتجاهات المستقبلية لتكنولوجيا الاتصال الحديثة على الإجازات التي تمت حتى الآن ونتائج البحوث المستمرة للتطوير ومواجهة احتياجات المستفيدين. وبالتالي فإنها كلها تنهج إلى تعميق التكنولوجيات الحالية بزيادة فعاليتها وتبسيطها وخفض تكلفتها لتوسيع رقعة الأسواق أمام المؤسسات الأجنبية المصنعة لها، ومن بين هذه الأسواق السوق العربية الممتدة من المحيط إلى الخليج.

ففي مجال تكنولوجيا الاتصال عبر الأقمار الصناعية تنهج الصناعة إلى زيادة قوة البث حتى يمكن استقباله في المنازل مباشرة وبمعدات صغيرة ورخيصة نسبيا، كما تنهج بالنسبة لإنتاج معدات الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني والطباعي إلى زيادة الكفاءة والمرونة، وعلى سبيل المثال ففي مجال التلفزيون يجري العمل على إدخال معدات نظام

«التلفزيون على الجودة HDTV» بالنسبة لأجهزة الإنتاج والاستقبال حيث تكون الصورة أكثر وضوحا واتساعا وتحديدا، وكذلك النظام الرقمي Digital بديلا عن النظام الأحادي.

والموقع أن يبدأ نظام «شبكات الكابل» في الانتشار في الاقطار ليحمل العديد من القنوات التلفزيونية وقنوات المعلومات العامة والمتخصصة التي يرتبط بعضها بشبكات المعلومات الدولية، وكذلك استخدام الشبكات الأرضية المعتمدة على الالياف الصناعية ذات الكفاءة العالية في النقل التعدد لقنوات التلفزيون والإذاعة والمعلومات المكتوبة والرقمية والتي يمكن اتصالها بأجهزة الكمبيوتر (الحاسوب).

والمنتظر أيضا أن يشع انتشار نظام «المرسلات متعددة الاتجاهات MPDS»، التي تستخدم الترددات العالية أو الفائقة القدرة، كبديل لنظام شبكات الكابل، وقد بدأت بعض الدول العربية في التعاقد على إنشائها فعلا.

كما يتوقع أن تستخدم بعض الإذاعات العربية الأتمار الاتصالية الجديدة الخاصة بالإرسال الإذاعي، لتوسيع دائرة البث الإذاعي المباشر الموجه إلى المنازل مباشرة سواء من داخل المنطقة العربية أو خارجها.

### ٣. الإمكانيات الثقافية والإعلامية التي تتيحها تكنولوجيا الاتصال الحديثة:

تتيح هذه التكنولوجيات في تطورها الحالي وفي المستقبل المنظور عدة إمكانيات يمكن الاستفادة منها في مجال التثقيف العام والخاص، وقد بدأ استغلالها بالفعل كلها أو بعضها، وإن كان الاستغلال الأمثل هو الذي يمكن أن يكون مطروحا للبحث. ولعل أهم هذه الإمكانيات تتمثل فيما يلي:

(١) تعدد قنوات الاتصال، من إذاعية وتلفزيونية وصحفية، بمعنى زيادة عدد قنوات التلفزيون وزيادة عدد ساعات الإرسال، وكذلك الحال بالنسبة للإذاعة الصوتية، والصحافة اليومية والمجلات الأسبوعية. ويقترن بهذا إمكانية تخصيص بعض هذه القنوات الإعلامية، فيتجه بعضها إلى الجمهور العام، ويتجه الآخر إلى فئات خاصة، كالأطفال والشباب والمرأة، أو فئات الجمهور ذات الاهتمامات الخاصة كتلك المتصلة بشئون السينما أو المسرح أو النقد أو الشعر وما إلى ذلك. وقد يقوم التخصص على الأساس الجغرافي، فإلى جانب القنوات التي يشمل جمهورها كافة المتلقين في قطر عربي

معين، يمكن أن يضيّق مجال التغطية ليعتبر على خدمة إقليم أو جهة أو مدينة معينة فيما أصبح يطلق عليه اسم وسائل الإعلام الإقليمية أو المحلية أو الجهوية.

(ب) إمكان التواصل مع الخارج، ونعني هنا خارج المنطقة العربية، والمتلقون في هذه الحالة قد يكونون من العرب أو من الناطقين بالعربية من غير العرب. وهنا تستخدم اللغة العربية في التواصل الثقافي والإعلامي على نحو ما يحدث في الإذاعات العربية الموجهة إلى الخارج أو قنوات التلفزيون التي تستخدم الاتصالات الفضائية أو «شبكات الكوابل»، أو الصحف اليومية أو المجلات الأسبوعية التي تصدر أو توزع في العديد من المدن الغربية الكبرى.

كما قد يكون الجمهور المستهدف هو الجمهور الأجنبي أو فئة منه تتحدث بلغة معينة، كما يحدث في الإذاعات العربية الموجهة إلى الخارج والتي يستخدم بعضها أكثر من ثلاثين لغة أجنبية، وهو ما يمكن أن يحدث أيضا بالنسبة لقنوات التلفزيون الفضائية العربية، أو الخدمات التلفزيونية العربية المحولة على الشبكات الأرضية، وكذلك الحال بالنسبة لبعض المطبوعات العربية الصادرة بلغات أجنبية وتوزع خارج

المنطقة. وصحيح أن الكثير من هذه القنوات الإعلامية والاتصالية تستهدف الدعاية والإعلام، إلا أنها وسيلة مثلى لنشر الثقافة واللغة العربية في الخارج.

(جـ) **التواصل القومي:** وإذا كانت تكنولوجيا الاتصال الحديثة تيسر النشر على مستوى جماهيري في كل قطر عربي، ومع خارج المنطقة العربية أيضاً، فإنها قادرة على تيسير التواصل الإعلامي/ الثقافي على المستوى القومي العربي، وهو ما يتم في الوقت الحاضر باستخدام محطات البث الإذاعي القوية والاتصالات الفضائية التي لا يقف حائل بينها وبين المستمعين والمشاهدين في أية بقعة من الأرض العربية. على أن المشكلة الكبرى هنا هي في نشر الكلمة المطبوعة في شكل صحف أو مجلات أو كتب، إذ ما زالت تقف دونها حواجز الرقابة ومشكلات النقد والجمارك، رغم أن معظم ما تصويه هذه المطبوعات يذاع كاملاً أو مرجزاً في وسائل الإعلام الإذاعية التي لا تعرف الحواجز وتصل إلى المستمعين والمشاهدين العرب في أي مكان.

(د) **تطور إنتاج المواد الإعلامية والثقافية:** وهو ما ينطبق على المواد المسبوبة أو المرئية أو المطبوعة، إذ وفرت التكنولوجيا

الاتصالية الحديثة من الوسائل ما يتيح جودة الشكل، الذي لا بد منه لإبراز جودة المضمون، ومعروف مدى ارتباط الشكل بالمضمون في المواد الثقافية والإعلامية. وإذا كان حديثنا هنا ينصب في المحل الأول على وسائل البث والنشر والتوزيع، إلا أن هذه الوسائل كلها تصبح غير ذات جدوى إذا لم يكن ما تبثه أو تنشره أو توزعه قد وصل من حيث المضمون والشكل إلى المستوى اللائق في ظل منافسة عالمية طاغية.

(هـ) **التعليم الذاتي والمستمر:** وقد أصبح من التقنيات الشائعة في هذا المجال استخدام "حزمة" المعينات التعليمية المتمثلة في شرائط الكاسيت الصوتي والفيديو والمطبوعات، لمعاونة الراغبين في التعلم أو حتى التدريب على مهارات معينة. وبدأت هذه الوسائل تحقق أرباحاً لعدد من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية نتيجة الإقبال عليها. ولعل أهم مجالات الاستخدام في الوقت الحاضر، تعلم اللغات الأجنبية، واستخدام الكمبيوتر. بل لقد بدأ استخدامها في التعليم المفتوح في الأقطار التي أخذت بهذا النظام، والذي وصل إلى مرحلة التعليم الجامعي.

ولا يمكن فصل قضية التعلم الذاتي، وتعلم اللغة العربية بالذات

حتى الناطقين بها عن قضية نشر الثقافة العربية.

(و) **الاتصال بمصائب وشبكات المعلومات:** سواء منها ما هو قائم أو سيقوم في الوطن العربي، أو في الدول الأجنبية. والمقصود هنا هو شبكات المعلومات المتخصصة المرتبطة بالعلوم الإنسانية والطبية المختلفة والتي تزود المستخدمين بأخر التطورات الحادثة في هذه المجالات، والراجع المتوفرة، ونتائج البحوث.

ولا تقتصر هذه الخدمة على الجامعات أو مراكز البحوث، بل يمكن كذلك إتاحتها للأفراد ببساطة الوسائل، التي تتمثل في خط تليفون دولي وجهاز معلومات طرفي واشتراك في مركز المعلومات الذي تتصل به اهتماماته، ونفع مقابل الخدمة الاتصالية والبحتية.

ويمكن أيضاً الاستفادة بهذه التقنية في التواصل بين المكتبات العامة أو المتخصصة في الأقطار العربية، وتزويدها بقوائم أو مستخلصات أو صور لما تريد الحصول عليه ويتوافر في مكتبات أخرى، وهي خدمة خطيرة الأثر في إتاحة كنوز المكتبات لأى باحث في أى قطر عربي، بل ومن الممكن ارتباطها أيضاً ببعض المكتبات الدولية.

#### ٤ - الوجه الآخر لاستخدام تكنولوجيات الاتصال الحديثة:

وإذا كانت هذه هي أهم إنجازات تكنولوجيات الاتصال الحالية واتجاهاتها المستقبلية، وما تتيحه من إمكانيات لتدعيم عمليات الإنتاج ونشر المواد الثقافية في الداخل والخارج، إلا أن هذه الإنجازات بالذات لها وجهها الآخر المتمثل في الدرجة الأولى فيما يسميه الإعلاميون «التدفق غير المتوازن». فقد كان من نتيجة تركيز إنتاج تكنولوجيات الاتصال الحديثة في عدد محدود من الدول المتقدمة، أن أصبحت هذه الدول، ليست فقط هي موفرة للتكنولوجيا الحديثة للمستفيدين منها في الدول النامية، ومن بينها الدول العربية، بل أصبحت كذلك، نتيجة الأداة والوسيلة، هي المصدر للمنتجات الإعلامية والثقافية تبثها للدول الأخرى بالقدر الذي تريد وبالشكل الذي يتناسب مع توجهاتها الثقافية تبثها للدول الأخرى بالقدر الذي تريد وبالشكل الذي يتناسب مع توجهاتها الثقافية والسياسية، وبالتالي أصبح انسياب هذه المواد وتدفعها يسير في اتجاه واحد تقريبا، دون أن يقابلها انسياب من الاتجاه الآخر، الأمر الذي يؤدي إلى طغيان ثقافة واحدة، هي الثقافة الغربية، ولا يتيح المناخ المناسب للتواصل الثقافي

العادل الذي تزدهر في ظل كل الثقافات.

ناهيك عما قد يؤدي إليه ذلك أيضا من «التسطيح» الثقافي، وسيادة الأنماط الثقافية الهزيلة، وتشويه صورة الثقافات التي لا ترضى عنها الثقافة الأقوى تكنولوجيا وسياسيا واقتصاديا، ومحاولة تدوير الهوية الثقافية، لمن لا يملكون.

على أن التدفق غير المتوازن وما يؤدي إليه من نتائج متشعبة، ليس هو الجانب السلبي الوحيد في استخدامات تكنولوجيا الاتصال الحديثة، فقد اتاحت تكنولوجيا التسجيلات الصوتية (الكاسيت) ورخص ثمنها إلى أن تكون وسيلة مثلى لإشاعة ألوان متدنية من الإنتاج «الفني» لا يمكن أن تقبلها إذاعة عربية، أو أي منبر من المنابر الثقافية، فهبطت بانواق الناس وعويثتهم على أنماط من الترفيه القبيح.

ولم يقتصر الأمر على الأغاني والمونولوجات الفكاهية، بل تعداه إلى الخطب والأحاديث والتفسيرات والتحليلات الدينية والاجتماعية وغيرها مما يتجافى مع أي ضوابط علمية، ولدى منتجى هذه المواد عشرات الطرق التي يتسللون من خلالها من وراء سلطات الرقابة على المصنفات الفنية والأدبية - فسامهوا

في إشاعة الجهل والخرافة، مستغلين إقبال الفئات الشعبية بسبب الأمية وغيرها على الاتصال الشفاهي، وضيقهم باحتكار الدول لوسائل الإعلام ومعظم المنابر الثقافية.

وما حدث من استغلال تكنولوجيا التسجيلات الصوتية الرخيصة، حدث بالنسبة لشرائط الفيديو التي امتلأت بالمسرحيات والأفلام هابطة المستوى، وبعض مالا يمكن تداوله علنا من المواد العربية أو الأجنبية، فكان ما كان من سوء استغلال هذه الوسيلة التي كان يمكن أن تستغل فيما ينفع الناس.

#### (رابعاً) نحو سياسة ثقافية عربية جديدة في ضوء تطور تقنيات الاتصال

نستطيع من العرض السابق استخلاص مجموعة من المؤشرات التي قد تكون مفيدة في رسم سياسات ثقافية عربية جديدة، في ضوء تطور التقنيات الحاصلة والمستقبلية في مجال الاتصال، نوجز أهمها في النقاط التالية:

١ - ضرورة ارتباط الأهداف التي تصد للمسياسات الثقافية القومية أو القطرية أو القطاعية؛ بالاحتياجات الثقافية الأساسية

والفرعية للجمهور العام، وإفئاته المختلفة، عن طريق البحوث متعددة المناهج، بالإضافة الى رؤية الصفوة الذين يتسع أفق تفكيرهم فى القضايا الثقافية ذات الأبعاد الإنمائية والتربوية والدينية المختلفة - وأن تكون الخلفية العامة لهذه الأهداف والسياسات الثقافية بشكل عام، تحقيق ديمقراطية الثقافة بما تتضمنه من إتاحة فرص الاستمتاع بالأعمال الثقافية للجميع، دون النظر إلى الفروق الطبقيّة أو الجغرافية، وإتاحة فرص المشاركة أمام المبدعين وأصحاب الرأي، بل وتشجيعهم على هذه المشاركة وأن تعمل على إشاعة التفكير العلمى والثقافة العلمية وثقافة الديمقراطية القائمة على احترام الحريات وحقوق الإنسان.

٢ - اعتبار وسائل الاتصال الجماهيرى من مكونات السياسة الثقافية، بوصفها من وسائل الإنتاج الثقافى، بالإضافة إلى دورها فى النشر والتوزيع، ووضع السياسات والخطط على أساس الإمكانيات التى تتيحها تكنولوجيا الاتصال الحديثة فى الوصول إلى كل قطاعات المتفاعلين بالعمل الثقافى، سواء فى داخل القطر أو على المستوى القومى، أو خارج المنطقة العربية، واعتبار التوزيع والبلث والوصول إلى

الجمهور المستهدف هو الوجه الآخر للإنتاج الثقافى.

٣ - أن يكون مفهوماً أن تكنولوجيا الاتصال الحديثة، وإن كانت قادرة على توصيل الرسالة الثقافية للجميع، إلا أنها تستطيع كذلك تخصيص توجهاتها لفئات خاصة لها احتياجاتها الثقافية المتميزة، بحكم خصوصية الاهتمامات الثقافية، أو مستوى التعليم، أو وفقاً لفئات العمر أو الجنس أو الموقع الجغرافى أو المهنة. ومن هنا كانت ضرورة الاستفادة من الإمكانيات التى تتيحها هذه التكنولوجيا لتوفير قنوات ثقافية/ إعلامية لخدمة الأطفال والشباب والنساء، وأصحاب الاهتمامات الثقافية الخاصة، وكذلك الاهتمام بالمنابر والقنوات الإقليمية والمحلية (الجهوية) لإتاحة الفرصة أمام المبدعين البعيدين عن المدن الكبرى، وكسر احتكار هذه المدن للعمل الثقافى.

٤ - اعتبار تكنولوجيا الاتصال الحديثة، سواء بالنسبة للإنتاج أو التوزيع، من البنى الأساسية اللازمة للعمل الثقافى، وألتي تقع على العولة مسئولية توفيرها وتطويرها، إما بمواردها الخاصة وحدها، أو بمشاركة أو بمبادرة من الأفراد والمؤسسات غير الحكومية، وحُثم

على ذلك - وذلك وفقاً لطبيعة كل مرفق، والإمكانيات المالية المتاحة للحكومة، وحجم الاستثمارات اللازمة للإنشاء والتشغيل، والتشجيع على مبادرات الأفراد والمؤسسات غير الحكومية ومشاركتهم سواء فى إقامة البنى الأساسية أو فى الإنتاج، من المبادئ الأساسية التى من شأنها أن تدفع العمل الثقافى إلى الأمام وتكسر احتكار الدولة لهذا النشاط الذى يعتمد بطبيعته على المشاركة والمبادرة والإبداع.

٥ - أن يكون التدريب على استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة، من الأهداف الأساسية للعمل الثقافى، باعتباره من دعائم إنتاج المواد الثقافية، وتوصيلها إلى الجمهور المستهدف، ولابد أن يكون التدريب مستمراً، بالنظر إلى أن التطورات التكنولوجية عملية مستمرة كذلك، وأن يتسع للمستويات المختلفة من العاملين فى الحقل الثقافى من المخططين والمنفذين والمتنقلين.

٦ - أن يكون من بين الأهداف الأساسية للعمل الثقافى استغلال الإمكانيات التى تتيحها تكنولوجيا الاتصال الحديثة فى دعم التواصل الثقافى بين الأقطار العربية المختلفة، على المستوى القومى أو الإقليمى أو الثانى، بزيادة حجم التفق العربى - العربى، سواء بالنسبة للمواد

التليفزيونية أو الإذاعية أو السينمائية أو الصحف والمجلات والمواد المطبوعة، وإعادة النظر في القواعد الرقابية على المواد المطبوعة بالذات، التي لم تعد منطقية مع التطور التكنولوجي الذي أسقط الحدود والحواجز أمام الإشارات الإذاعية والتليفزيونية والمعلوماتية الصادرة من أي مكان.

٧ - وضع أو التصديق على المعاهدات والاتفاقيات العربية التي ترمي إلى الحفاظ على حقوق المؤلفين والكتاب والمبدعين والمنتجين، والتي أصبحت مستباحة في ظل التطورات التكنولوجية الإتصالية الحديثة التي تيسر عمليات الاستنساخ من الكتب والتسجيلات المرئية والصوتية، وتشجيعاً لهؤلاء على المسعى في خدمة العمل الثقافي العربي.

٨ - استغلال الإمكانات التي

تتيحها الشرائط الكهرومغناطيسية الصوتية (الكاسيت) والمرئية (الفيديو) لتسجيل وترويج الأعمال الأدبية الروائية والقصصية والشعرية، والإنتاج المتميز في مجال المسرح وفنون الباليه والموسيقى العالمية والعربية، وبرامج التعليم المفتوح المعتمد على التعليم الذاتي.

٩ - الإهتمام بشكل خاص باستغلال التكنولوجيا الحديثة لإنتاج حزم من التسجيلات الصوتية والمرئية والمواد المطبوعة لتعليم اللغة العربية، لمستويات المتعلمين المختلفة، سواء من غير الناطقين بالعربية، أو الناطقين بها الراغبين في تحسين أدائهم اللغوي المنطوق والمكتوب - باعتبار اللغة العربية من الدعائم الأساسية للثقافة العربية.

١٠ - اعتبار البحوث الثقافية من ركائز السياسة الثقافية، وهي

متعددة الأغراض والمناهج. إذ لا بد أن يتجه بعضها إلى مسح الاحتياجات الثقافية العامة والنوعية التي يقوم عليها تحديد الأهداف. كما لا بد أن يتجه البعض الآخر إلى بحث الآثار الثقافية لاستخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة على الأخص فيما يتعلق بالمواد المذاعة عبر قنوات التليفزيون الفضائية، أو المواد الأجنبية المذاعة في الخدمات التليفزيونية الوطنية، أو الإعلانات التي تتضمنها بعض هذه الخدمات، وكذلك بحث أثر المواد الثقافية العربية الواردة من مصادر غير قطرية في تدعيم الصورة العربية وحجم التعرض لهذه المواد ومدى تقبلها، إلى غير ذلك من البحوث التي لاغنى عنها لإمكان تقويم أهداف السياسات الثقافية، فالتقويم جزء مكمّل للسياسات. ■





# تندارى

قراءة فى ديوان جديد لشاعر من الثمانينيات يرى  
الباحث فيها أن «تندارى» المدينة تبدأ بالقيامه من  
الموت فتنهض مشروعية أسئلة الكائن الذى يقوم من  
خرائب الماضى .

المشكل للملامح المكان حذفاً وإضافة.  
هى ثنائية لا يمكن فسخ الاشتباك بين  
عنصريها - الزمان / المكان. ولقد  
تناولت أعمال روائية كثيرة المدينة من  
زوايا عدة (٣) ؛ إلا أن التناول  
الشعري للمدينة يختلف عن التناول  
الروائى لها ؛ فالمدينة فى الرواية هى  
مكان الأحداث التى تطالعها من  
خلال شخصيات روائية، ويخضع  
المنظور الذى تُقدم لنا الرواية /  
المدينة من خلاله إلى زاوية نظر  
الراوى وطبيعة الشخصيات  
وصراعاتها وما تستدعيه العلاقات  
بينها من إبراز ملامح المدن من زوايا  
متعارضة أحياناً، ومتقاطعة فى  
أخرى تبعاً لاختلاف الشخصيات  
وتعارضاتهم. أما فى المدينة  
الشعرية، فنحن إزاء زاوية نظر  
الشاعر وحده، وحيث تُبرز التقنيات  
الشعرية ملامح أخرى غير ما تقدمه  
تقنيات الكتابة الروائية.

فى المدينة يكون هم الإنسان الأول  
هو العثور على بيت، ركنه فى العالم،  
أو كونه الخاص (٤)، ولكن المدينة

فحياتك

خراب

أينما حلت .. (١)

وما هو بشلار (٢) يقول:

«إنه لوضع غريب فالمكان  
الذى نحبه يرفض أن يبقى  
منغلقاً بشكل دائم ، إنه يتوزع  
ويبدو وكأنه يتجه إلى مختلف  
الأمكان دون صعوبة، ويتحرك  
نحو أزمنة أخرى وعلى مختلف  
مستويات الحلم والذاكرة».

هذه الزاوية الصغيرة من العالم  
هى عالم الشاعر، حيث كُتب تاريخ  
الخراب الذى يحمله فى كل مكان،  
وهنا يُخرّب الإنسان مكانه وحياته فى  
أن، إلا أن هذا الخراب يتم فى المكان  
الذى أحبه الشاعر فاستوطن فيه  
المكان وحمله الشاعر حيث ذهب، كما  
يذهب بشلار. يستدعى مقطع  
كافافيس المكان كما يستدعي عنوان  
الديوان الذى هو اسم لمدينة جديدة  
«تندارى».

المكان هو وعاء الزمن، وهو مجر  
فيه فى الوقت نفسه، والزمان هو

هى إذن مدينة جديدة،  
يقدم لنا الشاعر رسوماً  
الهندسية قبل أن يشرع فى بنائها،  
وهى من جهة أخرى مدينة موجودة،  
ولكن وجودها رهن بوجود شاعرها .  
المدينة هى تندارى والشاعر هو  
مهدي مصطفى.

عالم شعراء كثيرون ثنائية  
الإنسان / المدينة ، ومنهم أحمد عبد  
المعطى حجازى فى «مدينة بلا  
قلب» ، وأدونيس فى «قبر من  
أجل نيويورك»، وعلى قنديل فى  
«القاهرة»، وعبد الله البردوني  
فى «مدينة بلا نوعية»، وعبد  
المنعم رمضان فى «الإسكندرية»،  
وفى هذه القراءة السريعة لديوان  
«تندارى» سوف أحاول الوقوف على  
خطوط التماس بين «تندارى» و «قبر  
من أجل نيويورك» و «القاهرة» .

يصدر الشاعر مهدي مصطفى  
ديوانه بمقطع شعري لـ «كافافيس»  
يقول:

«... طالما خربت حياتك

فى هذه الزاوية الصغيرة

من العالم ،

# الموت والليل والنشور

## على عقيفى \*

\* شاعر وباحث مصرى .

«يا رقصة المطر  
فليدخل البيت من أبوابه السبعة  
نهرأ له ألف سرّ حاملاً رأسه»  
(تندارى، ص ٧٢) .

«سباج يشدُّ الطريق من قدميه  
إلى البيت  
والبيتُ كان سحيقاً»  
(تندارى، ص ٨٠) .

«رايت أعدائى يمرون،  
وامى ترتقِ الثوب الوحيد،  
والنهار مثلما يأتى أتى،  
يقص عن أسلافه حلماً،  
وكيف غادرت أسماؤهم حوائط  
البيوت» (تندارى، ص ١١٢) .

كل الإشارات إلى البيوت تقودنا  
إلى خارجها، لا إلى الإقامة فيها.  
ولكن لماذا إلى خارج البيت؟ إن البيت  
يعنى الانعزال عن الحدث الخارجى ،  
عن الاتصال والمشاركة بالعام. يعنى  
البيت الإتصاف بالشخصى  
والذكريات التى يصنعها الشخص

يضمي، المكان الضيق - بيتاً أو غرفة  
فى بيت - وهو «المشكاة»، و«النهار»  
الذى يضمي العالم كله. ودائماً  
سنجد الشاعر فى تدارى خارج  
الجدران التى تضيق على الروح:  
«لم يعدْ ثمَّ جسدٌ  
يحملُ الروحَ التى تنأى عن  
الجدران» (تندارى، ص ٧١) .

الشاعر مهنى مصطفى



الشعرية تخرج بنا دائماً من هذا  
الحيز الضيق، «البيت» حيث نجد  
الشاعر فى العراء، وحيث تصبح  
الدينة هى الوطن والألم والبيت والمرأة  
والعالم. إن البيوت لهى أضيق من أن  
تحتوى ما يحمله الشعراء:

«... خلف الباب تغنى،  
تغزل شالاً أبيض  
تتحول:

رملاً وصحارى  
غيماً وغماماً  
بيتاً ومدينة  
غرفاً وسريراً  
ملحاً وطعاماً  
مشكاة ونهاراً» (تندارى، ص ٢٥) .

يأتى «البيت» فى هذا السياق  
الشعرى بوصفه واحداً من العناصر  
الذى يطمح إليها الشاعر فى كونه،  
فهو يبدأ من الاتساع والرحابة «رملاً  
وصحارى» وصولاً إلى البيت والغرف  
والأسرة، ثم يمزج بين الضيق  
والاتساع من خلال الضوء الذى

فى مكانه الخاص، ولكننا سنجد مهدى مصطفى دائماً خارجاً على الأسوار والجدران وملتحماً بالمدينة والكون بوصفهما البيت الأكبر الذى يحتوى البيوت جميعاً ، فيكون الالتحام بين المكان الفردى والمكان الجماعى<sup>(٥)</sup>.

### اللون الأبيض :

يتكرر ذكر اللون الأبيض فى «تندارى» عدة مرات حاملاً دالة واحدة هى البكارة والملحور، فيقوم اللون الأبيض بدور المحاة لما سبق والبداية الجديدة. وإذا كان الموت يتوزع بين أرجاء تندارى فإن الكفن الأبيض ينفذ عن نفسه الموت ويرسم بدايات جديدة ونشوراً . يقول مهدى:

«أبتدى سفرأ أبيضاً...»  
(تندارى، ص ٢٢)

«تغزل شالاً أبيض» (ص ٢٥)

«تغزل شالاً أبيض للعائد»  
(ص ٢٦)

«تبصر صوتاً أبيض» (ص ٥١)

«لمحت نقطة بيضاء» (ص ٦٤)

«أبيض التاريخ يمشى أبيض»  
الأحفاد» (ص ٧٤)

وبالنظر إلى السياقات التى أتى فيها ذكر اللون الأبيض يتأكد لدينا الدلالة المشار إليها سالفاً .

### تندارى - نيويورك - القاهرة

للمدينة ملامح تميزها عن سواها دائماً، والمكان دائماً هو الزمان الذى تمضيه فى هذا المكان، هو الذكريات التى تصنعها، تكون دائماً بصدد صناعة تاريخ، وربما كان اللون الأبيض هو الإشارة الموزعة فى الديوان فى مقابل الموت، وهو أيضاً ما يشير إلى الرغبة العارمة فى صناعة تاريخ جديد.

يمكن الفرق بين «تندارى» مدينة مهدى مصطفى والمدن الأخرى فى أن «تندارى» مدينة تنمى مع ذات الشاعر، فيصبح الشاعر هو المدينة والمدينة هى الشاعر، يرحل إليها وترجل إليه ويحملها حيث يذهب إلى مدن أخرى، ويمكن رصد هذا التماهى فى عبارات مثل:

«أبتدى من مدينة روحى»  
(ص ٢٧)

«زلزال يضرب قلبه» (ص ٣٢)  
«ونعود معا نلأشى فينا»  
(ص ٣٤)

لم يكن الوصول إلى «تندارى» سيراً، فقد تجول الشاعر بين مدن كثيرة فى محاولته العثور على ذاته، أو بالأحرى مدينته:

«تعثرت فى مبن ومشيت

مشيت إليها

رمت سؤالى على كتفى»  
(ص ٢٠)

«يفتش عن بلد ما» (ص ٢٢)

وكما تبدأ الحركة الأولى فى القصيدة بالجائز والليل، تنتهى القصيدة بالمكونات نفسها، ولوجاً إلى ليل جديد وموت جديد، فى البداية «هَرَمَ الليل» مما يبشر بإمكان طلوع صباح جديد وحيث تنصت الجائز لخطى آتية، ولكننا ننهى إلى حيث بدنا، وحيث فشل النهار فى أن يستقر بالمدينة وحيث يخيم الفناء ثانية:

«فيا أيها العابر المنحنى .

تحت خيل الفناء

إلى أين تمضى...» (ص ٢٦)

«ورأيت النهار

ينام على حجر

هرماً كان»

تبدأ تندارى بالقيامة من الموت، هى مدينة اكتسبت حق، أو لنقل دوافع وجودها من الموت المستشرى فى كل مكان، تندارى القصيدة / المدينة / الشاعر ، كائنات تتردد على الموت ويتردد الموت فيها فتنبعث مشروعية أسئلة البعث الذى يقوم على خرائب الماضى والكائن.

وتندارى المكان ، حيث لا مكان هناك  
بلا زمن، فهي أيضا زمن والزمن  
المهيمن المتجسد فى تندارى هو  
الليل. هكذا تبدأ تندارى :

«مشى ليلها عابراً

ثم طفل يبعثر جناحه

وتسير الجنازئ منصتة

لخطى لم تكن» (ص ١٥)

الكائن هو الليل والجنازئ ،  
والترقب هو نصيب خطى لم تأت بعد،  
ويصود الليل مرة أخرى فى المقطع  
الثانى من القصيدة الأولى «تنداريا».

«هرم الليل منها

فنام على ساعديها

وصاح خذينى إلى حانة»  
(ص ١٦)

«خذينى إلى حانة

كاسها غيمة من صباح» (ص ١٧)

ليل وجنازئ ليالية وصبو إلى  
صباح، كان الليل أراد أن يتلاشى  
فتاق إلى صباح جديد من طول  
إقامته فى هذه المدينة، وهنا يظهر  
الشاعر فى قصيدته، ولكنه يظهر  
متوجها إلى مدينته لا كائناً فيها :

«تعثرت فى مدن ومشييت

مشيت إليها» (ص ٢٠)

ويبدأ الشاعر فى رسم مدينته  
كما يشتهي

«فجلست على عتبات أبى  
ورسمت خيولاً، وسيدة ،  
وصباحاً،  
تبص النوافذ منه  
ترى جسدى عابراً» (ص ٢١)

ومع «تندارى» تبدأ ثانية مع الموت  
وخرائب المدينة، فى هذه القصيدة  
المعنونة بـ «تندارى» مسسيرة  
الاعتراف، تخرج المدينة أحشائها  
وتكشف عن دمارها الذى تندم عليه  
فتنتظر مخلصها الذى كان بها من  
قبل. فى هذه القصيدة وفى نهايتها  
يتماهى الشاعر مع المدينة حتى لا  
نكاد نعرف من المتحدث، أو من  
المعترف: أهو الشاعر أم للمدينة؟ هناك

على قنديل



من يريد أن يتخلص من أعبائه، ومن  
دماره، ومن ذاكرته:  
«وبدأت فى محو ذاكرتى»  
(ص ٦٤)

«لا أيام لها ولا تاريخ» (ص ٤٢)

«ترى النهارات نائمة

على صافرات الفلك

والليالى جنثا مرمية

على درج الظلام» (ص ٤٤)

«فتحبو على ركبتيها

تجمع ما تفاتر منها

ما تفاتر فيها» (ص ٤٥)

إن تندارى هى الشاعر والوطن،  
وتاريخ هذا الوطن، هى خرائب الروح  
والقتلى والتاريخ المدمر، المدينة التى  
هرم فيها الليل والنهار، المدينة التى  
اعترفت ولم يكف اعترافها لكى تقوم  
مرة أخرى، فهناك ما هو أبعد من  
الاعتراف، هناك فعل ما لا بد من  
إنجازه لتخلص المدينة من ذنوبها  
فتتمكن من الوقوف ثانية بعد أن  
أصبحت عاجزة: «فتحبو على  
ركبتيها»

تناولت قصيدة القاهرة (٢) لعلى  
قنديل مدينة وتجربة الإنسان فيها،  
فى القاهرة يعين الشاعر مكانه بدءاً  
من عنوان القصيدة وحتى سرود  
أسماء أماكن كائنة بها، وفى القاهرة

## تندارى .. الموت والليل والنشور

على قنديل يختار الشاعر ثلاث زوايا  
نظر يقف فيها، في الأولى يقف في  
موقف القادم بلا معرفة سوى  
تصوراته عن المدينة، وفي الزاوية  
الثانية يقف داخل المدينة مشاهداً  
وراصداً حتى يكتشف قوانينها، وفي  
الزاوية الثالثة لا يجد بداً من الدخول  
في تجربة المدينة بعد علمه بقوانينها  
فتسحقه، إلا أنه يتنبا بمستقبلها بعد  
اكتشافه لها، في تندارى لا تمثل  
المدينة جسداً ملموساً، فليس هناك  
جسد مرجعى يمكن اللجوء إليه  
لتعرف ملامح محددة، فليس هناك  
في الوجوه مدينة اسمها تندارى،  
تقدم تندارى تمازجاً بين الشاعر  
والمكان والزمان، الشاعر هو المدينة،  
هو صانعها، حيث لا يصنع تاريخ  
بغير البشر، وهو مسئول عن هذا  
التاريخ، ومسئول عن هذا الدمار  
الذى يخلقها، وهنا يصبح الشاعر  
هو الزمان والمكان.

وفي (قبر من أجل نيويورك) (٧)  
لأدونيس، يقف الشاعر موقف  
الراصد لمدينة ليست بمدينته، ولكنها  
مدينة عبس، المدينة التى تؤدى إلى  
الموت وليس بها إلا بنايات شامخة:  
ليس بين التردى والشاهدة  
إلا حيلة هندسية

نيويورك ..

نيويورك

### امراة - تمثال امراة

فى يد ترفع خرقة تسميها  
الحرية، ورق تسميه التاريخ  
وفى يد تخنق طفلة اسمها  
الأرض.

وفى قبر من أجل نيويورك ينداح  
الشاعر فى الوصف الفاضح للمدينة،  
وصف يجردنا من أقمعتها  
وملابسها، ويضبطها وهى تمارس  
كل ما هو قبيح، فيترد إلى بيروت  
والخريطة العربية المجروزة فى ذيل  
نيويورك.

### قبر من أجل نيويورك - تندارى

تبدأ قبر من أجل نيويورك بوصف  
انتقائى لمدينة نيويورك، وصف يهدف  
منذ اللحظة الأولى إلى كشف الوجه  
القبيح للمدينة المقنع بعناصر لا تكفى  
لإخفاء سوءاتها. وإذا كانت «تندارى»  
مدينة يسيجها الموت، فإن نيويورك  
مدينة القتل:

### «نيويورك

حضارة باربعة أرجل؛ كل جهة  
قتل وطريق إلى القتل،

وفى المسافات اثنين للغرقى،  
(ص ٧١)

«من الآتى فى مقصلة الحرير من  
الذهاب فى قسبر بطول  
الهدسون؟» (ص ٧٢)

ومع ذكر تفاصيل المدينة مثل:  
جسر بروكلين، ويتمان وول ستريت،  
الهدسون - ماديسون - بارك أفينيو -  
هارلم، .. إلخ، تنفتح أحشاء المدينة  
على غرقى وسجناء وعبيد ويائسين  
ولصوص ومرضى وقذارة ويائسين  
وتفرقة عنصرية.

وإذا كان حال «تندارى» هو  
الهروب من الظلام للدخول فى ظلام  
آخر:

«هرم الليل» (تندارى ص ١٦)

«رايت النهار

ينام على حجر

هرما كان» (ص ٣٨)

فإن حال نيويورك لا يختلف كثيراً  
فـ:

«الشمس ماتم

والنهار طبل أسود» (وقت بين

الرماد والورد، ص ٧٣)

ومن نيويورك إلى بيروت تقفز  
قصيدة وقت بين الرماح والورد لتعلن  
عن تبعية بيروت لنيويورك.

... وقرات :

عن فئران فى بيروت وغيرها  
ترفل فى حرير - بيت أبيض،

(ص ٧٤)

فى حين لا تستدعى تندارى مدينة  
أخرى غير ذاتها، بل هى المدينة التى

تتماهى مع الشاعر والزمان في أن،  
هي مدينة تحيل إلى نفسها لا إلى  
خارجها، لأنها المدينة / الزمن /  
الشاعر.

ولكن ما سر استدعاء نيويورك  
للمدن العربية أو لبلاد أدونيس،  
تجيب «وقت بين الرماد والورد» حين  
يقول الشاعر:

«وأعترف: نيويورك لك في بلادي  
الرواق والسريير

الكرسي والراس. وكل شيء  
للبيع: النهار والليل

حجر مكة وماء دجلة. وأعلن ..  
مع ذلك تلهين...» (ص ٧٦)

ثم يرى الشاعر أن الفعل هو  
الخلاص، والفعل عنده هو الكلمة،  
الأداة التي بها يمكن قلب الأوضاع،  
الكلمة بمعنى الابتكار لا الاستنساخ  
والتبعية، الكلمة بمعنى الحرية.

«أقول اكتبوا، ولا أقول موثوا،  
ولا أقول انسخوا» (ص ٧٨)

ويمضي أدونيس في رصد  
نيويورك كاشفاً عن أزمنتها وقوانينها  
ومكتشفاً علاقاتها بعناصر الحياة،  
وببلاده وينتهي إلى بيروت :  
«لكن،

سلام لوردة الظلام والرمل  
سلام لبيروت»

هو إذن يرسل سلاماً إلى بيروت  
وهو كائن في نيويورك، لقد غامر  
مدينته إلى المدينة العن، له ولنفسها،

والمدينتان متجسدتان على الأرض..  
أما «تنداري» فتظل على حالها بين  
الموت والليل:

«صحا طائر الوحشة العارمة  
رأها تخوض في الدم،

والطلق يدخل مستوحشاً  
تنشق أحجارها شبقاً

تختفى وتبين بطينا

فترقص ذاكرة الطائر العدمي

ترتج الخرافات

يصير الموت ايقاعاً...» (ص ١١٧ -  
تنداري)

**القاهرة - تنداري**

في القاهرة يختلف الحال عن  
«قبر من أجل نيويورك» وعن

الشاعر أدونيس



«تنداري»، حيث تبدأ القاهرة بالشاعر  
الذي يجهل المدينة ويسائل العناصر  
وهو في الطريق إليها حتى يتبين  
ملامحها:

سالت النخيل:

على البعد ماذا ترى يا نخيل  
دخناً طويلاً ، صراخاً قليلاً

وفي التحت نمل وشيء كثير..

... سالت البريد ..

... سالت القطارات ..» (ص ٨٣ -  
على قنديل الآثار الشعرية الكاملة)

وعندما يدخل الشاعر المدينة يبدأ  
في اكتشافها لا كشفها كما يفعل  
أدونيس، وعندما يتعرف ملامحها يقع  
على قوانينها:

١- «عشرت على قانونها  
الهنسي:

إ د . أسرة لينة وغاية ارتكاس

إ د . كل امرأة وسوسة كل عجوز  
خناس

إ د . قدم تغلغل تخمد لهب

القلب وتكسر ذاكرة الإجراس

إ د . سكين تنمو تصبح بيت

السرقه والحراس

إ د . ينقطع الخيط الواصل بين

الصرخة والأنفاس

٢- «عثرت على قانونها اللهي:

يظل الرجل يبني العمار حتى

إذا اكتملت هنيئة للساكين  
أشهر بونه وعثباتها سيف

محلى ودم مرتقب.

## تندارى .. الموت والليل والنشور

مسحوقة وساحقة فى أن، هي مدن  
تهمش الإنسان وتقتله، مدن تزحف  
فى اتجاه ضد الإنسان وضد نفسها  
حتى إشعار آخر ■

### المصادر :

- ١- مهدي مصطفى، تندارى ، ط ١ القاهرة، دار  
سينا للنشر، ١٩٩٣.
- ٢- غاستون باشلار، جماليات المكان، ت: غالب  
هلسا، ط ٢ بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات  
والنشر والتوزيع ، ص ٧٢.
- ٣- حسين حمودة، خصوصية المدينة مثابة  
المدينة، مقال منشور فى مجلة الثقافة الجديدة،  
أكتوبر ١٩٩٢، العدد ٦١.
- ٤- باشلار، سبق ذكره، ص ٦١.
- ٥- سيزا قاسم، مقدمة ترجمتها لمقالة يرى  
لوتمان «مشكلة المكان الفنى» المنشورة فى مجلة  
الفن، العدد السادس، ربيع ١٩٨٦.
- ٦- على قنديل، الآثار الشعرية الكاملة، ط ١  
القاهرة، مركز إعلام الوطن العربى، ص ١٩٩٣.
- ٧- أدونيس، وقت بين الرماد والورد، بيروت، دار  
العروة، يناير ١٩٧٢.

انزوت فى زقاق معتم،  
لذا جاءها الطوفان.  
٤- العراف والكاهن والحاكم،  
يرسمون الجبانة.

.....

.....

٧- القوانين والعلم، ذهباً  
يتنزهان فى حدائق العسكر.



٣- عثرت على قانونها الجدى  
ق، هـ، ر، قهبرت، تقهر فهى  
قاهرة ومقهورة» (ص ٩٠-٩١- على  
قنديل الآثار الشعرية الكاملة)

ينتفى عنصر الموت من قصيدة  
«القاهرة» ويبرز انسحاب الشاعر إلى  
داخله فى مواجهة القهر السائد  
وقوانين المدينة الظلمة، أما الزمان  
فيتحدد مساره عكس مشاعر  
الإنسان وطموحاته:

«والساعة فى عكس إيقاع القلب  
تدق» (ص ٨٤- على قنديل)

وإذا كان كل من أدونيس وعلى  
قنديل قد كشفوا عن مدنيهما، وقوانين  
هذه المدن، فإن «تندارى» تفعل الشيء  
نفسه:

١- تندارى،

اسم له رائحة الوحل

والبياض،

يمضى يظلمه الصمت والرماد

٢- يكبر الندم الذى جاء صغيراً،

٣- الشوارع التى كانت بين ...

والمنفى والحقول،

تشتبك المدن الثلاث، نيويورك  
والقاهرة وتندارى كونها مدناً



# الإيقاعات والرهوك

---

٢٠٠ دائرة المثلث ، شعر : سعدى يوسف . ٢٠٦ القزم يشتهي.. تفاحة آدم ،

---

قصة : محمد حافظ رجب . ٢١٠ آخر قصيدة ، شعر : إبراهيم عبد الفتاح .

---

٢١٢ سر لبونزو ، قصة : ماشادوده اسيس . ترجمة : خليل كلفت .

---

٢١٨ القــــــــــــــــديس ، (صــــــــــــــــروة) : حــــــــــــــــازم هاشم .



# دائرة المثلث

شعر

السعدى يوسف

العراق

# I

أَيُّنَا ، أَنْ نَفْتَرَسَ الْأَنْهَارَ  
لِنَنْبِتَ زَهْرَةَ رَمْلٍ



نَادَتْ الرِّيحُ ، وَاقِفَةً عِنْدَ بَابِ الْقَصَبِ . كَيْفَ اسْتَأْذَنْ ؟  
كَيْفَ ادْخُلْ ، سَرِيَّةً ، فِي نُعَاسِ السَّمَكِ ؟ كَيْفَ أَمْشِي  
عَلَى قَدَمِي وَقَدْ دَارَتْ الْأَرْضُ بِي ؟ هَلْ سَتَسْمَعُ  
خَطْوِي السَّلَاحِفُ ؟ هَلْ يَنْظُرُ الذِّلُّوفَرُ ؟  
إِنْ صَوْتِي يَكْلَمُ صَوْتِي : ائْتُدْ . خَفَّفَ الْوُطءَ .  
لَسْتُ الْمَغْنَى هُنَا . لَيْسَتْ الرِّيحُ فِي لَحْظَةِ الرِّيحِ .  
فَلْتَجِدِي السَّرَّ ، وَلْتَسْجِدِي . وَاتْرَكِي الْأَرْضَ  
تَنْسِجَ اثْوَابَهَا : وَرَقًا ، وَمِيَاهًا ، ضَبَابًا ، وَرَائِحَةً  
مِنْ زَهْوَرٍ سَمَاوِيَةٍ . سَوْفَ تَأْتِي الزَّوَارِقُ قُبْلَكَ .  
تَلْمَسُ بَرْدِيَّهَا بِالْأَصَابِعِ وَالطَّيْرِ . تَأْتِي لَتَدْخُلَ ،  
مِنْ أَلْفِ بَابٍ ...  
فَمَنْ أَنْتِ يَا رِيحُ ؟  
قُولِي سَلَامًا ، سَلَامًا ، سَلَامًا ، سَلَامًا ...  
لَقَدْ نَهَضَ الْفَجْرُ وَالطَّيْرُ  
وَاتَّسَعَ الْوَرَقُ  
اسْتَبَقِظَ الذِّلُّوفَرُ .  
سُومَرِيُونَ يُخْفُونَ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ أَسْمَاكَهُمْ ، بَضَّةً ،  
وَيَحْرُكُونَ أَسْمَالَهُمْ بِالنَّوَاجِذِ . كَانَتْ جَوَامِيسُهُمْ  
تَمْضِغُ الزَّمَرَ . كَانُوا مُلُوكًا . لِمَاذَا تَزْوَرِينَ أَيُّهَا  
الرِّيحُ أَرْوَاحَهُمْ ؟

أنصتى !

إنها الطيطوى...

## II

آيُّتْنَا ، أن نفترشَ الرملَ

ونرفعُ من أشواكِ الصَّبِيرِ مَآذِنَنَا



بعيدينَ عن رجفةِ الماءِ كُنَّا ، بعيدينَ عن رشفةِ من عروقِ الورقِ . لقد كانت  
الخيلُ الهُةَ للجنودِ ، ولكننا ، مذ عرفنا الجِمالَ ، استكنَّا إليها ، وقلنا لها  
: أقبلى ياسفائننا . قبلى الشوكَ ، وليكن الرملُ موجاً ...

وها نحن نمضى إلى النيل ، نمضى إلى الفيل ،

نمضى إلى شجرات المدائن . هل أشعلتُ فى البرارى  
غصونُ سمرقند ؟ هل ذهب المصطفى فى طريق الذهب ؟

بعيدون عن طلعة المصطفى نحن . قد جاءنا ، وسألناه :

من أين جئت ؟ البرارى التى علمتنا الرمايةَ والرملَ

تمتدَّ أعمقَ فى الروح . لكنه قال : أنتم هنا جئتم

والجنائنُ . صدقُ أشياخُنَا ، فالتفتنا إلى الماء يلمع .

كانت سيوفُ يمانيةٍ وكراديسُ ...

كنا حفاةً

خفافاً

وكان الندى يترقرقُ فى حشرجات المغنى : تكون لكم

سرَّةُ الأرض . أنتم مفاتيحها ؛

والسوادُ لكم ، والجزيرةُ ، والشامُ

والنهرُ

والبحرُ ...

● يا سيدى ، نحن أضالُّ من بعةٍ

● قال : فلتوقدوا ناركم فى اليفاع ...

السوادُ لكم ، والجزيرةُ ، والشامُ

والنهرُ

والبحرُ

هل تبصرون تهامةً ؟

أنتم لها

مثلما للرقابِ الحسام

مثلما فى المآذن يعلو السلام

### III

أيتُّنا أن نرحلَ

لكنْ فى دائرة الرُّحلْ



قرنين وأكثرَ ، بل هذى المائة الأربع عشرة ، بل هذا

اللاتاريخ ، ونحن ندورُ ...

تحدثنا عن جُزُرٍ وممالكَ ، عن أنهارٍ وبحارٍ وتهائمَ ،

أبحرنا بالسيفِ .

وبالوجه الناشفِ

والعينينِ الصقرِ

ولكنْ .. أين ذهبنا ؟ والى أين سُسُلمَ خطوتنا ؟

كم أبصارٍ وسملناها ، وأكفٍ وقطعناها ، وجذورٍ

وقلعناها ...

كم كنا سعداء لأنَّا فى أرض أخرى .

قلنا إنَّا سنكونُ ، وإن الريح مواتيةٌ . كنا نقتلُ .

نقتلهم ، ونشدُ عمائمنا . أئى نساءٍ كنَّ لنا ! أئى حرييرٍ ...

مامعنى المرأة ؟

ما معنى الخمر ؟

ومامعنى أن نتلمس لحمَ الزهر ؟

حفاةٌ كنَّا ، وخفافاً ، وأغانى إبلٍ .

أما الناسُ ، الناسُ ، فسوف يظَلُّونَ الناسُ .

ونحن ، وإن كنَّا الامراءُ ، نظل حفاةً ، وخفافاً

وأغانى إبل ...

فلنعترف الليلة

أن الماء يحاصرنا

والصحراء بعيدة ...



صاح الرجل المكتئب :

.. سفينة نوح راسية في  
(الميناء الشرقي) .. من يريد أن يلجأ  
إليها ..

من يريد أن يركب فيها ..

... قال (نوح) النبي من فوق ظهر  
سفينة :

.. من يريد أن يلجأ إلينا .. من  
يريد أن يركب معنا ..

.. .. ..

الطوفان يجتاح المدينة : غضب  
السموات والأرض ..  
.. (الصينينة) تدهسها سيارات  
(المشروع) ..

يلهث البشر وراء كل سيارة  
تحضر فوق عجالات الذعر المجنون ..

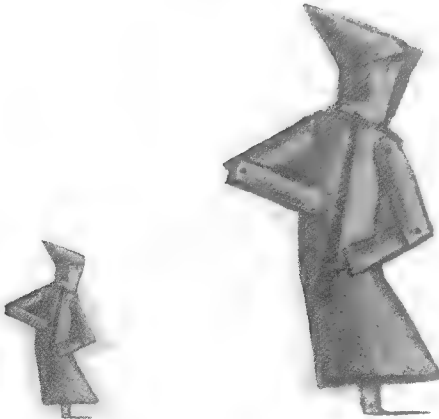
.. تفر السيارات من الرعب ..  
تلهث الجموع .. يمسك الرجال  
والنساء بكل عربة .. يفكونها ..  
يجعلونها فتاتاً .. يفرسون فيها

مخالبهم .. يلتهمونها وهم  
يصرخون .. صرخات متوحشة ..  
... الماء يرتفع للركب .. البحيرات  
تعطل موتورات السيارات .. تصرع  
العربات

... يصرخ العالم مما يحدث ..  
فليتولانا الله برحمته ...

.. (القبارى) قنوات تحتاج لقوارب  
... فى الزحام الفارق فيه البشر..  
امتطى (الرجل المكتئب) ظهر عربة  
مشروع

## القرم يشتهى .. تفاحة آدم



عن لوحة فاروق بمبيني



.. وضع العربية في جيبيه .. أمر  
السائق بالتحرك .. جلس ينخن في  
هدوء فوق سقفها ...  
... فى الطريق اعتزم أن يبتاع  
بعض اشجار البرتقال يوزعه على  
رجال ونساء الحجرة ...  
... اشترى عدة اشجار من الثمار  
الناضجة .. لكن البرتقال تسلك من  
تحت إبطه .. غرق وهو يسبح فى  
(البرك) ليخرج إلى شاطئه  
(الامان)...

## قصة :

## محمد حافظ



... قال (المكتئب):  
- ما دام البرتقال قد غرق  
سأعدهم أكواب الشاي الساخن ..  
تكتفهم ..  
يتم الصلح بينى وبينهم .. فلا  
يكلون لىسمى - داخل ادراج  
مكتبيهم .. هرياً من زهرير الجرد  
القارص ...  
... دخل (الديوان) بسيارة  
المشروع .. حتى مكتبه وهو يتعطى  
ظهورها في البحر المر .. قال :  
- الله يتولانا برحمته فى هذه  
الحنة الدهشة ...  
... (للسوداء) طلب شايًا  
.. (للصفراء) طلب شايًا .. أمسك  
بحقن كل منهما  
... فتحه على سعتة .. تلق فيهما  
كروانة شاي ...  
... اليوم (جاء القزم) يتعطى ...  
... غائب كان هو فى إجازة ...  
... اعتزم (المكتئب) عدم الحضور  
اليوم .. تجنباً للصدام المريع .. لكل  
البسطن حتى النخاع فى المفاصل  
التوارية فى الدهاليز المظلمة ... لكنه  
جاء ...  
... جلس على الكتبة بشرثر مع  
القزم وهما يدخان النارجيلة هندی ...  
... كل يضفى ما يتعارك فى  
داخلهما ...  
... قال (المكتئب) لرجل البوفيه :

.. حضر الشاي للقزم ..  
... فكر القزم مرة .. ثم مرة .. قرر  
أن يلعب .. قال للتي بجواره « اشربى  
الشاي أنت .. أنا لا أقبل مشروباً من  
(المكتئب) .. خصوصاً وأنا أنظاها  
أمامكم بالكبرياء والهنكرة  
... قال المكتئب : « الوغد .. القزم ..  
تحرك سريعاً .. تمطى .. نثت ببخاره  
المثوث أتعاء الحجرة »  
... قالت (السوداء) للقزم :  
- افتح غطاء البالوعة .. ضع فيه  
قطعة السندوتش هذه - والنبي - قبل  
أن يتحرك الفيضان ...  
... مرّ فى هذه اللحظة - الغلام  
الرفيع - قال وهو يشير إلى  
(المكتئب):  
- مخبر هذا الرجل .. يضع على  
رأسه طاجن سته ...  
... هطل المطر بشدة ..  
... انفجر الرجل (المكتئب) :  
- هذا الشتاء وبسخ ...  
... بهت الغلام الرفيع .. قهقهه  
عالياً .. فر ...  
... قال (المكتئب) للقزم .. الذى  
يتعطى قبل أن يصعد إلى سريره  
بالحجرة :  
- طظ فيك وفى والديك  
... من للحجرة المجاورة جاءت  
(رشيفة القوام) .. قالت للقزم :  
- أنا أميك من المكتئب ..  
أحسك منه .. أوقف الفيضان -  
القادم ..

رغم شدة العواصف .. المكتئب  
يعطل مسار مسراتنا ويهجتنا  
وأنسنا .. قال المكتئب ..

.. أعلم أن لكم العذر في فتح  
صنايير السعادة المؤقتة والفرح  
والفرشة ..

لكني بكم أكتئب ..

قالت للقرم:

.. سأساطب لك فتجان قهوة  
وسترى ما يحدث ..  
.. حضرت القهوة ..

.. خلعت ملابسها قطعة .. قطعة ..  
قفزت إلى فنجان القهوة .. راحت  
ترقص عارية فيه والقرم يشفط منه  
رشقة .. رشقة في جوع وحرمان  
ظاهرين

.. قررت الشياطين أن تواصل  
اللعبة .. تصرعت المرأة التي في  
الركن .. قالت للقرم وهي تعرض  
البضاعة من اللحم :

.. أنا خاطبة شاطرة .. وجدت لك  
عروسة .. في هذا البرد المفترى  
.. فزع (المكتئب) قال لها :  
.. سيدتي (الخاطبة) ابحتي لي أنا  
الأخر عن عروسة

.. قال له ينزهر :

.. كف عن تعاطيها - اتركها لن  
هو أولى منك .. كف عن الاشتها ..  
قالت له :

أنت لا تصلح .. زاهد أنت في  
أيام الفيضان هذه .. تعلن مقاومتك  
لصنف النساء .. صنفنا ..

.. تحمس المكتئب وجهه :  
يندهش الناس منه فيفسر منهم ..

تطارده الشياطين كي يتتحر تحت  
عجلات الترام السائر في شوارع  
(الامان) ...

... تحرك فيضسان (القيارى)  
(والورديان) ...

.. قالت (الجدة) :

.. ستلعنك السموات .. إن لم تكف  
عن العناد وتتبدع عن الاكتئاب الذي  
تخيف به العباد .. الأثرى أن الأمطار  
والعواصف تعويان من شدة الغضب  
عليك

.. مدت (رشيقة القوام) يديها  
أحاطت بضصر القرم وهو يطمى  
كثيراً من ضغط الحرمان:

.. أرقص معي هذه الرقصة لنغيظ  
المكتئب .. حتى يفر من وجوهنا ..  
يتتحر تحت أقرب سيارة مشرورع  
عابرة ...

.. القرم يتجول بينهن .. يروح  
ويجيء .. انتهى لهن : مهرجهن  
اللطيف

.. جمل المكتئب وحده مكتئبا .. قال  
له : كف عن تعاطيها يخشى غضبه  
..

.. وقف (المشروع) أمامه قفز إليه .  
صار بجانب السائق : نعمة لا  
يحصل عليها أحد في هذه الأيام ...

.. في العودة من (الديوان) وقف  
أمامهم أنوبيس شركة يتسول ركابه  
حمله مع المنتظرين ...

.. في سوق (عمر باشا) المحيط  
.. اشترى لوبيا وفاصوليا .. يا إلهي  
البرد سفاح لم يأت لنا مثله منذ  
أعوام ...

.. بعونه خرج .. كفت الأمطار عن  
فتح خياشيمها .. في الرابعة قام ..

اتصل به .. لم يكن الاتصال  
عميقاً .. ارتعد من التعب .. لم يذله  
.. انفعالاته شديدة الجرم .. في  
خياله يركض القرم والغلام الرفيع  
والفلاح العريض

.. حضصر إلى (الديوان) أول  
الحاضرين .. دخل الفلاح العريض .  
.. رق قلبه له .. تراجع عن  
التحدى .. جاذبه أطراف الحديث ..

.. ذهب الغلام الرفيع .. جاء .  
القرم أكل شعر ذقنه بأنسانه .. حاول  
أن يصادفه أعرض عنه .. صمت  
القرم ..

.. تصرع المكتئب إليه الا يذله  
.. ظل القرم صامتاً .. لم ترقص  
الشياطين رقصتها .. وحيد هو في  
وحده

.. امرأة الركن تفرقع ضحكاتها  
سروراً .. قالت هامة: الله يهدك ..

.. السوداء تدغدغ جسد القرم ..  
رد عليها بكلمات مرسومة متقطعة

.. شريرة السوداء تحاول إغاظته ..  
نادى المنادي من مكان قريب ... ذهب  
إليه .. اتصل به .. حصل على الهدوء  
والرضا .. انتشى ..

.. عند باب الدخول وجد القرم  
أمامه .. جاشت عواطفه .. قبله

.. عاد إلى عزلته ميتاً .. السوداء  
تستقره تدغدغ جسد القرم تحركه ..



.. فى الواحدة .. نهض رجل من  
فوق مكتبه .. سحب زميلته من فوق  
المكتب المجاور .. جذبها إلى الأرض ..  
ضاجعها أمام الجميع .. نهضت من  
رقبتها

متكورة البطن .. قالت أنا على  
وشك الوضع .. تقدمت واحدة ..  
قالت:

- سأساعدك ..

... وضعت عدة أطفال وراء  
بعضهم .. راحوا يصرخون : واء ..  
واء  
.. صفق الجميع فى سرور  
رحيب .. وقف الرجل يتمطى فى زهو  
وخيلاء .



ظهرت سفينة نوح فى (الليثاء  
الشرقى) ....  
قال المكتئب :

- سفينة نوح راسية فى الليثاء  
الشرقى .. من يريد الركوب .. من  
يريد النجاة ..

.. قال نوح النبى من فوق ظهر  
سفينة:

- من يريد أن يلجأ إلينا  
.. من يريد أن يركب  
معنا ..

.. لم يركب معه أحد ...

... قام الطوفان ... ■



لوحة للفنان : ممدوح سليمان

# آخر قصيدة

شعر

إبراهيم عبد الفتاح

آخر قصادك إيه ؟

يمكن تفتح وردة ع الأسفلت

أو يطلعوا قمرين لحظة ما تشرق شمس

أشبك عنيه ف أبجديتها

عرفت ديته

حاكتبها وارفع كفنى ع الكفين

وف نن عين الإبره حا شبك عين

وأرفى حواية صدرها

صفين، تلاته، أريعه، مدى

« الجملة دى متريده

حاكتبها تانى»

ولعت صف من الشموع

وخلعت بدنى من الهدوم

كانت عنىكى خليج نبيت

عليه

غرقت

لحت مركب من ورق

ورقصت لما اتورموا القدمين

وفرجلي عين السمكه كانت عين

ياريتنى كنت حرقته

آخر قصيده كتبته .. ما كتبتهاش

ماشى باللم ضلها

يمكن تسرسب ضيها بين عمتين

أو تبتسلى ف آخر الفنجان

يمكن عجوزه بتفرك النسيان

أو شاي برد على زهرة البستان !

فى الحلم كانت واقفة بنت بتشبهك

خطفت قميص ولوحت بالورد

قبل ما روحت

كشفت عن النهدين

وف نن عين الإبره شبكت عين

ياريتنى كنت شبكتها

عديت من «الهاء» اللى نايمه وحدها ع السطر

ولعت صف من الشموع

# سر البونزو\*

## فصل غير منشور بقلم

### فرنون مـينديس بينتو

قصة

#### ماشادوده أسيس

ترجمة

#### خليل كلفت

هراصير الليل ، التى كانت تولد من الهواء او من اوراق اشجار جوز الهند اثناء اقتران القمر الجديد ، وان عمله ، وهو مشرد مستحيل لمن لم يكن عالم رياضيات ، زعالم طبيعة ، وفيلسوفاً مثله هو ، يمثل ثمرة سنين طويلة من المثابرة على التجريب ، والدرس ، وحتى الخطر الذى ينذر بالهلاك . لكنه كان قد حقق أخيراً غايته ، وجلبت ثمار جهوده المجد لملكة بونجو ، خاصة في مدينة فوشيو ، التى كانت مسقط رأسه ، وكان على يقين من أن العلم أعظم قيمة من مباحث الحياة إلى حد أنه كان سيقبل الموت في الحال إذا كانت مثل هذه التضحية ضرورية .

إذا بمجموعة اشخاص على ناصية شارع ، وقد تحلقت حول أحد أبناء تلك البلاد كان منهمكا في حديث تقاطعه الإشارات والصيحات . كان الجمع يتكون من رجال فقط ، مائة على الأقل ، وقد وقفوا جميعاً فاغرى الأفواه رهبة إزاء المتحدث . وكان ديجو ميريلىس ، الذى عرف تلك اللغة افضل مما عرفت لأنه كان قد قضى شهوراً عديدة في بونجو خلال مهمة تجارية ( ولى وقت لاحق ، بعد أن تلقى الدراسات اللامتناهية ، تفوق في ممارسة الطب ) ، كان يترجم كلمات المتحدث إلى لغتنا . كانت فكرة المتحدث الرئيسية هي أن رسالته الوحيدة هي كشف أصل

رويت لك منذ قليل قصة ما حدث للأب المؤخر جداً فرانسيسكو في مدينة فوشيو ، عاصمة مملكة بونجو ، وماذا جرى للمكتنا الكاثوليكي في المجابهة بين الأب فرانسيسكو والفوكارا ندونو وبقية البونزوات الذين اعترضوا على تفوق ديننا الكاثوليكي الروماني المقدس . رساتحدث الآن عن مذهب ليس أقل غرابة منه نفعاً للروح ، وهو جدير بالتعريف به في شتى أنحاء العالم المسيحي .

ذات يوم في سنة ١٥٥٢ ميلادية ، فيما كنت أنا ودييجو ميريلىس نتمشى في شوارع مدينة فوشيو المذكورة آنفاً ،

اعجبنا مكنتنا أن نضعها موضع  
الممارسة .

كما اعتزمنا ، ذهبنا في اليوم التالي  
إلى بيت اليونوز العجوز يوماد\* ، الذى  
كان في الثامنة بعد المائة من عمره .  
كان اليونوز يوماد ضليعا للغاية في  
العلم الإلهي والإنساني ، وحيث إنه  
حظي بمنتهى الإجلال والتبجيل من  
جانب شعوب تلك البلاد الوثنية فقد  
ارتبب فيه غاية الارتياح بقية  
اليونوزات ، الذين نهى السعد  
قلوبهم . وبعد أن علم يوماد من خلال  
تيتانيه مَن كُنَّا وماذا أردنا ، أخذ يُبيننا  
لثقل عقيدته عن طريق إقامة طقوس  
وشعائر وثنية متبانية ، ثم رفع صوته  
ليبرح بمعتقداته ويشرحها .

« يجب أن تفهموا » ، هكذا بدأ ،  
« إن الفلسفة والمعرفة لهما حياتان  
متوازيتان : أولاً ، في الشخص الذى  
يملك هاتين السجيتين ، وثانياً ، في  
الشخص الذى يلاحظه . وإذا وضعتم  
أسمى الفضائل وأعمق المعرفة في فرد  
يحب في مكان ناء ، منعزلاً عن كل  
اتصال بؤخوته البشر ، فسوف يبدو  
وكأنه بلا أية فضائل أو معرفة . وإذا  
لم يُدَقَّ أحد برقالة لا تعد لها قيمة  
أكثر من نبات الخلق أو الاضطراب  
الضارة ، وإذا لم ير أحد البرتقالة نهى  
عبدية القيمة . وبعبارة أخرى ، لا  
مشهد بلا مشاهد . وذات يوم ، فيما  
كنتُ آمن التفكير في هذه الأمور ،  
أدركتُ أنني قضيت حياتي أحاول أن  
يزداد علمي قليلاً ويبنى حضوري  
أشخاص آخرين ليروني ويبدأوني فلن  
يكون لجهودي أى نفع دينوى . ثم  
تسألتُ ما إذا كانت هناك طريقة لتلقى  
نفس التبجيل والظلمة بدون بذل  
الجهد . ويمكنني الآن أن أقول إن

خطبته ببالغ التبجيل ، صيحة هائلة  
وأخذه إلى نفس شرفة التاجر ، مع  
الفرق المتمثل في أنه تم قله إليها في  
محفة . وعندما وصل ، انهال عليه  
سيل من الاهتمامات والتوددات  
مشابهة لتلك التى مُنحت لپاتيمو ؛ وإلى  
كل حالة ، كان المقصد الأول للجمهور  
المضيف هو التعبير عن عرفانهم  
للضيف الجليل . ولأنه بدأ من غير  
المرجح أن يكون التشابه بين الحداثين  
عرضياً ، لم ندر كيف نطّل حدوث  
ذلك ، ولم تكن نعتقد أن أية نظرية من  
النظريتين — أصل صراصر الليل  
الذى اكتشفه پاتيمو أو مبدأ الحياة  
الأخرى الذى اكتشفه لانجور —  
كانت عقلانية أو قابلة للتصديق . في  
ذلك الوقت ، تصادف أن كُنَّا قريبيين من  
بيت صانع صنادل اسمه تيتانيه ، وقد  
اندفع خارجاً للقاء ديجو مريليس .

ولمّا كان الصديقان يتبادلان التحية ،  
كان صانع الصنادل يخطب ديجو  
مريليس بأسمى العبارات ، وأصلاً  
إياه بأشياء من قبيل « صوت الحقيقة  
الذهبية » و« الصباح المجيد للفكر » .

ورصف ديجو مريليس ما سبق أن  
شهدناه قبل ذلك بقليل ، وأجاب تيتانيه  
بأنفعل : « ربما كنا يمارسان عقيدة  
جديدة يُقال أنه أسسها يونوز ذو علم  
غزير يعيش على منحدرات جبال  
المرجان » . وحيث أننا عجزنا عن رغبة  
حارقة في معرفة المزيد عن هذه  
العقيدة ، وافق تيتانيه على مصاحبتنا  
إلى منزل اليونوز . وأخبرنا أن اليونوز  
لم يفتح قلبه إلا لأولئك الذين رغبوا  
رغبة جارفة في أن يصيروا من أشياع  
معتقداته — وهكذا كان علينا أن  
نتظاهر بأننا انصارع متحمسون لنحمله  
على أن يُطلعنا على عقيدته ، فحين

ويمجد أن ختم كلامه ، أطلق الجمع  
المحتشد صيحة ابتهاج تصم الآذان  
وحملوا الرجل على الاكتشاف ،  
صائحين : « پاتيمو ، پاتيمو ، عاش  
پاتيمو ، الذى اكتشف أصل صراصر  
الليل ! » وأخذه إلى الشرفة المسقوفة  
لحل تجارى ، حيث قدموا له مشروبات  
وقاموا بتكريمه بأسلوب أولئك الوثنيين  
اللطاف والمهذبن للغاية .

كُنَّا عائدَيْن من حيث أتينا ، نتناقش  
حول الاكتشاف الذى نأمله بأصل  
صراصر الليل ، عندما فوجئنا على  
مسافة لا تزيد عن ستة من الكريدات  
من شرفة التاجر بجمع غفير آخر أيضاً  
تجمع على ناصية شارع ، منصتا إلى  
رجل آخر . كُنَّا مندعشين بتشابه  
الموقفين ، ولأن هذا الرجل بدوره كان  
يتكلم بسرعة أخذ ديجو مريليس يردّد  
في خلاصة حديثه ، كما كان قد فعل من  
قبل . ومما بالإنعجاب والاستحسان  
الشديدين من جانب أولئك الذين  
أحاطوا به ، قال هذا الرجل — وكان  
اسمه لانجور — أنه اكتشف ، من  
أجل أولئك المعنيين بالفلاص بعد  
الدمار الكامل للأرض ، مبدأ الحياة  
الأخرى في قطرة واحدة من دم البقرة .

وقد فسرتُ نظريته كذلك التقدير العالى  
الذى أُعْتُبِرَتْ به البقرة ملوئاً للارواح  
البشرية والعماس الذى يبحث به  
الناس عن ذلك الحيوان المقدس في  
ساعة موتهم . وكان على يقين تام من  
سلامة اكتشافه ، الذى كان ثمرة  
التجريب المتواصل والتأمل العميق ،  
وكان لا يطلب ولا يريد أى مكافأة على  
جهوده ، إلا أن يجب المجد لمملكة  
بونجو وأن يتلقى منها التقدير الذى  
يستحقه أبناؤنا الجديرون بالتكريم .

وأطلق الجمع ، الذى كان يصغى إلى

اليوم الذي اكتشف فيه عقيدتي كان يوم تجديد وخلص للبشرية .

عند هذه النقطة كنّا أذنانا صاغية ، وكانت عيننا مركزة على البونزو ، الذي أخذ يتحدث على مهل ويوضح بحيث لم نفقئ كلمة ، لأن ديجور ميريليس كان قد أحاطه علما بأنني لست بالغ الإلمام بلغة تلك البلاد . وقال إن الفكرة وراء عقيدته الجديدة ، الأمر الذي لم يكن بوسعنا تخمينه وحدنا ، جرى استلهامها من شيء لا يقل عن حَجَرِ لَقَرِ الذائع الصيت ، الذي كان يبهز العيون إلى حد أنه عندما يوضع على قمة جبل أو في أعلى برج كان ينير حتى إهد الحقول المحيطة به . ولم يكن لسحر القمر المتلألئ وجود في واقع الأمر ، غير أن كثيرين كانوا يؤمنون بوجوده . وزعم أكثر من واحد أنه رآه بعينه . ثم قال البونزو : « فكرت في المسألة وادركت أنه إذا أمكن أن يوجد شيء في الرأي دون وجود في الواقع ، أو أن يوجد في الواقع دون وجود في الرأي ،

فالاستنتاج السليم هو أن ما هو ضروري من بين الحياتين المتنازعتين هو الرأي وحده — وليس الواقع ، فهو ليس سوى اعتبار ثانوي . ويصدق أن قمت بهذا الاكتشاف التام ، حدث الله علي هذا الفضل الخاص وأقررت أن أفصح سلامة عقيدتي بتجارب أثبتت ، في أكثر من حالة ، صوابها . لكنني لن أتناقص في هذا الآن ، لأنني لا أريد أن أخذ المزيد من وقتكم . ولكي أمتحكم فيما لعقيدتي ، يكفي أن ألفت أنظاركم إلى واقع أنه ، أولا ، صراخير الليل لا تولد من الهواء أو في أوراق أشجار جوز الهند أثناء اقتران القمر الجديد ؛ ثانيا ، لا يمكن أن يوجد ميدا

الحياة الأخرى في قطرة واحدة من دم البقرة . لكن هاتيماء ولانجور كانا في غاية الذكاء ونجحا في دس هاتين الفكرتين في عقول الجماهير بمهارة بالغة إلى حد أنها يقتنعان الآن بشهرة عالمين طبيعيين عظيمين . وفيلسوفين أعظم ، وهما اتباع مستعدون للتضحية بحياتهم في سبيلهما .

لم تعرف كيف تمير للبونزو أفضل تمير عن مشاعر منتهى الرضا والإعجاب لدينا . ولفترة بعد ذلك ، راح يسألنا طويلا عن المبادئ الأساسية لعقيدته . وعندما اقتنع بأننا فهمناها ، نهبنا إلى أن نمارسها ونبوح بصرنا بحذر ، ليس لأنها تنطوي على أي شيء يتعارض مع القوانين الإلهية أو البشرية بل لأن سوء تطبيقها من جانب معتق جديد يمكن أن يلحق بها الضرر ويفرض مُرَحَصًا في النجاح . وفي نهاية المطاف ودعنا وقال إنه على يقين من أننا نصادر بيته « بالأرواح المخلصة للهرماديين » ، وهذه تسمية أسعدته للغاية ، لأنها كانت مشتقة من اسمه شخصيا .

والحقيقة أننا نحن الثلاثة اتفقنا قبل حلول المساء على أن نضع موضع التطبيق لفكرة بدت لنا مُرَحِمَةً بالإضافة إلى كونها سديدة . حيث أن الربح لا يوجد في شكل العملة فحسب بل كذلك في شكل التقدير والإطراء . للذين يمثلان وسيلتين أخريين من وسائل التبادل — حتى وإن لم يكن بوسعنا استعمالهما في شراء الأقمشة الدمقسقية أو طقم المائدة المصنوع من الذهب الخالص . ثم قرّر كل منا ، لكي يمتحن سلامة العقيدة ، أن يخرس في عقول مواطني فوشيف اقتناعا كن من شأنه أن يسمح لنا بالتمتع بمنافع مضاربة

لتلك التي تمتع بها هاتيماء ولانجور . وعلى رأى المثل فإن أفضل مصالح المرء تشغل عادة الجانب الأكبر من تفكيره ، وقد صمم تيتانيه خطة لتلقى الأجر بكلا المعتلين — نقداً وب تقدير مواطنيه — باستخدام العقيدة كوسيلة لبيع الصنادل . ولم تعرض على فكرته حيث إنها لم تكن تتعارض مع جوهر عقيدتنا .

لا أعرف تماما كيف أشرح تجربة تيتانيه أو أجعلها مفهومة . ذلك أنه في مملكة بونجو ، كما في مناطق أخرى نائية في هذا الجزء من الكرة الأرضية ، يصنع السكان ورقا من نوع فاخر من لحاء القرية المطحون والمصنَّع ، ويجري تقطيعه قطعاً صغيرة منها بطول كَثِينٍ وعرض نصف كَث . وتُطَبَع أبناء الأسرعة ، بالوان زاهية ، على هذا الورق بلغة تلك البلاد — وهم يكتبون عن السياسة ، والدين ، والتجارة ، والقوانين الجديدة للمملكة ، ويوصل وإقلاع المراكب المجهزة بالاشرة المثقة وبالأشرة الضمعة الخفيفة ، وذاق اللانشارا ، والخفوت ذات الأشرة المثقة الضمعة ، وكافة الأنواع الأخرى من السفن التي تبحر في تلك البحار ، سواء لشن الحرب ، وهي كثيرة الاندلاع ، أو لممارسة تجارتها . وفي كل أسبوع تُطَبَع وتوزع كميات ضخمة من مناشير الأنباء هذه على أبناء البلاد مقابل هبة ، يدفعها كل منهم عن طيب خاطر لعله يتلقى الجريدة قبل جاره . وجد تيتانيه بطاقة زيارته المثالية في هذه الجريدة ، التي يمكن ترجمة اسمها في لغتنا إلى « عماد ومغارة الشؤون الدينية والسمائية » .

ورغم أنه اسم مبهرج بعض الشيء فهو بالغ الإيحاء . جعلهم تيتانيه يشيرون في



هذه الجريدة أن صنادله ، وفقا لأحداث الأنباء من سواحل مالابار [ الهند ] والصين ، كانت حديث الساعة . وكانت تعتبر ، من حيث مهارة الصنعة والرمضة ، أعظم الصنادل في العالم . وكان اثنان وعشرون على الأقل من كبار موظفي الإمبراطورية الصينية يقدمون التماسات إلى الإمبراطور السماوي لينعم عليهم بقلب « صنادل الإمبراطور » ، وكان للطلب أن يمنحها الإمبراطور كمكافأة لأولئك الذين تفوقوا في مساعيهم الفكرية . كان تيتانيه يبذل قصارى جهده لتلبية الطلب الدائم الازدياد على مُنتججه ، ليس حباً في الربح بقدر ما كان تشريفاً لبلاده . لكنه ، رغم الطلب على صنادله ، كان قد أحاط الملك علماً بأنه سيهيب الفقراء خمسمائة زوج من الصنادل . وكانت حقيقة أن صنادله تعتبر الأفضل في العالم لم تُصب بالفرور ، ذلك أنه كان لا يزال جزئياً متواخماً ، يعمل في سبيل مجد مملكة بونجو . وحتى ذلك الحين ، كان الناس يعتبرون صنادله واقية بالفرض ، لكنهم بعد قراءة الأخبار بدأوا يبهثون عنها بثلث وحماس ، ازداد مع الوقت ، فيما ظل تيتانيه يغريهم بالكثير من القصص العجيبة عن بضاعته . ومتخذاً سيماه المحترف ، قال لنا :

« يمكننا أن نرى أنني امتلأ لروح عقيدتنا ، ذلك أنني لا أؤمن في الواقع بتفوق صنادلي ، فهي عادية في الحقيقة . لكنني جعلت الجماهير تؤمن بها ، وهم يدفعون فيها الآن السعر الذي أعددته . ومتصدياً لرايها قلت : « لا اعتقد أنك أدركت المعنى الحقيقي لعقيدتنا . فليس من المفترض فينا أن

نفرس في الآخرين رأياً لا نراه ، بل بالأحرى أن نجعلهم يؤمنون بأنه يمكننا أن نفعل شيئاً لا يمكننا أن نفعله . هذا جوهر عقيدتنا » .

عندئذ وافقا على أنه جاء دوري . وبدأتُ على الفور ، لكنني سأكتفي بمجرد تلخيص تجربتي لانتقل إلى رواية تجربة ديجو مريليس ، حيث إنها كانت أكثر التجارب الثلاث حسماً وقدمت خير برهان على فعالية الابتكار السائر للينزو . وأن أقول أكثر من أنني لما كنت أعرف القليل عن الموسيقى وعن آلة الشانم ، التي لم أكن أعرف عليها جيداً ، قررت دعوة أهم مواطني فوشيو ليستمعوا إلى عزف على تلك الآلة . جاؤوا ، واستمعوا ، وانصرفوا قائلين إنهم لم يسمعوا أبداً من قبل أي شيء بهذه الروعة . وأعترف بأن نجاحي كان يرجع بالكامل إلى أسلوبى في العرض : الاحتفاء الرشيق لذراعى لالتقاط آلة الشانم ، التي كانت قد حُملت إلى فوق صينية من الفضة ، وولفتي المزهرة والصارمة ، والسلسلة التي رفعت بها عيني صوب السماء ، والكبرياء المزديرة التي خفضتها بها من جديد لاتطلع إلى الجمع المحتشد . وعند هذه النقطة حيث عاصفة من الصيحات العالية الحماسية وهفافات الاستحسان إلى حد أنني كنت أقتنع بأنني كنت جديراً بهذه الاستجابة .

لكن كما ذكرت منذ قليل ، كانت تجربة ديجو مريليس أبرد تجاربنا جميعاً . في ذلك الحين ، كان هناك مرض غريب ينتشر في كل أنحاء المدينة وكان يجعل أنف الضحية يتضخم إلى أن يغطي نصف وجهه . فكان على المصاب ، أن بالإضافة إلى كونه يبدو مريعا ، أن يصبر على الإزعاج المتمثل في حمل ذلك

الورث الإضافي وكان من رأى أطباء البلاد استئصال الأنوف المتضخمة لتسكين آلام المرضى ومدوائهم ، لكن لم يكن هناك من يرغب في تسليم نفسه لهذا العلاج ، مفضلاً الإفراط على الغياب ومعتبراً الاستئصال أسوأ حل ممكن . ومات الكثيرون عن طيب خاطر في سياق هذا المأزق المفزع مفضلين ذلك على العلاج ، وكان هناك حزن عظيم في شتى أنحاء مدينة فوشيو .

وكان ديجو مريليس ، كما سبق القول ، يمارس الطب منذ فترة . وقد درس ذلك الداء وانتهى إلى أن خلق الأنف له ميزتان : يمكن إتمامه بلا خطر على المريض ، وهو في نهاية المطاف لا يفقد التبع مما كان من قبل ،

حيث إن عدم وجوده أثّر أثق على الإطلاق ليس أسوأ من أنف مريض ، ومشوّه ، وثقيل . لكنه كان عاجزاً عن إقناع المتساء ذوي الحظ السيء بالإقدام على التضحية . وهذه هي اللحظة التي وقع فيها على ابتكاره البارح . وفي تجمع لسلاطين ، والفلاسفة ، والهنوزوات ، وبقية نقابة وممثل المجتمع ، أبلغ المجلس أنه ابتكر طريقة سرية لحل المشكلة بأن يحل محل العضو المريض أنف ميتافيزيقي سليم ، كان — رغم أنه لا يمكن إدراكه من جانب الكائنات البشرية — واقعياً أو أكثر واقعية من الأنف الذي جرت إزالته . وكان قد مارس هذا العلاج في مكان آخر ، وتم التسليم بصحته كل التسليم من جانب أطباء مالابار [ الهند ] . أصيب أولئك المجتمعون بالذهول . وكان رد فعل الكثيرين هو عدم التصديق ، غير أن الغالبية لم يعرفوا فيه يعتقدون . فرغم أنهم كانوا شديدي النفور من فكرة

أولئك الذين قطعت لهم أنوفهم ظلوا يستعملون مناديلهم ليتخطوا وقد رويت هذه الحكاية بأكلها راجيا تكريم البونزو. وخدمة مصالح الجنس البشرى. ■

■ البونزو (الكاهن البوذي) يعنى أيضاً في البرتغالية « المناق » و « الفور ». وقصة « سِر البونزو » مقدمة على أنها فصل غير منشور من كتاب شهير للرحالة البرتغالي فرنون مينديس بنتو (حوالى ١٥١٠ — ١٥٨٢) هو كتاب « الحج » الذى وصف فيه التوسع البرتغالى فى آسيا (بعد ارتياده لبلاد الهند الصينية) وصفاً غنياً بالمعلومات ولا بطولياً سافراً — ملاحظة الطبيعة الإنجليزية يتصرف — المترجم .

■ « دجبال » — ملاحظة الطبيعة الانجليزية .  
■ « النغ » موسيقية قديمة أشبه بالغاي — المترجم .

كان عليه أن يكرس كل طاقاته لعلاجهم . وبعد استئصال أنف المريض بكل مهارة كان يدس أصابعه فى صندوق للأنوف الميتافيزيقية ، ويخرج واحداً منها ، ويدخله فى الموضع القارغ . وكان المرضى ، الذين عولجوا وجرى تعويضهم بهذه الطريقة عما فقدوه ، ينظرون إلى بعضهم فلا يرون شيئاً فى مكان العضو الذى جرى قطعه . غير أنهم كانوا على يقين من أن العضو البديل موجود هناك — وحتى إن لم يكن بوسعهم أن يروه أو يلمسوه — إلى حد أنهم لم يعتبروا أنفسهم مخدوعين وراحوا يياشرون شئونهم .

كان أقوى برهان على عقيدة ديججو ميريلىس ونجاح تجربته هو واقع أن

أنف ميتافيزيقي إلا أنه أغرتهم مع ذلك اللهجة القوية لكلمات ديججو ميريلىس السامية والافتناع الذى عرض به علاجه وحده . وأعلن عدد من الفلاسفة الحاضرين ، مرتبكين إلى حد ما بالعرض العلمى الذى قدمه ديججو ميريلىس وكارهين أن يعطوا الانطباع بأنهم كانوا يعرفون أقل مما يعرف ، إن دعائم تجربته تقف على أرض صلبة فى ضوء حقيقة أن الإنسان كان يحتاج الوحيد للمثالية الترنسندنتالية . ونتيجة لذلك زعموا أن هناك أكثر من سبب كاف للإيمان بالأنوف الميتافيزيقية واقسموا أنها لا تقل عن مستوى النوع الآخر .

صفق المجلس لديجو ميريلىس . وتوافد عليه المرضى زرافات إلى حد أنه



لوحة للفنان : جميل شليق

# القديس

## صازم هاشم

شاركت الجميع الضحك وأنا فى غاية «الكسوف» . وكنت قد لاحظت أول ما جلست أن جدران الغرفة الفسيحة لا تظهر من كثرة الكتب التى غطتها تماماً، وعندما قمت أطلع العناوين، حسبت القديس، فقد كانت عنده كتب فى كل باب. لن أنسى أنه فى ذلك اليوم بادرني فيما يشبه الإعلان والضوء الأخضر.. «خذ أى كتاب يعجبك إقرأه ورجعه تانى..» واديني ح أجريك إياك تطلع زى غيرك حرامى كتب «ولمأنته خشية أن يتراجع . فصلمت ليلتها أربعة كتب ليقول لى القديس عند الانصراف: «بقى تعالى أى وقت»

بدأت التردد على بيت القديس . وفى كل مرة أخرج مبهوراً أكثر . اسمعنى موسيقى.. وقرأ لى شعرا.. وحدى أو بين آخرين فى زيارته ولما

ضيواف من السودان الشقيق، لمحت بينهم وجهاً. لمحت بينهم وجهاً لشاب راح يسكر حتى كاد يفقد النطق. وممرت بعدما سنوات ليصبح هذا الشاب حاكماً فى بلده لسنوات طويلة حتى أطاحت به ثورة شعبية عارمة. مدت أمام الجميع مناضد صغيرة حسفت بمتنوعات من الطعام والشراب.. والنقاش استندم بين الجميع فى شتى الموضوعات لكن القديس صاحب البيت كان له الصوت الأعلى والأكثر انتشاراً فى المكان.

وقد لاحظت أن القديس يحب الأكل ويعانق اللحوم عناقاً حاراً، فلا يخفى شوقه ولا يدارى روعة اللقاة. ولما كنت وقتها نحيفاً رشيقياً فقد استنكرت نحافتي وناولني قطعة كبيرة من اللحم وهو يقول :... « كل .. أظن ده أول تعارف بينك وبين اللحمه » ..

**ق** كل الذين عرفوه أطلقوا عليه لقب القديس، على الرغم من أنه لم يكن يفعل شيئاً فى حياته يمت بصلة إلى ما فى حياة القديسين كما عرفناها فى أخبارهم. أول ما عرفته كان كاتباً وشاعراً وممثلاً وناقداً وموسيقياً وغير ذلك، زرت بيته برفقة واحد من الصحفيين الكبار كان عاشقاً ومحباً للقديس. اخذنى إليه وقدمنى على أننى واحد من صبيان الأدب، وصعاليك الثقافة وكنت بالفعل كذلك، وقد احتفى القديس بى على طريقتة بسيل من الشقائق الأبوية فسبكت على مضض، ومازالت أذكر هذه الأمسية التى طالعت فيها وجهه للمرة الأولى لأنها كانت أمسية حافلة. الشقة واسعة فى عمارة تنتمى إلى أيام عز البناء والصمارة التى تنم عن نوق رفيع ملاكها. كان لدى القديس ليلتها

اكتشف أنني لست من «حرامية» الكتب أصبح يلدني على الكتاب الذي أحمله معي لأرده بعد القراءة. وشيئاً فشيئاً أدركت لماذا من عرفوه أسموه القديس؟؟، خلوته مع الناس وبيته كأنه المزار مفتوح للكافة في النهار والليل. مسامر جعل لسمار لياليه طقساً وتقاليد مرمية هو كاهنها الأعظم. كان تركيبة إنسانية حافلة بالثقافة والفن والفوضى والعيب والرقعة الحانية والخشونة الفظة، يغم لذات الحاضر ولا شأن له بالغد. يكسب الكثير وينفق أكثر. صعلوك عظيم بهرني فلم أكن - وكل جيلي - أطمح وقتها لأكثر من ذلك.

وكما كان القديس قادراً على كسب المال وإنفاقه. كان مقتدراً في الحصول عليه عبقرى في إيجاد مصادره وقما يريد. لا يعدم الوسيلة ولا يفقد الفريسة. وفي هذا الباب وصده من مواهب القديس لا تنفذ الحكايات.

لكننى سأحكى لكم واحدة من درره العبقرية في كيفية الحصول على الأموال كلما أراد.

في الستينيات كان لمصر وزير للتجارة الداخلية بعد أن أضفنا لاسم وزارة الترميم - وهى وزارة تاريخية في مصر - اسم للتجارة الداخلية، وكان الوزير في ذلك العصر - شأن كل الوزراء - «على قد حاله» ولا يمكنه الحصول من الدنيا إلا على راتبه. وكان فلك الأرقام وقتها بسيطاً متواضعاً وأى مسئول في الدولة يفرغ إذا حدثته في شئون المال متجاوزاً رقم الألف.

قرر القديس أن يكون وزير الترميم والتجارة الداخلية، هذا

فريسته، فالقديس في حاجة إلى مبلغ من المال. وهذا المبلغ قد تجاوز رقم الألف بالآلاف. ولا يمكن أن يتيسر له عن طريق الاستدانة، فعماذا فعل القديس!؟.

اتصل ذات يوم بمكتب الوزير ذاكراً اسمه لمدير المكتب طالباً تحديد موعد مع سيادة الوزير.

فلما حاول مدير المكتب أن يستفسر عن سبب طلب الموعد وقد ظهر عليه أنه لا يعرف القديس. انبرى القديس له شاخراً ناطراً ناعياً على مدير المكتب جهله بقدر وقيمة من يحدثه!، وتحت وقع الشفط والنظر - وكان القديس ممثلاً بارعاً إذا أراد التظاهر بالغضب - خر مدير المكتب سريعاً تحت الوطأة والورق، واستسلم القديس لدقائق عاد بعدها أسفاً ومعتزراً عن جهله الشديد، ومعلنًا للقديس الموعد المضروب الذي ينتظره فيه سيادة الوزير.

ما إن دخل القديس على الوزير إلا وانتفض الرجل هاشأً باشأً مصافحاً في غاية الاحترام والتوقير زائره القديس. الذي كان قد أعد العدة الجيدة لهذا اللقاء.

بعد شرب الساقعات والساخنات وأحاديث المودة الكاذبة دخل القديس في الموضوع.

بدأ باستتكار عدم إدراك الوزير لأهمية وزارته وأعمالها. وكيف أنها لا يجوز أن تكون وزارة في الظل مع أنها أكثر الوزارات مساساً بحياة الناس في النهار والليل، وإحساس القديس واقتناعه بأهمية الوزارة فقد جاء يعرض على الوزير فكرة مذهنة،

ابتهج لها الوزير، والقديس لا يقطع حديثه حتى أجهز على الوزير الذي جلس يسمع في غاية الانتباه.

أخرج القديس من حقيبة صغيرة في يده ورقتين هذا هو مضمون وملخص الفيلم الذي ينوي القديس إخراجها عن الترميم والتجارة الداخلية في مصر من عهد الملك «أحمس» وحتى عهد وزير الترميم والتجارة الداخلية الحالي!.

إنه الفيلم الذى سيوفى الوزارة حقها في الدعاية والترويج لنشاطها المهم.

طالع الوزير الورقتين وقد أصبح مقتنعاً تماماً بالفكرة. ليسأل القديس على استحياء: كم يتكلف هذا الفيلم!؟

أجاب القديس بأعصاب باردة: هو في الفيلم جزء تارضى يمكن هوه اللى حيتعبنا شوية فى الشغل والمصاريف. لكن الباقي سهل لأن الموانى فيها المراكب جاية المستورد. وف داخل البلد منافذ الترميم موجودة سواء جملة أو قطاعي. الفيلم حيتكلف مبلغ بسيط بالقياس لهدفه وتأثيره (٣٠) ألف جنيه بس.

وقبل أن يبدى الوزير أى نوع من الفزع أو الإحساس بضخامة المبلغ استطرد القديس يحاصر الوزير.. «المبلغ ده حيتصرف على ثلاث دفعات. كل دفعة عشرة .. ومن اليوم ح نبتدى .. وسيداتك تامر بشيك أول دفعة .. لأن فيه ناس مكلفين بالمادة العلمية التاريخية وغيرهم مكلف بالازياء والديكورات التاريخية ودول لازم ياخذوا مقدمات وعرايين».

على أولى الورقتين كتب الوزير  
التأشيرة السحرية المصرية التي تفتح  
الأبواب .. موافق .. ويستخرج شيك  
فوراً باسم الأستاذ فلان وتنتهى  
الإجراءات اليوم !

انصرف القديس بالشيك، الذى  
لم يستغرق استخراجه من الوزارة  
أكثر من نصف ساعة. دار مدير  
مكتب الوزير بالأوراق من مكتب إلى  
مكتب. ومن موظف إلى موظف. أحس  
الجميع بأهمية هذا الشيك، فسقط  
الروتين المصرى فى ذلك الصباح.  
كما يسقط عادة كلما كانت الأوراق  
تصل الموافقة الفورية لتتجزأ  
السكرتارية الخاصة ومدراء المكاتب  
للمسؤولين. القديس صرف عشرة  
الآلاف الأولى الطبية. ولينفق المبلغ  
فيميدى عن بكرة أبيه وأخر جنيه فى  
الأغراض التى خصص المبلغ  
لها وهى أغراض لا علاقتها بفيلم  
«التموين والتجارة الداخلية فى مصر  
من عهد الملك أحمدس إلى عهد وزيرها  
الحالى»!

بعد أسبوعين تلقى الوزير فلاحس  
ولا خبر من القديس. استنكر القديس  
فى مكانة تليفونية من الوزير له لهفة  
الوزير، وشغل فيه شخطة معبرة عن  
رغبة القديس فى أن يعمل فى  
صمت، وأن مثل هذا النوع من  
الأعمال الفنية لا يعرف السلق، وأن  
«السينما لها ناسها والتموين له  
ناسه»، خجل الوزير من نفسه فما  
كان يجب أن يستعجل القديس!

الأيام تمر. والوزير لم يعد مطمئناً  
إلى عمل القديس فى صمت، وأخذ  
يفكر كيف يتصل بالقديس دون أن  
يفصح عن مخاوفه. فامتدنى إلى

حيلة. اتصل بالقديس سائلاً إياه عما  
إذا كان فى حاجة إلى عشرة أخرى..  
الدفعة الثانية؟

اجاب القديس فى لطف بالغ.. يا  
سيادة الوزير .. المسألة مش مسألة  
فلوس وخلاص .. كل مرحلة لا بد أن  
نتهى منها على أكمل وجه .. والدفعة  
الثانية سيأتى وقتها .. ما يصحش  
نستعجل .. الفلوس فى الوزارة كأنها  
عندى.

خشى الوزير أن يسأل عن  
تفاصيل أكثر. وإلى أى المراحل وصل  
العمل. فأنهى المكالمة وهو أشد خوفاً  
وقزناً على العشرة الأولى التى  
صرفت!

وطالع سيادة الوزير خبراً فى  
إحدى الصحف عن سفر القديس -  
فى وفد ثقافى - إلى دولة شقيقة فجئ  
جنونه. طلب القديس فى التليفون  
متظاهراً برغبته فى وداعه. لم يرد  
القديس على التليفون، فقد كان  
الخبر «بائتاً» نشر بعد سفر الوفد  
بالفعل.

كلف الوزير مدير مكتبه بتسقط  
أخبار عودة الوفد الثقافى، وإبلاغه  
بموعد وصوله. حتى يحدث القديس  
على الفور.

جاء الخبر الميمون. وصل الوفد  
الثقافى اتصل الوزير بالقديس مهتماً  
بسلامة العودة. القديس وصل إلى  
أرض الوطن لكنه لم يذهب إلى بيته،  
بل قصد منزل أحد الأصدقاء فى  
الريف ليقيم أياماً فى ضيافته. عاد  
بعدها إلى البيت فوجد تليفونات  
الوزير الملاحاة لا تتوقف، ولما كان  
بيت القديس لا يفزع من ضيوفه  
وزواره طالما كان موجوداً به فقد

اصدر القديس تعليماته المشددة بأن  
يفاد الوزير كلما اتصل بأن القديس  
غير موجود، أن أوان المطاردة  
والمراوغة، فأحس القديس بأنه لا بد أن  
يحسم الأمر بحيث ينسى الوزير  
الموضوع تماماً، فكيف حسنها  
القديس؟

قصد القديس ذات صباح إلى  
أقوى أجهزة الأمن وأخطرها فى ذلك  
العهد. كان مجرد ذكر اسم هذا  
الجهاز أو رئيسه ترتد له الفرائص.  
طلب القديس مقابلة رئيس الجهاز.  
أرسل له الرئيس من يستفسر منه  
عن الغرض من المقابلة. أشار القديس  
إلى أن الموضوع خطير ولا أقل من  
رئيس الجهاز ليتصرف فيه.

أخذوا القديس إلى مكتب الرئيس  
الرهيب. لم يجلس القديس إلا بعد أن  
سمح له بالجلوس. واختار القديس  
لغة خطاب بارعة. بدأ بالتعسر  
والأسف على أموال الشعب التى  
يريد بعض المسؤولين إهدارها فى  
المظاهر والكلام الفارغ، فلما  
استوضحه الرهيب الأمر. ذكر اسم  
وزير التموين والتجارة الداخلية على  
الفور، ثم وصف بأنه مجنون أو  
أصابته لؤثة. «تصور سيادتك... البلد  
يعانى.. والشعب يكافح.. والقيادة  
السياسية تبذل ما تبذل لتحقيق تنمية  
شاملة .. ووزير التموين عايزنى أعمل  
فيلم عن التموين من عهد أحمدس  
لعهد سيادته»!

أصمت الرهيب باهتمام بالغ  
والقديس ما زال مستطرداً .. «أنا فى  
الواقع يا أفندم مش جاي إلا بطلب  
واحد .. ترحموني من مطاردة  
الوزير.. كل يوم ميت تليفون. ومصّر  
على أتى أروحله.. وأنا باعتبر إن أى

حد يعمل الفيلم ده من الفنانين يبقى قلبه مش على البلد.. أظن لو سيادتكم قلتله يبطل تفكير في الموضوع ده مش ح يفتحه تانى لحد.. بس أرجوك يا اقندم بلاش القيادة السياسية تاخذ خير.. أحسن ما يلقاش نفسه وأنا ما احبش الأذية عن طريقى!». الرهيب طمأن القديس على أن الأمر سيتخذ فيه الإجراء المناسب.

وفى ذات اليوم استدعى الوزير لمقابلة الرهيب. الذى لم يعط فرصة الحديث للوزير. بل أعلن له فى حسم أن هذا الموضوع للخرافى لو أبخلج إلى المسامح العليا لكانت العاقبة وخيمة. وأشار الرهيب إلى أنه سيكتفى هذه المرة بالهمس والإشارة للوزير. الذى جلس مرتعداً ويكاد يجن. وكلما حاول أن يشرح ما حدث قاطعه

الرهيب قائلاً: «خلاص .. ح اعتبر الموضوع كأن لم يكن .. وأحذرك من الكلام مع حد فى الموضوع». انصرف الوزير وهو يتلفت!، أما الرهيب فقد اعتبر الموضوع فضيحة مدخرة للوزير، وأما القديس فقد كف تليفونه عن الرنين إلا من سمار لياليه. ■



للغتان : بول سيزان



# الكتاب

فيدريكو فيليني - الرحيل إلى الصباح . التحرير .

٢٢٢ آخر أحلام المايسترو ، المحمود ابراهيم .

٢٥١ إيطاليا ليده رحيل فيليني ، م . ا .

٢٥٦ فن السينما ، بقلم فيديريكو فيليني .



فللیس یریشته

# فيدريكو فيليني الرحيل إلى الصباح

**ق** إن كان فيدريكو فيليني (١٩٢٠ - ١٩٩٣) قد رحل عن عالمنا منذ أيام، إلا أن الزمن بدأ يسجل بداية جديدة لعمله العبقري الذي خلفه للإنسانية جمعاء خالصاً من الكذب والمحاكاة متوغلاً في روح وجوهر الإنسان والطبيعة والأشياء، لنبدأ رؤيته من جديد ونتعلم من المايسترو الذي لم يصور مشهداً إلا وقد قلبه على وجوهه الأربعة ليأتى خالصاً دقيقاً من صلب الحياة.

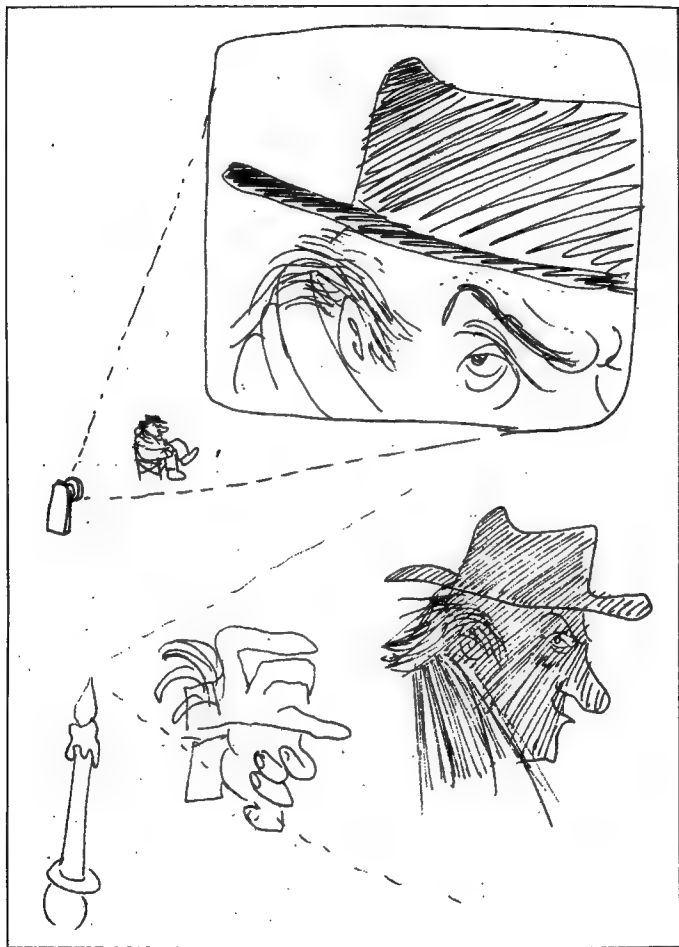
فيدريكو فيليني يبدأ معنا رحلة جديدة: نكتشف عبر عمله صورتنا الحقيقية، كما اكتشفت إيطاليا في مرآته واقعها المر، الذي لم يحجب عنا خفاياه.

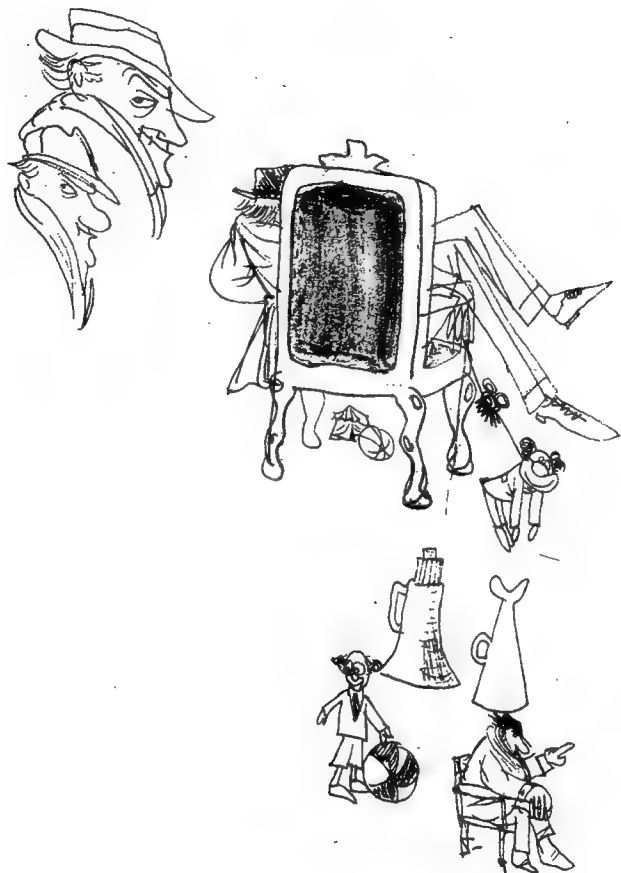
فيدريكو فيليني لم يمِث، بل بدأ الحياة. وهذه مساهمة متواضعة، بداية درس للمايسترو الكبير الذي لم يضع أبداً في ختام أفلامه كلمة «النهاية»، هذه بداية.

التحرير

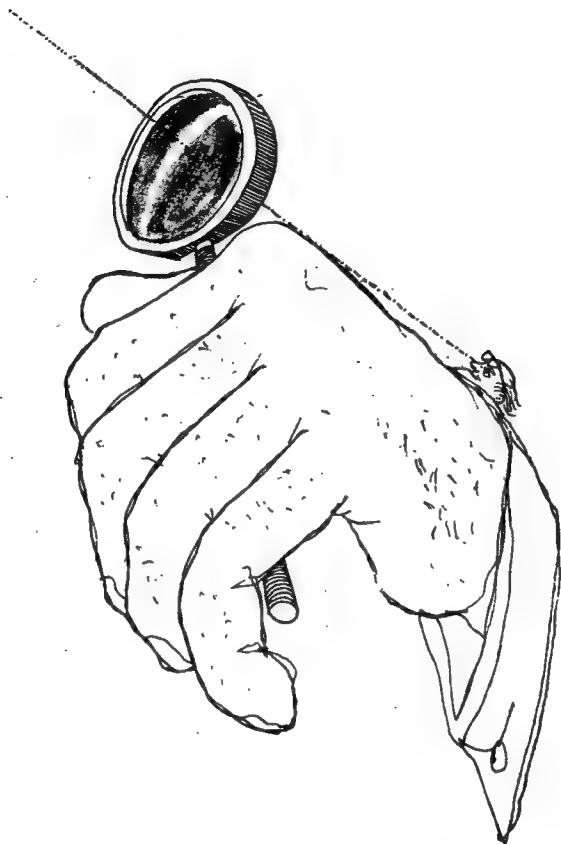
مجموعه رسوم بريشة فلكي















# أضر أحلام المايسترو

المحمود إبراهيم



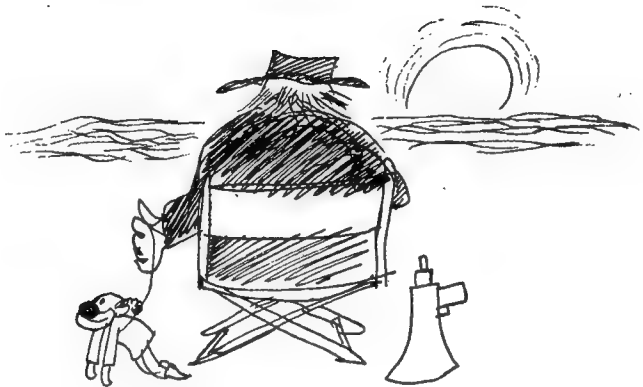
زيارة زوجته المريضة الممثلة جوليينا مازينا<sup>(٢)</sup>، وسط حشد من الأطباء والمرضى (والمرضات)، ومحبيه، وسكان الحي، وأصحاب المعارض الفنية الذين أقاموا في منتصف أكتوبر معرضاً لرسوماته الكاريكاتيرية، والصحفيين الذي كانوا يلتقطون همساته الواهنة وتعليقاته الساخرة. وقد كان السؤال الملح (والمشجع) الذي لاحقه به هو: متى ستعود إلى العمل يا

تخدير و١٤ ساعة جراحة) لعلاج مشاكل الدورة الدموية التي كان يعاني منها منذ شهور، وخلال مرحلة النقاهة في مدينة ريميني على الشاطئ الإيطالي من البحر الأدرياتيكي (مسقط رأسه) أصيب فيليني في بدايات أغسطس بسكتة ويشلل في الجانب الأيسر من جسده].

أصر فيليني بمجرد وصوله إلى روما وقبل دخوله المستشفى على

**قا** كان المخرج الإيطالي فيديريكو فيليني<sup>(١)</sup> قد غادر في بدايات أكتوبر الماضي المستشفى في مدينة فيرارا بشمال إيطاليا (التي كان قد نقل إليها فور إصابته بالسكتة) ليدخل مستشفى أومبيرتو الأول (التعدد الاختصاصات) في روما لمواصلة مرحلة العلاج الطبيعي بها.

[إثر عملية جراحية دقيقة في زيورخ بسويسرا (ثلاث عمليات



إيطاليا فى القريب العاجل، تساقط الجنزالات الواحد إثر الآخر؛ التواطؤ المباشر لبعض عناصر الجماعات الماسونية بل والقضاء والنيابة العامة مع المافيا التى لم تكف عن اختيال زملائهم الاشراف؛ الاتهامات التى لا تحصى ضد كبار رجال السياسة - الذين حكموا البلاد عشرات من السنين - الذى يجلس معظمهم ما زال فى قاعة البرلمان يشرع القوانين ويفسر الدستور - بالرشوة والافتساد

أكتوبر على النبأ المقلق، الذى طغى على الأنباء الأخرى للكفيلة وحدها بإقلاق قارة بأكملها فضلاً عن دولة واحدة: القنابل المدوية فى أركان شبه الجزيرة؛ اعترافات بعض عناصر المافيا بتدبير محاولات القنابل الإرهابية بالتعاون مع مخابرات الدولة بل تحت إشرافها ويتوجيه منها؛ اتهامات موجهة لأعلى الرتب العسكرية فى القوات المسلحة وقوات الامن بالتدبير لقلب نظام الحكم فى

«مايسترو»؟ بينما كان السؤال الذى لم يتجاوز حدود النفس هو: هل سيتمكن حقاً من العودة إلى العمل بعد ضربة مؤلمة وقاسية كهذه؟ وهل هناك أمل فى أن يضىء استوديوهات مدينة السينما Cinecittà<sup>(٢)</sup> فى مارس القادم حسب توقعات الأطباء المتفائلين؟ من يدري ربما ألحت صلوات عشاقه من أجله!

لا، لم تفلح بعد عشرة أيام استيقظ الإيطاليون صباح الاثنين ١٨

والتواطؤ مع المنظمات الإجرامية بل والتحرير على القتل (مثل أندريوتى<sup>(٤)</sup> نفسه)؛ تورط الإدارة المالية بالفاتيكاني في عمليات بنكية مشبوهة تقطر دماً؛ الصيحات المتعالية من شمال البلاد المتقدم مطالبة بانفصالها عن الجنوب المتخلف؛ مئات الآلاف من العمال المهديين يفقد أماكن عملهم في القريب العاجل الذي قد حلّ فعلاً.

الساعة ٨:٣٩ - العنوان : «فيديريكو فيليني في غرفة الإنعاش، تدهور حالته الصحية».

التفاصيل: لم يصرح الأطباء بشيء حتى الآن عن حالة في. فيليني الذي تم نقله مساء أمس الأحد إلى مركز الإنعاش بمستشفى أومبيرتو الأول لتدهور أحواله الصحية المفاجيء.

[كان فيليني قد غادر غرفته في قسم جراحة الأجهزة العصبية صباح الأحد - بموافقة الأطباء - لتناول الغذاء في أحد مطاعم روما بصحبة جرابيتا مازينا وبعض الأصدقاء. كان يغلب عليه المرح وقد أعلن عن رغبته في أن يكون احتفاله وجرايبيتا - التي لا تغادر مسكنها إلا لجلسات العلاج الطبيعى - بعيدهما الخمسين (العائلى والفنى) في ٣٠ أكتوبر

احتفالاً كبيراً. وفي الخامسة من مساء اليوم نفسه سادت حالته فجأة وغاب عن الوعي، وممرت النقائق الثمينة التي توقفت فيها عملية التنفس وكف القلب عن الخفقان. ثم السباق ضد الزمن لإسعافه بالمستشفى المذكور حيث واصل فيليني تنفسه بواسطة رئة صناعية].

ثم توالت النشرات الإخبارية والطبية عن حالته الميؤس منها. ولم يكف الإيطاليون - ومحبيه في العالم أجمع - عن متابعتها على أمل حدوث المعجزة:

الساعة ١١:٣٤ ص: «حالة فيليني خطيرة، لكنها ثابتة»

ما زال فيليني في غيبوبة. لم يسترد وعيه بعد. يعاني من عجز خطير عن التنفس. الحالة ثابتة والتوقعات ما زالت تحت التحفظ.

الساعة ١٠:٥٥ م: «تساؤل الأمل»  
لحظة حرجية جداً. حالة فيليني الصحية خطيرة وإن كانت ثابتة ما زال الأمل موجوداً وإن كان قد تضاعف كثيراً. فيليني ما زال يعاني من العجز عن التنفس.

الثلاثاء ١٩ أكتوبر،

س ٢٠:٢٥ ص: «الساعات تمر بين الخوف والأمل»

حالة فيليني الصحية ما زالت ثابتة. غير مسموح لأحد بزيارته تجنباً للتلوث. التوقعات متحفظة عليها حتى الآن تحفظاً تاماً. ما زال على قيد الحياة ولكن ليس هناك أمل. فلنتوجه إلى السماء.

س ٣٠:٩ ص: «ما زال فيليني في حالة الغيبوبة»

الاختبارات الآلية والمعملية والتقديرات التحليلية تظهر تعرض المخ لأخطار جادة.

فيليني يتنفس برئة صناعية وما زال في غيبوبة. التوقعات متحفظة عليها بحزم تام.

[في برنامج تليفزيوني يذاع مباشرة من إحدى قنوات الدولة حدث صباح الثلاثاء، أن تلقت مقدمة البرنامج - تحت أبصار المتفرجين - مذكرة من أحد فني الاستديو. بعد نظرة «خاطفة»: الانفعال والتوتر فالإعلان فالعزاء بكل ما يناسب ويليق بمكانة المايسترو، ثم الاعتذار بعد نهاية البرنامج. كانت المذكرة تقول: برجاء العلم أنه في حالة موت فيليني إلخ .. إلخ. (لعل المايسترو قد تذكر بروحه الساخرة «ساتيريكون» وغفر!).]

الساعة ٢٠:٢٥ م: «فيليني: ما زال الموقف في حالة تدهور»

نقطة اللاعودة تقترب. الموقف لا يسمح بالإفراط فى الأمل. يجب اعتبار معركة المايسترو ضد الموت معركة خاسرة لعديد من الأسباب. الحالة ما زالت ثابتة وهذا ما يدعو للإحباط ولكن ما دامت الأجهزة تظهر نشاطاً عقلياً لا يمكن الحديث عن غيبوبة بلا رجعة.

الساعة ١٠:٥٦م: «فيلينى يتلقى سر المسحة النهائية»

منح خادم كنيسة المستشفى «سر المسحة» النهائية (الذى يمنع للمرضى الميئوس من حالتهم) لفيدريكو فيليني بقرار من نويه والأطباء المسئولين. أحوال المخرج ما زالت «ثابتة».

الأربعاء ٢٠ أكتوبر،

الساعة ٤٦ ر٦ص: «فيلينى: الموقف ما زال فى منتهى الخطورة»

ما زالت الحالة ثابتة. الموقف فى منتهى الخطورة. الاحتفاظ بالنفاذ حتى الآن مستحيل عملياً. ما زالت الزيارة ممنوعة منعاً باتاً.

الساعة ١٠:٠٩م: «فيلينى: مرور الوقت يؤزم الموقف»

حالة فيليني ما زالت بالغة السوء. ثبات الحالة - فى رأى

الأطباء - مؤشر سلبي ما زال النشاط العصبى فى حالة انهيار، بينما استمرار الأنشطة الحيوية الأخرى متواصل بفضل العقاقير. ما زالت عملية التنفس حتى الآن صناعية. ستم تحاليل أخرى خلال نهار اليوم.

الخميس ٢١ أكتوبر

الساعة ٠٦:٦ص: «فيلينى: لا تغير فى الموقف»

تجاوز فيليني ليلته الرابعة فى مقاومة الموت دون تغيير يذكر فى الحالة الصحية.

ما زال القلب قوياً جداً، لكن باقى الأجهزة لن تستطيع المقاومة لمدة طويلة.

الامل فى الخروج من المرحلة الحالية ضعيف جداً، وحتى إذا تم ذلك فكيف سيكون الوضع فى المستقبل بالنسبة للمخرج؟

الجمعة ٢٢ أكتوبر

الساعة ٤٥:٦ص: «فيلينى: ما زال الموقف ميئوساً منه»

لم يطرأ أى تغيير على حالة فيليني الصحية. قد يبقى المريض على هذه الحالة مدة طويلة.

[أثارت صورة فيليني فى غيبوته بغرفة الإنعاش - التى بثتها إحدى

قنوات التلفزيون الخاصة - استياءً عاماً على كل المستويات الرسمية والشعبية وفى صفوف العاملين فى مجال الإعلام. وجرى التحقيق].

ثم كانت النشرة المتوقعة التى تمنى الإيطاليون ألا تصل أبداً:

الساعة ١٢:٥٨ ظهر الأحد ٣١ أكتوبر، اليوم التالى لاحتفال إيطاليا مع جولييتا مازينا بعيد زواجها الخمسين بالمخرج الكبير، وزعت وكالات الأنباء سطوراً واحداً:

«استاذ السينما الكبير فيديريكو فيليني توفى اليوم فى روما»

تعلن فيه نهاية المخرج الوحيد الذى خلط جميع أفلامه من الكلمة المعتادة فى آخر الشريط:

«النهاية»

قال رئيس الجمهورية فى عزائه: لجولييتا مازينا:

«لقد فقدت إيطاليا فناناً لن تغرب كلماته أبداً. بينما قالت الحكومة على لسان رئيسها فى عزائه لأرملة المخرج الراحل:

«ستتذكر إيطاليا الرجل المتحضر الذى أسمعنا أنشودة النوح من الإقليم إلى المدينة، والذي عبر عن الوحدة والضياع فى مواجهة التحولات العامة فى التقاليد، والذي كشف فى «بروفة الأوركسترا» عن

اهتمامه بالسياسة كمواطن فعال وإيجابي».

كان الإيطاليون يتسألون أثناء ذلك عما إذا كان المايسترو قد توقف عن الحلم في إغماسه الطويلة هذه؟ ويعرف الإيطاليون أن المايسترو فيديريكو فيليني غير قادر على ألا يحلم حياً كان أم ميتاً. وإن فـ: أحلام سعيدة يا مُعلم!

### أحلامه في أعماله

أضواء المنوعات Luci del va-rietà ١٩٥٠:

شارك في الإخراج والإنتاج والتمثيل والسيناريو المخرج الإيطالي ليريتو لتواد (١) - قصة: ف. فيليني؛ سيناريو: ف. فيليني، ١. لتواد، توليو بينيلي، بالتعاون مع إنيو فلايانو (٢) - تصوير: أوتيلو مارتيلي - موسيقى: فيليتشو لتواد - إنتاج: إيطالي - تصريح رقابي: نوفمبر ١٩٥٠ - مدة العرض: ١٠٠ ق - شارك في التمثيل: فيتوريو كابريولي، فرانكا فاليري.

### القصة:

«ليليانا» (كارلا ديل بوجو) فتاة ريفية حسنة تريد العمل في دنيا الفن. تهرب من البيت وتلتحق بفرقة صغيرة من فرق المنوعات، يفرم بها رئيس الفرقة «كيكو» (بيييتو دي

فيليبو)، ويقدمها للجمهور في الحال. يحالف الحظ ليليانا التصفيق ويتواصل (يساعد على ذلك انحسار تنورتها عنها - عقراً؟ - أثناء أدائها لإحدى «النمر»). بعد أيام تتلقى الفرقة دعوة للتمثيل ببيت أحد محامي الريف الأغنياء (كارلو رومانو) الذي يحاول الانفراد ليلاً بليليانا. يتدخل كيكو الغيور ويدرك الدنيا وينتهي الأمر بفرقة الممثلين المتشردين إلى قاعة الطريق. كيكو وليليانا يهجران الفرقة بحثاً عن وضع أفضل، لكن العرض الوحيد أمام ليليانا يتلاشى بسبب غيرة كيكو. يحاول كيكو، بالقرض الذي حصل عليه من صديقه «ميلينا» (ج. مازينا) التي كانت تعمل معه في الفرقة القديمة، أن يؤسس فرقة جديدة مع جماعة أخرى من الفنانين لكن ليليانا تهجره قبل الافتتاح وتتعاقد مع متعهد فني مفتون بجمالها. لم يعد أمام كيكو إلا العودة إلى الرفاق القدامى وإلى ميلينا التي تسامحه. تعود الفرقة إلى سابق العهده، وفي القطار أثناء رحلة البحث عن أي مكان مناسب للعرض تظهر فتاة جميلة. يلحظها كيكو في الحال و... تبدأ القصة من جديد.

الشيخ الأبيض Lo sceicco bianco ١٩٥٢:

قصة: ف. فيليني، ت. بينيلي، فكرة: المخرج الإيطالي ميكيلانجلو

أنطونيني (٣) - سيناريو: ف. فيليني، ت. بينيلي بالتعاون مع [ج. فلايانو - تصوير: أرتورو جاليو - موسيقى: نينو روتا - إنتاج: إيطالي - تصريح الرقابة: أبريل ١٩٥٢ - مدة العرض: ٨٥ ق - شارك في التمثيل: ج. مازينا.

### القصة:

العروسان «إيفان» و«فاندا» (ليوبولدو ترييستي وبرونيللا بونو) في رحلة شهر العسل التي بدأت من الريف في طريقهما للعاصمة روما. (نحن الآن في «السنة المقدسة» حيث تستجاب الدعوات). العريس، الذيق المنهجي ذو الأصل البورجوازي، كان قد أعد برنامج الرحلة التي تشمل زيارة جماعية للبابا. فور وصول العروس إلى روما تغادر الفندق لتبحث عن «الشيخ الأبيض» (البرتو سوردى (٤))، بطل مجموعة مسلسلات من الروايات المصورة Fo-toromanzo وهي من عشاقها الذين لا تفوتهم منها حلقة واحدة، ولطالما راسلت أبطالها على عنوان المجلة. تتجسس فاندا في العنبر على مبعوثها - أثناء «التصوير» على شاطئ «فريجيني» - وتندمج في فرقة العاملين. إيفان - في هذه الأثناء - يجوب يائساً كل أنحاء المدينة بحثاً عنها، مخفياً نياً هروب الزوجة عن

اصدقائهما وأقاربهما من أهل روما بأكاذيب وخدع معقدة. تتعرض فاندرا على شاطئ «فريجيني»، لغامرة مؤسفة وتكتشف أن بطلها يختلف كثيراً عن صورته في أحلامها: إنه مجرد رجل غلبان العوية في يد زوجته (جينا ماشيتي). تكتشف أيضاً أن عالم الروايات المصورة غير عالم الخيال. يدفع بها إحباطها إلى محاولة الانتحار بطريقة سخيفة بإلقاء نفسها في نهر التيفيري Tevere . يتم إنقاذها وترجع إلى زوجها في الفندق. لا يطلب منها إيفان أي تفسير. إن عليهما - طبقاً للبرنامج - أن يهرعا إلى ميدان «سان بييترو» بالفاتيكان، حيث ينتظرهما الأقارب لزيارة البابا. ثم تعاود حياتهما الزوجية سيرها المعتاد .

#### العجول I vitelloni ١٩٥٣:

قصة: ف. فيليني، إ. فلايانو، ت. بينيلي، فكرة: ت. بينيلي - سيناريو: ف. فيليني، إ. فلايانو، تصوير: أ. مارتيلي، لوتشيانو ترازاتي، كارلو كارليني - موسيقى: ن. روتا - إنتاج: إيطالي/فرنسي - تصريح الرقابة: سبتمبر ١٩٥٣ - مدة العرض: ١٠٣.

#### القصة:

نهاية الصيف في مدينة صغيرة على الساحل الرومانيولي (ناحية

الأبرياتيك). «ريكارديو» (ريكارديو فيليني، شقيق المخرج) يحصل أخيراً على فرصته في الظهور كمطرب، لكن سيلاً من الأمطار يفسد الحفل. يعقب ذلك هرج ومرج، ثم يتبين أن «ساندرا» (إليونورا روفو)، شقيقة «مورالدو» (فرانكو إنترلينجي)، حامل. لابد من زواجها بفأوستو (فرانكو فابرييتسي)، ولا يجد والداها (إنريكو فيارينزو وبابولا بوريوني) أمام زواج السستر هذا إلا القبول على مضض. يحل الشتاء وحياة الأتاليم المملة، ويقضى أصحاب فأوستو أيامهم ما بين القهوة والمزاحات الصبيانية، رغم تجاوزهم لمرحلة الصبا. هؤلاء هم «العجول» (مثل العاطلين بالوراة)، مثلون يحيون على اكتاف عائلاتهم: «البيرتو» (أ. سوردي) المهرج الأثلي بوجهه الطفولي المستدير، «ليوبولدو» (ل. ترييستي) الفارق في أحلام النجاح في عالم الأدب: ريكاردو الخامل الكسول، ثم مورالدو، الأصغر سناً، الراغب في هجر كل شيء من أجل «العاصمة». يعود فأوستو من شهر العسل ويقبل الانخراط في دنيا العمل كبائع في محل بيع لوازم العيادات، لكنه ينشغل في مغازلة زوجة صاحب المحل. تكتشف ساندرا ذلك وتهرب من البيت بابتنتها حديثة الولادة. فأوستو ومورالدو يأخذان في

البحث عنها بمشاركة الأصدقاء. لكنها ليست بعيدة، إنها في بيت حميها (جان بروشار) الذي يؤهب الابن الطائش جلدًا بالحزام يعود «العجول» إلى حياتهم المعتادة، إلا مورالدو الذي يتمكن من الفرار من هذا الإيقاع الميت دون أن يخبر أحداً بذلك. يتخيل أصحابه الذين لم يغيروهم وأن يغيروهم أي شيء.

#### الحب في المدينة L' amore in città ١٩٥٣:

#### (الجزء الرابع من: وكالة ارتباطات زوجية Agenzia matrimoniale)

قصة: ف. فيليني - سيناريو: ف. فيليني، ت. بينيلي - تصوير: جاني دي فينانتيسو - موسيقى: ماريو ناشيمبيني - إنتاج: إيطالي - تصريح الرقابة: نوفمبر ١٩٥٣ - شارك في التمثيل: ممثلون غير محترفين.

[الأجزاء الأخرى من الفيلم هي: الحب المجدي L'amore che si paga لكارلو ليتساني، أربع ساعات نعيم Paradiso per quattro ore لديزي، محاولة انتحار Tentato suicidio لميكيلانجلو أنطونوني، قصة كاتيرينا Storia di Caterina لفرانتشيسكو مازيلي وتشيزاري تسافاتيغي<sup>(٩)</sup>، الإيطاليون يلتفتون Gli italiani si voltano لألبيرتو لتوادا].

## القصة:

يكلف الصحفي الشاب (أنطونيو تشيفاريللو) بعمل تحقيق عن وكالات الزواج . في إحدى هذه الوكالات يدعى صاحبنا، الشكاك الذي لا يؤثر فيه أى شيء ، إنه زبون وأنه يبحث عن زوجة لصديقه الغنى. رغم وصفه لصديقه المزعم بأنه يعاني من الصرع، وأنه مضطرب للإقامة في الريف لاستذنابه في الليالي البدرية، فقد وجد فتاة على استعداد للزواج. فتاة لطيفة وبسيطة استطاعت أن تشككه في شكوكه اللامبالية.

## الطريق La strada (١٩٥٤):

قصة: ف. فيليبي، ت. بينيلي - سيناريو: ف. فيليبي، ت. بينيلي بالتعاون مع [إ. فلانيانو - حوان. إ. فلانيانو - تصوير: أ. مارتيلي - موسيقى: ن. روتا - إنتاج: إيطالي - تصريح الرقابة: سبتمبر ١٩٥٤ - مدة العرض: ٩٤ ق.

## القصة:

يأكل الفجرى تسامانو (أنطوني كوين) النار ويبتلع السيوف في استعراضاته بالمباين وأسواق القرى معرضاً على الملاقوته الهمجية الخشنة. يشتري جيلسومينا (ياسمين بالعربي: ج. مازينا) الساناجة الجاهلة بعشرة جنيهات (تقريباً) من فلاحه فقيرة أم جيش من الأطفال،

## لاستغلالها كسيدة له في عروضه.

تتحول بالقوة إلى عشيقة له. تكرد مدفوعة بإحساسها الرقيق محاولة الفرار من تسامانو الذي يعتبرها بالفعل إحدى أشيائه ويسعى معاملتها في كل الأحوال. ينتهي بهما المطاف إلى العمل بالسيرك حيث تهيم جيلسومينا بحب «المجنون» (ريتشارد بازيهارت) للتشرد هو الآخر لكنه رقيق ولطيف على العكس من تسامانو. في مشادة بين الرجلين يقتل تسامانو غريمه - ربما بدون قصد - ويوقف بجثته تحت عجالات القطار. تصيب المساة جيلسومينا بلوثة عقلية وتحيا أيامها ولياليها على ذكرى «المجنون». يضطر تسامانو إلى هجرها ليواصل حياته المتشردة في رعب مستمر خشية اكتشافه وجسه. يكتشف بالصدفة بعد سنوات أن جيلسومينا قد ماتت، ويعى فجأة بما هو عليه من وحدة. على شاطئ مهجور، يأخذ في البكاء والأنين، وحيداً مهجوراً هو الآخر.

## المحتال II bidone (١٩٥٥):

قصة وسيناريو: ف. فيليبي، ت. بينيلي، فكرة: ف. فيليبي - تصوير: أ. مارتيلي - موسيقى: ن. روتا - إنتاج: إيطالي / فرنسي - تصريح الرقابة: ١٩٥٥ مدة العرض: ١٠٤ ق - شارك في التمثيل: سو إلين بلاك، لوريللا دي لوكا، مارا فيرلين، إيرين تشيفارو.

## القصة:

روبرتو (ف. فابريسي)، وبिकासو (ر. بازيهارت)، وأجستو (بروديريك كرافورد) ثلاثة محتالين تخصصوا في النصب على خلق الله من أمثالهم: يتقنسون شخصيات القسيس لنهب الفلاحين السذج؛ يبتزون أموال سكان العيش بوعود توفير عقود السكن الكاذبة؛ ثم يبيعون معاطف قديمة على أنها جديدة لجماعة من موزعي البزوين العجائز الفشما. أثناء الاحتفال بعيد رأس السنة تكشف إيريس (ج. مازينا)، زوجة بिकासو، طبيعة نشاط الزوج. أما ابنة أوجستو التي تجهل نشاط أبيها المريب فقد كانت معه ذات مرة في السينما عندما تعرف عليه أحد «ضحايا»ه وهاجمه. يقبض عليه وينتهي خلف الأسوار. عند خروجه من السجن يجمع شمل العصابة ويكرر نصبة «القساوسة». يرى فتاة مشلولة صديقة لابنته فيشعر بوخز الضمير وينوي إعادة ما حصل عليه بالباطل. لا يرافقه شريكاه على ذلك، وتتشب معركة. ويسقط أوجستو في هاوية أثناء محاولته الفرار. لا يسعه رفيقاه ويستوليان على الغنيمة ويلوذان بالفرار. بعد احتضار شنيع ويطىء، يلفظ أوجستو آخر أنفاسه وأعياء بئوس وجوده.



**ليالى كايبريا** *Le notti di Cabiria*  
١٩٥٧م

قصة وسيناريو: ف. فيليبي، إ. فلايانو، ت. بينيلي، ساعد في الحوار: بيير باولو بازوليني (١٠) - تصوير: ألدو تونتي - موسيقى: ن. روتا - إنتاج: إيطالي/فرنسي - تصريح الرقابة: مارس ١٩٥٧ - مدة العرض: ١١٠ ق. شارك في التمثيل: دوريان جراي ألدو سيلفانو، بينا جوالاندي، أنيو جيرولامي، ر. فيليبي.

**القصة:**

«كايبريا» (ج. مازينا) مومس شقية الوجود ساذجة وبلا حماية: تكاد تفقد حياتها على يد صديق لها طمعاً في أموالها، ثم يهزأ بها الممثل المشهور «البرتو لاتساري» (أميديو ناتساري)، حتى زميلات الطريق (فرانكا مارتسي وأخريات) يسخرن منها، محبطة تصح إلى معبد «الحب المقدس» حيث تلجئ هي أيضاً بالدعاء - مأخوذة بجو المبالغة في الطقوس الدينية - كي تحدث لها معجزة تغير لها حياتها. يبدو أن المعجزة ستتحقق: يبشرها أحد النجاليين بمستقبل مشرق وتلتقي مباشرة بـ«أوسكار» (فرانسوا بيريبه) الذي يصرح لها بحبه فتعهد إليه بمخزنتها التي يسعى إليها. يحاول أوسكار التخلص منها هو الآخر.

ويمكن كايبريا من الإقلاص مرة أخرى من الموت. تفهم أن ساذجتها هي السبب في شقاها. تهيم ليلا بائسة في إحدى الغابات حيث تلتقي بمجموعة من الفتيان المرحين السعداء. تستعيد كايبريا ابتسامتها وتكف عن البكاء. غداً ستواصل «الطريق».

**الحياة الحلوة** *La dolce vita*  
١٩٦٠م

قصة وسيناريو: ف. فيليبي، ت. بينيلي، إ. فلايانو، فكرة: ف. فيليبي - شارك في السيناريو: برونيلو روندي - تصوير (توتالسكوب): إ. مارتيلي - موسيقى: ن. روتا - إنتاج: إيطالي/فرنسي - تصريح الرقابة: يناير ١٩٦٠ - مدة العرض: ١٧٨ ق - شارك في التمثيل: أنوك إيميه، ليكس باركر، أدريانو تشيلينتانو، ساندرا لي، جاك سيرناس، لاورا بيقي، غير عشوات للنجوم والممثلين والممثلات.

**القصة:**

الصمفي «مارتشيلو» (م. ماسترويانى) - محرر ركن الفضائيات - يأمل في أن يصبح يوماً كاتباً جاداً يقوم في روما برحلة في «الحياة الحلوة» لمدة سبعة أيام وسبع ليال، ما بين مغامرات عاطفية مع سيدة أرستقراطية باحثة عن الانفعالات

الطازجة: ومحاولة انتحار «إيما» (إيفون فورنيو) رفيقته التي تكتم أنفاسه مدفوعة بغيرتها؛ ومحاولاته هو للتكررة الفاشلة لاستمالة «سيلفيا» (أنيتا إكبرج) نجمة السينما المثيرة ذائعة الصيت باستحمامها الشهير في مياه نافورة «تريفي». ثم ظهور «العذراء» الزائفة، واللقاء بالمثقف الراقى «ستايير» (الين كوني) الذي يثير إعجاب مارتشيلو بحياته وعائلته وبما يعتقد أنه الاحتياج المثالي. لكن ستايير يقتل أطفاله ثم ينتحر. تتوالى على مارتشيلو الأحداث الوجودية مثل الاعتلال المفاجئ لصحة الوالد العجوز (أنيبالي نيكسي)، وهجر إيما له. يقبل على مضض العمل كمندوب دعاية. وذات فجر، بعد سهرة من سهرات العريضة المألوفة، يلحظ المندوبون المزمعون المرتبكون وحشاً بحرياً على شاطئ البحر. ينزعج مارتشيلو من المنظر فلا يتنبه لنداءات فتاة طيبة كان قد تعرف عليها في أحد المطاعم المتواضعة.

**بوكاتشمو** *Boccaccio '70*  
١٩٦٢م (١١)

(دعابة في أربعة فصول عن فكرة لـ تشيزاري تسافاتيني)  
الفصل الثاني: إغواءات الدكتور أنطونيو

سيناريو: ف. فيليبي، ت. بينيلي، إ. فلايانو، بالتعاون مع ب. روندي وجوفريديو باريزي - تصوير: أ. مارتيلي - موسيقى: ن. روتا - إنتاج: إيطالي/ فرنسي - تصريح الرقابة: فبراير ١٩٦٢ - مدة العرض: ٦٠ ق.

[الفصول الأخرى: رنتسو ولوتشيانا Renzo e Luciana ماريو مونيتشيلي<sup>(١٧)</sup>، العمل II لو كينو فيسكونتي<sup>(١٨)</sup>، اليناصيب La triffa ريتيرو دي سिका<sup>(١٩)</sup>]

#### القصة:

الدكتور أنطونيو (ب. دي فيليبيو) رجل مثزمت أخلاقيا ويحارب نقضى اللااخلاقية بطريقة الخاصة: ينطلق في إلقاء مواعظه بنت لحظتها على فتيان الكشافة المذهولين: يزرع «الأزواج» المسالة بحثا عن م في حالة «خلوة حميمة» ثم يصل به الأمر إلى حد تمزيق أغلفة المجلات المصورة في أكشاك الجرائد. إلى أن تصله القشة القاصمة تحت نافذة بيته: يتم نصب إعلان دعائي ضخ، بصورة امرأة مثلثة الفاتن (أ. إكبرج)، تدعو من خلال ابتسامة ذات مدلول إلى شرب مزيد من اللبن. يفشل الدكتور أنطونيو في زحمة الإعلان فيقرر تلطيفه بزجاجات الحبر. تتدخل الرقابة الرسمية وتغطي الأجزاء المساسة في

الإعلان، لكن انهماك المطر يصري «مفاتن» المرأة التي تتجسد له في أحلامه - تحت ضغط الفكرة المتسلطة - إلى امرأة من لحم ودم تحاول إغواؤه. يتم العثور عليه في الصباح في حالة هلوسة متشظعا فوق الإعلان. تحمله عربة الإسعاف إلى المستشفى بينما «كيوييد» يرمقه ساخرا.

ثمانية ونصف Otto e mezzo ١٩٦٣:

قصة: ف. فيليبي، إ. فلايانو، فكرة: ف. فيليبي - سيناريو: ف. فيليبي، ت. بينيلي، إ. فلايانو، ب. روندي - تصوير: ج. دي فينانتنسو - موسيقى: ن. روتا - إنتاج: إيطالي/ فرنسي - تصريح الرقابة: فبراير ١٩٦٢ - شارك في التمثيل: روسيلا فالكا، أ. نينكي.

#### القصة:

يحث المخرج المشهور جويدو أنسيلمي (م. ماستروياتي) عن الراحة وشئ من الترويح عن النفس في إحدى مصحات الحمامات المعدنية. يختلط في رأسه الواقع والخيال، ويمتلئ المكان - المفترض في أن يوفر له الراحة والاسترخاء - بالشخصيات التي تلعب دورا في حياته. تصل عشيقته كارلا (ساندرا ميلو)، ثم زوجته لويزا (أ. إيميه)، فالممثلة

كلوديا (كلوديا كاردينالي) وهي تجسيد أسطوري للمشاعر الخالصة. في نفس الوقت تزيد اللقاءات مع المنتج، والفنيين، ومعتادى التردد على المصحة - سواء كانوا حقيقة أم خيالاً - من الفوضى، وتستحضر في رأسه ذكريات حياته البعيدة: كالدرسة الداخلية، وأبويه المتوفين اللذين يلتقي بهما فيما بعد عند المقابر. يتازم جويدو، ويفكر في التخلي عن إخراج الفيلم الذي يستعد له. يرتب المنتج مؤتمراً صحفياً حول موضوع الفيلم لكن المخرج لا يحضره ويهرب ككلوديا. وعندما كان على وشك سحب يديه نهائياً من مشروع الفيلم الجديد تظهر في حلبة التصوير الخاوية كل شخصيات حياته يعطى جويدو إشارة بدء التصوير من خلال مكبر الصوت: الفيلم قد بدأ؟ ... ربما.

جوليتا الأرواح Ciulietta degli Spiriti ١٩٦٥:

قصة: ف. فيليبي، ت. بينيلي، فكرة: ف. فيليبي - سيناريو: ف. فيليبي، ت. بينيلي، إ. فلايانو، شارك في السيناريو: ب. روندي - تصوير: (تكنيكولور) ج. دي فينانتنسو - موسيقى: ن. روتا - إنتاج إيطالي/ فرنسي - تصريح الرقابة: سبتمبر ١٩٦٥ - مدة العرض: ١٢٠ ق - شارك

فى التمثيل: فالينتين كورتيزى، أو جيلبيرت، سيلفا كوشينا، ميلينا فوكويتش، سيلفانا ياكينو.

القصة:

جولييتا (ج. مازينا) سيدة بورجوازية غنية، تقضى الصيف فى فيلتها الجميلة على شاطئه «فريجيني». نتيجة لتربيتها فى معهد راهبات لا تفارقها ذكرى جدما الذى هرب مع راقصة. خلال الاحتفال بعيد زواجها من المتألق جورجيو (ماريو بيزو)، تعقد جلسة تحضير أرواح، فتحضر أشباح شهبانة وماجنة، تسقط جولييتا - التى تلحقها إهانة أحد الأشباح ويعتريها الشك فى وفاء زوجها لها - فى أزمة ذاتية. ليس لها من تفوضى له بمكنونها: وحيدة مع تناقضاتها، ما بين حفاظها الزائف على المظهر الأخلاقى ورغباتها الداخلية فى العيش بلا كبت. تدعوها جارتها سوزى (س. ميلو) لزيارتها فى فيلتها، وهنا تستطيع جولييتا أخيراً ترك العنان لنفسها بعد أن رأت بعينها الدليل على خيانة جورجيو. يدفعها الإحساس بالذنب إلى الهرب بينما تكاد الرؤى المتعارضة تتمر ذهنها. تقاوم الحالة بمساعدة مطلعة نفسية، وتشن معركة حقيقية ضد معوقاتنا الداخلية ورغباتها الدفينة

و ضد الأشباح. ثم تمضى فى النهاية منتصرة مكتسبة بزي أبيض، للقاء الرياح التى تهب مندفعة من جهة البحر.

ثلاث خطوات فى الهذيان  
Tre passi nel delirio ١٩٦٨:

العنوان الأصلى: حكايات  
عجيبة  
Histoires extraordinaires

المقطع: توبى داميت  
Topy Dammit

يتصرف حرّ عن قصة إدجار آلان پو: «لا تقامر برأسك مع الشيطان» - سيناريو: ف. فيليلى، بيرناردينو تسابونى - تصوير (تكنيكولور - إيستمانكولور): جوسيبى روتونى - موسيقى: ن. روتا - أغنية «روبي» بصوت: راي تشارلز - إنتاج: إيطالى/فرنسى - تصريح الرقابة: يوليو ١٩٦٨ - مدة العرض: ٢٧ق - شارك فى التمثيل: سالفو راندونى.

[ المقطعان الأخيران من  
الفيلم: Metzengerstein إخراج  
روجيه فانيم، و William Wilson  
إخراج لوى مال].

القصة:

توبى داميت (تيرنس ستامب) ممثل إنجليزى شاب أضاعته الخمر والمخدرات، يصل إلى روما للقيام ببطولة أول فيلم «كايوى» كاثوليكي. يحاط فى المال بالمصورين،

والصحفيين، والمتجنين، بالإضافة إلى رجال الكهنوت. كل شيء جاهز للاحتفال بالمناسبة. لا يثير اهتمامه أى شيء مما يحيط به: لا الطفلة، ولا استعراضات المودة، ولا توزيع الجوائز. لا شيء يخرجها من بلادته. فقط عندما تقذف له اللعب طفلة غامضة بالكرة تبدو على دأمت الاستجابة. أثناء إحدى حفلات الاستقبال المتكررة يسب الحاضرين ويفر بعريته المهداة إليه من المنتج. يسابق نفسه بسرعة جنونية فى وسط روما وضواحيها. يحل الليل وما زال دأمت يواصل الجرى بعريته بحثاً عن الطفلة. لا يلتفت إلى بعض إشارات الطريق التى تصدر من وجود أخطار. يفصل سير من الصلب الغليظ رأسه عن جسده فتندرج على العشب. تظهر الطفلة الشيطانية وتتناولها كما لو كانت كرة...

مذكرات مخرج  
Blok-- notes di  
un regista «١٩٦٩»:

سيناريو: ف. فيليلى، ب. تسابونى - الصور بالإنجليزية: يوجين والتر - تصوير: باسكوالى دى سانتيس - موسيقى: ن. روتا - إنتاج: الولايات المتحدة - مدة العرض: ٦٠ ق.

شارك فى التمثيل: ف. فيليلى، ج. مازينا، م. ماستوريناى، ب. تسابونى

وأخرون في أدوارهم الشخصية، غير  
العديد من الممثلين غير المحترفين.

**فيلىنى - ساتيريكون** Fellini-Sa-  
tyricon ١٩٦٩:

إعداد حرّ عن بيترونيو الحكّم (١٥)  
— سيناريو: ف. فيلىنى، ب.  
تسابونى - تصوير (تكنيكولور) —  
بانا فيزيون: ج. روتونو - خدع  
بصرية: ناتانسون - موسيقى: ن.  
روثا، بالتسماعون مع: إلهان  
ميامارولو، تود دوكساد، أندريو  
روين - إنتاج: إيطالى/ فرنسى -  
تصريح الرقابة: سبتمبر ١٩٦٩ -  
مدة العرض: ١٢٨ق. شارك فى  
التمثيل: كابوسين، لوتشيا بوزيه،  
جوردون ميتشيل.

**القصة:**

أشيلتو (هيرام كيلر) وإنكولبيو  
(مارن بوتز) شابين رومانيان،  
عاشقان كلاهما للمخت جيتونى  
(ماكس بورن)، «يخطفه» أشيلتو من  
إنكولبيو، الذى يكشف بدوره أنه هو  
نفسه قد تم بيعه لفيرناكيو (فانفوللا)  
الممثل الصامت البذى. إنكولبيو  
يتمكن من استعادة جيتونى ويختفي  
معه فى مارى ألفاسقين. يصل أيضاً  
أشيلتو الذى يصرح جيتونى بأنه هو  
«المفضل» لديه. يفكر إنكولبيو فى  
الانتحار لكن زلزالاً يدمر المبنى؛  
يلتقى بعد انحسار الخطر بالشاعر

العجوز إيوموليو (س. راندونى)  
فيصحبه معه إلى تريمالتشونى  
(ماريو رومانويلى) الذى كان عبداً قد  
تحرر وأصبح ثرياً. يضرب الشاعر  
العجوز بالعصا حتى الإدماء خلال  
حفلة مليئة بالانحطاط والادعاء،  
يتباهى خلالها تريمالتشونى بعرض  
مقبرته على المدعوين. يلتقى إنكولبيو  
وقد استعبد على سطح سفينة  
القرصان ليكا (أ. كوني) بأشيلتو  
وجيتونى، يجبر جيتونى على الجماع  
بطفلة، ويهزم إنكولبيو فى مبارزة مع  
ليكا ويتزوج. تتوالى على ثلاثتهم  
مصائب الزمان، بين اغتصابات  
جسدية ومعارك وصلت إلى حد  
مواجهة الميناطور نفسه. يمكن  
إنكولبيو من إثبات «رجلته» لكن موت  
الحبيب أشيلتو يصدمه بقسوة.  
يستقل مركب إيوموليو المتجهة نحو  
إفريقيا بعد رفضه المشاركة فى اكل  
جثة الشاعر العجوز متزلاً عن إرثه  
فيه.

**المخرجون** Il clowns «١٩٧٠»:

قصة وسيناريو: ف. فيلىنى، ب.  
تسابونى - تصوير (تكنيكولور):  
داريو دي بلما - موسيقى: ن. روثا -  
إنتاج: إيطالى/ فرنسى/ ألمانيا  
(الاتحادية) - تصريح الرقابة: أكتوبر  
١٩٧٠ - مدة العرض: ٩٢ق - شارك  
فى الأداء فريق عمل فيديريكو فيلىنى

بالكامل، إلى جانب شخصيات  
السيرك الفاريجية.

**القصة:**

طفل يراقب بفضول عملية نصب  
خيمة السيرك. يذكره منظر المهرجين  
ببعض شخصيات الحياة الواقعية:  
راهبة قرمزة شاردة الذهن، ناظر  
محطة مستغرق تماماً فى أداء  
وظيفته، سائقى عربة أطفال  
يتشاجران. تعود الأحداث إلى  
الحاضر: فيلىنى يجرى تحقيقاً  
تليفزيونياً بحثاً عن مهرجى السيرك  
القدامى لتسجيل ذكرياتهم. فيلىنى  
وفريق عمله فى زيارة لسيرك «ليانا  
أورفيسى» (١٦) (فى إيطاليا). ثم  
يتوجهون إلى باريس حيث يلتقى  
بترستان ريمى (كاتب متخصص فى  
قصص المهرجين)، فيلىنى يقتفى  
بصممة الكاتب أثر المهرجين  
القدامى: قلة خلفها وراءه عالم قد  
اختفى، يصور فيلىنى وجوهرهم  
العجوزة الحزينة التى كانت مبعث  
الضحك المتواصل، والذى يشعر  
فيلىنى نحوها بالامتنان للجميل.

**روما** Roma «١٩٧٢»:

قصة وسيناريو: ف. فيلىنى، ب.  
تسابونى - تصوير (تكنيكولور):  
جوسبى مكارى - موسيقى: ن. روثا  
- فكرة الديكور: ف. فيلىنى - إنتاج:  
إيطالى/ فرنسى - مدة العرض: ١١٩

ق. اشترك في التمثيل: بيتر جونزاليس، الفارو فيتالي، فيديريكو فيلياني بشخصيته: المقابلات الصحفية مع: م. ماستروياني، أنا مانياني، جور فيدال، جون فرانسيس لين، أ. سوردي.

#### القصة:

«ريميني» في الثلاثينيات. طفل في معهد ديني يتخيل «العاصمة» حسب وصف معلميه وخطابية النظام الفاشي. في عام ١٩٣٩ يرحل وقد بلغ العشرين من عمره إلى روما ويكتشف وجهها الحقيقي: جو اللوكاندة الشعبية الشاحب، مومسات شازع «أبيا»، الأطفال في الشوارع. في عام ١٩٧٢ فيلياني يصور فيلماً في مدينة تحتفظ بالسائقين، محاطاً بشباب يعتبرون عليه عدم اهتمامه بالسياسة. تعود إلى الذاكرة صورة فرقة مسرح منوعات الجي، بينما الجمهور الصاحب يعدو هارباً إثر إنذار بغارة جوية. ينتقل المشهد إلى نفق المترو في روما أثناء بناءه حيث يتوقف العمل لاكتشاف آثار تاريخية. ثم الهيبين في ميدان أسبانيا. ثم أسراب الخلق المختلفة في تربدها على بيوت المتعة في الأرمينيات. ثم استعراض أزياء كهنوتية على المودة. ثم ملتقى النجوم والكتاب في أحد محلات جي «تراستيفيري». ثم حي قديم. فوضى عامة.

رجال البوليس بالهراوات وسائقو الموتوسيكلات الصاخبة في مدينة ترمز إلى الماضي البعيد اللامبالي.

#### اماركورد «Amarcord» ١٩٧٣:

قصة وسيناريو: ف. فيلياني، تونينو جويرا، عن فكرة: ف. فيلياني - تصوير (تكنيكولود): ج. روتونو - وموسيقى: ن. روتا فكرة الديكور: ف. فيلياني - إنتاج: إيطالي/ فرنسي - تصريح الرقابة: ديسمبر ١٩٧٢ - مدة العرض: ١٢٧ ق. اشترك في التمثيل: الفارو فيتالي.

#### القصة:

خلال الثلاثينيات في مدينة «بورجو» الخيالية على شاطئ البحر الأدرياتيكي. يشب الفتى «تيتا» (برونو تسانين) وسط تربية كاثوليكية وخطابية فاشية وأسرة متسلطة مفعمة بالخلافات: الأب «أوريليو» (ارماندو برانتشلا) ملاحظ عمال فوضوى في فوضوته: الأم «ميراندا» (بويلا مانجو) خاملة محبة للسيطرة: الأخ «باتاكاء» (ناندينو أورفى) فاشي مهرج وعاطل: الخال الآخر «تيو» (تشيتشو إنجراسيا) في مستشفى المجانين: الجد (جوسيبى لانيجر) ملهى بالحبيوة ودموى: الأخ الأصغر (ستيفانو بروجيتي) متمرّد ووجع. وفي المدرسة: الرفاق في الفصل بمزاجهم اللثالي: المدرسون:

المغامرات الجنسية المضحكة مع «جرايسكا» (ماجالي نويل) اللطيفة الشاردة، وبائعة التبغ (ماريا أنطونيللا بيلوتسى) ذات النهدين المهولين: الاعترافات بين يدي القسيس (جان فيليبو كاركانو): التبويخ الأبوى المستمر. تعاقب الفصول، وإشغال الحرائق احتفالاً بمقدم الربيع، الرقص في الصيف بالكازينو، مرور عابرة القارات «ركس» - سباق «الآف ميل» للدرجات عند عبوره بالمدينة. ثم يأتي موت الأم ليضع حداً لمراهقة وأوهام تيتا.

#### كازانوفيا فيلياني Casanova di Federico Fellini

١٩٧٦:

القصة: اعتماد حرّ على «قصص من حياتي» لجاكومو كازانوفيا (١٧) - سيناريو: ف. فيلياني، ب. تسابوني - تصوير (تكنيكولود): ج. روتونو - موسيقى: ن. روتا - فكرة الديكور: ف. فيلياني - إنتاج: إيطالي - تصريح الرقابة: فبراير ١٩٧٦ - مدة العرض: ١٧٧ ق.

#### القصة:

جاكومو كازانوفيا (دونالد سذرلاند) - وقد شاخ وانتهى به اللطاف أميناً لمكتبة كونت فالديستاتين - يسترجع الماضي. يوافق أثناء

مهرجان فينيتسيا على إظهار احترامه العاطفي للسيدة «مادلينا» (مارجريت كليمتي) طمعاً في التمتع بكرم عشيقه السفير الفرنسي. تعتقله سلطات «التفتيش» ويحاكم بتهمة ممارسة السحر الأسود يهرب من السجن وينزل في باريس ضعيفاً على ماركيزة «أورفيه» (سيسلي براون) التي تطمع في الحصول منه على سر الخلود. يفادر باريس ويهاود نشاطه المتلاحق كخائن للنساء في دوامة من مغامراته العاطفية. ثم المغامرة الفاشلة مع «هنرييت» (تينا أومون) التي تنفع به إلى قمة اليأس والإحباط. يظن أنه مصاب بالزهرى ويفكر في الانتحار. ثم مغامرات روما؛ ممارسة الجنس الكامل ثمانى مرات متوالية؛ المرض؛ اللقاء بالبابا وبفولتير، وبالأم (ماري ماركويه) التي ما عادت تهتم بأحواله. وفي النهاية تحل الشيخوخة، وينطفئ سحره، ويهمل البلاط، ويرقص وحيداً مع دمية ميكانيكية (إيلبي أنجيلا لوجوديتشي). ذكريات ماضٍ سحيق.

**بروفة الأوركسترا** Prova d'orchestra ١٩٧٩ء:

قصة: ف. فيليني - سيناريو: ف. فيليني، بالتعاون مع ب. روندي - تصوير (تكنيكولور): ج. روتونو - موسيقى: ن. روتا إنتاج: إيطاليا/

المانيا (الاتحادية) - تصريح الرقابة: فبراير ١٩٧٩ - مدة العرض: ٧٠ دقيقة.

**القصة:**

داخل بقايا محفل ديني عتيق تجرى بروفات كونشيرتو سيمفوني. العازفون يحتلون أماكنهم في تجمعات صغيرة أمام حاملات النوت. مملو النقابة في أحد الأركان. صحفي تليفزيوني (خارج الكادر بصوت فيديريكو فيليني) يستجوب الموسيقيين حيث يتحدث كل واحد منهم عن لثته الشخصية وتجربته الذاتية. يوصل المايسترو (بالدوين باس) الذي يتحدث بلكنة المانية ملصوفة، تبدأ البروفة في هدوء. ثم تتوقف فجأة نتيجة احتجاج أعضاء الأوركسترا يفادر المايسترو الصالة إلى حجرته متبوعاً بالصحفي الذي يريد إجراء مقابلة صحفية معه. الثورة في المحفل على أشدها: الاعتراض للتام على كل شيء، بدءاً بالمدير حتى نوت التفسيرات الموسيقية. تسود الفوضى والفوضى. تُلطخ الجدران بشعارات ورموز التمرد. يبدأ المبنى في الاهتزاز فجأة نتيجة تلقيه لضربات أخذة في التصاعد إلى أن تخرق الجدار كرة مهولة من الصلب، وتلقى عازفة الهارب (كلارا كولوزيمو) حلقها تحت

الانقراض. بعد لحظات من الارتباك وصرخات الرعب يسود الصمت من جديد وتستأنف البروفة. المايسترو مرة أخرى على المنصة يوزع أوامره، بشكل عصبي وديكتاتوري.

**مدينة النساء** La città delle donne ١٩٨٠ء:

قصة وسيناريو: ف. فيليني، ب. تسابوني؛ شارك في السيناريو: ب. روندي - تصوير (تكنوفزيون - ألوان): ج. روتونو - موسيقى: لويس باكالوف - فكرة الديكور: ف. فيليني - إنتاج: إيطاليا/ فرنسي - تصريح الرقابة: مارس ١٩٨٠ - مدة العرض: ١٤٥ق.

**القصة:**

النوم يداعب سيداً وقوراً في الخمسينيات بمقصورة في القطار الذي يعبر منطقة ريفية. تظهر حسناء مجهولة (نيريس ستيجيرس)، يتبعها السيد الوقور «سناپورتس» (م. ماسترويانتي) حتى التواليت فتتهبط من القطار فجأة في منطقة غامضة. هكذا يصل سناپورتس إلى جيراند هوتيل ميرامار حيث تفقد الحركة النسائية مؤتمراً دولياً. سناپورتس يواصل البحث عن الراكبة الغامضة ويبدو كأنه صحفي فيتعرض للاعتداء تنقذه جرسونة (دونا تيلا داميانا) تجري على عجلات الترحلق. أثناء

فراره تزل قدمه على السلم ويهوى إلى المخزن السفلى حيث يلتقى بامرأة ضخمة (إيوليه سيلفانا) تصحبه بالموتوسكيل نحو المحطة، وفي الحقول المكشوفة تواصل اغتصابه. يواصل سناجوراتس الفرار وفي أعقابها حشد من النساء الهائجات يحتمى بقصر الدكتور كاتسسوني (أتوري ماني) زميل دراسته سابقاً الذي يستعد للاحتفال بتاريخه الماجن. يلتقى في حفل بزوجه (أنا بروكتال) التي تنهال عليه - مغمورة - بالسباب والضخائم، ويلتقى أيضاً بالجرسونة منقذته، زهيمات الحركة النسائية يقبضن عليه ويحاكمنه ويفرجن عنه. يلتقى مرة أخرى بالجرسونة التي تقتله هذه المرة برصاص المدفع الرشاش. يستيقظ في القطار، جالساً في مواجهة زوجته، قبل دخول القطار في نفق طويل مظلم.

#### القافلة تسير E la nave va هرفيا ونمضي السفينة ١٩٨٣:

قصة وسيناريو: ف. فيليبي، ت. جيورجا (نصوص الغنائيات: أندريا تسانتسوتي) - سيناريست فرقة العمل الفرنسية: كاتيرين برياك - ملامة الحوار الإيطالي: روبرتو دي ليوناريس - تصوير (تكنيكولور): ج. روتونو - موسيقى: جان فرانكو

بلييتسيو - إنتاج إيطالي/ فرنسي - مدة العرض: ١٣٢ ق. شارك في التمثيل: باسكوالى تسيقو، بينا بوش، إليزا مايناردى.

#### القصة:

ميناء نابولي، يوليو ١٩١٤: عابرة القارات «جلوريا ن». على وشك الإقلاع. حول الرصيف حشد من الأطفال والباعة الجائلين. يصل المسافرون مسرعين للإبحار. يصل أيضاً رماة المغنية الشهيرة «إميا تيتوا» (جانيت سوزمان) الذي تم تنظيم الرحلة في اتجاه «إريمو» بالتحديد لنثره في البحر. يوجد على السطح أيضاً الصحفي «أولاندو» (فريدي جونز) الذي يقوم بواجب الضيافة مع الركاب وهم في معظمهم نجوم في عالم الفناء، ومديرو فرق موسيقية أوركسترالية، وعشاق لإدميا: إحدى المغنيات تريد الاستحواذ على أسرار مهارتها، ونبيل إيطالي يحول مقصورته إلى معبد جنائزى لإدميا. تتصاعد من العنابر رائحة خريثت بشعة لا تطاق. يُرفع الخريثت على السطح ويفسّل. يتم انتشال جماعة من المصريين الهارين بعد أحداث سرايفو. تنشط الحياة على ظهر الباخرة. يتم نثر رماة إدميا في البحر على مرائ من إريمو. يقذف أحد المصريين بقبلة

على باخرة نمساوية/ مجرية فتندد بالمذامع وتغرق «جلوريا ن». وتغرق معها إثر الانفجار. الصحفي أولاندو الذي نجا يجذب مسروراً بمجاديف قارب الإنقاذ الطويلة، وفي مقدمة القارب يجتر الخريثت غذاه في سلام.

#### جينجر وفريد (١٩٨٥) Ginger e Fred

قصة: ف. فيليبي، ت. جيورجا - سيناريو: ف. فيليبي، ت. جيورجا، ت. بينيلي - تصوير (الوان): توفينو نيلي كوكلي، أنيو جوارنيري - موسيقى: نيكولا بيوفاني - إنتاج: إيطالي/ فرنسي/ ألمانيا (الاتحادية) - تصريح الرقابة: أكتوبر ١٩٨٥ - مدة العرض: ١٢٥ ق.

#### القصة:

في محطة القطار الرئيسية تهبط «أميليا» (ج. مازينا): راقصة سابقة تحت الاسم الفني «جينجر»، أرملة ذات عائلة كبيرة العدد صاحبة مصنع صغير. ستظهر في التليفزيون لترقص بعد ثلاثين عاماً مع زميلها «بيبو» (م. ماسترويانى) «فريد». يسود ارتباك عام بسبب أعياد الميلاد المجيد. تستقل جينجر أتوبيساً صغيراً وتلتقى بشخصيات غريبة. تصل إلى فندق كبير حيث انشغل العاملون بمشاهدة مباراة كرة قدم

فى التلفزيون. لم يصل فريد بعد. تهبط جينجر إلى الطريق ويحيط بها بشكل مهدد جماعة من راكبي الموتوسيكلات. تعود إلى غرفتها. تسمع شخيراً وتكتشف وجود فريد وقد هزمت الشيفوخة وتضعفت أحواله. أجبرته حاجته إلى المال على قبول عرض التلفزيون. يردان تجربة «نمرتها» القديمة ولو مرة واحدة قبل العرض ولكن يصعب عليهما ذلك بسبب هرج ومرج ذوى الهيئات الغريبة، هم أيضاً ضيوف على نفس البرنامج: «إليك الآن». يتمكنان أخيراً من إجراء البروفة، الفتيحة: كارثة. إطرأت رئيس التلفزيون وحدها إلى التي تشجعهما على الاشتراك فى البرنامج الذى بدأ فى الحال: الشخصيات الغريبة تستعرض مهاراتها بالتناوب. يأتى الدور عليهما، يرقصان، النتيجة: نجاح ساحق. اليوم التالى فى المحطة يتعرف الجمهور عليهما ويسألهما التوقعات. يقترض فريد من جينجر بعض النقود. ترحل. أعضاء المحطة تنطفئ ويبقى إشعاع جهاز التلفزيون وحده بإلحاح إعلاناته التجارية.

#### مقابلة صحفية Interviewa «١٩٨٧»

قصة وسيناريو: ف. فيليني، شارك فى السيناريو: جان فرانكو

انجيلوتشى - تصوير (إيستمانكولور Dolby stereo): تونينو ديللى كولى - موسيقى: ن. بيوفانى - إنتاج: إيطالى/ فرنسى (إبراهيم موسى) - مدة العرض: ١١٣ ق. شارك فى الأداء فرقة عمل فيليني بالكامل.

#### القصة:

وقد من الصحفيين اليابانيين يجرى مقابلة صحفية مع فيليني (هو نفسه) فى «مدينة السينما» أثناء تصويره فيلماً مأخوذاً عن قصة «أمريكا لكافكا». يحكى المخرج تحت وأبل استلثم أول زيارة قام بها لاستديوهات روما عام ١٩٤٠. كان هو أيضاً صحفياً فى بداية طريقه وقد حضر إلى «مدينة السينما» ليجرى مقابلة صحفية مع «نجمة» شهيرة. تتكاثر ذكريات فيليني وتتداخل مع أسئلة الصحفيين المنهمرة: رتب كبيرة فى اللباس العسكري الفاشى؛ فلاحات يؤدين التحية الرومانية (تحية فاشية)؛ هو (سيرجو روبينى) فى الترام يعبر الريف الرومانى فى طريقه لمدينة السينما؛ الأفيال الإمبراطورية وجماعات من الهنود. ها هو يجرى أخيراً مقابلة الصحفية مع النجمة (باولا ليجورى)، بينما مساعد فيليني الحالى (ماوريسيو ماين) يبحث عن وجوه جديدة فى محطات المترو. تصل الشرطة التى تلقت بلاغاً

تليفونياً عن وجود قنبلة. يظهر مارتشيلو ماسترويانى (هو نفسه) فى رداء ساحر القصص المرسومة «ماندريك» ويظهر بعصاه السحرية مشاهد من فيلم «الحياة الحلوة» بين تصفيق الحاضرين ودموع أنيتا إكبرج (هى نفسها). اليوم التالى أثناء تصوير «أمريكا» توقف العمل عاصفة هائلة. عصابة من الهنود الحمر تهاجم «مدينة السينما» مسلحة بهوائيات التلفزيون بدلاً من السهام. ينتهى تصوير الفيلم ويتبادل الجميع التحيات والتهنئة بأعياد الميلاد الجديد.

#### صوت القمر La voce della luna «١٩٩٠»

القصة: مستوحاة بحرية من رواية إرمانو كافاتسونى «قصيدة المعاتبة Il poema dei lunatici»، سيناريو: ف. فيليني، شارك فى السيناريو: ت. بينيللى وإ. كافاتسونى - تصوير (تكنيكولور): ت. ديللى كولى - موسيقى: ن. بيوفانى - إنتاج: إيطالى/ فرنسى - تصريح الرقابة: فبراير ١٩٩٠ - مدة العرض: ١١٨ ق. شارك فى التمثيل: باولو فيلاندجو<sup>(١٨)</sup>. **القصة:**

فى ليلة مقمرة، يجذب «إفغو» (روبرتو بينيني<sup>(١٩)</sup>) لصوت ما، يطل فى أحد الأبيار، ثم يثير فضوله جمع من الرجال يعبر الحقل. يتبعهم



ويشهد من خلف ستار «نمرة» تعزى خالة أحدهم. ينتبه هذا الأخير لوجود صاحبنا فيطرده لأنه لم يدفع ثمن الفُرجة. يصل صديق إيفو ويمضيان معاً. يتبع ذلك مقابلات غريبة، جدة إيفو (أوتا شميت) تقول له فى إحداها: «إن الذكرى أجمل بكثير من الحياة نفسها». وفى ليلة أخرى ممطرة، يتمكن إيفو من تأمل وجه

#### الهوامش:

١ - فيديريكو فيليني **Federico Fellini** : ١٩٢٠ - ٢٩، أربعة أوسكار لأفلام: الطريق (٥٦)، وإليسا كابيريا (٥٧)، وشمانية ونصف (٦٣)، وأماركورد (٧٤)؛ وأوسكار لتاريخه الفن فى يناير من هذا العام؛ يبلغ رصيده الفنى كمخرج ٢٣ فيلماً طرز فيها أسلوب عرض داخليات الإنسان العميقة مضيقاً إليه نعمة تهكمية، غنية باللمحات الاجتماعية، منتبهة إلى عوامل إثارة الذاكرة، وبمعم وأعية للتقاليد؛ تظهر فى أفلامه ذكرياته الشخصية بصورة مؤثرة وإنسانية.

٢ - جوليتا مازينا **Giulietta Masina** : ١٩٢٠، برعت فى أداء الشخصية الدرامية المؤثرة فى سينما الواقعية الجديدة الإيطالية وفى أفلام زوجها: الطريق (٥٤)، إليسا كابيريا (٥٧)، جوليتا والأشباح (٦٥)، جنجر وفريد (٨٥).

٣ - مدينة السينما **Cinecittà** : مجمع يضم كل ما يتعلق بالعمل السينمائى من مجال ومعامل واستوديوهات، تم تأسيسه عام ١٩٣٧ فى ضواحي روما.

٤ - جوليو اندريوتي **Giulio Andreotti** : ١٩١٩، سياسى ينتمى إلى المذهب الديمقراطية المسيحى (ينهار الآن بعد الفضائح

حبيبته حتى تستيقظ فطرده. تعم الفوضى الهائلة ساحة البلدة فى اليوم التالي: باعة جائلون وجماعات من السياح اليابانيين. يلجأ إيفو إلى أحد السطوح. يعتقد الجميع أنه يريد الانتحار. يقوم رجال المطافىء بإنقاذه. فى هذه الأثناء يحاول الأخوة ميكيلوتسى (دومينيك شيفالبييه، نيجيل هاريس، فينتو) اصطياد

الأخيرة وقد يتلون تحت اسم حزب شعبي، تقلد مناصب: وزير الداخلية (١٩٥٤)، المالية (٥٥)، النزلة (٥٨ - ١٩٥٩)، الدفاع (٥٩ - ١٩٦٦)، الصناعة (٦٦ - ١٩٦٨)، الجزلانية (٧٤ - ١٩٧٦). وتأسس مجلس الوزراء (٧٢ - ١٩٧٣)، وزير الخارجية (٨٣ - ١٩٨٩). وتأسس مجلس الوزراء مرة أخرى عام ١٩٨٩. حالياً عضو مجلس الشيوخ مدى الحياة.

٥ - ألبرتو لاتوادا **Alberto Latuada** : ١٩١٤، من البدايات المبكرة للواقعية الجديدة: جاكومو الخالى (٤٢)، إلى كومينيات الأزياء صرصرى الليل (٨٠)، وللتلفزيون: كريستوفر كولومبوس (٨٥).

٦ - انيو فلايانو **Ennio Flaiano** : ١٩١٠ - ١٩٧٢، روائى: الوقت المناسب للقتل (٤٧)، الظلال البيضاء (٧٢)، كاتب مسرحى: ساخز: أحد سكان المريخ فى روما (٦٠)، كتب سيناريوهات ليفيليني وغيره.

٧ - ميكيلانجيلو أنطونوني **Michelangelo Antonioni** : ١٩١٢، عرض فى أفلامه مجتمع إيطاليا

فيما بعد الحرب الثانية من وجهة نظر مثقلة وأعية، وأحاط بسواء بموضوعات الراقعية الجديدة أو القصرية: من وثائق قصة حب

القمر الذى يقال إنه يصدر أواره إلى صغار الشياطين على الأرض. ينحسرون فى ذلك وتريد القرية بأكملها مشاهدة القمر السجين. يتم ذلك بعرض الصورة على شاشة تلفزيونية هائلة. يطلق رجل النار على الشاشة فتتطوى. يخلو الميدان من الناس، ويبقى إيفو بناء على دعوة من القمر. يثرثران معاً ■

(١٩٥٠)، حتى: تحديد هوية امرأة (١٩٨٢)، وهو الآخر مريض حالياً.

٨ - ألبرتو سوردى **Alberto Sordi** :

١٩٢٠، يعد من أبرز ممثلى الكوميديا على الطريقة الإيطالية، ممثل ساخز لقائس بمموب البورجوازية الصغيرة، مثل أفلام: الشيخ الأبيض (١٩٥٣)، المجرى (١٩٥٩)، إلى الخذل جميعاً (١٩٦٠)، رجل المافيا (١٩٦٢)، دشان لندن (١٩٦٦)، وإخراجها، ماركيز الجولوى (١٩٨١)، البهيل (١٩٩٠).

٩ - تشينازارى تسافالينى **Cesare Zavattini** :

١٩٠٢ - ١٩٨٩، كاتب وسناريست؛ يكتب بروح الدعابة الصريالية: فلنكتر فى الحديث عنى (١٩٣٦)، توتو الطيب (١٩٤٢)، سسيناريسيت الراقعية الجديدة: مع فيديريو دى سيكا من شوشا حتى أرمبوترو د. كتب ليفيسكونتى جميلة جداً (١٩٥١)، أخرج بمثل: الحقيقة (١٩٨٢)، وهى عبارة عن رصية روحية.

١٠ - بيير باولو بازلينى **Pier Paolo Pasolini** :

(١٩٢٢ - ١٩٧٥) مقتول؛ شاعر وكاتب روائى ومخرج تجسية الفلق الجوى

١٦ - عائلة أورفيلي أشهر أصحاب الأسراك في إيطاليا؛ مثلوا وعبوا؛ وتوارثوا كل أدوار ومهارات السيميك من عام ١٨٢٠ حتى الآن.

١٧ - جاكومو كانونفا - Jinger Casa : nova

١٧٢٥ - ١٧٨٨ صفاس، مقامر، عمل كنيولباسي، جاسوس، عاشق أسطوري. سجن وفر سجيناً من المرات. ترك مذكراته باللغة الفرنسية ونشرت فيما بعد بين ١٨٢٢ و ١٨٢٨.

١٨ - جينجر روجرز - Ginger Rogers

١٩١١: ممثلة أمريكية. نجمة الأعلام الموسيقية. رقصت ومثلت مع فريد أستير في أفلام موسيقية وكوميدي.

• فريد أستير: Fred Astaire ١٩٠٠ - ١٩٨٧: ممثل وراقص ومغن أمريكي حاز على نجاح كبير وشهرة واسعة.

١٩ - باولو فيلاباجو - Paolo Villaggio

١٩٣٢: ممثل ، نبغ في أدوار الكاباريه ، أغنى السينما والتلفزيون بشخصيات كوميدية - فريبيه من «فانتومس» حتى «فراكيا».

٢٠ - روبرتو بينيني - Roberto benigni

١٩٥٢: ممثل كوميدى يمنى سرىالى مبنى على اللهجة المحلية الفلورنسية. نشط في التلفزيون والمسرح والسينما (أتمنى لك الخير يا بيسر لينجوير Berlinguer ti voglio bene (بيرلينجوير : سكروتر الحزب الشيوعى الإيطالى سابقا) ١٩٧٧، Daunbailo ١٩٨١ ، صوت القمر ١٩٨٩ ، وكخرج : إنك تطلقى Tu turbi ١٩٨٦ ، الشيطان الصغير ١٩٨٨ ■

الصلبة في الواقعية الجديدة الإيطالية. واحة القرن الثامن عشر بفيلم إحصاس Senso ١٩٥٤: ثم ليليلوراسا والسقوط في: للبحالي البيضاء ١٩٥٧، ويكو وأخوته ١٩٦٠، جاتو بارنو Il Gattopardo ١٩٦٣ - نجوم الدين الأكبر والأصغر الفاضلة ١٩٦٥، ثم الرقي للتميزى في أفلامه الأخيرة: سقوط الآلهة ١٩٦٩، الموت في فينتيسيا ١٩٧١، لوفيج ١٩٧٢. غير تجاربه الفنانة في الصرح وإهتمامه بأصاى فيردى.

١٤ - فيتوريو دى سيكا - Vittorio De Sica

١٩٠١ - ١٩٧٤: مخرج وممثل مسرحى وسينمائى. يمد قبحاه بنجاح بالمر الشباب الحب في أفلام «التلفونات البيضاء» انتقل للإخراج فى ١٩٤٠ وقدم بالشعاعون مع تسافايتى بعض قدم الواقعية الجديدة الإيطالية (شوشا ١٩٤٦)، لصوص الدرجات ١٩٤٨: معجزة في ميلانو ١٩٥١: أومبرتو د. ١٩٥٢. ثم تبعها بأفلام: ذهب نابولى ١٩٥٢، شوشا (امراتان) ١٩٦٠، بستان فينتيسى كونتينى ١٩٧١. وكتمثل: هؤلاء الرجال الأوفاد ١٩٧٢، خيسوب وبب لسانتازيا ١٩٥٣، الجنرال ديلا روفيرى ١٩٥٩.

١٥ - بيترونو الحكم - Petronio Aarbi : tro

توفى عام ١٩٦٦ ميلادية كاتب لاتينى حجة فى الذوق السليم - انتهر تجنياً للمك عليه فى مؤامرة ضد نيرون - مؤلف ساتيريكون: رواية بالنثر والنظم تحاكي الروايات العاطفية المعاصرة له، مدحة بالحداديت الإغريقية.

الانديولوجى للغوى دفع بالواقعية إلى ضفاف التقليدية والتعبيرية. (ستناوله بتفصيل فى عدد قادم).

١١ - جيوفانى بوكاتشو - Giovanni Boccaccio

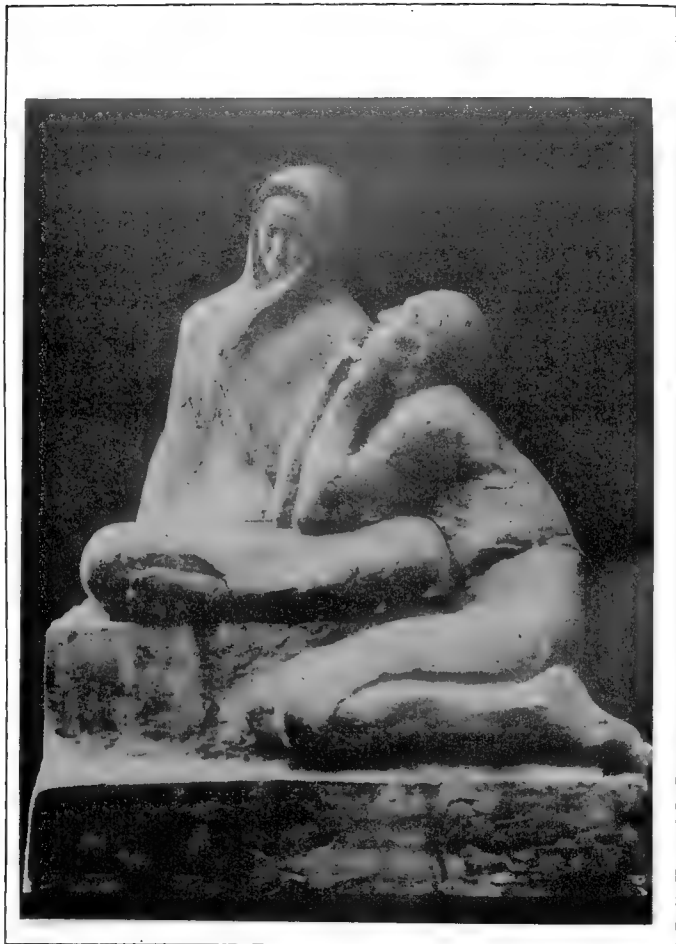
(١٣١٣ - ١٣٧٥) : كاتب فلورنسى (عاصر دانتي ١٢٦٥ - ١٣٢١ فى أولخو ليامه): مؤلف الديكاميرين Decameron (= عشرة أيام) ١٣٥٣، وهى عبارة عن مجموعة من ١٠٠ قصة (رواية قصيرة)، يرويها بالتناوب على مدى عشرة أيام ٧ سيدات و ٣ شبان كانوا قد احتموا بإحدى الفيلات مزياً من الطاعون فى فلورنسا عام ١٣٤٨. وتذكر فى أغلبها حول موضوعات فكاعية تتناول جو للقلب والمزمارات والهاب الدماء، مع واقعية مثيرة عند تناول العلاقات العاطفية (الجنسية)، إلى جانب قصص أخرى يغلب عليها الطابع الدرامى وتتناول الشاعرو البطاوية والعواطف السامية.

١٢ - ماريو مونيتشيلنى - Mario Moni- celli

١٩١٥: مخرج: عسكري وحرامية ١٩٥١، ضد مجهولين ١٩٥٨، الحرب الكبرى ١٩٥٩، رهط برانكا ليتنى ١٩٦٦، لعلها انثى ١٩٨٦.

١٣ - لوكينو فيسكونتى - Luchino Vis- conti

(١٩٠٦ - ١٩٧٦) - مخرج مسرحى وسينمائى. أول أفلامه: الفكرة المتسلطة - Os sessione ١٩٤٣، ثم تبعه: الأرض ترتجف ١٩٤٨، جميلة جداً ١٩٥٢ وهى من العلامات





فلينى



إيطاليا  
لييلة  
رحيل  
فلينى

**قا** تفكّه أحد الظرفاء أخيراً  
فطالب الحكومة الإيطالية  
بإضافة ضريبة ملاءم إلى رسم دخول  
إيطاليا تحصل بالمطارات والموانئ  
وعلى حدود شبه الجزيرة. والحق أن  
العرض الذى تقدمه إيطاليا السياسية  
هذه الأيام يفوق فى إثارته وقوة جذب  
وغموضه كل كنوز ونفائس متاحف  
وأثار إيطاليا الفنية الشهيرة.  
كاضخم لونا بآرك فى التاريخ، يعود  
الجمهور الإيطالى آخر النهار، من  
قمة رأس جبال الألب حتى إخمص  
القدم الجغرافى (أنظر شكل إيطاليا  
على الخريطة)، إلى بيته، يعود من



## ليلة رحيل هليليني

يعمل من عمله والعاقل من تسكعه والغاضب منهما من إضرابه أو مظاهراته، ليجلس مذهولاً متسمرًا أمام العرض المقدم على خشبة المسرح (التلفزيوني) المضيئة المبهرة. عينا يحاول - من يملك منهم القدرة على المحاولة (٩) - العثور على عرض آخر في قناة أخرى من قنوات جهازه الخمسين (في المتوسط) ما بين قومية ومحلية (بالعرض المقرر على الجميع واحد وإن اختلف ترتيب المشاهد. وقد يصبح داخله أو بين جدران بيته كشخصية بيراندوليّة<sup>(١)</sup> حائرة: ماذا يحدث هنا بحق السماء (أو الجحيم حسب الانتماء العقائدي أو السياسي أيهما أقوى)؟ لا يبحث أحد هنا عن المؤلف فالمادة متوافرة إلى حد التخمّة، بل البحث جار عن المُخرج المجهول وعن مخرج من هذا الموقف التراجيدي (بين «قديم يتهاوى وجديد لم يظهر بعد»، كما يقولون!)، حيث يبدو جلياً أن ثمة انقلاباً عسكرياً بوليسياً سياسياً اقتصادياً وربما أيضاً ماسونياً على وشك الحدوث إن لم تكن ساعة الصفر قد تزامنت بالفعل مع رفع الستار. ومشاهد العرض ومواقفه تتتابع وتتداخل:

الموقف الأول - شبح الدومور<sup>(٢)</sup> الذي اختطفته الألوية الحمراء وقتلته منذ أكثر من خمسة عشر عاماً لم يهج بعد. إنه لا يبدو

شبحاً شكسبيرياً: فهو لا يطالب بانتقام ولا يفتح فمًا (حتى رسائله من السجن، التي ظهرت واخفت ثم ظهرت مبتورة يكتنفها الغموض عبر السنين، والذي يطالب فيها بالتدخل لإنقاذه أنكر عليه أصدقائه أبوت لها: «لا نعرف من كتب هذا الكلام، من المؤكد أنه ليس الدومور الذي نعرفه». ولم يتركوا ساكنًا كما بدا في حينه)، ولا يبدو أنه يحضر حين يحضر (في الأزمات القومية الدقيقة كالاعتقاد من تلقاء نفسه، بل يبدو كالاستحضار إثر جلسة سرية (مستديمة) لتحضير الأرواح منعقدة في غرفة خفية وراء الكواليس. يجلس الشبح في صفوف المتفرجين لا يظهر له في خلفية المشهد كل حين وحين إلا منظرين مستهلكين: أحدهما لعربته الخاوية منه بعد اختطافه وقد تناثرت حولها جثث خمسة من حراسه، والآخر لعربة مسروقة وقد جث في حقيبتها الخلفية جثته معنومة الحياة بعد ٥٥ يوماً من المنظر الأول. تحت الأضواء على خشبة المسرح مجموعتان تنصاحان في تداخل: المجموعة الأولى لأعضاء الألوية الحمراء من رجال ونساء كانوا شباباً أيام الحادث، يقول أحدهم: «الحقيقة أن من قتله كان هذا». فيرد هذا: «فعلاً، أنا الذي قتلته. إنها مسئولية الزعيم، وقد كنته». فيقول آخر:

الموقف الثاني - المصورات السرية للأجهزة السرية (مباحث أمن الدولة حتى الآن) كانت توزع ذات اليمين وذات اليسار على السياسيين

المحاولات الانقلابية (التي كان قد أنكر وجودها، أنظر الموقف الثالث). الأحزاب القديمة والحديثة من ذات اليمين وذات اليسار تنهياً لأيام صعبة. الحكومة تعيد تشكيل المباحث والمخابرات: تنظيم واحد بشقين للعمل في الخارج وفي الداخل تحت اسم «أنيس». قوات الأمن التابعة للحرية بينما تعمل تحت إدارة الداخلية تطالب باستقلالها أو تبعتها للداخلية. هل ستختلط مفرقات الاحتفالات برأس السنة هذا العام بمفرقات دموية شريفة؟ العرض مستمر.

الموقف الثالث - «الجنرالات يستعدون لانقلاب عسكري ويتجهون في الأسلحة والمفرقات. لقد رأيت ذلك بنفسى وزجى الضابط المتقاعد (الأسباب صحيحة) على علم به ونعرف أيضاً أن العناصر الفاشية ضالعة في المؤامرة، وأن أحد المتأمرين الفاشيين (وهو مدفون حالياً في إسبانيا منذ سنوات)، ما زال على قيد الحياة وقد رأيته بأم راسى، اسألوا زوجى الذى يعرفه جيداً فقد كان عشيقاً لأمه العجوز لسنوات طويلة وكان زميلاً له فى التنظيمات الفاشية». التصريحات التليفزيونية السابقة لعشيقه ضابط جيش كبير كان قد رفع قضية ابتزاز (٦٠٠ مليون ليرة) ضدهما وزوجها زميله

وكبار موظفى الدولة وكبار وصغار «المخبرين» الصحفيين. مليارات وملايين. يتم القبض على بعض رؤساء المخابرات المتقاعدين فيصرخون: «الكل يعرف. الكل استفاد. وزراء (الداخلية على الأخص) وكلاء ورؤساء الأجهزة الكبيرة الحاكمة. اسألوا رئيس الجمهورية نفسه، هو ليس غريباً عما كان يحدث، اسألوا مدير مكتب أيام كان وزيراً للداخلية». القصر الجمهورى يرتجف غضباً. رئيسا مجلسى الشيوخ والنواب يرفغان صوتيهما فى تحذير: «الديمقراطية فى خطر». هيبة القصر الجمهورى تتأثر بالحادث. الحكومة تعلن من جديد عن عزمها على تطهير وإعادة تنظيم أجهزة المخابرات والمباحث السرية. «أمين خزينة جهاز المباحث يعترف: رئيس الجمهورية الحالى كان يتقاضى مرتباً شهرياً سرياً حين كان وزيراً للداخلية. البرلمان يرتجف وأصوات المعارضة المتطرفة تطالب رئيس الجمهورية بالاستقالة. رئيس الجمهورية يوحد قنوات التليفزيون الرسمية ويتحدث إلى الشعب: «سأواجه القنابل والفخاخ. لن استقيل وسادف عن الديمقراطية» (يعتبر هذا أول اعتراف من مسئول كبير بانتماء القنابل إلى أجهزة الدولة الرسمية). وزير الدفاع يحذر من

المتقاعد، وزارة الدفاع تنكر وجود محاولات انقلابية بين صفوف القوات المسلحة وتوقف الضابط الكبير ضحية الابتزاز. أم الفاشى تؤكد موت الابن وترفع قضية تشهير ضد عشيقها السابق وزوجته. وزير الدفاع يفصل رئيس الضابط الكبير لإهماله فى القنبه لخطورة تصرفات مسؤوليه. قائد الجيش يقدم استقالته احتجاجاً على تصرف الوزير. الوزير يقبل الاستقالة بسرعة خاطفة. الجيش قلق ومتذمر. رئيس الجمهورية يؤكد أنه رغم محاولات الاطليادى فى الماء العكر فالوضع مستقر وليست هناك أية تهديدات بأية انقلابات. رئاسة الجمهورية على علاقة بالمصاريف السرية (أنظر الموقف الثانى). إلقاء القبض على «امرأة الانقلاب» وزوجها بتهمة التشهير الذاتى. «السنيرة» تعلن من خلف أسوار السجن: «لعل الفاشى قد مات، لعلنى رأيت من يشبهه. أنا لا أنوى الانتحار. حياتى فى خطر». العرض مستمر.

الموقف الرابع - ظهرت بالمليادين منشورات (١٥ منشورا) مرسعة بشعار الاكوية الحمراء تعلن استمرار الاكوية فى الكفاح ضد الإمبريالية وعملائها (أنظر الموقف الأول). المسئولون يؤكدون أن وزير العمل والمسئول الأول عن قطاع السيارات

## ليلة رحيل فلينى

ضد المهاجرين الملونين تتزايد.  
العرض المستمر.

الموقف القادم - بداية محاكمات قضايا الرشوة وتطورات الصراع على السلطة. حزب الرابطة الشمالى يهدد بالانفصال عن إيطاليا وسحب أعضائه من البرلمان وإقامة حكومة محلية. قادة الحزب الديمقراطى المسيحى التفتت يهددون باستخدام القوات المسلحة ضد الانفصاليين. القوات المسلحة ترفض الانصياع لأوامر قيادة سياسية فقدت شرعيتها. هل ستؤيد القوات المسلحة الانفصاليين؟ الدروة ■

(م. ١)

هوامش:

١ - لويجي بيرانديلو Luigi Pirandello : (١٨٦٧ - ١٩٣٦): كاتب ومؤلف مسرحى حائز على جائزة نوبل عام ١٩٣٤. بعد بضعة مجموعات شعرية قدم أولى رواياته على نسق «الحقيقة»: (الاستبعاد ١٩٠١)، ثم واصل تعمقه فى مسألة الشخص الممثل فى واقع غريب عنه: (المرحوم ماتيا باسكال ١٩٠٤: روايات تصيرية على مدار العام جُمعت سنة ١٩٢٢ وما تلاها). وقد تمثّل هذا الاتجاه (الذى نلّظر له فى مقالته التهمك ١٩٠٨) فى المسرح التحقيق الأمثل. عبر تكنيك راع وقاس لتعريفه وفضح نسبته الظروف الإنسانية، حتى وصل إلى التبادلية المعكّنة بين حالة الجنون والحالة «العادية». وقد توصل إلى ذلك بواسطة شكل من أشكال العدمية الينائية، التى عبر عنها مسرحياً بهيمنة «الظواهر» وبالتحول من «اليقين» إلى «شك» وبازدواجية «المسرح فى المسرح». من روايته أعمال: ليولا

المستول عن ثروة ذهبية جديدة بمهرلجا، غير مليارات الليرات فى بنوك إيطاليا وسويسرا لحسابه ولحساب الزوجة. يسفر التحقيق عن قيام زوجة المستول بالاتجار فى المخدرات الكيماوية، وعن قيامهما معاً فى الاتجار فى الدم الملوّث. القبض على الزوجة أيضاً. المطالبة برأس وزير الصحة السابق، الذى يحتّمى بالحصانة البرلمانية من اتهامات سابقة بالرشوة والفساد الانتخابى. الرأى العام ينقسم: هل من العدل استمرار حبس المتهمه وهى أم لشاب معوق فى حاجة إليها؟ نعم: لأسباب إنسانية. لا: لمستوليتها عن مرض وموت عشرات ومئات الشباب من أبناء أمهات آخرين العرض المستمر.

الموقف السابع - تسريح العمال يتم بالآلاف والمظاهرات والإضرابات لا تتقطع. النقابات لا تسيطر على الموقف. الحكومة تواجه الأزمة المالية بفرض مزيد من الضرائب التى يتحمل أعباءها - كالعادة - الموظفون والعمال والمسنون والفقراء. البوليس يهاجم منازل المهاجرين ويلقى بهم فى الطرقات. قطاعات كبيرة من الشعب الإيطالى تعتقد حقاً أن المهاجرين هم سبب البطالة والأزمة الاقتصادية فى البلاد حسب دعايات أحزاب اليمين. الاعتداءات العنصرية

فى فيات وبعض القادة النقابيين تشملهم لائحة المستهدفين من قبل الألوئية الحمراء الجدد. العرض مستمر.

الموقف الخامس - أمر بالقبض على المهندس كارلو دى بنديتى<sup>(٣)</sup> (الإيطالى اليهودى) صاحب مؤسسة أوليفتى، إحدى أكبر دعائم الرأسمال الصناعى فى إيطاليا، بتهمة التواطؤ فى جريمة رشوة تربو على العشرة مليارات من الليرات خرجت من خزانة المؤسسة إلى جيوب كبار موظفى وزارة البريد (التي تشمل إلى جانب البريد كافة وسائل الاتصال من تليفراف وتليفون وتليفزيون ووسائل النشر العامة). لا أثر للمهندس، لعله فرّ بطائرته الخاصة متوجهاً إلى باريس. شائعات عن تورط غريمه الأول إمبراطور تليفزيون القطاع الخاص فى إيطاليا سليفيو بيرلوسكونى<sup>(٤)</sup> فى جرائم شبیهة. تكذيب واحتجاج. المهندس يقدم نفسه للعدالة بعد أيام ويعود إلى بيته فى نفس اليوم: حبس منزلى. العرض مستمر.

الموقف السادس - المستول الأول عن قطاع الأدوية بوزارة الصحة يحصل وزوجته على رشوة بالمليارات من مصانع الأدوية لإضافة منتجاتها فى قائمة الوزارة المصرح بها. يتم القبض عليه. يسفر تفتيش بيت



١٩١٦، اعتقل بأجلكومينو) ١٩١٦، هكذا (إذا شئت) ١٩١٧، القبة ذات الأجراس ١٩١٧، لعبة الأطراف ١٩١٨، ليست مسألة جدية ١٩١٨، هنري الرابع ١٩٢٢، ست شخصيات تبحث عن مؤلف ١٩٢٢، عمالة الجبل (لم تكتمل) ١٩٢٧.

٢ - ألدو مورو Aldo Moro (١٩١٦ - ١٩٧٨): سياسي، انتخب سكرتيراً للحزب الديمقراطي المسيحي (١٩٥٩ - ١٩٦٥)، تقلد منصب الوزير عدة مرات، ورئاسة مجلس الوزراء (١٩٦٣ - ١٩٦٨)، مهتدح سياسة يسار الوسط، وزير خارجية (١٩٦٩ - ١٩٧٤)، رئيس

مجلس الوزراء مرة أخرى (١٩٧٤ - ١٩٧٦)، رئيس الحزب الديمقراطي المسيحي اعتباراً من ١٩٧٦، ساعد على لشراك الحزب الشيوعي الإيطالي في مسئولية الحكم، اختطفته الألوية الحمراء في ١٦ مارس ١٩٨٧، وتم العثور عليه مقتولاً في ٩ مايو.

٣ - كارلو دي بنديتي Carlo De Benedetti (١٩٢٤): قطب صناعي ورأسمالي، امتلك في ١٩٧٦ له الشركات الصناعية المتحدة، CIR، وفي ١٩٨٧ تولى مسئولية «أوليفيتي» كرئيس لمجلس إدارتها ومديرها الفوض، بعد صراع

طويل للسيطرة على دار النشر «موندادوري»، تمكن من ضم مجلة «الإكسبريس» وجريدة «٧» - ريبوبليكا - إلى دائرة نفوذ الـ CIR.

٤ - سيلفيو بيرسكوني Silvio Berlusconi (١٩٢٦): رجل أعمال، رئيس مجموعة «فينيفيست» Fininvest للثلاث لثلاث قنوات تلفزيونية ذات بث على المستوى القومي منافسة لتلفزيون الدولة، غير مشاركتها في عديد من القنوات الخاصة الأخرى، وسيطرتها على جانب من وسائل النشر الصحفية (جرائد ومجلات) وإسماها في نشاط تجاري موسع على مستوى الجمهورية، أيضاً رئيس نادي «ميلان» لكرة القدم في ميلانو.

أود إخراج جزء آخر من فيلم مذكرات مخرج، دفتر الملاحظات الذي بدأ تقريباً بمحضر الصدفة - في برنامج تليفزيوني خاص عن فيلم رحلة ج. ماسترونا الذي لم يكتب له أبداً أن يرى النور - ثم تواصل العمل فيه على هيئة تحقيقات صحفية في مناسبات أخرى من تعامل مع التليفزيون، كما حدث في فيلم المهرجون وكما حدث مؤخراً في فيلم مقابلة صحفية.

القصد في الواقع هو تجميع «يوميات» سينمائية شديدة الخصوصية، تتضمن حوارات السينما ورموزها وطقوسها

وفولكلورها، مروية ببهجة ومبهجة، ذات هدف مستور ضمنى غير مباشر لتقديم مرجع صغير في فن السينما، مجموعة من الملاحظات التعليمية تشبع فضول الشباب المتزايد نحو هذه المهنة وتطفيء حنين الشيوخ الذي قد يستمر نحو هذه الظاهرة سريعة التغير في مشاهدها وأوانها وأصواتها والتي أصبحت أسطورة.

الامر إذن هو حكاية شاهد «منهم»، بنغمة حوارية غنية بالانوار تصويرية ساخرة مفعمة بالإعجاب، لحكايات الرحلات الفنية والأحلام والحواديت الأسطورية والعشق والمغامرات المفاجئة ولقاءات ومصائد ومشاكل العمل، هو

اكتشاف عالم خيالي أرسقراطي، ثرائر يتم وأوجه غير ستارة خلفية من الورق الملون، ليجد المرء نفسه محرك لى وسط أنوار مضادة عن آخرها.

ويتكون المشروع من سلسلة من ثلاث أو أربع أو خمس حلقات تليفزيونية تروى فيها حكاية المصاييع المضادة والمطفأة في هذا العالم الذي يتخيله المتفرج دون معرفة شيء عن أبطاله وأماكنه وأحداثه وقصصه وعاداته وزيائهم وتقاليده (أو أزيائهم) وأدوارهم (أو وظائفهم) وأدعائهم. العب أنا فيه دور المرشد السياحي في هذا الكوكب، الذي أعاشه على تعاقب الفصول متجولاً بعائلية في متاهات المتعددة المسالك والدروب،



لاستعراض جزئياته وتجاويفه وكثوره ومحابيسه وسكانه الأسطوريين.

من سبق له مثلاً أن حكى لنا شيئاً عن المصور: فنان الإضاءة، باعث الأنوار، مدير التصوير، حامى حمى الكاميرا ومعدات الإضاءة، الساحر المتمتع بسلطة خفية وعاتية والمختفى وراء تابلوهات الإضاءة ومفاتيح مصابيح الـ «عشرة آلاف»؟

عندما بدأ اهتمامى بالسينما سواء كصحفي يوجب الاستوديوهات بفضول لعمل تحقيقات صحفية أم كسيناريست فيما بعد، كان «النجم» الحقيقي هو المصور: كان يتوقف عليه كل شيء. كان محترماً مدبلاً مطعماً عليه من المنتج. إذ كان

بإمكانه هو ضمان إيقاع الفيلم باختصار الوقت على الأقل. وكان هو الذى يحدد «الكادر». وهو الذى يقرر ماذا يمكن وماذا لا يمكن عمله.

باختصار، كانت فرقة العمل تعترف بالمصور كالرئيس الحقيقي الأحدث، الذى بيده السلطة: الساحر القادر على إبعاد القتامة وإخراج النور من الظلمات بفرقة من أصابعه أو بنفخة فى صفارته، مثل بريتسى، الذى كان يشبه نظار محطات السكك الحديدية. أتحدث هنا عن الأسطورة: أنكىزى بريتسى، أحد كبار مصوري السينما فيما قبل الحرب الثانية، وكان يمثل مع كارليكو مونتيوري، وجايتانو أراتا،

وماسيمو تيرتسانو رباعى إنجيل الكاميرا المقدس..

من الواجب إظهار هذه الشخصية المركزية فى السينما، بعظمته، وبعنايته المحترم غير المحتمل سواء فى المواسم التى كان فيها بطلاً أو تلك التى كان فيها مجرد عامل، وبهذين جان جنون العظمة عنده فى الوقت الذى كانت فيه السينما نعيماً لرأس المال الذى لا يفنى.

ومن الواجب أيضاً إظهار حياته، تواضعه، يقظته، عنايته الحرفية المكرسة لخلق الصورة. ثم من خلاله إظهار سر الضوء الغامض الجليل.

إذا كانت السينما هى الصورة فمن البديهي أن يكون الضوء

## فن السينما

بقلم

فيدريكو فيليني

دعامتها الأساسية الضوء في السينما فكرة عاطفة ولون وعمق وجو وأسلوب وقصة وتعبير شاعري. الضوء هو القدرة السحرية التي تضيف وتحذف وتلطّف وتثرى وتبدد الحواف وتعلّم وتوحى وتضفى الأهمية وتجعل الخيالي معقولاً ومقبولاً أو تخلق على العكس جواً من الشفافية يبدو من خلالها الواقع الرمادي اليومي شاعرياً هوائياً.

بعاكس واحد وزدج من الحواجز الضوئية يبدو الوجه الأغيش، بقدرته التعبيرية التي لا تتجاوز قدرة رغبة، ذكياً غامضاً جذاباً، والوجه السمين الطيب لتسالم مشنوما مهدداً مثيراً للفرح. وتحت الضوء يكشف أفقر الديكورات وبهتتها وأكثرها ارتجالاً عن زوايا ومنظورات خلابة مثيرة. ويمجد تحريك مصباح الـ «خمسة آلاف» وإضاءة آخر في مواجهته يخطف كل إحساس بالثق واليعة الصفاء والراحة والعائلية. ياختمصار! بالضوء يكتب الفيلم، وبه يعبر السينمائي الأصل من أسلوبه.

كم أود أيضاً لو تمكنت من الحديث عن اللتجين كما عرفتكم شخصياً. بالمناسبة، أين ذهبوا؟ هناك من يتندر عنهم كالديناصورات التي أخفت في أعقاب العصر الجليدي. **روفييري، ريتسولي، دينو دي لاورينغست** نفسه، زافوك،

**سيلزنيك**. أين هم؟ ومن الذي حل محلهم؟

أريد أن أعرفكم على بعض اللتجين الأمريكيين الذين التقيت بهم على مدار السنين. شخصيات أسطورية أخرى، آلهة «أوليمب» مختلف، تحيط بهم غمامة من دخان متصاعد من السيجار الضخم كسيقان الخزير الملحة. سراب ثروات مثيرة للعجب تشجع على الحلم بمشروعات مقدامة مستحيلة كالهلوسة. منذ عشر سنوات يدور الحديث عن دانتي وعن كوميدته الإلهية، تسمع فيه أسماء **جوستاف دوريه، وميكيلانجلو، ولوكا سينيوريلي، وجورج لوكاش**، وشركة الإنتاج السينمائية **زويتروب**، والمؤثرات الخاصة الإلكترونية، وشركة سوني بكل مخترعاتها التي تجاوزت المستقبل نفسه. وهناك في انتظارى بموتوراتها الشغالة أسراب من طائرات الهليكوبتر الجاهزة للإقلاع للقيام بجولة المسح على الطبيعة، للتوجه نحو الصحراوات سحيقة البعد، والبحار الهائلة كالفليان، ومخيمات الاستكشاف القطبية، والبراكين فاغرة الأفواه، وفوارات «أيسلندا» البخارية: لقد تحول للعالم كله إلى استوديو تصوير واحد متراعى الأطراف رهن إشارتي.

الملتجون الأمريكيون؟ استحالة مطلقة للعثور على أرضية مشتركة، أو اتفاق، أو وسيلة تفاهم من أي نوع، أو تبادل في وجهات النظر، أو حتى علاقة تأمرية مفيدة. الحلم الأمريكي الذي لا تغرب عنه الشمس في الخلفية دائماً. أمريكا برؤوس أموالها، بمنظوماتها المتعالية، بتكنولوجياها المذهلة، أمريكا القادرة على كل شيء..

إخراج فيلم عن أمريكا، أو إخراج فيلم في أمريكا. كيف، ومتى؟

هل أستجيب لنداءات **دينو دي لاورينغست** التليفونية التحمسة المتدفقة الحنون، عندما يوقظني بانتظام في عن الليل زامعا نسيانه لفروق التوقيت ليعيد على اقتراحه، كفكرة عبقرية أخاذة، بإعادة إخراج بنت **كنج كونج** أو **حرب الكواكب** للمرة الخامسة والعشرين؟ أم استسلم لإغراءات «آباء الماضي الروحيين» الذين لا أعرفهم والمستعدين لفعل أي شيء بهدف إقناعي بالمغامرة فيما وراء المحيط؟

أود لو حكيت عن **سيرينيللا الجانجستتر**، **المجسم** الـ «إيطالي/أمريكانو» العجوز الذي كان قد عهد إليه بمرافقتي وحمايتي أثناء قيامي بمسح استطلاعي بنيويورك، وكان قد دُرب على إقناعي، وأمر

بإيهابى، وتحقيق كافة رغباتى، فى جو منحرف وقامرى، بين ليتيل إيطالى وبروكولينو («إيطالىسا الصغيرة» و «بروكلين» كما ينطقها إيطالىو امريكا)، والهيمنة الشاذة لسلطة غامضة شريرة.

ثم هناك المنتجون الإيطاليون الذى يفترض أن يتم الحديث معهم بلغة مشتركة، وباتفاق على نفس الأمور، وبمعرفة مسبقة لدى الضدام، وبشكل محدد للموضوعات المسببة للخلاف الذى سيظل ناشئاً لفترة ما فى الطريق المشترك بين الطرفين المتعارضين، كعاشقين غريمين.

ذلك الطابور من الشخصيات الملونة التى تطبع فى العادة عملية إنجاز الفيلم بطابعها، والتى تستعيد علاقات الصداقة فيما بينها دائماً وحتماً، حماة الفن والمبدعين، إنهم كنز ملأه الدراسة الذين يجدون أنفسهم متجاوزين فى نفس الفصل مع مطلع كل عام دراسى جديد.

ثم ماذا عن التليفزيون، محتكر الإنتاج طوال عشرات السنين الجارية؟ كيف يمكن تجاهل الأطراف الجدد من الفئة الوظيفية للتليفزيونية، أو اللغة والعرف السائدين حالياً، أو «عقود التشغيل»، أو توقيع «رئيس القطاع»، أو المقاولات المتداولة بين أيدي الطبقة الصاعدة بهمساتها

خلال أجهزة التليفونات الهوائية المحمولة، ويطوafها خلال المرات التى لا نهاية لها مزودة بخرائط لا تخطئ، أو الأبواب نصف المغلقة، أو موظفات السكرتارية الغوامض؟

كم من مرة تحدثت فيها عن الممثل خلال سنوات عملى؟ ومع ذلك، ليس بما فيه الكفاية بقدر ما أود الحديث: هذا تصريح بالحب من محرك الدمى لمخلفاته الرائعة.

المقابلات الصحفية التى سيتم الحصول فيها على الحكايات والحواديت الخيالية المختلفة، يمكن أن يكون مجالها خشبة مسرح جرداء فى صالة خاوية مغطاة بقطعة هائلة من الشمع الأبيض الذى يعطيها هيئة بحر هائج أو حقل مغطى بالجليد.

أريد استدعاء خمسة أو ستة ممثلين نموذجيين على خشبة المسرح، وباستفزازهم وتشجيعهم بأسئلة فضولية وجريئة إلى حد ما، فى ذلك الفضاء الساحر المصنوع من الظلمة المضاءة أجعلهم يتحدثون عن ذواتهم عن مهنتهم، عن علاقتهم بالجمهور، عن أحلامهم، عن عاداتهم الخفية، عن لوازهم العصبية، عن اهتماماتهم الصبغانية الخارجية، عن غرورهم، عن عصبيتهم النفسية فى حالات أزمات البحث عن الذات وهكذا كى نتكلم من رسم صورة مطابقة، أو

بتحديد أفضل لوحة ملامح نفسية للنمط الإنسانى الذى يجسده الممثل مستجيباً دوماً لتلك المهوبة الدفينة الأسطورية التى تدفعه إلى التفتن، وإعادة خلق نفسه، والظهور بمظهر الآخر، ممثلاً الحياة والموت أمام من يسمعه فى ثقة وبرغبة هائلة فى أن يكون كل ما يراه حقيقياً.

**ماجىرونى، فيلبومارى، جوستافو جورجي، موييسى:** كانت هذه هى التوقيعات المكتوبة بميلان بخط متمارح على الصور الكبيرة التى كانت تحتوى بوجه شخصيات ذات تعبيرات قاسية، وعيون مضئنة، وابتسامات مريرة، ولامح متفطرسة، وشعور مرسلّة سائمة تغطى الاكتاف أحياناً، تماماً كشعر ماجىرونى فى الإشباح.

هذه الوجوه الملكية الرومانتيكية، كانت تظهر فجأة ذات صباح شتوى، فى العادة قبل أعياد «الكرنفال» مباشرة، على واجهات المنازل، وخلف فترينات القهوة التجارية، وفى الميدان وفى المحطة، وتطل علينا من عليائها دون أن نرانا، كآلهة يستحيل الوصول إليها، بأعادة بثه من المحتمل حقاً، أن تأتى للقاء بنا، متجسدة. هبة السماوات إلى مدينتنا الصغيرة الفقيرة الناعسة المسية. نوات خارقة للطبيعة، جنس آخر، وهى هو ذا فنيدق الأسد الذهبى الذى

يستضيفهم لعدة ليال يأخذ بعدا  
أسطوريا كالأوليمب.

لم يمكننى أبدا تخيل حياة للمثل  
بعيدا عن خشبة المسرح أو شاشة  
السينما البيضاء ولقد أسعدنى الحظ  
يوما برؤية ماجيرونى واقفا على  
قدميه أمام بنك الحلوانى بوفيزى،  
بتلفيعه بيضاء حريرية كبيرة، وقبعة  
رمادية لؤلؤلية على رأسه، ويمكن  
خفيف في وجهه، وكان يرتشف من  
خلال مصاصة من القش شرابا  
مدخنا في كوب صغير ذي أذن  
فضية، أخبرنا الجارسون فيما بعد  
أنه مشروب «البش» باللوز.

فإذا كنت قد حصلت على فكرة  
فيما يتعلق بحياة ماجيرونى بعيدا  
عن خشبة المسرح، فمأذ عن  
الباقين؟ عن كل الآخرين؟ حين يصر  
الستار الأحمر الكبير العجائب التي  
رايناها، وتنزل في الصالة الأتوار  
الرقيقة على وجوهنا الفقيرة  
المعتادة، أين يذهب المثلون جميعا؟  
هذا التخيل الغامض بحياة لا  
واقعية للممثلين ظل عندى حتى الآن  
في علاقاتي بهم ولا يؤسفني ذلك.  
بل أعتقد أنه مفيد لى فى عملى.  
يبدو لى أنى أفهمهم بشكل أفضل،  
وأنى أتفق معهم على مستوى شديد  
الخصوصية، سرى.

أريد إذن، لو كان من الممكن، أن  
أقابل وأجرى تحقيقا صحفيا مع

سالفو راندونى، رمز الممثل  
السرعى، للفنر العظيم، الوسيط  
الروحى، الطوطمى، محبوب  
الجماهير، المحافظ على أعرق  
تقاليد: إيرميتى زاكوى،  
روجيرو روجيرى، ميمو  
بيناسى، رينتسوريتشى، ثم  
فيتوريو جاسمان. ثم  
الممثل/ النجم مارتشيلو  
ماسترويانى. ثم جوليتا مازينا  
كتصوذج الممثل الأسلوبى، المهرج  
الأبدى، ثم بيترو دى فيكو أو  
بويللا مادجو، أو أحمد، ممثلى  
القناع النابوليتانى التاريخى  
بولتشينيللا صاحب التقاليد التي  
توشك على الغروب، الوحيدة القادرة  
على منافسة المسرح الشكسبيرى  
العريق.

أريد أن أتمكن من اكتشاف ما  
الذى يعنيه بالنسبة للممثل:  
الجمهور، الصالة الممتة، المرأة؟  
ماذا تعنى اليان والعبيوت؟  
الرحيل، القطارات، الجولات الفنية،  
المغامرات العاطفية؟ ماذا عن الذاكرة  
والمكياج؟ ماذا تعنى الظلال، التي  
غالبا ماتسبقتا نصر الشيخوخة؟  
ماذا تعنى الشيخوخة نفسها؟

وماذا عن الطوقس المعتادة المجلبة  
بقدر تقانها. فى رحلة البحث عن  
أماكن التصوير الخارجى؟ إن  
فائدتها الوحيدة هى فى اكتشافك

لبعض المزارع التي تحسن طهى  
العجة، أو بعض المجالات التي تقبم  
«بيتشا» جيدة بالمورتاديللا الحقيقية.

ثم هذه هى فرقة العمل وقد  
اختصرت إلى حدودها الضرورية،  
تستولى على المدن؟ والريف،  
والقرى، والبروج، والكفور، وعلى  
كافة السكان، بالإنجليزية المتعجلة  
المميزة للعمليات العسكرية. يبدأ  
العمل بمقايضة سريعة، ثم بنظرة  
ثاقبة تتم التقديرات الحيوية، ثم  
تؤخذ القرارات المهمة: توزيع  
الامكان والمهمات جغرافيا،  
التموينات الغذائية، النقل  
والمواصلات، الإمدادات، إمكانية  
وكيفية العثور على الكومبارس. ثم  
التخاطب بين أعضائها بلغة المهنة  
بخطورة وباحتداد لإذهال السكان  
المعرضين للغزو، التي تتم إقامة  
علاقات صداقة رفاقية مرتجلة  
معهم، باسم المصير البطولى  
المشترك الذى لا أدري لماذا يجب على  
الآخرين مقاسمتنا فيه.

إنها السينما، التي تصل دائما  
كجحافل تيمورلنك بهيئة من يملك  
سلطة التفتيش والاستيلاء والتسيد  
واحتكار النساء واستعباد الرجال.

البحث عن مناطق التصوير  
الخارجى خطوة لابد منها فى رحلة  
الإعداد للفيلم، مرحلة تحظى

## الإشارات والتشبيهات

التي تتحول فجأة إلى نوت، وتبعات،  
وسيلوبات أوركستريالية،  
ومصاحبات.

هذه كلها فصول من قصيدة  
ملحمية ستجدها في الغالب مبهجة  
أكثر منها بطولية، لو حركت بقدر  
يسير منشور الرواية الصوتي متعدد  
الوجوه، مغيرا الموقف، والنظرة  
ووجهة النظر، ودرجة الحرارة  
الانفعالية.

هذا هو بالتقريب ما أود عمله:  
دردشة بين أصدقاء موجهة لأصدقاء  
السينما التي تظل، بالنسبة لي على  
الأقل، مهنة رائعة، وفريدة، وشبه  
إلهية. ■

ترجمها عن الإيطالية:

أ. م.

ومصاطب، وأرضيات، ورسومات  
المساقط المتناثرة كالخرائط  
الاستراتيجية على موائد كيلومترية  
يقطع امتدادها بين الحين والحين  
كالمحطات: نماذج مجسمة من  
البلاستيك، ونماذج من الجبس اللدن،  
وموديلات، تماما كما يحدث عند  
إعادة بناء أمة بأكملها.

ثم الدويلاج الصوتي في الفيلم،  
المنسوج من التوازنات الصوتية  
لمتلين قد تضاموا حتى أصبحوا  
مجرد أصوات، تصبح فجأة أقوى  
وأكثر حيوية من الأشباح الهاتجة على  
شاشة التحكم، كالهاربة من فيلم قد  
تم تعطيله إلى حلقات، ثم تسجيل  
الموسيقى في جو الصالة المبطنة،  
والنوت الموسيقية، ومدير الأوركسترا،  
والآلاتية، وعازفو المنفرد والافكار

بتصنيفك الجميع وإن كانت في  
أفلام ذات قيمة نسبية، حيث  
يجري تصويري الخارجى كله في  
أوستيا، وترغايانكا، أو على أكثر  
تقدير في الحقول المتاخمة لـ «مدينة  
السينما».

هذا البحث الاطلاعى يمكن أن  
يستمر طويلا داخل أسرار وألوان  
مهنة قائمة على المراحل،  
والدرجات، والتراكم المتعاقب.

فهناك جلسة السيناريو، عندما  
كانت الموضحة تصتم وجوه  
السيناريست الأمريكى الجاهل تماما  
باللغة الإيطالية لكنه هو المفضل بلا  
جدال عند الـ Majors شركات الإنتاج  
الكبرى المقتدرة.

ثم بناء الديكور، تحت القيادة  
الضابطة للمدير الفنى، من تصميمات  
ورق شفاف، وارتفاعات،



لوحة للفنان : أحمد عن الدين



# الاستشارات والتنبؤات

٢٦٤ **نصر** ، (علي مبارك) رائد التحديث في مصر . كريم عبد السلام .

مأسى المهمشين . عبد الرحمن ابو عوف . لطفي السيد بين الذات والمجتمع .

فتحي عبد الله : **فكرنا** ، احتفالية الوجود والعدم . وائل غالي .

**اليونان** : احتفال كافايس . عادل حلمي بدر .

## رائد التعليم القومي

دارت معظم البحوث المقدمة حول إنجازات على مبارك في مجال التعليم وما ارتبط بها من مواقف وسياسات جاءت في معظمها طليعية، وفي نفس الوقت يمكن تنفيذها بأقل قدر من النفقات، كما تناولت هذه البحوث أهم الصعوبات والمشكلات التي واجهت الرجل في طريقه لتطبيق سياساته وأفكاره.

وقد تمثلت السياسة التعليمية لعلى مبارك في العمل على إنشاء نظام قومي للتعليم يستمد عناصره من كلا النظامين، الحديث الممثل بمدارس الحكومة والقديم الممثل بالمكاتب والكتاتيب الأهلية بحيث يتم التوفيق بين حاجات الحاضر وماضى الأمة، بين النظام التعليمي الحديث والنظام التعليمي الأهلي.

وكانت فكرة على مبارك في نشر التعليم القومي قائمة على أساس عجز الحكومة وحدها عن النهوض بعبء القيام بالتعليم، ومن ثم فلا بد أن تنهض به الدولة كلها حكومة وشعباً، وأن تتبوأ له إلى جانب ميزانية الحكومة المحدودة ميزانية شعبية تقوم الحكومة ببعض أعبائها المالية، ويقوم الشعب بتوفير باقى النفقات.

في نفس الوقت كان يرى إلى التعليم باعتباره أداة لخدمة الشعب وتربيته تربية سياسية تساعد على فهم حقوقه وواجباته، لا على أنه وسيلة وأداة تعد الحكومة الموظفين فحسب، كما دعا إلى أن يكون الدخول إلى المدارس دون استثناء، مسلم أو مسيحي، غنى أو فقير.

اشتملت الندوة أيضاً على جلسة موسعة من جزئين تحت عنوان «الثقافة والدولة، جساعت ختاماً للجلسات المنعقدة خلال يومي الاحتفال، أدار القسم الأول منها يونان إليب رزق وضمت كلاً من مصطفى الفقى، فؤاد زكريا، سمير سرحان، أحمد حجازي، أسامة الغزالي حرب، مفيد شهاب وهالة مصطفى.

كما أدار القسم الثانى جابر عصفور وضمت كلاً من غالى، شكري، على الدين هلال، مراد وهبة، لطفي الخولي، حسن حنفي، مكرم محمد أحمد، فوزى فهمى وأحمد أبو زيد.

وقد تناول الأساتذة المشاركون دور المثقف العربى داخل الإطار المنى الحديث، بدءاً من تصريف الثقافة المختلف عليه باختلاف النظام القائم ومدى الحاجة إلى إعلاء المفهوم أو الحاجة إلى الحط من شأنه كما تم التعرض لطبيعة العلاقة بين السياق العام المركب بأوجهه المتعددة، الذى يخضع فى الغالب لإعتبارات بعيدة عن الصواب المطلق أو المشالية، وبين الإطار الخلال الذى يتحرك داخله المثقف بسبب من إغفاله للخيارات المتاحة، نقطة أخرى تمت مناقشتها وهى خاصة بالحيز المسموح به للمثقف من قبل الدولة فالدولة أو المؤسسة هى التى تقوم بالاتفاق على أماكن ومعاهد البحث ووسائل الخدمات الثقافية، لكى تنفتح من هذا العقل التى ساهمت بمواردها فى صناعته واكتماله، فالعقل أو المثقف لا بد له من عقد علاقة تبادلية بين فرص التحصيل وفرص التواجد وبين الانضمام فى السياق العام والمساهمة فى تقدمه.

## المصر

## أعلى مبارزاً

## رائد التحديث

## فى مصر

«على مبارك» رائد التحديث فى مصر هو عنوان الندوة العلمية التى عقدت بقاعة مكتبة المجلس الأعلى للثقافة، فى إطار احتفالات الذكرى المائة لوفاة هذا المعلم والتربوى الكبير (١٨٢٣ - ١٨٩٣) وذلك فى الفترة ما بين ١٤ - ١٦ نوفمبر الجارى.

اشتملت الندوة على مجموعة من الجلسات تم خلالها عرض ومناقشة البحوث المقدمة من المشاركين، والتى بلغت سبعة عشر بحثاً ومداخلة، تناولت بالتحليل الفترة التى اضطلع فيها على مبارك بالنهوض بالسياسة التعليمية المصرية، والتداخل بين الأوضحاخ السياسية وفرص التعليم للنجاح أمام الشعب، كما تناولت نشأة الرجل وفكره وأهم إنجازاته قبل وأثناء الاحتلال البريطانى لمصر.

هذه العقبات، موضوع التعليم الأجنبي الذي قام في مصر مستظلاً بالامتيازات الأجنبية، بون خضوع لسياسة الدولة، وغير ومعنى لا يتشتر ثقافته الأجنبية.

كذلك كان على مبارك يرى في نظام التعليم الديني بالأزهر نظاماً جامداً لا يفي بحاجات العصر ولا يتناسب مع متطلبات المجتمع، فقد كان تدريس العلوم الحديثة كالكيمياء والتاريخ والرياضيات محرمات في الأزهر الذي انحصرت دراسته في علوم اللغة والدين مع قفل باب الاجتهاد، لذلك انصرف عن الأزهر إلى محاولة إنشاء نظام تعليمي بديل يقوم على أساس الثقافة الإسلامية، مع الإناء بطوم الحضارة الحديثة وتمثل هذا النظام التعليمي في مدرسة دار العلوم.

ومما يحسب لعلى مبارك من إنجازات دوره الكبير في تعليم المرأة وإنشاء أول مدرسة لتعليم البنات في عهد الخديوي إسماعيل وهي مدرسة السيويفية، التي عُرفت فيما بعد باسم المدرسة السنية.

إن الاحتفال بالكبرى المائة لوفاته على مبارك يُعدّ مقاماً مناسباً للبحث في سياسات التعليم الحالية ومدى ملائمتها لمتطلبات الواقع الآتي، كذلك متابعة التجارب والمقترحات التي توضع موضع التنفيذ وتقييمها، للوصول إلى نسق تعليمي يعالج الانقسامات الحاد بين المؤهل الذي يجعله الفرد وبين قدرته على المشاركة في مجالات الحياة المتعددة. ■

كريم عبد السلام



والكاتب من موارد مختلفة منها ميزانية الدولة وبيع الأوقاف وتبرعات الأهالي كما تعرضت لأغراض التعليم والتوجيهات التربوية للمعلمين حتى يفي التعليم بالفرض المطلوب منه وتحقق التربية أهدافها، ونصت اللائحة أيضاً على أن تكون جميع المدارس تحت أصول تنظيمية وترتيبات حسنة، وامتحانات سنوية ومتابعة من تفتيش المعارف وبذلك أصبح التعليم مطلباً وطنياً على يد على مبارك الذي رأى في توسيع قاعدة التعليم في مرحلته الأولى وتيسير التعليم فيها مع تحسين مادة التعليم وطرائق التدريس أفضل توظيف للتعليم في خدمة النهضة والحضارة.

كذلك تصدّى على مبارك للعديد من مشكلات التعليم التي واجهته في تلك الفترة واستطاع أن ييضاً لحلول لبعض المشكلات بينما استعصت عقبات أخرى على التجاؤز بحكم الظروف العامة للمجتمع وكان من بين

وقد ظل على مبارك على رأس الإدارة الخاصة بشئون التعليم في مصر في عهود مختلفة شاغلاً مناصب متعددة، فقد أشرف في عهد عباس الأول (١٨٤٨ - ١٨٥٤) على شئون التعليم في المهندسخانة، وملحقاتها (مدرسة المبتدئين والمدرسة التجهيزية) مدة أربع سنوات مساهماً في ارتفاع مستواها التعليمي وتطويره، كما تولى في عهد الخديوي إسماعيل وظيفة ناظر المعارف لثلاث فترات ثم شغل وظيفة وكيل ديوان المعارف ووظيفة مستشار لناظر المعارف بالإضافة إلى نظارته لليونان المكاتب الأهلية، وفي هذه الفترة لعب على مبارك دوراً رئيسياً في تنظيم التعليم وإنشاء المدارس الجديدة مثل مدرسة اللسان المصري القديم ومدرسة المساحة والتلغراف ومدرسة دار العلوم، كما أنشأ خلال تلك الفترة دار الكتب المصرية.

وأثناء الاحتلال البريطاني تولى على مبارك نظارة المعارف لمدة ثلاث سنوات توفّر خلالها على النهوض بالتعليم وتوسيع نطاقه بالاهتمام بالتعليم الأولى في الكتابات والعمل على الرقيّ بها وتنظيمها سواء في مكاتب المعارف أو الأوقاف أو الكتابات الأهلية، كما اهتم بتوفير معلمين على مستوى جيد للنهوض بمستوى التعليم. ويعدّ مشروعه في التعليم القومي المعروف بالأمّة رجب (١٨٧٨) أهم إنجازات على مبارك في تجديد التعليم. وقد تناولت هذه اللائحة مصادر الإنفاق على المدارس

## مأسى المهشين

لغة اصوات جاذبة طازجة  
وواعية .. تنضم لوجة كُتب جيل  
الستينيات الذى جُدد وأصل وأغنى فن  
الرواية المصرية الجديدة المعاصرة وجعل  
منها بانوراما موسعة وعريضة تقرا وتُقدّر  
وتحلل التحولات التى مست اللوحة  
الاجتماعية والسياسية والاخلاقية  
والجسدية لصعود وانكسار ولزمت  
وتناقضات ثورة ٥٢ ..

إن قدراً خلاقاً من الرؤية الروائية  
المستقبلية والاسلوبية التعبيرية الحافلة  
والملصحة بكل اساليب التغيير الحديثة  
والمستفادة من فنون التصوير والموسيقى  
والسينما والشعر والدراما .. كل ذلك يشكل  
مساراً روائياً ي طرح سؤالاً مرقحاً يحكم كل  
هذه الروايات .. تتعلق بجعل العملية  
الاجتماعية فى مرحلة الانهيارات والتعبية  
والهوانة ، وسيادة نظام حكم يتبدى لقلد  
الهوية والصلاحيات على الاستمرار .. هذا  
السؤال الاساسى الذى تطرحه موضوعات  
هذه الروايات الجديدة .. هو : ما هى حياتنا  
وما يجب ان تكون عليه ؟؟

ومن انفس الاصوات الروائية الشابة  
التي اتيج لى التفرع على ابداعها الخلاق  
المتمجد تجدد حياتنا ومفهومنا .. محمد  
الحضى قنديل ، ومحمود الوردانى : صلاح  
واى ، رضا اليهات ، خيري عبد الجواد ،  
مصطفى نصر ، سيفيد عبد الفتاح ، احمد  
زغلول الشبلي ، حجاج حسن الدول واخيراً  
ربيع الصبوت .

ويتوقف هنا عند [سهلحات - ربيع  
الصبروت - ربما لانه يحقق لحد ما ودياب فى  
كلية اعماله القصصية والروائية ، بصيرة  
ورؤية واعية ذات مفردات جمالية واقعية  
تشكل اسلوبه التعبيري وصوته الخاص ،  
ويكفل عن قدر من فهم واستيعاب تحولات  
وانهيارات الواقع الاجتماعى والسياسى  
والاخلاقى ، ويرصد ويصور حياة وعذابات  
ومصائر المهشين المغمورين البسطاء فى قاع  
السلم الطبقي فى مجتمعات بشرية تقع بين  
المدينة والقرية ، وتتبدى نمطه  
وشخصياته حية ونابضة بعراقة وعين  
تراث وتقليد الحياة الشعبية بمثلها وقيمها  
واساطيرها واعرافها ... غير انه يبدو فى  
نهج الواقعى نحو شيء من الفوتوغرافيا  
النسجبية ويتجنب الفلتازيا فى تصوير  
لا معقولة وبعث حياة ضيقة الاثني روتينية  
تنقص الفجر والمثل والا مبالاة  
وحصيلة رحلته الإبداعية .. ثلاث  
مجموعات قصصية ١ - الماء - ٢ - انكسر  
الروح - ٣ - الحبس دائماً ورواية قبض  
الجبر .. وهى من منشورات جماعة نيل  
جاد ينشرون على نفقتهم الخاصة تسمى  
جماعة نصوص ٩٠

غير انه يصل إلى النضج وإحكام  
الصنعة والسيطرة نوعاً ما على موضوعه  
الروائى ودوائه التعبيرية فى روايته  
القصيرة العذبة [على هامش النص]  
وعندما نقابل دلالة ورمزية العنوان  
[على هامش النص] فسوف نراه على الفور  
بداية القصد الدلائل والمعنى الجيد  
الهكس المتعدد البصريات والرؤى  
للموضوع الروائى ، وقضايا الحياة  
السوسيوولوجية والسياسية والاخلاقية

والمصرية التى سطحت هذه الرواية  
القصيرة لتشيدها وتجسدها بالصورة  
والرمز فى واقعية نقدية رحية وإنسانية  
تصور وتجسد ملهة ومأساة حياة الإنسان  
المغرى المغمور المهشش الضلوع  
والمستهلك فى دوامة وسطوة الحياة  
اليومية ، والسعى المجهد من أجل الرزق  
والاستمرار الفريزى فى قاع السلم للمجتمع  
الولنى

الرواية تحكى وترصد وتقدم فى وهى  
وبصيرة حياة ومثل وقيم المهشين النعس  
البعيرة عن السعادة والطمأنينة والاستقرار  
والفرح رغم انها تنتزع من برائن الجهول  
والفق والمهنة طقوس سعدتها والفرحها ،  
وتسعى للتواصل الإنسانى وبه العشرة  
والاهل والاستمرار وتجاوز القيود .. هى  
حياة مجموعة من الرجال والنساء والأطفال  
المغمورين .. يعيشون ابداً فى مجتمعات تلح  
على الحالة بين المدينة والقرية تخطط  
وتتنازع بمناقضات الحياة واساليب  
المعيشة والتقليد بين القرية والمدينة .. فى  
هذه الحالة النابضة بالسعى والاضلام  
والانكسارات والصراعات بين المصائر

هذا ما يقصد به تعبير على (هامش)  
اسم المقصود (بالتنص) فهو انكسر  
المهشين على مستقبلهم وقاهريهم .. فربما  
عذابات وويلات الصراع وانكسارات الاحلام  
وخصاد المهنة والذل لمجموعة المهشين  
القراء الذين تعرف عليهم فى نماذج ونماذج  
روائية راسها الكتب بالفتار وحيوية ابرزهم  
( الراوية ) لاندى يسرد ويقدم وقائع  
واحداث ومكونات ( الرواية ) واپر نماذجها  
وهو ( مجلس ) يعمل فى احد مصارف  
المدينة وهو من أبناء النخبة الذين اتوا

تعليمهم بصعوبة رغم قسوة الظروف هو واحد من مجموعة صاحب ولفقة ارتفعت حياتهم منذ الطفولة والصبا وجمعهم مرحلة الدراسة الابتدائية .. التي يسهب ( الراوية ) في وصف تقليدها وصرامتها في معلة التلاميذ والقتل مواهبهم البكر ، وعبر هذا التقديم نتعرف على أبرز أبطال الرواية حيوية وصخباً وإنسانية وشعبية .. ( فرج ) نموذج المصري الفهلوى النماح الذي ابن البلد المتمرد على القيود والظروف والقهر والمطردة والحمل بروح السخرية والتحدى والفرسية ، وهو محور أحداث وشيخ العمل الروائي .. فهو بحركته وتحديه للظهر ومعاراته وتقلباته وموجبه وعبثه وشهواته يشكل بذرة الحدث الروائي .. الذي تنوزع أاليته وتشكيلاته .

( فرج ) منذ الطفولة متمرد ، دائماً كان يتسلح ويتهجم على المدرسين ويدخن ولا يمارس الانضباط .. يردد دائماً : إنا أحب أن أقول من دماغى وأعمل إلى فيه إنا حفظ الكتب ده قليل وسجع ، ولم يكن يحضر من دروس المدرسة إلا درس مدرسة الرسم التي يحبها وتحبه وتقبله في شهوة .. كذلك درس الموسيقى ، ولتصبيه وفوضيته لا يتم التعليم .. فيترك الدراسة في المرحلة الإعدادية ، ويتخمس في هجير الحياة السطحية .. يتسلح في كل شيء : الكراسي الخيزران والمكسكة .. دائماً مطارد من كل مكان يلق به مع بضاعتة حتى يمتلئ في الكثرة مع بقية الصباح من الباعة الجوالين الضالعين اسم المحطة .. وهو .. يمدح الحشيش والفمر ويتزوج من امرأتين ، ويفضل الصغيرة ويتفنى بممارسة الجنس معها .. ومع نمو ( فرج ) في السن والخبرة

وعراك الحياة يصل إلى ذروة التمرد الثقلاني والفريزي للسياسي في ثعرية وكثف يشاعة نموذج الاستقلال الطبقي والقهر السياسي والذي يتحلف مع البوليس متجسداً في شخص (صفوت بك) سليل بقايا الأسر الإقطاعية التي لم يقف على نفوذها وسطوتها قرارات ثورة ٥٢ ، وهو صاحب العزبة والأراضي الواسعة المحاطة بالأسوار العالية والمقيم في فيلا صارخة الأنفة وسط كواخ وبيوت الفلاحين والعامل الواسطة السلاف ، (فرج) يتصدى في شجاعة وفروسية (صفوت بك) ويقود المهشين والقراء ضده ، و (صفوت بك) تسال لحرب السلطة والثورة المضادة وفرض نفسه تالياً للثغرة . ينجح أربع مرّات بالقزوير والرشاوى واستخدام قوى الأمن ... ضد كل هذا يقف (فرج) في إحدى الاجتماعات السياسية ويهجم (صفوت بك) بل ينجح في إقناع الأهل بلخيتار مرشح منهم يتصدى (صفوت بك) وينافسه ويكافئ فوز ، ورغم ذلك يكسب بالقزوير والقهر (صفوت بك) الدائرة .

ويساند (فرج) في تصديه (صفوت بك) (مدوح) عبقري الخط العريس منذ طفولته في المدرسة والذي دفعه فقر والديه ورغبة (صفوت بك) في استخدامه ككتابة يخط الانتخبات السابقة إلى ترك الدراسة ويبدو ان (مدوح) تنظر لأعلى فقد أحب ابنة (صفوت بك) رغم تعاليها وعجزاتها .. ويوما ما سيكتشف مدوح مدى الإهانة والإذلال لكرامته عندما يكتشف ان ابن (صفوت بك) حاول الاعتداء على أمه التي تعمل في خدمة (صفوت بك)

إن كلام (فرج) و (مدوح) وقد ضاعت

واغتصبت عدة قرارات من ملكية الأرض استولى عليها أصحاب النفوذ وأعدان (صفوت بك) .. ولقد القدرة لإثبات حقهما القانوني .. كل هذا القهر يجعل من كل منهما رمزاً للتمرد والسخط .. ولكنهما يجسدان مثارة يتجمع حولها الأهالي المسوقون من مطردة وقهر قوى الأمن التي تسجن وتعتقل كل من يتجرأ على إعلان سخطه ، يجنب سطوة رجال الليل وفرضهم الاتواك على الأهالي ومسلحتهم (صفوت بك) .

في نيل هذه المصالحات الاجتماعية المتهترئة يواصل المهشون حياتهم ، يتزوجون ويتجيبون الأطفال ويتجمعون في الموائد ، ويتساندون في المساء التي تنزل بلبعض منهم ، ويقيدون الأراج ويختلون المذعة والنسائية طينساو الامتهان والذل الذي يعيشونه في مجتمع طبقي رغم الشعارات الضخمة الرافعة عن العدالة والحرية والاشتراكية

إن الكاتب يرسم لوحة لتلك مجتمع يعيش فترات الانتقال الحرجة ، وتطبل فيه مشروعات الإصلاح من أجل شيء أنه يقدم هذه التراخيبيات بشكل وصفي .. وبواقعية تسجيلية صامتة لم تتغلغل في مصائر الشخصيات وعكسا جعل الصراع الطبقي في التحمل المصير القاردي مع الجماعة .. إنه في كثير من نياته السردية يقدم الواقع كعصى جاف .. مستولياً الشروط ، غير هضاب بالحركة والتمدد والتناقض ، فيبدي في بعض الفصول مبالغة وأعفاً وأن يغفل في إبراز التفاصيل عن حياة هذه المجموعة من المغمورين ... والتي يرفع (فرج) و (مدوح) هاتورة الحساب عن استقلالها ، فهم يخرجون من السجن بعد أن

الامان (فرج) (صفوت) واعتدى عليه أمام الامان واتبع غريزتهم في الانتقام وجسد لهم عملية التحول من القهر والتبعية إلى إدراله كائنون استغلاليهم فجمعوا متحدين واستقلوا (صفوت بك) في الانتفاضة مما أدى إلى أصابته بالقهر والحصار والموت كعدا أخيراً ، وهذا هو (هاش التصر) والدلالة المجازية لعنوان الرواية .

لقد القى الباعث حول (فرج) الذي تحسس جيوبه كأنما يذكر شيئاً ، توجه إلى جهاز التسجيل للمشروع على هاتيريتية السجائر وأخرج شريطاً دسه في الجهاز بحرص وادار مفتاح الصوت ، وعاد مكثه ، وانطلقت أنشيد وأغان وطنية الجمعتنا وأرتفعت لها جلودنا [ع] الدوار .. ع الدوار

فقد ساعة العمل الثوري بكفاح الأحرار غير أن قوى القهر لا تتوقف من معاودة هزيمة أحلام الامان وتنفذ عليهم بالمطاردة . وتقتل (فرج) و (مدوح) بثمة الشعب والقتل ويسود الجو المرعب من المطاردة وتهدد زوجة (صفوت بك) بانها سترشح نفسها في الانتخابات في دائرة زوجها كدليل على استمرار قانون الاستغلال والقهر .

وتنتهي الرواية بالهزيمة والانكسار وانتظار الخلاص .. وتجسدها بدلالة شاعرية إنسانية عبارات الرواية (الحاسب) الذي بدأت به الرواية وما هي تنتهي به [كنا ننتظر تغييراً أو علواً يخلصنا من السجن ، وقد سمعنا أنه ربما يفرج عن (مدوح) في أول مناسبة قومية قادمة : وكان عيد الثورة ولم يخرج ، ونحن في حالة الانتظار التي طالت ، حصلت على عقد عمل بالخارج ، كنت ألق بجل الرصيف بحافيتي ولورائي .. مهوماً من اغتراب قلب وشعرتي يائيلياض . واشتغلت نفس ثورتي للكفوس وإلغاء السفر .

واحبست يائيل اسوم (وماذا تفعل في النكل التعسقي المفاجيء إلى الحدود ؟ وما جيل التمسك الصلبر من رؤسائي في الفترة الأخيرة ؟ وما ذنب الأقربين إذ اشتتوا بسببي ؟)

ووفقاً على الحد انفاضل حتى تعبت [مع] أول موجة لطمت سرعبي ، في أول بعد .. أنشقي قلبي ، وريقني جف ، وآل مائي غشيان !! وأنا اللي يابا بكيت وصرخت ، لجل الحال يتعدل ، وانهرضت ثم كنت وانهرضت ، فليبي يا قلبي انضطت .. وفزعيت ، كما الطير سمع امرأ وشفت كاهوم ، حب هاجم بكفني ، فقلت ومسحت ما نزل ثم قلت ايا بنت الإيه يا بلدي [11]

هذه العبارات الجزئية ترقى ضياع أحلام جيل الثورة الذي انكسرت طموحاته مع حماد الثورة المضادة وانقلابها على المشروع الناصري .. وسيدة المهانة والتبعية وتردى الواقع السيلسي والأخلاقي وانتجت به الأحلام الضائعة وخيبة الأمل إلى السجن ، والهجرة إلى مدن الخليج .. من الملح

وهي بذلك رواية تنضم لكثير غيرها من روايات جيل الستينيات التي ناقشت وحللت وصورت التاريخ المرير والحياتي قصود وفزعة ثورة يوليو ٥٢ .. التي يبدو أنها شابت ... غير أنها تشرحيمة بتخلق فيها بذرة ثورة جديدة تسمح للإنسان والأحوال أن يخلقا .

وربما يقال إن قراءة وتصوير مأسى وأحلام المهضمين المغضوبين .. ملح الأرض من أهال المدينة والريف وصراخهم مع سبيلهم ، وقوى القهر .. بجانب الوعي ببائيا وبزوايب الضوب والتشبهات الأخلاقية والاجتماعية التي مازالت تعالينا

حياتنا رغم الثورة وما أحدثته من تعديلات طبقية في نسج العلاقات الاجتماعية ربما يقال إن هذا موضوع مستهلك مكر تتسوله ومعالجته عند العديد من أجيال الروائيين ، غير أن (ربيع أصبورت) ورغم عدم عمق فهمه لتطورات وآليات الواقع الجديدة ... فقد خلق في بعض أجزاء ومشاهد الرواية تقديم لوحة الصراع الاجتماعي برؤية شمولية لحد ما ، رغبة غير إجرائية أو آنية أو جزئية نتحدث عن مجتمع محدّد وبيئة محدّدة وزمن محدّد والشخص محدّد ، بل حاول أن يخلّق إلى التعميم من الجزئي إلى الكل ، والآني اللحظي إلى المتحول المتغير المستمر .. أنه يرى الغلبة رغم توفقه عند الضعيف .

إن نوعيات الصراعات والصدام بين الفقر والثروة ، بين معاناة القهر والتسلط والرغبة المستحيلة في الحياة الأمية ، بين البراءة والندانة ، بين القبح والقيمة .. تقدم هذا لحد ما في بعد إنساني شعوري وحسّ يجعل قضايا النضال والتصرّب والحربة والبحث عن عدالة مفتقدة ، والتصالح .. قضائياً إيديّة تضالّب الإنسان في كل مكان وزمان

غير أن الكاتب غالى في التزام الصرامة في أسلوبه المردي وتجنّب الشاعرية والرمز في تصوير اللحظات والمواقف الإنسانية التي تتطلب التعبير بالصورة والمجاز والأداء اللغوي غير اللغوي ... لقد كان زائق الثبرة واضح الأسلوب ، غير أنه كان لحد ما مدركاً لشرط الاقتران في الوصف وتجنّب الحوار على حساب درامية الحدث وتحولاته ، وتصوير تعدد جوانب الشخصية ■

عبد الرحمن أبو غوف

## لطفي السيد بين الذات والجموع

**ق**لقد وصل الحراك الاجتماعي في مصر إلى ثروته نتيجة لتقلب الفئات الاجتماعية وانحسار دور المؤسسات الكبرى في أعمال هاشمية، مما أدى إلى تزايد موجات العنف القائمة على النفي والاستئصال دون حوار خلاق يحكم إلى قيم معيارية تؤسس سيافاً اجتماعياً خاصاً. وقد تجلى هذا بوضوح فيما هو نقاشي، وزاد من حسنة عدم مصداقية الرموز الثقافية لتنتقلها بين تيارات شتى لا يمكن الجمع بينها.

وأمام هذا الإشكال انحسارت المؤسسة الثقافية لرواد النهضة لمواجهة هذه الأزمة، خاصة وأن الإشكاليات السياسية والحضارية التي عالجوها مازالت قائمة. ومن هذه الرموز أحمد لطفي السيد، فأعادوا نشر كتابه قصة حياتي، وهي تجربة سياسية ثقافية في المقام الأول وإن اتخذت طابعاً شخصياً. فقد ولد في ١٥ يناير ١٨٧٢م وحفظ القرآن بكتاب القرية وهو في السادسة من عمره

وإتم تعليمه الابتدائي عام ١٨٨٥م بمدرسة المنصورة، وبعدها التحق بالمدرسة الخديوية وفيها تعرف على «عبدالعزیز فہمی» وقرأ «اصل الإنسان» لداروين ترجمة وشبلي شميل، وحفظ بعض المعلقات وأشعارا لكبار الشعراء.

وفي عام ١٨٨٩ التحق بمدرسة الحقوق، وفيها عرف الشيخ محمد عبده والشيخ «حسن الطویل» واشتغل بالصحافة وهو طالب فعاون جريدة «المؤید» بترجمة تلغرافاتها الخارجية، وسافر إلى استنبول عام ١٨٩٢ وقابل في إحدى المقاهي سعد زغلول وكان قاضياً بالاستئناف والشيخ علي يوسف وحفني بك ناصف وقد تاهبوا لزيارة السيد جمال الدين الأفغاني فصحبه إلى منزله، وقد ذاع صيته في الشرق الإسلامي كمصلح ديني وفيلسوف جليل وسياسي خطير، فأراد أن يقتل عليه، وكان له ما أراد.

إتم دراسته عام ١٨٩٤ وعمل كاتباً بالنيابة ثم معاوناً ثم وكيلاً بيني سوف وهناك التقى مع صديقه القديم «عبدالعزیز فہمی» وأنشأوا جمعية سرية غرضها تحرير مصر. وكانت هذه الجمعية مؤلفة من: عبدالعزیز فہمی (وكيل نيابة)، أحمد طلعت (رئيس النيابة)، محمد بدر الدين (وكيل نيابة)، عبدالحليم حلمي (دكتور)، محمد عبد اللطيف (صيدلي بطوط)، أحمد لطفي السيد.

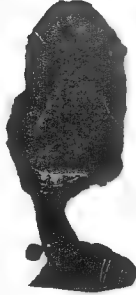
وعندما التقى بمصطفى كامل بالقاهرة قال له: إن الخديو عباس يعلم كل شيء عن جمعيتكم السرية وأغراضها وعرض عليه المشاركة في حزب وطني تحت رئاسة الخديو فوافق وقابل الخديو وتحدثوا عن أغراض الحزب وطلب منه الخديو أن يسافر إلى سويسرا لكي يكتسب الجنسية السويسرية ثم يعود إلى مصر ليحرر جريدة تقاوم الاحتلال البريطاني. بعدها اجتمع هو ومصطفى كامل في بيت محمد فريد لإنشاء الحزب الوطني كجمعية سرية يرأسها الخديو. سافر إلى جنيف سنة ١٨٩٧ وفي الصيف التقى بالشيخ محمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين وكان يؤلف كتاب «تحرير المرأة» وقد غضب الخديو عباس من لقائه بالشيخ محمد عبده، وعذد عودته إلى مصر أرسل تقريراً إضافياً إلى الخديو يقول فيه: إن مصر لا يمكن أن تستقل إلا بجهد ابنائها وإن أوروبا لن تساعدنا على حساب إنجلترا.

في عام ١٩٠٥ استقال من النيابة، وفي تلك الأثناء كانت مشكلة «العقبة» بين مصر وتركيا تشغل الرأي العام وكان الأتراك يدعون أنها لهم والانتجليز يقولون إنها ملك مصر. وكانت الجرائد القومية تنصر الأتراك، ففكر هو وصديقه محمد محمود باشا في ضرورة إنشاء جريدة مصرية تنطق بلسان مصر وحدها دون أن يكون لها ميل خاص إلى تركيا أو إلى

العالي، لكنهم لم يكفوا عن مهاجمة الحكومة القبرية الإستبدادية، وتولت الكوارث فالتت الحكومة الجيش المصري والعلوم الحربية وكذلك مجلس النواب ووافقت على قانون المطبوعات وهو قانون بلغ القسوة على حرية الرأي.

وقد أفلحت محاولات الخديو في إقناع بعض الشركاء بالخروج من شركة الجريدة وطلب حلها عام ١٩١٠م.

في عام ١٩١٢ استقال سعد زغلول من وزارة الحفانائية وخلفه حسين رشدي فذهب إليه لطفى السيد يطلب منه أن يبدل بالعلم العثمانى علما مصريا يرفعه المصريون على سفنهم ويواخرهم وكان يوسف وهبة وزير الخارجية حاضرا فقال له: إن هذا الكلام سابق لأوانه، ثم رجع له مرة أخرى يطلب منه أن تعلن مصر استقلالها عن الدولة العثمانية وأن تنصب الخديو ملكا عليها ويعترف لها الإنجليز بهذا الاستقلال ورجاه أن يعرض هذا على الخديو والمعتمد البريطاني. فرفض المعتمد بحجة أن إنجلترا لا تريد مضايقة تركيا الآن. ورأى الخديو أن يؤلف وفد من سعد زغلول وعديلى باشا وأحمد لطفى السيد ويذهبوا للمفاوض مباشرة مع الحكومة الإنجليزية. وفي هذه الأثناء قام الأمير عمر طوسون وبعض الكبراء والأعيان بجمع التبرعات لمساعدة تركيا في الحرب وأخذوا يطوفون البلاد لهذا الغرض ويشجعون المؤن والأبسلحة ويرسلونها للجيش التركي بطرابلس.



ذنب مصر أنها أمة إسلامية وأن أوروبا لا تساعد في الشرق إلا الأمم المسيحية، فتمنى بعضهم لو كان للمسلمين وحدة كالتى توجد في أوروبا. ولقد علمنا التاريخ وطبائع البشر أنه لا شيء يجمع بين الناس إلا المنافع فإن تناقضت المنافع استحال أن يجتمعوا مجرد قرابة في الجنسية أو الدين. وأن هذه الفكرة تصلح تريعة لرجال السياسة الأوروبية لتستمر أعمالهم في الشرق.

بعد ظهور الجريدة ببضعة أشهر تألف حزب «الأمة» في ٢١ ديسمبر عام ١٩٠٧م وقد تضمن منهاجه المطالبة بالاستقلال التام والمطالبة بالدستور تدرجا إلى إيجاد مجلس نيابى تتمثل فيه سلطات الشعب. وقد اتخذت بعض الصحف مبدأ المطالبة بالاستقلال التام تريعة للتشنيع على الحزب واتهامه بالخروج على الباب

إحدى السلطتين الشرعية والقلمية في البلاد، وقد اتفقا أن تكون الجريدة ملكا لشركة من الأعيان أصحاب المصالح الحقيقية. وفي بيت محمود باشا سليمان ألفوا شركة الجريدة وانتخب أحمد لطفى السيد رئيسا لتحريرها لمدة عشر سنوات، ومحمود باشا سليمان رئيس الشركة. وبعد تأليف الشركة أخذت الجرائد المتصلة بالخديو تنهم القائمين عليها بمغازلة الإنجليز، ومسا كساد بعضى على صورتها أيام حتى انتهت مهمة اللورد كرومر في مصر فخطب خطبته الشهيرة في الأوبرا وعلقت عليها الجريدة تعليقا غنيا وسارت الجريدة على مبادئها تنفذ أعمال السلطة القلمية التى كانت للإنجليز، كما كانت تنفذ أعمال السلطة الشرعية المعلقة في سلطة الخديو. وعلى أثر استقالة اللورد كرومر نشر تقريراً تناول فيه طبيعة المصريين وأخلاقهم وأفكارهم كما تناول ميولهم نحو الجامعة الإسلامية فرد أحمد لطفى السيد قائلا: إن فكرة الجامعة الإسلامية قد توجد بخواطر بعض الناس الذين لايزالون يعسدين عن الاشتغال بالسياسة والنظر في الأمور العامة بشيء من التدقيق. وكلما رأى المصريون اتفاق رجال السياسة الأوروبية على شيء يضير مصلحة مصر أو يبجد معياد استقلالها قارنوا بين مصر وغيرها من ولايات البلقان التى استقلت واستنتجوا من ذلك أن



فى عام ١٩٢٨ شكل محمد محمود باشا الوزارة وأسند إلى لطفي السيد وزارة المعارف والتي استمرت خمسة عشر شهرا واستقالت، وفى عام ١٩٣٠ جاء مديرا للجامعة وقد حرص منذ توليه أن يكون لها استقلالها ولكن حدث أن اعتدت وزارة المعارف على هذا الاستقلال فنقلت طه حسين من عمادته بكلية الآداب إلى أحد الوظائف بديوان الوزارة دون أخذ رأى الجامعة فلم يقبل هذا التدخل ونهب لرئيس الوزراء إسماعيل صدقي واقترح أن يرجع طه حسين اسناد أول ليس عميدا احتراماً لرأى الوزير لكن الوزير لم يقبل فقدم استقالته فى ٩ مارس ١٩٣٢ وعندما رجع مديرا للجامعة عام ١٩٣٥ ضم إلى الجامعة كلية الهندسة والتجارة والزراعة والطب البيطرى.

هذه مسيرة رجل ليبرالى أراد لبلده أن تكون دولة مدنية ولابد لها أن تتحرر من الاستعمار الإنجليزي والدولة العثمانية وإن تعتمد فقط على أبنائها ومواردها الطبيعية وهذا إن يحدث إلا عن طريق الديمقراطية والتتمثيل النيابى لكافة فئات الشعب والدعوة إلى تخوير للمعقول بتخليصها من الخرافات والأساطير التي تعوض مسيرة التقدم ■

**فتحي عبد الله**

والاستاذ يعقوب صروف إلى بيته وتحذروا فى ضرورة إيجاد مجمع للغة العربية. ودعا لطفي السيد حفنى بك ناصف وعاطف بركات ووضعوا قانونا للمجمع والفوه برئاسة الشيخ محمد ابو الفضل الجيزاوى شيخ الأزهر.

وعندما وصلت إليهم مباديه ويلسون تحركوا للمطالبة بالاستقلال فنفذت الحكومة سعد ورفاقه إلى ماطلة وبعد المفاوضات والمساووات واندلاع ثورة ١٩١٩م وتقيام الجمهوريات الصغيرة بالقطر مثل جمهورية المنيا افرجوا عن المنفيين وسمحوا للطفي السيد بالسفر والتقوا جميعا فى مؤتمر السلام الذى لم يسفر عن شيء.

اما فكرة للجامعة فقد جاءت عام ١٩٠٦ عندما اجتمع نخبة من أهل الغربية فى دار سعد زغلول وتعاقدوا على الدعوة لإنشاء الجامعة وقرروا أن تكون بمعزل عن السياسة وفى عام ١٩٠٨م اجتمع المكتتبون تحت رئاسة سمنو الأمير أحمد فؤاد فى ديوان الأوقاف وسموها الجامعة المصرية وفى عام ١٩٣٣ انضمت الجامعة المصرية إلى الجامعة الجديدة، وعام ١٩٢٨ وضعوا حجر الأساس لمبانيها الحالية بحضور جلالة الملك فؤاد.

وامام هذه الحالة من التبايد لم يتم المشروع.

فى عام ١٩١١م ظهرت لأول مرة بواير بما سموه بالجامعة العربية فقد وفد على مصر رجلا من اعيان الشام ولبنان هما السيد شكرى العسلى من دمشق والسيد ثابت من اعيان بيروت وكان الغرض الذى جاء من اجله السعى لضم سورية إلى مصر ولم يكن متفقا معهم فى هذا الرأى، فلطفي السيد منذ زمن طويل بنادى بأن مصر للمصريين وأن من يقول بأن أرض الإسلام وطن لكل المسلمين فهو يقول بقاعدة استعمارية تتلخع بها كل امه مستعمرة تطمع فى توسيع املاكها، تلك قاعدة تتمشى مع المنصر القوى الذى يفتح البلاد باسم الدين ويجب أن يكون افراده كاسيين جميع الحقوق الوطنية. اما الآن وقد أصبحت اطوار الشرق غرضا لنفوذ الغرب وانقطع أمل هذه الامم الشرقية فى الاستعمار ووقفت اطماعهم عند حد المدافعة والاحتفاظ بسلامة كل امة فى بلادها، فالاستقلال هو المطمع الوحيد.

فى عام ١٩١٢ دعا إلى تاليف نقابة للصحافة المصرية إلا أن هذه الدعوة لم تعمر طويلا لأن الحرب العالمية الأولى أتت عليها. وفى عام ١٩١٦ دعاه إسماعيل عاصم مع عدلى باشا ورشدى باشا

## فرنسا

### احتفالية الوجود والعدم

**ق** ٢٥ يونيو عام ١٩٤٣ ليس تاريخاً عادياً في تاريخ الفكر الغربي المعاصر لسبب بسيط وهام إنه تاريخ صدور كتاب الوجود والعدم لجان بول سارتر الفيلسوف الفرنسي المعروف ضمن سلسلة «مكتبة الألفكر» التي كان يديرها آنذاك برنارد جوتوتوزي في دار نشر جالييمار الشهيرة. وهذا الكتاب الذي يبلغ من العمر هذه السنة نصف قرن، كان محاولة من سارتر لإقامة علم فلسفي ينظر إلى الوجود من وجهة فينومينولوجية أو من زاوية ظاهراتية، أو بمعنى آخر أراد سارتر أن يقيم الوجود على ظاهره لا على ما يظنه. ونزل الكتاب إلى الأسواق في ١١ أغسطس من نفس العام ١٩٤٣. وكان سارتر قبل ذلك التاريخ يعمان قد شارك مع ميرلو بونتي، وجان توسان وزونتي وغيرهم من الفلاسفة الذين لهموا بعد الحرب العالمية الثانية في تأسيس مجموعة من المثقفين لمقاومة الغزو النازي. وقبل صدور الكتاب إن لم يكن جان بول سارتر يحلق في السماء بعيداً

عما تعتمر بلاده من صعاب حادة ومصيرية. بل ربما كان جواب الفيلسوف على السؤال الوطني هو الخلفية البعيدة لكتاب شديد التجربة ككتاب الوجود والعدم والذي نقله الدكتور عبد الرحمن بدوي إلى اللغة العربية خير نقل.

وكان عام ١٩٤٣ عاماً غاية في الأهمية لأنه شهد تغييراً كاملاً في الحرب العالمية الثانية. وكان سارتر بعدما عاد من الاعتقال وقبله قد ناضل في مجموعة الاشتراكية والحرية إلى جانب البحوث الفلسفية التي كان يقوم بها في سبيل إنتاج ما أسماه على نسق زمن ووجود لمارتن هايجر الفيلسوف الألماني الكبير الوجود والعدم. وهي البحوث التي قابلته من الضيال إلى تعالي الذات ثم تمهيد لنظرية الشعور والمخيلة حتى الكتاب الضخم والأساسي. إذ لم يكن سارتر بخيلاً في استنباط المفاهيم ونحت المصطلحات النظرية الجديدة. كان يمتلك نوعاً عجيباً من «الوفرة الطبيعية» في التفكير. أما في الفلسفة الفرنسية وتلك فقد كانت في غالبيتها العظمى مندهشة من هذا الفيض غير العادي في الكتابة الفلسفية الإبداعية إلى درجة الشك المطلق في قدرة سارتر وطاقاته الحقيقية. كان سارتر قد برز قبل الوجود والعدم بروايته الغليان باعتبارها كتاباً مزعجاً. كما كان معروفاً قبل ذلك أنه يتنوى كتابة المسرح وإخراجها. فاثبتت الأسئلة في الشارع الفلسفي الرسمي، وأقيمت علامات استفهام عديدة على طاقة جان بول سارتر الإبداعية.

وكانت الفلسفة الفرنسية الرسمية في ذلك الوقت من صنف فلاسفة أمثال لوسيني ولافيل الذين خلفاً لبرانشفيج بعدما سيطر السيطرة الكانتية النقدية الجديدة إلى فترة طويلة في المؤسسات الفلسفية التعليمية والعلمية والثقافية المرموقة. كانت مدرسة لوسيني ولافيل هي المسيطرة عام ١٩٤٣. قللت من شأن سارتر وسخرت منه السخرية المتعالية.

والجدير بالذكر أن الدهشة الجماعية التي أصابت أنصار سارتر وأعداءه على السواء بعد صدور الوجود والعدم كانت ترجع أيضاً إلى أنه حتى عام ١٩٤٣ لم يكن قد أصدر كتاباً فلسفياً ضخماً وتقنياً إلى هذه الدرجة.

قرا الفلاسفة المحترفون في فرنسا والربب عموماً. أما في أمة العرب فلا أدري. أفن أنها قلة قليلة جداً قمت نفسها وانتفضت عليه. على كل حال في الغرب والعالم العربي تصفحه المتخصصون وتداولوه. لكن شهرة سارتر ليس سببها الوجود والعدم وإنما عمله السياسي والكتابة الأدبية التي لا ترقى أبداً إلى مستوى فلسفته. كتب جان فال استبان الفلسفة الفرنسي الكبير بعد عودته من الولايات المتحدة دراسة يشرح فيها الخمسين صفحة الأولى أو المائة صفحة الأولى من الكتاب. وبدأ في شرحه متردداً. صحيح أن أول عرض للوجود والعدم كان لإكسندر ستروك في مجلة شعر ٤٤ وكان إكسندر شديد الإعجاب بسارتر. لكن إكسندر أصبح فيما بعد سينمائياً لا فيلسوفاً متخصصاً وبالتالي فإعجابه لا يمكن

والجانب الحاسم الذي أثر في الأجيال اللاحقة من الفلاسفة هو الجانب النفسي. لم يكن الوجود والعدم سيكولوجيا فلسفية محصورة في الحدود الضيقة للذات النرجسية.

كذلك أيضاً كان تعالى الذات قبل الوجود والعدم بل مصدر الوجود والعدم هو تعالى الذات.

نجد أن هناك ما أخذوا عليه بعض المأخذ. لم يهتم سارتر كثيراً بقضية اللغة في تحديد الصلة التعبيرية التي تربط الأنا بالآخر. وأطلق على اللغة اسم «المخيلة» أو فضاء «المحتمل»... وفصل سارتر بين الوجود في ذاته، أي بين جانب الوجود المكتل والصامت وبين الوجود لذاته أي بين جانب الوعي في الوجود وبينما مصير الوجود في ذاته هو الوجود لذاته. وكان يقتضى ربط هذا الفصل كتابة ميتافيزيقية وليست وجودية. وكذلك لم يؤلف سارتر قط كتاباً في الميتافيزيقا. غير أننا كيف نفسر تعالى الذات؟ فالتعالى مشكلة ميتافيزيقية محضة وليست وجودية.

ومن هنا المفروض أن الفلاسفة ناقشوا جان بول سارتر أثناء الحرب العالمية الثانية. وربما قرأه كافايس قبل أن ينقض عليه النازيون. كان منذ عام ١٩٤١ استشاراً غير متفرغ بالسوربون واقترح على سارتر أن يقدم كتابه لنيل درجة الدكتوراة. لكن الأمور جرت على نحو مغاير وتخلّى سارتر عن هذا الاقتراح تماماً بعد انتهاء الحرب.

تفجرت الفلسفة الوجودية عام ١٩٤٥ وظل كتاب الوجود والعدم



سارتر في يونيو من عام ١٩٤٤ «فيض طبعي» من الأفكار

مداه. إعادة تأويل التراث الفلسفي الذي كان يعرفه سارتر تمام المعرفة. الخبرة المعيشية ضمن المواقف الكونية. إذ لم يكن سارتر يختار نماذج البشرية كما يقولون وإنما كان يستقى الحياة نفسها. لم يكتب كهوسرل الكتابة الافتراضية - الاستنباطية ولم يفكر في المواضيع العامة. أو بالأحرى لا يقيم فينومينولوجيا الموضوعات المجهولة أو الغائبة وإنما ينطلق في بحثه الفلسفي من المواقف المخيلة التي هي ليست موضوعات خيالية محضة بل هي خبرة متخيلة.

وبالضبط ما كان ينقص الفلسفة الفرنسية حتى ظهور الوجود والعدم العناية بالخبرة المتخيلة. كان الهم الذي يؤرق سارتر هو الكشف عن الشيء نفسه .. عن مضمونه وتطوره.

أن يكون معياراً لضبط التقييم الفلسفي العلمي الدقيق والذي لا يتأتى إلا بالتحديد المسبق لمخرج جان بول سارتر في الوجود والعدم.

ولم يحاول سارتر في الوجود والعدم ما سبق أن حاوله إدموند هوسرل في مختلف مؤلفاته الفلسفية والأساسية. لم يحاول سارتر أن يعيد تأسيس الفلسفة، إنما حاول أن يجنر الفلسفة في الخبرة وليس في التعليم والثقافة فقط. إذن حاول أن يجنر الفلسفة في أعرق وأقرب ما في فعل الوجود أو الموجود هنا وحاول عرض أشكال هذا التجنير.

وربما يبدو الوجود والعدم اليوم وكأنه شكل من أشكال السيرة الذاتية أي أن محاولة سارتر الفلسفية هي محاولة نفسية في الوقت نفسه. وهو ضابط لمواقف الفكر ومواقفه وظروفه. ضبط الفكر وهو يتجسد في أشخاص. ومن هنا الصلة الوثيقة بين التأليف الروائي والمسرحي والفلسفي.

ولكن الفكر في لحظات عمله المختلفة يتجسد على نحو فينومينولوجي بمعنى أن الفكر سيرة ذاتية مقنعة حيث تكتفي البنية الكونية لفعل الحياة والأنا الذي يعيش أو يفكر. أعيش فعل الحياة ولكن معيشتي هذه بنية كونية يوضحها الفكر فور أن يبدأ في الحديث عنها. والمشكلة بالطبع هي اكتشاف اللغة التي تطابق ما يستطيع أن يقوله حول ما يستطيع أن يراه. هذا هو ما كان موضوع بحث جان بول سارتر في الوجود والعدم. واستخدم عدة أدوات لغوية. تحليل المفاهيم الذي أحياناً ما تبلغ قفائته

مستمعياً على القراءة. فالأربعة والثلاثون صفحة الأولى (المقدمة) غاية في الصعوبة. إلا أنه رغم ما من صعوبته أحبه الناس. لكن كم منهم قرأ الكتاب القراءة الحقيقية هذا سؤال من الصعب حسمه. أما الأفكار العامة التي يتضمنها الكتاب فانتشرت الانتشار الواسع. غير أن الماركسيين في تلك الوقت رفضوا حتى هذه الأفكار العامة وبدلهم الكتاب خطيراً لما يقترحه من منظومة لا تعارض مع المنظومة الماركسية بقدر ما كان الوجود والعدم يتحرك في إطار إشكالي ليس غريباً تمام الغربة عن الإطار الماركسي لأن الوجود والعدم يضع الفكر في مواضع العالم.

والماركسيون الذين انضموا إلى سارتر قبل الحرب تركوه ابتداءً من عام ١٩٤٥. والأمر الأعقد أن سيمون دي بوفوار قرأت عام ١٩٤٦ ترجمة بونيجيلى لمخطوطات ١٩٤٤ لكارل ماركس وقالت: «وما هذا؟ هذه هي الفينومينولوجيا». النتيجة المؤكدة إذن أنه حدث منذ بداية انتشار الفلسفة الوجودية نوع من أنواع التداخل العضوي بين الفلسفة الماركسية وبين فلسفة سارتر من جانب الماركسيين والوجوديين على السواء بغض النظر عن الرفض المتبادل للمنطلقات المبدئية. وقد خاف قادة الحزب الشيوعي أن يخلط الفلاسفة بين فلسفة ماركس الشاب وبين محاور الوجود والعدم. إلا أن هذا بالضبط ما حدث بعد ذلك في

الستينيات رغم أن خوف الحزب من سارتر عام ١٩٤٦ هجومهم عليه الهجوم العنيف.

ولم يكن خوف الحزب بالضبط من الوجود والعدم وإنما كان خوفاً من الأفكار التي كانت تجرى مجرى القانون والتي كانت منحوتة في ذلك الوقت من محاور فلسفة بيسكال. وصيغت على نحو غير متماسك البتة. ودارت حول قضايا القلق والوحدة البشرية. كما هاجموا سذاجة الأفكار الوجودية التي صارت موضع ثائرة بالقاهي. أما الوجود والعدم فمثل كتاباً متخصصاً بعيد الخيال.

ومن هنا هذه النادرة التي دائماً ما يرونها ببيير نوراً أن توزيع الوجود والعدم عام ١٩٤٨ كان يحوى في كل نسخة نسختين من نفس المزمرة، أى أن كل نسخة كان ينقلها ملزمة ولم يصل إلى دار نشر جاليمار سوى اعتراض شخصين في حين أن دار جاليمار باعت ما يقرب من الثمانية آلاف نسخة.

وهكذا ظل الوجود والعدم كتاباً يضعه الغالبية العظمى في المكتبة الخاصة دون أن يفتحوه. أما المتخصصون في الفلسفة المعاصرة فيرجعون إليه حتى اليوم.

لكن هذا لا يعنى أن الوجود والعدم يضاهى من حيث الأهمية الفلسفية الدقيقة زمن وجود لمارتن هايدجر. كما أنه لا يرقى إلى مستوى مؤلفات

إدموند هوسرل الكبرى. فهو سرل وهابنجر غيراً معاً مجرى تاريخ الفلسفة الغربية وصنعا نمطاً فكرياً جديداً تمام الجدة. وأما سارتر فهو يدور في الفلك الذي فتحه هوسرل وهابنجر. هو ليس تلميذهما وإنما هو يفكر في إطار فلسفتهم ويبنى داخلها ويتفرد بها. سارتر في الوجود والعدم كاتب مسرعى يكتب بأسلوب المفكر. وهذا الربط الذي أقامه كان غاية في الجدة وهو السبب الذي يجعل الكتاب قادراً على البقاء.

والجدير بالذكر أن الجامعة الرسمية ظلت ترفض الوجود والعدم وظلت ترفض اعتبار سارتر فيلسوفاً. فكانت ترى فيه لصاً وشخصاً غير محترم لما اقتحمه من مجالات معرفية عدة فضلاً عن سلوكه الاجتماعي الذي أخذ شكل السلوك المتحدر. وليس ما قصده الجامعة هو تعدد المواقف في شخص سارتر وإنما ما رفضته هو رغبته اللبيقية في معرفة المواقف وأساليب وسلوك الناس في الحياة، بل رغبته الشديدة في المعرفة الغربية من الناس ومشاهدتهم المشاهدة المباشرة واستخلاص الفكر من إقامته بينهم.

أما الفلاسفة الرسميون فلا يرون في الفيلسوف سوى ذلك الشخص الذي ينسحب ليضبط وحدة فكره. فيضبط فكره لئلا يفتت شيئاً ■

وائل غالى

## اليونان

### المعيد الثالث

### لمهرجان كافافيس

(١٢ - ١٥ نوفمبر)

## قا

امسية حميمة من الأمسيات الثقافية اقيمت بدار الأوبرا جمعت بين أدباء ومثقفى مصر وأدباء ومثقفى اليونان لإحياء ذكرى الشاعر السكندري المولد، المصرى الإقامة، اليونانى الجنسية كافافيس.

وقد حضر اللقاء الدكتور سمير سرهان رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب فقال إن كافافيس بحسه المصرى العميق كان السبب فى خلق المدهش فى الشرق والغرب. ونبه على اهتمام وزارة الثقافة بدعم هذا المهرجان السنوى لأنه يمثل نقطة التقاء بين الحضارتين الشرقية والغربية وحضره جورج بابندريو نائب وزير الخارجية اليونانى وإيفانجلوس جورجيوس سفير اليونان بالقاهرة والأديب ثروت عكاشة والشاعر اليونانى كوستس موسكوف الاستشار الثقافى لسفارة اليونان بالشرق الأوسط.

وتكلم الاستاذ ثروت عكاشة عن اللقاء فقال إن أهميته تاتى من أن كافافيس سكندري المولد، مصرى الإقامة، يونانى الجنسية فهو نقطة التقاء بين حضارتين.

ثم القيت بعض أشعار كافافيس باليونانية ثم ترجمة لهذه الأشعار من الدكتور نعيم عطية. وقراءة فى قصة ستراتيس تسيركاس (نور الدين يومبة) - التى صدرت حديثاً فى القاهرة - وأعلنت جوائز العيد الثالث لمهرجان كافافيس:

فلاز بجائزة الشعر العربى محمود درويش لتعبيره عن النضال الفلسطينى.

وفاز بجائزة الشعر المصرى رفعت سلام وملك عبد العزيز لإنجازهما الشعرى وكتابتهما المعبرة عن المجتمع المصرى.

وفاز بجائزة النقد الدكتور نعيم عطية لجهده فى ترجمة العديد من أعمال أدباء اليونان (كافافيس - سيفغريوس - ساما راكيس - سولوموس) وصدر له حديثاً ترجمة أشعار موسكوف.

وفاز بجائزة الشعر اليونانى انتونيس فوستيريس وجائزة خاصة للمدرسة الثانوية بأثينا لجهدهما فى ترجمة أعمال كافافيس.

وقد فاز بهذه الجائزة فى العامين السابقين أحمد عبد المعطى حجازى ومحمد عفيفى مطر ومحمد إبراهيم أبو سنة وفاروق شوشة.

وأقيمت قصائد الشعراء الفائزين باللغات اليونانية والانجليزية

والعربية فقرأت قصائد انتونيس ثم ترجمة لهذه القصائد من الدكتور نعيم عطية وقرأ الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة قصائد محمود درويش .

وقرأت الشاعرة ملك عبد العزيز قصيدة (إن المس قلب الأشياء) وقرأ الشاعر رفعت سلام قصائد (أشياء صغيرة نوميء لى).

وفى الفترة من (١٣ - ١٥) انتقل المهرجان الثقافى إلى مدينة الاسكندرية حيث اقيم فى النادى الثقافى اليونانى وقدم العديد من الباحثين إبحاثهم عن تسيركاس وكافافيس ومن هذه الأبحاث التى قدمت فى اليوم الأول دراسة فى شعر كافافيس قدمها (باناجيولوس) فقسم شعر كافافيس إلى قسمين قصائد ذات طابع كلى وقصائد ذات طابع ائرى أو تاريخى وطبق قصيدة ٢٠٠ قبل الميلاد على هذه الملاحظة.

وقدم (بابايو أنو) بحثاً عن مكتبة الروالى تسيركاس وأبرز تآثر الطلبة اليونانيين اليساريين بتسيركاس وهى تعرف بفترة مقاومة الديكتاتورية وأن إنقاذ مكتبته والتى تحتوى على ١٥٠٠ حتى عام ١٩٦٢ تمت بواسطة (انديفونى خاتزيا نذريو) وتم اهداء الجزء الأكبر منها للمدارس اليونانية لأنه فى ذلك الوقت كانت الكتب ممنوعة من المصنفين، وقدم (كارابوستوليس) بحثه فى اللذة عند إبيكورس وكافافيس.

ويوضح أن شعر كافافيس يحاول التوحد بين الروح والجسد عن طريق الحصول على المتعة وشعر كافافيس يختلف عن إبيكورس حيث إن الذهن

وقدم سيانتس بحثه في كافافيس  
محولاً الاقتراب من قصيدة كافافيس  
عندما تخلى الإله عن انطونيوس وأن  
لها بعد رمزي حيث إنها تعبر عن  
احاسيس وتجارب الشاعر ثم نبذة  
تاريخية عن موقعة انطونيوس  
واكتافوس وتخلي الإله الحامي عنه.

ثم تحدث الدكتور سيد صادق عن  
شخصية كليوباترا وأنه لا يمكن  
تصديق المؤرخين الرومان الذين  
زعموا أن شخصية كليوباترا كانت  
تنوى احتلال روما ذاتها عن طريق  
إفساد زعماء الرومان وفي كتاب  
(بلوتارك) نجد البعد الدرامي في  
شخصية انطونيوس الذي فضل  
الآنثى على الواجب وأن شكسبير تأثر  
بقصة الحب مع إبراز الحب الوطني  
لدى كليوباترا مصادفة وأن أحمد  
شوقي اهتم بالأيام الأخيرة في حياة  
كليوباترا معتمداً على الترجمة  
الفرنسية للنص الإنجليزي.

كما اقيم على هامش المهرجان لقاء  
ادبي جمع الادباء إدوارد الخراط  
ورفعت سلام وهالة البدرى وعبد  
العظيم ناجي وعبد الله السمطي  
وعبد الوهاب داود وظاهر البربري  
وأحمد عثمان ومجموعة من شباب  
الإسكندرية وقد علق موسكوف الشاعر  
اليوناني في نهاية اللقاء أن الحضارة  
اليونانية جزء من حضارة البحر  
المتوسط التي تتميز بالانجاء إلى  
الأخر وهذا موجود عند كافافيس  
بينما الغرب مازال الفرد مسكوناً في  
الوحدة وأن الاهتمام بهذا اللقاء هو  
اهتمام بالثقافة المشتركة بين مصر  
واليونان ■

عادل حلمي بدر



كافافيس

وقدم الدكتور محمد العبودي بحث  
(المخينة في كافافيس).

والقى لطفى عبد الوهاب قصيدتين  
باليونانية ثم العربية. ومن أهم  
الأبحاث التي قدمت (إحساس العزلة  
عند كافافيس) لبديناش دى لاينا  
وتكلم عن شخصيته ولغته وطريقته  
في الكتابة وأكد أن كافافيس شاعر  
مغموم بالموضوعات التاريخية بل هو  
من وجهة نظره أهم شاعر تاريخي في  
التاريخ اليوناني الحديث وأنه قبل  
وفاته بسنة أشهر أكد أنه ينوي كتابة  
٢٥ قصيدة من المفروض أنها كانت  
ترتبط بفترة التاريخ البيزنطي وهو  
يتعامل مع اليونانية بمفهوم الأزلية  
وفي اليوم الأخير ١٥ نوفمبر ١٩٩٣.

قدم كريستوس توميدس بحثاً في  
(تسيركاس كمؤرخ) وتناول فيه كتاب  
تسيراكس (كافافيس ورفاقه). ويتحدث  
عن تاريخ اليونانيين أوأخر القرن  
التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

لا يهتم مقدماً بالنتائج ولكن يقبل بعد  
ذلك بأى نتيجة تحدث وبالنسبة  
لمرسيل بروسث فإن المتعة تبدأ من  
الحساسية إلى الذاكرة بينما عند  
كافافيس تبدأ من الذاكرة إلى الحس  
وكافافيس يحاول أن يجعل الجسد  
منتجاً للرغبات والأفكار.

وقدم (سبيروس تساكيناس) بحثاً  
عن تسيركاس الكاتب الوطني، وتكلم  
عن أبرز قصصه وهي (نور الدين  
يومية) حيث إنها تبرز حب تسيركاس  
لحس وشعبها وهو حب فرد من أفراد  
الشعب وليس حباً من فرد أجنبي،  
وبعد ثورة ١٩٥٢ كان تسيركاس يعتبر  
نفسه سفيراً للثورة في أثينا وكان  
يقول إن الرئيس يحب الفلاح والدليل  
على حب تسيركاس للفلاح والدليل  
ديوان له كان بعنوان (الفلاحون)  
وقصصته (نور الدين يومية) تمت  
كتابتها بعد عشرة أيام من تامين قناة  
السويس.

وفي اليوم الثاني في مدينة  
الإسكندرية كان هناك عدة أحداث قمها  
بحث إدوارد الخراط عن كافافيس  
والإسكندرية.

وقدم الدكتور أحمد عثمان بحثاً  
في الدراسات الكلاسيكية في مصر  
وتكلم عن التأثير بين الحضارتين  
اليونانية والمصرية وتكلم عن أشهر  
المترجمين كحنين بن إسحاق وأن أول  
عمل ترجمة لرفاعة الطهطاوى كان  
متأثراً باليونانية وأن مؤسس  
الدراسات الكلاسيكية في مصر هو  
الدكتور طه حسين وأن هناك العديد  
من الأدباء المتأثرين باليونانية الكلاسيكية  
وجماعة أبولو والبياني وتازاك الملائكة  
والسياب.

الغلاف الأخير

محمد مندور (١٩٠٧ - ١٩٦٥)

بريشة الفنان : مكرم حنين

